

# علوم البلاغة في القرن العشرين

## (البيان والبديع)

تأليف

عمر مصطفى

مراجعة وتقديم

الدكتور عبد الرحمن أخذاري

## الإهداء

إلى الوالدين الكريمين.. إلى الغالية زوجتي، وإلى ولدي العزيز محمد سراج الدين.. إلى كافة أفراد أسرتي، وأخصّ بالذكر العزيز أبا بكر.. إلى روح أخي الغالي أحمد.. إلى كل أصدقائي.. إلى كل سكان مدينتي "عين وسارة"، وأخصّ بالذكر الأستاذ القدير، والأديب الكبير الحاج بونيف.. إلى الصديق المجد والشاعر المجد: محمد جربوعة.. إلى الأخ العزيز محمد لمين حمودي، والأصدقاء: كمال ديبس، وعيسى لوقيل، وعزوز حرشاوي، ونوار قاسمي.. إلى كل زملائي: أساتذة مفدي زكريا، وطاقمها الإداري، وأساتذة عبان رمضان.. أهدي ثمرة هذا العمل.

## مقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً. أما بعد: أضع بين أيدي قرائنا الأعزّاء، ومثقفينا الأجلّاء، وبخاصة عشاق البلاغة العربية ثمرةً هذا المجهود.

هو كتاب يبيلور رؤية جديدة لعلم البلاغة العربية، فهو يشكّل (تحديثاً) عصرياً لدروس البيان والبدیع، تمّ فيه تجاوز شواهد الأدب القديم المناسبة فقط لبيئة العصر آنذاك، والتركيز على النماذج الرفیعة، والشواهد البديعة لشعراء وبلغاء العصر الحديث، هذا بالإضافة إلى اعتمادی على طريقة تحليل يسيرة، تضاف إلى يسر شواهد الكتاب وبلاغتها، وتلك صفتان من شأنهما كشف ملامح الجمال والسحر في بلاغتنا العربية الحديثة والمعاصرة.

كما من شأنهما إصلاح ذات البين بين أجيالنا المعاصرة وهذا العلم الذي ابتلي بتكرار شواهد ونماذج بلاغية قديمة، تتوفر على نصيب وافٍ من الغموض والتعقيد.

ورحم الله أحمد أمين إذ قال: "إنّ الأدب القديم نتاج عصر قديم، وصورة من صورته، ونابع من بيئته، والطالب الحديث لا يستطيع أن يتذوق نتاج عصر مضى عليه ألف سنة أو تزيد، فإذا كلفناه قراءته ودراسته فقد كلفناه تجرع المرّ، وهو لا يقبل عليه ولا يستسيغه ويتجرعه ليلقيه في ورقة الامتحان، ثم لا يبقى منه شيء إلا الذكرى السيئة، فأولى أن نعلمه الأدب الحديث، ونقرئه الكتب الحديثة، فهي التي يستسيغها، وهي التي يشعر بها، وهي التي تعبر عن بيئته وزمنه، أمّا الأدب القديم فيدرسه من يتخصصون بعد دراسة الأدب العربي، واللغة العربية."

من أجل ذلك جاء كتابنا (علوم البلاغة في القرن العشرين) تنويجاً لرحلة طويلة استغرقت عقداً كاملاً من الزمن، قضيتُهُ في البحث والتقيب داخل (مناجم) الأدب العربي الحديث والمعاصر، أملاً في أن أقدم للقارئ العربيّ وجهاً آخرَ مختلفاً ومغايراً لعلوم البلاغة العربية.

وفي الأخير أودّ القول إنّي لست أدعي العصمة من الخطأ، أو البراءة من الزلل، فله وحده الكمال، وهو وليّ التوفيق.

المؤلف

## تقديم

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الحكيم، يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يُوتَ الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، أتاه الله جوامع الكلم، وجعله هدى ورحمة لجميع الأمم، وبعد: فقد أسعدني أخي عمر مصطفى إذ طلب مني تقديمًا لكتابه هذا، والحق أنه فاجأني، فما كنت أحسب أنّ في المدينة رجلا يجشم نفسه عناء التأليف في زمن انغلاق - أو كاد - بابه، وزهد في العلم طلابه..

وقد ظننت الرجل ألف في النحو كعادته، إذ طالما كنا في شلة أيام الطلب، نتدارس مسائله وأبوابه، نجتمع متنافسين، يشحذ كلٌّ منا جوابه، ويؤلب أحزابه، ونفترق متوآدين، نلوك مرارة الخطأ، ونلتذّ حلوة الصواب..

لكنّ عمر فتن بالبلاغة، وهمّ بها، وهمت به، فهام في أودية الشعر، يقتنص أوابده، وارتقى منابر النثر، يقتطف فرائده، ونضدّ من هذه وتلك جواهر، يخطب بها فانتته، ويقدمها مهراً لها، فجاء كتابه (علوم البلاغة في القرن العشرين) تتويجا لجهد عشر سنوات من البحث والتنسيق، ومن الدرس والتدقيق، ومن الصبر والمثابرة.

ولقد أريد لهذا الكتاب أن يكون نبراسا للطلاب، يقتبسون منه علم البلاغة، فمهدّ القاعدة تمهيدا، ونضدّ الشواهد تنزيها، ولا بأس أن أسجل هنا ملاحظتين:

الأولى كثرة الشواهد، وقد علمت أنّ الكاتب أراد أن يجعل من كتابه بنكا يستمدّ منه القراء بدائع الأدب، وأحسبه نال مراده، إلا أنّ هذا الأمر قد يُخرج الكتاب عن الغاية التي من أجلها ألف، وقد نصحت له أن يقتصد في الشواهد ما وسعه ذلك، فإنّ فعل - ولا أحسبه إلا فاعلا - فأرجو أن ينال الحُسنين.

والثانية الاكتفاء بشواهد الأدب الحديث، دون العودة إلى الأدب القديم، وأرى أن لا بأس في هذا، ما دام الشاهد بليغا فصيحا، وفي هذا تبيين لبلاغة العصر الحديث، ثم إنّ في كتب البلاغة الأخرى وهي كثيرة غناء أيّ غناء..

هذا وأرجو أن ينفع الله بهذا الكتاب الطلاب، ويمتع به القراء، وأن يكتب له القبول.. فجزى الله خيرا مؤلفه وناشره.. والسلام عليكم.

25 ديسمبر 2016

الدكتور عبد الرحمن أخذاري

جامعة الجزائر

# علم البيان

التشبيه

**تعريف التشبيه في اللغة:** "مَعْنَى التَّشْبِيهِ فِي اللُّغَةِ: التَّمَثِيلُ، نَقُولُ: شَبَّهْتُهُ إِيَّاهُ وَشَبَّهْتُهُ بِهِ تَشْبِيْهًا: مَثَّلْتُهُ"<sup>1</sup>.  
فاللغة كما رأيت لا تفرق بين التشبيه والتمثيل.

**التشبيه في الاصطلاح:** قَدْ يُقِيمُ البَلِيغُ مُمَاتَلَةً، هِيَ فِي الحَقِيقَةِ تَصْوِيرٌ مِنْ جِهَةِ المَعْنَى، يَقُومُ عَلَى مُقَارَنَةِ شَيْءٍ بِآخَرَ، كَمُقَارَنَةِ الحِكْمِ بِالدَّرَرِ فِي قَوْلِ مَعْرُوفِ الرُّصَافِيِّ:

لَهْفِي عَلَى حِكْمٍ مَا زِلْتُ أَنْتُرْهَا دُرًّا تَمِيئًا وَمَا فِي القَوْمِ مُلْتَقِطٌ

أَوْ مُقَارَنَةِ الصَّهَابِيَّةِ بِالعُبَارِ المُرِّ، وَبِالحَشْرَاتِ فِي قَوْلِ مَحْمُودِ دَرْوِيْشٍ:

أَيُّهَا المَارُونَ بَيْنَ الكَلِمَاتِ العَابِرَةِ

كالعُبَارِ المُرِّ، مُرُوا أَيَّمَا شَيْئُمْ، وَلَكِنْ

لَا تَمُرُّوا بَيْنَنَا كَالْحَشْرَاتِ الطَّائِرَةِ.

أَوْ مُقَارَنَةِ الأَدِيبِ بِالنَّسِيمِ فِي قَوْلِ البَشِيرِ الإِبْرَاهِيمِيِّ: "إِنَّ الأَدِيبَ كَالنَّسِيمِ، يَحْمِلُ العَبِيرَ أَيَّمَا سَارٍ".

وقد وردت للتشبيه عدة تعريفات، تختلف في وضوحها ودقتها وشمولها:

1- عَرَفَهُ الخَطِيبُ القَزْوِينِي بِقَوْلِهِ: "التَّشْبِيهُ هُوَ الدَّلَالَةُ عَلَى مُشَارَكَةِ أَمْرٍ لِآخَرَ فِي مَعْنَى"<sup>2</sup>.

2- وَعَرَفَهُ العَسْكَرِيُّ بِقَوْلِهِ: "التَّشْبِيهُ بَيَانٌ أَنَّ شَيْئًا، أَوْ عِدَّةَ أَشْيَاءَ، قَدْ شَارَكَتْ غَيْرَهَا فِي صِفَةٍ، أَوْ أَكْثَرَ، بِأَدَاةٍ مُفَوِّظَةٍ"، مِثْلُ الكَافِ فِي قَوْلِ مَعْرُوفِ الرُّصَافِيِّ:

وَإِنِّي لِأَهْوَى الحَقِّ كَالنَّجْمِ سَاطِعًا وَكَالرَّيْحِ هَبَّابًا وَكَالشَّمْسِ ظَاهِرًا

أَوْ مُفَدَّرَةً، كَتَشْبِيهِهِ الأَلْحَاطِ بِالمَخَالِبِ فِي قَوْلِ إِبِلِيَا أَبِي مَاضِي:

قَدْ كَلَّمْتُ قَلْبِي وَلَمْ تَرْفُقْ بِهِ وَاللَّحْظُ لَوْ دَرَّتِ المَلِيحَةُ مَخْلَبٌ

3- "وعند الجرجاني: أن يثبت لهذا معنى من معاني ذلك، أو حكما من أحكامه، كإثباتك للرجل شجاعة الأسد.

4- وهو عند ابن الأثير: أن يثبت للمشبه حكم من أحكام المشبه به.

5- وعند السكاكي: وصف الشيء بمشاركته المشبه به في أمر.

6- وعند الرمانى: هو العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حال.

7- وعند التتوخي: هو اشتراك الشئيين في صفة، أو أكثر.

8- وعند ابن رشيق: صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة، أو جهات كثيرة.

وقد عثرتُ على تعريف للتشبيه في بعض كتب اللغة، هو عندي أخف وأعذب وأكمل من هذه التشبيهات

المأثورة، وهو: شَبَّهْتُ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ: أَقَمْتُهُ مَقَامَهُ بِصِفَةٍ جَامِعَةٍ بَيْنَهُمَا"<sup>3</sup>.

**أركان التشبيه وطرفاه:**

<sup>1</sup> فن التشبيه علي الجندي الجزء الأول ص 29.

<sup>2</sup> الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص 188.

<sup>3</sup> فن التشبيه علي الجندي الجزء الأول ص 30 + 33.

- **المُشَبَّه:** وهو الموضوع المقصود بالوصف، مثل (الفن) في قول توفيق الحكيم: "إِنَّ الْفَنَّ صَخْرَةٌ صَلْبَةٌ، عَلَى الْفَنَّانِ أَنْ يُفَجِّرَ مِنْهَا الْمَاءَ الزُّلَّالَ، وَلَيْسَ الْفَنُّ نَهْرًا جَارِيًا يَعْرِفُ مِنْهُ كُلُّ عَابِرِ سَبِيلٍ."

- **المُشَبَّهُ بِهِ:** وهو الشيء الذي يجعله الأديب نموذجًا، أو مثالًا للمقارنة، وتكون فيه الصفة أقوى، وأوضح، وأقرب إلى تجربة السامع، أو القارئ وإدراكه، مثل (اللآلئ) في قول الشاعر الجزائري حمود رمضان:

لَا يَغْرُرَنَّكُمْ سُكُوتُ زَمَانٍ فَهُوَ لَيْثٌ وَإِنْ عَلِيَّهِ ابْتِسَامٌ

ويعتبر علماء البلاغة المُشَبَّهَ، والمُشَبَّهَ بِهِ ركنين، وطرفين في فن التشبيه.

- **وجه الشبه:** وهو الصفة التي تستخلص من المقارنات بين المُشَبَّهَ، والمُشَبَّهَ بِهِ. أو "هُوَ الْمَعْنَى الْمُشْتَرَكُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، الْجَامِعُ لَهُمَا فِي قَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ"<sup>1</sup>.

ولنطرق المثال الآتي، ونستخلص تلك الصفات أو الأوصاف:

- قال نزار قباني في بعض نقدياته، مستعرضا المقارنة بين القصيدة الكلاسيكية، والقصيدة الحديثة:

"إِنَّ الْقَصِيدَةَ التَّقْلِيدِيَّةَ كَمَا وَرِثْنَاهَا بِأَغْرَاصِهَا الْمَعْرُوفَةِ، وَأَبْيَاتِهَا الْمُتَنَصِّفَةِ بِبَعْضِهَا التَّصَاقُفَ صَنُوعِيًّا كَقَطْعِ الْفُسَيْفَسَاءِ، هِيَ إِلَى الزُّخْرَفِ وَالنَّفْسِ أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى الْعَمَلِ الْأَدَبِيِّ الْمُتَمَاسِكِ الْمُتَحِمِّ كَقِطْعَةِ النَّسِيحِ، كَمَا أَنَّ أَسْلُوبَ بِنَائِهَا يُشَابِهُ بِنَاءَ الْقِلَاعِ فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى: مَرْمَرٌ، وَرُخَامٌ، وَشُمُوحٌ أَعْمَدَةٌ، أَمَّا الْقَصِيدَةُ الْحَدِيثَةُ فَهِيَ أَشْبَهُ بِدِيكُورِ حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ، وَزَّعَتْ مَقَاعِدَهَا وَلَوْحَاتِهَا وَأَوَانِيهَا بِشَكْلِ رُبَّمَا لَا يُوجِي بِالْتَّرَاءِ الْفَاحِشِ، وَلَكِنَّهُ يُوجِي بِالْدَفْءِ وَالْإِلْفَةِ. فَالْقَصِيدَةُ التَّقْلِيدِيَّةُ مَجْمُوعَةٌ أَحْجَارٌ مُلَوَّنَةٌ، مَرْمِيَّةٌ عَلَى بَسَاطَةٍ، تَسْتَطِيعُ أَنْ تُرْخِزِحَ أَيُّ حَجَرٍ مِنْهَا إِلَى آيَةٍ جَهَّةٍ تُرِيدُ، وَمَعَ ذَلِكَ تَبْقَى الْأَحْجَارُ أَحْجَارًا وَالْقَصِيدَةُ قَصِيدَةً، الْبَيْتُ فِي الْقَصِيدَةِ الْحَدِيثَةِ لَيْسَ عَالَمًا قَائِمًا بِدَاتِهِ كَمَا فِي الْقَصِيدَةِ التَّقْلِيدِيَّةِ، إِنَّهُ خَلِيَّةٌ حَيَّةٌ، تَعِيشُ بَيْنَ مَجْمُوعَةٍ خَلَايَا فِي كَيَانٍ عُضْوِيٍّ وَاحِدٍ، لِذَلِكَ كَانَ حَذْفُ بَيْتٍ فِيهَا مَعْنَاهُ تَعْطِيلُ خَلِيَّةٍ عَنِ أَدَاءِ وَظِيْفَتِهَا، وَإِنَّهَا بَعْدَ ذَلِكَ تَنْمُو نُمُوًّا دَاخِلِيًّا مُتَدَرِّجًا، حَتَّى تَصِلَ إِلَى نُقْطَةِ التَّجْمَعِ الْأَخِيرَةِ، كَمَا تَصُبُّ الرَّوَايِدُ الصَّغِيرَةُ فِي النَّهْرِ الْكَبِيرِ، وَكَمَا تَأْخُذُ النَّعْمَاتُ بِأَذْرَعِ بَعْضِهَا، لِتَشْكُلَ السَّمْفُونِيَّةَ الْأَجْمَلَ".

لعلك لاحظت أن نزار قباني شبه القصيدة العمودية القديمة، وطريقة تشكيل أبياتها بقطع الفسيفساء، لكن ما الصفة التي تجمع بين المشبه، والمشبه به؟ إنها الزخرفة، والنقش، فمثلما تزيّن قطع الفسيفساء بالأحجار الملونة، ومختلف فنون التزيين، فكذلك كان الشعراء القدامى يزيّنون قصائدهم بالألوان البيان، وفنون البديع، إذن فوجه الشبه كما علمت هو الزخرف، والصنعة، ثم شبه القصيدة التقليدية بقلاع القرون الوسطى، فما الصفة الجامعة بينهما؟ لا شك أنها الهندسة، و(الديكور)، فهو يشبه هندسة القصيدة العمودية بالهندسة العمرانية للقلاع، التي كانت سائدة في القرون الوسطى، فتاريخ تلك القرون قد كشف أن القلعة يومئذ كانت ترصّع بالرخام، والمرمر، والزجاج الملون، قائمة أساسا على التقابل، والتناظر. وما الرخام، وما المرمر، وما الألوان، سوى فنون البيان، وأجناس البديع في القصيدة الكلاسيكية، أما القصيدة الحديثة، فيشبهها نزار

<sup>1</sup> فن التشبيه علي الجندي الجزء الأول ص 114.

قباني بديكور غرفة قليلة الأثاث، بسيطة المتاع، ولكن في بساطتها شيئاً غير يسير من الدفء، والمتعة، فهي قصيدة يندر فيها - غالباً - البيان، ويفقر فيها البديع، ولكن ذلك الفقر، وتلك الندرة يوحيان بمعان بسيطة، تلك البساطة هي جوهر جمالها.

ثم بعد ذلك ينتقل إلى الحديث عما يسمّى في النقد الحديث بالوحدة العضوية، فيشبهه القصيدة التقليدية بمجموعة من الأحجار الملونة، المرمية على البساط، بلغة علم النفس نقول: كأن تلك الأحجار تمثل الصورة البارزة، والبساط يمثل الخلفية، ومثلما كان جمال الأحجار في صورتها، وشكلها، كان جمال القصيدة الكلاسيكية في الصورة، والشكل، فوجه الشبه هو الشكل، أو الصورة، ضف إلى ذلك عاملاً آخر، وهو إمكانية التغيير، والتبديل في القصيدة، فمثلما يستطيع أي شخص عالم بالفن أن يغيّر من مواضع تلك الأحجار، يستطيع أيُّ عارف بالشعر أن يغيّر من شكل الأبيات، تقديماً وتأخيراً، وحتى حذفاً، اللهم بيتاً واحداً، هو غرّة القصيدة الكلاسيكية، وهو ما يُعرف كلاسيكياً ببيت القصيد.

بينما يشبهه القصيدة الحديثة بالكائن الحيّ، هذا الكائن المبنيّ أساساً من الأنسجة، والخلايا، ومثلما لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن ندخل أيّ تغيير، أو تبديل على الخلية بالحذف، أو التعديل، لأن ذلك يشوّهها، فكذلك لا يمكن أن نعبث بنظام القصيدة الحديثة، وبناء أبياتها، فليس البيت الواحد فيها كيانه مستقلاً بذاته، إنه خلية حية، تعيش وتنمو ضمن مجموعة خلايا، تشكّل كيانه عضوياً واحداً، فالبيت الواحد ليس إلاّ علة للبيت الذي بعده، ومعلولاً للبيت الذي قبله.

وأخيراً يشبه الكاتب تلك الخلايا (الأبيات)، التي تعمل متكاملة داخل جسد القصيدة بالأنهار الصغيرة، التي تصبّ في النهاية في النهر الكبير (القصيدة)، ويشبه تلك الأبيات بالنعيمات (النوتات)، التي تشكل اللحن النهائي لأغنية القصيدة، فليس البيت إلاّ "نوتة"، تضاف إلى سلّم أنغام السمفونية، أي التأليف الموسيقي المتكامل (القصيدة). ووجه الشبه بين أبيات القصيدة الحديثة، والأنهار الصغيرة إنما هو الدينامية، والحركية، والتكامل، فمثلما الأنهار الصغيرة لها مصبّها الأم، فكذلك الأبيات تصبّ في قالب واحد، هو قالب القصيدة، أمّا وجه الشبه بين الأبيات الشعرية، والنعيمات الموسيقية، فهو الاتساق، والانسجام، فمثلما لا قيمة للأنغام الموسيقية إلا في تواصلها، وصورتها الكلية، فكذلك لا قيمة للبيت الواحد خارج إطار القصيدة.

ونحاول أن نستعرض الآن بعض النماذج الأدبية، ونكتشف سريعاً وجه الشبه في كلّ منها:

- قال ميخائيل نعيمة: "مِنَ التَّشَابِيهِ المألوفةِ تَشْبِيهُنَا الشَّيْءَ بالرِّيشَةِ إِذَا هُوَ بَالِغٌ فِي خِفَّةِ الوَزنِ، ثُمَّ تَشْبِيهُنَا مَا لَيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الاستِقْرَارِ بِرِيشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ، وَإِنِّي لَأَسْتَعِينُ بِالتَّشْبِيهِ الأَخِيرِ لِأُنْقَلِ إِلَى أَذْهَانِكُمْ صُورَةَ العَالَمِ كَمَا يَنْزَاعِي فِي هَذِهِ الأَيَّامِ، فَهُوَ فِي نَظْرِي كالرِّيشَةِ فِي مَهَبِّ الرِّعَازِ العُوجِ، الَّتِي تَجَنَّاحُهُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَصُوبٍ".

فالكاتب كما ترى يشبه العالم في أيامه بالريشة في مهب الريح، فمثلما الريشة لا تصمد، ولا تستقر، وهي تحت رحمة الرياح، فكذلك العالم مضطرب تحت رحمة الحروب، ووجه الشبه بين الريشة، والعالم هو عدم الاستقرار، وعدم الثبات، أي الاضطراب، والثوران.

- قال محمود غنيم بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر:

أَتَوُّوا كَالْأَسَدِ إِقْدَامًا وَقَرُّوا      وَهُمُ مِثْلُ النَّعَامَةِ فِي الْفِرَارِ

فالشاعر يشبه جيوش العدوان قبل الحرب بالأسود، ووجه الشبه: الشجاعة والإقدام، ثم يشبههم بالنعامة ووجه الشبه: الخوف والفرار.

- قال أحمد شوقي:

كَالرُّسْلِ عَزْمًا وَالْمَلَائِكِ رَحْمَةً      وَالْأَسَدِ بَأْسًا وَالْغُيُوثِ نَوَالًا

فشوقي يشبه ممدوحه بالرُّسل، ووجه الشبه العزم، ويشبههم بالملائكة، ووجه الشبه الرحمة، ويشبههم بالأسود، ووجه الشبه الشجاعة والبأس، ويشبههم بالغيث ووجه الشبه النوال والعتاء.

- قال الشاعر الجزائري محمد جربوع:

مَا ضَرَّ صَاحِبَةَ الْخَمَارِ الْأَسْوَدِ      لَوْ أَنَّهَا وَضَعَتْ يَدًا فَوْقَ الْيَدِ  
كَالْمُونَلِيْزَا .. ثُمَّ أَرْخَتْ جَفْنَهَا      وَتَبَسَّمتْ فِي صَمْتِهَا لـ (مُحَمَّد)؟

الشاعر كما ترى يشبه مَنْ يتغزل بها بالمونليزا (الجيوكندا)، التي برع في رسمها فنان إيطاليا (ليوناردو دافنشي)، ووجه الشبه كما هو مشهور في الصورة حركة اليد، ومظهر العين (النظرة)، والابتسامة الساحرة.

- قال إيليا أبو ماضي:

زَمَانٌ كَقَلْبِ الطِّفْلِ صَافٍ، وَكَالْمُنَى      لَذِيذٌ، وَلَكِنْ كَانَ كَالْحُلْمِ قَانِيَا

فالشاعر كما رأيت قد شبه الزمان بقلب الطفل، ووجه الشبه الصفاء، وشبهه بالمنى، ووجه الشبه اللذة، وشبهه بالحلم، ووجه الشبه الفناء.

- وقال أبو ماضي واصفا شلالا:

فِيهِ مِنْ السَّيْفِ الصَّقِيلِ بَرِيْقُهُ      وَلَهُ ضَجِجُ الْجَحْفَلِ الْجَرَّارِ

فالشاعر قد شبه الشلال بالسيف الصقيل، ووجه الشبه البريق، ثم شبهه بالجيش الجرّار، ووجه الشبه الضجيج.

- قال مصطفى صادق الرافعي متغزلا:

حَنَاتِكَ يَا أُخْتَ الْعَصَافِيرِ خَفَّةٌ      وَيَا ضَرَّةَ الطَّائُوسِ فِي التَّيِّهِ وَالْعُجْبِ

لعلك أدركت أنّ الرافعي يشبه المحبوبة بالعصفورة في صفة الخفة، والرقّة، ثم يشبهها بالطاوس في صفة الخيلاء، والعُجب.

- وقال مصطفى صادق الرافعي في المديح:

فِي حِلْمِ عُثْمَانَ وَهَيْبَةِ حَيْدَرٍ وَعَدْلِ أَبِي حَفْصٍ وَعَزْمِ أَبِي بَكْرٍ

فالشاعر قد شبه ممدوحه بعثمان بن عفان، ووجه الشبه هو الحلم، ثم شبهه بعلي بن أبي طالب، ووجه الشبه هو الهيبة، ثم شبهه بعمر بن الخطاب، ووجه الشبه هو العدل، وأخيرا شبهه بأبي بكر الصديق، ووجه الشبه هو العزم. رضي الله عنهم أجمعين.

- قال المنفلوطي في مناجاته للقمر: "أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَبَهًا: أَنْتَ وَحِيدٌ فِي سَمَائِكَ، وَأَنَا وَحِيدٌ فِي أَرْضِي".

فالكاتب كما رأيت قد شبه نفسه بالقمر، ليس في الحُسن طبعاً، ولكن في صفة الوحدانية، والتفرد، الاغتراب.

- ويرى علماء البيان أنّ وجه الشبه يكون أظهرَ وأشهرَ في المشبه به عنه في المشبه، مثل صفة التّجمّع والتّدقّق في قول علي الجارم في المديح:

مُجْتَمِعِينَ كَأَنَّهُمْ سِرْبُ قَطَا مُتَدَقِّقِينَ كَأَنَّهُمْ أَنَّهُ هَارُ

لعلّك أدركت أنّ صفة التّجمّع والاحتشاد أبرز وأظهر في المشبه به (سِرْبُ الْقَطَا) منها في المشبه (قَوْمُ الشّاعِرِ)، وكذلك صفة التّدقّق، فهي بلا شكّ أوضح في النّهر منها في قوم الشّاعر.

ويقول البلاغيون إنّ وجه الشّبه هو المعنى الذي يشترك فيه طرفا التّشبيه تحقّقاً، أو تخيلاً، ونشرح ذلك فنقول: التّحقيق مأخوذ من الحقيقة، كقولنا: "كَانَ الْعَرَبِيُّ بِن مَهْيَدِي كَالْأَسَدِ فِي الشّجَاعَةِ"، فالشّجاعة هي وجه الشّبه، أو الصّفة الجامعة بين المشبه والمشبه به، وهي على حقيقتها كانت موجودة في المشبه به، وإنّما يقع الفرق بين شهيدنا والأسد من جهة قوّة الشّجاعة وضعفها، أو زيادتها ونقصانها.

والمراد بالتّخيّل أنّه لا يمكن واقعا، أو حقيقة وجود وجه الشّبه في المشبه به إلا على سبيل التّخيّل، مثل قول الأديب الكبير محمد المويلحي: "دَخَلْنَا رَوْضَةَ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ بَيْنِهَا، كَأَنَّهَا الْجَنَّةُ بَعَيْنِهَا". فالكاتب لم يشبه الروضة بالجنة إلا بعد تخيّل المشبه به، أي أنه تخيل الجنة، ثم شبه بها الروضة.

ومثل قول المنفلوطي: "الْعَدُّ شَيْخٌ مُبْهِمٌ، يَنْزَعِي لِلنَّاطِرِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ، فَرُبَّمَا كَانَ مَلَكًا رَحِيمًا، وَرُبَّمَا كَانَ شَيْطَانًا رَجِيمًا". نقول إن الكاتب في هذا التشبيه قد تخيل الشّبح، كما تخيل المَلَك، والشّيطان.

وإليك مثالا طريفا عن حالة التّخيّل، قال نزار قباني في بعض نثرياته: "إِنَّ الْقَصِيدَةَ طَائِرٌ أُسْطُورِيٌّ يَحْمَلُ عَلَى ظَهْرِهِ التَّارِيخَ وَالْحَيَاةَ وَالْكُرَةَ الْأَرْضِيَّةَ وَيَطِيرُ، يَظَلُّ الصَّيَّادُونَ يَرْمُونَ شِبَاكَهُمْ، وَيَبْقَى الشَّعْرُ - هَذَا الْوَحْشُ الْجَمِيلُ - يَفْزُ عَلى الشَّجَرِ، وَعَلى الْقَمَرِ، وَيَمُدُّ لِسَانَهُ لِجَمِيعِ صَيَّادِيهِ". نقول إنّ هذا الطائر الخرافي لا وجود له في الحقيقة، إلا في خيال الأديب.

- **أداة التشبيه:** وهي الكلمة التي تدلُّ على معنى التشبيه: (حَرْفًا، أو اسْمًا، أو فِعْلًا)، وأداة التشبيه، ووجه الشبه رُكْنَانِ في التشبيه، لا طَرْفَانِ فيه، والفرق بين الرُّكْنِ والطَّرْفِ أَنَّ الأخير لا يمكن أن يُقام تشبيهه من دونه، أمَّا الرُّكْنُ فيمكن قيام أي تشبيه من دون وجوده، بل إن حذفه أبلغ من وجوده.

- **أدوات التشبيه:** أدوات التشبيه حَرْفَانِ، ومجموعة أسماء، ومجموعة أفعال، كُلُّهَا تُفِيدُ قُرْبَ المُشَبَّهِ من المُشَبَّهِ به في صِفَتِهِ:

- **الكاف:** وهي الأصل في التشبيه، ومنها قول الشاعر في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم:

سَنَا وَجْهَهُ كَالْبَدْرِ نَوْرَ أَفْقَهُ      نَرَى نَعْلِهِ كَالْمِسْكِ، بَلْ هُوَ فَوْقَهُ

- **كأن:** مثل قول أحمد شوقي في وصف إحدى المعارك:

كَأَنَّ الْوَعَى نَارٌ، كَأَنَّ جُنُودَهَا      مَجُوسٌ إِذَا مَا يَمَّمُوا النَّارَ قَرَّبُوا<sup>1</sup>  
كَأَنَّ الْوَعَى نَارٌ، كَأَنَّ الرَّدَى قَرَى      كَأَنَّ وَرَاءَ النَّارِ حَاتِمَ يَأْدِبُ  
كَأَنَّ الْوَعَى نَارٌ، كَأَنَّ بَنِي الْوَعَى      فَرَأَشْ لَهُ فِي مَلَمَسِ النَّارِ مَأْرَبُ

ومثل قول حافظ إبراهيم في التفاق:

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِبُنِي      وَكَأَنَّ تَحْتِ ثِيَابِهِ أَفْعَى  
يَسْعَى فَيُخْفِي لِي مَلَمَسِهِ      عَنِّي مَسَارِبَ حَيَّةٍ تَسْعَى

- **مثل:** مثل قول محمد العيد آل خليفة:

فَإِذَا الْعَيْشُ حَالِكٌ مِثْلَ لَيْلٍ      وَإِذَا الرَّبْعُ مُوَجِّشٌ مِثْلَ سِجْنٍ

ومثل قول محمود غنيم:

أَسَاوِرُ الْغَيْدِ مِنْ مَاسٍ، وَلَسْتُ أَرَى      مِثْلَ الْيَرَاعِ سِوَارًا فِي يَدِ الرَّجُلِ

- **يشبه:** كقول محمود غنيم:

فَمَا الشُّعُوبُ إِلَّا فَنٌّ وَلَا أَدَبٌ      إِلَّا دُمَى تُشْبِهُ الْأَحْجَارَ وَالْحَشَبَا

- **أشبه:** كقول محمد العيد آل خليفة:

الْجَهْلُ أَشْبَهُ بِالْغَرَابِ فَمَا لَهُ      مِنْ مَنْزِلٍ غَيْرِ الْخَرَابِ الْبَلْقَعِ

- **شابه:** كقول مفدي زكريا:

وَكَمْ شَابَهَ النَّيْلُ نَهْرَ دِمَا      نَا، تَمُورٌ بِهِ الْمَهْجُ الْفَائِرَةُ

- **شبه:** كقول خليل مطران:

وَتُبْدِي لَنَا الْأَعْصَانُ شِبْهَ تَحِيَّةٍ      وَتَسْتَقْبِلُ الْأَرْوَاحَ أَوْجُهَهَا لِنَمَا

- **ضارع:** كقول مفدي زكريا:

<sup>1</sup> قَرَّبُوا: قَدَّمُوا الْقُرْبَانَ.

وَكَمْ ضَارَعَتْ فِي الْفِدَا كَلِيوبَ — ثَرَا جَمِيلَاتٍ ثَوَّرَتْنَا هَادِرَةَ  
- **يَحْكِي:** كقول إيليا أبي ماضي:

كَالْغُصْنِ قَامَتْهَا إِذَا الْغُصْنُ انْتَنَى وَجَبِينُهَا يَحْكِي الصَّبَاحَ إِذَا انْجَلَى  
- **يُحَاكِي:** كقول محمود غنيم في وصف شعر صديقه:

بُحُورٌ مِنَ الشُّعْرِ فِي عُمْقِهَا وَرَحْبِ مَدَاهَا تُحَاكِي الْبُحُورَا  
- **يُضَاهِي:** كقول مفدي زكريا مخاطبا شهر نوفمبر المجيد:

وَدَكَّرْتَنَا فِي الْجَزَائِرِ بَدْرًا فَقَمْنَا نُضَاهِي صَحَابَةَ بَدْرٍ  
**أقسام التشبيه باعتبار الأداة:** ينقسم التشبيه باعتبار الأداة إلى:

**1 المرسل:** وهو ما ذكرت فيه الأداة، كقول محمد العيد آل خليفة:

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالْتَفُودِ فَزِنْهُمْ بِنِيَّاتِهِمْ إِنْ كُنْتَ لِلنَّاسِ نَاقِدًا

**2- المؤكّد:** وهو ما حذف منه الأداة، ومعنى "مؤكّد" مأخوذ من التأكيد، وهو ادّعاء مطابقة المشبه للمشبه به، وهو أبلغ من التشبيه المرسل، وأوجز، كقول الشاعر سليم عنحوري:

الشُّعْرُ دُرٌّ وَالْخَيْالُ بُحُورٌ وَالْفِكْرُ فُلُكٌ فِي الْعَبَابِ يُمُورُ

ومثله قول الشاعر محمد جربوعه:

قَلْبِي اغْزِرِينِي لَيْسَ سَاعَةً حَانِطٍ بِيَدِي أَضْبِطُهَا.. فَلَا تَتَأَخَّرُ

الشاعر يصف حالته النفسية المضطربة بين حبه لمحبيبته، وحبه للأعظم لمحمد صلى الله عليه وسلم، فهو لا يستطيع التحكم بقلبه وضبطه على حباها فقط، فلذلك شبه دقات قلبه بدقات الساعة، وذكر المشبه والمشبه به، وحذف أداة التشبيه، ووجه الشبه: الانضباط.

**أقسام التشبيه باعتبار وجه الشبه:**

**1- المفصل:** وهو ما ذكر فيه وجه الشبه، كقول توفيق الحكيم: "فالشاعر مثل القمر، لا يُعطينا الحياة في أشعتها المحرقة، ووجهها الذي يُعمي البصر، ولكنه يتلقى بعض أشعتها، ويُصفيها من خلال نفسه، ويعرضها علينا بعد ذلك ضوءاً جميلاً مهدباً، ترتاح له العين، ويسبح فيه الذهن، ويأنس له القلب".

ومنه في الشعر قول معروف الرصافي في الغزل:

شَابَهَتْ عَطْفَةَ الْغُصُونِ انْتِنَاءً وَحَكَتْ خَطْرَةَ النَّسِيمِ هُبُوبًا

**2- المجمال:** وهو ما حذف منه وجه الشبه، ومنه قول ميخائيل نعيمة: "المألوف يُفبض على قلوب الناس وأفكارهم قبضة الأخطبوط".

ومنه قول علي الجارم:

وَمَا أَنْتَ فِي الْأُمْلَاكِ إِلَّا قَصِيدَةٌ تَفَاعِيْلُهَا الْبِرُّ الَّذِي أَنْتَ فَاعِلُهُ

**صَوْرُ التَّشْبِيهِ:** للتَّشْبِيهِ أَرْبَعُ صُورٍ هِيَ:

**الصُّورَةُ الْأُولَى:** الطَّرْفَانِ، وَالرُّكْنَانِ، كَقَوْلِنَا: "مُحَمَّدٌ كَالْغَيْثِ فِي الْكَرَمِ".

**الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ:** الطَّرْفَانِ، وَرُكْنٌ وَاحِدٌ هُوَ الْأَدَاةُ، كَقَوْلِنَا: "مُحَمَّدٌ كَالْغَيْثِ".

**الصُّورَةُ الثَّلَاثَةُ:** الطَّرْفَانِ وَرُكْنٌ وَاحِدٌ هُوَ وَجْهُ الشَّبَّهِ، كَقَوْلِنَا: "مُحَمَّدٌ غَيْثٌ فِي الْكَرَمِ".

**الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ:** الطَّرْفَانِ فَقَطْ، كَقَوْلِنَا: "مُحَمَّدٌ غَيْثٌ".

**مَرَاتِبُ التَّشْبِيهِ:** للتَّشْبِيهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ:

**الْمَرْتَبَةُ الدُّنْيَا:** وَهِيَ الصُّورَةُ الْأُولَى مِنْ صُورِ التَّشْبِيهِ.

**الْمَرْتَبَةُ الْوَسْطَى:** وَهِيَ الصُّورَتَانِ الثَّانِيَّةُ، وَالثَّلَاثَةُ.

**الْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا:** وَهِيَ الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ، وَتُسَمَّى التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، أَيْ ادِّعَاءُ الْإِتِّحَادِ بَيْنَ الْمَشْبَّهِ، وَالْمُشَبَّهِ بِهِ.

أَيَّ أَنَّ الْمَشْبَّهَ يَكُونُ هُوَ نَفْسُهُ الْمَشْبَّهَ بِهِ، قَالَ مَعْرُوفُ الرَّصَافِيِّ فِي وَصْفِ بَلَدَةِ (الشَّاعُورِ):

جَرَى مَأْوُهُ الْعَذْبُ الزَّلَالُ مُحَاكِئًا      بِهِ الْمَاسَ صَفْوًا، أَوْ هُوَ الْمَاسُ نَفْسُهُ

والتَّشْبِيهِ الْبَلِيغُ هُوَ مِنْ مَرَاتِبِ التَّشْبِيهِ أَرْفَعُهَا، وَمِنْ أَنْوَاعِهِ أْبْلَغُهَا. كَقَوْلِ نَزَارِ قَبَانِي:

كُلُّ شِعْرٍ مُعَاصِرٍ لَيْسَ فِيهِ      غَضَبُ الْعَصْرِ نَمْلَةً عَرَجَاءُ

- أَوْ كَقَوْلِ أَحْمَدَ شُوقِي وَاصْفَا الدُّنْيَا:

وَمَا أَنْتِ إِلَّا جَيْفَةٌ طَالَ حَوْلَهَا      قِيَامُ ضِيبَاعٍ أَوْ فُعُودُ ذِيَابِ

- أَوْ كَقَوْلِهِ:

نَظَرَ الْفِرَاقُ إِلَيْكُمْ فَطَوَّأَكُمْ      إِنَّ الْفِرَاقَ جَهَنَّمُ الْأَقْدَارِ

- وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ الْفِلَسْطِينِيِّ سَمِيحِ الْقَاسِمِ:

جَعَلُوا جُرْجِي دَوَاةً وَلِيَدًا      فَأَنَا أَكْتُبُ شِعْرِي بِشِطِّيَّةِ

- وَكَقَوْلِ إِبِلِيَا أَبِي مَاضِي:

إِنَّ الْحَيَاةَ قَصِيدَةٌ أَعْمَارُنَا      أُبْيَاتُهَا، وَالْمَوْتُ فِيهَا الْقَافِيَةُ

- وَكَقَوْلِ الشَّاعِرِ الْقُرُوبِيِّ مَتَأَثِّرًا بِأَحْوَالِ بِلَادِهِ لِبْنَانِ:

أَرَى تُفَاحَ هَذَا الْعِيدِ جَمْرًا      وَلَوْ قَطَّفُوهُ مِنْ جَنَاتِ عَدْنِ

- وَمِنْ رَوَائِعِ النَّثْرِيَّةِ قَوْلِ نَزَارِ قَبَانِي فِي أَمْسِيَّتِهِ الشَّعْرِيَّةِ بِالْجَزَائِرِ: "أَفْرُكُ خَاتَمِ الشَّعْرِ فِي إصْبَعِي، فَتَخْرُجُ

لِي الْجَزَائِرُ حُورِيَّةً خُرَافِيَّةَ الشَّكْلِ، وَالشَّعْرُ هُوَ آخِرُ خَيْطِ حَنَانٍ يَرِبُطُ الْإِنْسَانَ الْعَرَبِيَّ بِالْإِنْسَانِ الْعَرَبِيِّ، الشَّعْرُ

هُوَ سَيْفِي وَمِفْتَاحِي الَّذِي أَفْتَحُ بِهِ الْمَنَاطِقَ السَّرِيَّةَ فِي النَّفْسِ الْعَرَبِيَّةِ، هُوَ الْفُنْبُلَةُ الْمَوْفُوتَةُ الَّتِي أُضْعِفْتُهَا تَحْتَ

خَيْمَةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، فَتَنْفَجِرُ بِهِمْ، وَهُمْ يَنْسَلُونَ بِمَضْغِ لَحْمِ الْوَطَنِ".

والتَّشْبِيهِاتِ الْبَلِيغَةُ الَّتِي صَوَّرَهَا الشَّاعِرُ هِيَ عَلَى التَّوَالِي:

- "خَاتَمُ الشَّعْرِ": تشبيهٌ بليغٌ على طريقة إضافة المشبه به إلى المشبه، وسيأتي تفصيله بعد حين.
- "الجزائرُ حوريةٌ خرافية الشكل": تشبيهٌ بليغٌ، ذُكر فيه الطرفان، وحُذف منه الرُكنان.
- "الشَّعْرُ خيطٌ حنان": تشبيهٌ بليغٌ، ذُكر فيه الطرفان، وحُذف منه الرُكنان.
- "الشَّعْرُ سيفٌ، والشَّعْرُ مفتاح": تشبيهان بليغان، ذُكر فيه الطرفان، وحُذف منه الرُكنان.
- "الشَّعْرُ قنبلةٌ موقوتة": تشبيهٌ بليغٌ، ذُكر فيه الطرفان، وحُذف منه الرُكنان.
- ومن جواهره قول البشير الإبراهيمي في الشباب: "أَتَمْتُهُ مُقَدِّمًا لِدِينِهِ قَبْلَ وَطْنِهِ، وَلِوَطْنِهِ قَبْلَ شَخْصِهِ، يَرَى الدِّينَ جَوْهَرًا، وَالوَطْنَ صَدْفًا، وَهُوَ عَوَاصُّ عَلَيْهِمَا".
- وَمِنَ التَّشْبِيهِ البليغِ أَنْ يَكُونَ المُشَبَّهُ بِهِ حَالًا مِنَ المُشَبَّهِ، ومثاله قول خليل مطران في وصف فتاة شعرها أسودٌ مخلوطٌ بصهب:

أَوْ أُرْسَا أَنَّهُ اسْتَطَالَ دَيْلًا

يَطْعَى عِبَابًا يَهُمُّرُ سَيْلًا

حِينَ أُرْسَلْتُ لِلْجِبَالِ أُسُودًا

وَشَدَّتْ بُلْبُلًا وَفَاهَتْ خَطِيْبًا

وَإِنْ بَطَّشُوا يَوْمَ الْوَعَى بَطَّشُوا أُسْدًا

إِنْ عَقَدْتُهُ اسْتَقَامَ تَاجًا

يَضْحَكُ نَوْرًا يَعْيسُ ظِلًّا

هَتَفَ الْخَلْقَ لِي وَصَاحُوا رُغُودًا

بَسَمَتْ كَوَكَبًا وَمَرَّتْ نَسِيمًا

نُسُورٌ إِذَا طَارُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ

ومنه قول محمد بلقاسم خمّار على لسان الجزائر:

الشاهد البلاغي: (وصاحوا رُغُودًا).

ومثاله أيضا قول معروف الرصافي:

ومنه قول علي الجارم في الفخر:

الشاهد البلاغي: (بَطَّشُوا أُسْدًا).

- وَمِنَ التَّشْبِيهِ البليغِ أَيْضًا المَصْدَرُ المُبَيَّنُّ لِنَوْعِ الفِعْلِ بِطَرِيقَةِ الإِضَافَةِ، كقول معروف الرصافي:

مُتَهَيِّجِينَ تَهَيُّجِ البُرْكَانِ

مُتَكَاتِفِينَ تَكَاتِفِ الإِخْوَانِ

دَوْرَةَ صُوفِيٍّ مَسَّهْهُ وَأَعُ

وَبَيْكِي إِذَا بَانَتْ كَطْفَلٍ تَيْمَمًا

وُقُوفَ جَبَانٍ بَادِيَاتٍ مَقَاتِلُهُ

إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَرَاكُمْ لِلْعَالَا

وَأَوْدُ لَوْ تَمَشُّونَ مَشْيَةَ وَاحِدِ

وَدَارَ مِقْلَاحِ الطُّفْلِ فِي يَدِهِ

يُسْرُ سُرُورِ الطُّفْلِ بِالْأَمِّ إِنْ دَنَتْ

وَقَفْتُ عَلَى القَبْرِ الَّذِي أَنْتَ نَازِلُهُ

ومنه قول خليل مطران:

وقوله أيضا في رثاء أمين فكري:

- وَمِنَ التَّشْبِيهِ البليغِ إِصَافَةُ المُشَبَّهِ بِهِ إِلَى المُشَبَّهِ، وَمِنَ نماذجه البليغة قول عائض القرني في الوصف: "الجمال في الروض الجذاب، بجماله الخلاب، طيورٌ تُلقِي قَصَائِدَ الحَنانِ، عَلَى مَنَابِرِ الأَغصَانِ، وَحَمَامٌ يُنْشِدُ إِيَّادَةَ الفِرَاقِ، عَلَى أطْرَافِ الأورَاقِ." حيث شبه الأديبُ الحنان بالقصائد، وأضاف المشبه به إلى المشبه، فقال: قصائد الحنان، ثم شبه الأغصان بالمنابر، وأضاف المشبه به إلى المشبه، فقال: منابر الأغصان، وأخيرا شبه الفراق بالإلياذة، وأضاف المشبه به إلى المشبه، فقال: إلياذة الفراق.

ومن أجمل وأرق شواهد هذا النوع من التشبيه البليغ قول محمود سامي البارودي في الوصف:

فَلَمَّ أزلٌ بِرُقَى الأشعارِ أعطِفَهَا  
وَرُقِيَةُ الشَّعْرِ تُجْرِي المَاءَ فِي الحَجَرِ  
حَتَّى اشْرَأَبَتْ عُقَابُ الفَجْرِ وَأَنْطَلَقَتْ  
حَمَائِمُ الشُّهْبِ مِنْ أُحْبُولَةِ السَّحَرِ

فالشاعر شبه الشعر بالرقيقة، وأضاف المشبه به إلى المشبه، وشبه الفجر بالعقاب، وأضاف المشبه به إلى المشبه، وشبه الشهب بالحمام على طريقة إضافة المشبه به إلى المشبه، وفعل مثل ذلك في تشبيه السحر بالأحولة.

ومن بدائعه قول أبي القاسم الشابي مخاطبا المستبدَّ الظالم:

وَسِيرتُ تُشَوِّهُهُ بِسِحْرِ الوُجُودِ  
وَتَبَدُّرُ شَوْكِ الأَسَى فِي رُبُوءِ

ومنه قول معروف الرصافي في قصيدة "حب لبنان":

فَمَنْ لَمْ يَزُرْهُ وَهُوَ رَبُّ اسْتِطَاعَةٍ  
تَحَاتَّمْ فِي سِجْنِ الحَمَاقَةِ حَبْسُهُ

وقوله أيضا:

وَمَا أَنَا فِي وَادِي الخَيَالِ بِهَائِمِ  
وَإِنْ كُنْتُ مَعْدُودًا مِنَ الشَّعْرَاءِ

ومن النماذج الممتازة لهذا التشبيه البليغ قول الشاعر المهجري نعمة الله الحاج:

وَمَا المَالُ هَمِّي فِي الحَيَاةِ وَإِنَّمَا  
أَطَارِدُ خَيْلَ المَجْدِ فِيمَا أَطَارِدُ

ومنه قول نزار قباني:

مَرْقِي يَأِي دِمَشْقُ خَارِطَةَ الدَّلِّ  
وَقَوْلِي لِلدَّهْرِ كُنْ فَيَكُونُ

**التدريب الأول:** حدّد أداة التشبيه فيما يأتي:

قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة في "معلقة حيزية":

مغرورةٌ وغرورها لا يُعقلُ

ولها جمالٌ مستبدٌ يُقتلُ

وعيونها بدويّةٌ، تَبَّأ لها

وتصيرُ أطلَى حينما تتكحلُّ

والشعرُ شلالٌ تدلَّى خلفها

كالنهرِ فحميّ طويلٌ أليلُ  
ليلاً يحرّرُ ، كي يغطّي جسمها  
وإذا الصباح أتى ، يُشدُّ ويُجدلُ  
والصوتُ همسيّ، رقيقٌ، ناعمٌ  
والثوبُ مطرُوزُ الجوانب، مخملُ  
أسنانها مفلوجةٌ من ربّها  
سبحانهُ، والشعرُ نهرٌ أكحلُ  
"حيزيةٌ" .. رقّ اسمها فترقرقتُ  
في كلّ ثغرٍ كالندى إذ يهطلُ  
فكأنه في النطقِ قطعةٌ سكرٍ  
أحلى الأسامي للنساءِ الأسهلُ  
أثوابها كالياسمين أنيقةٌ  
الريحُ فلّ، والرسومُ قرنفل  
تحمّرُ من خجلٍ.. وتصبحُ وردةً  
عيني على من بالتورّدِ يخجلُ  
والقدّ ممشوقٌ كمغزلِ صوفها  
أحلى القنودِ الخيزرانُ، المغزلُ  
والوجهُ منبسطٌ يريحُ ، مقمرٌ  
والثغرُ فتانُ المخارجِ بلبلُ  
وخلالها بالرنّ تضبط لحنها  
لتسير بالإيقاع تلك الأرجلُ  
مثل الحديقة، لا أبالغ، مثلها  
والفرق أن ورودها ، لا تذبلُ  
والخدّ (...). لا.. جاوزتُ حدّي هكذا  
ونسيتُ نفسي، آسف، لا أكملُ  
بصراحةٍ هي مستحيلٌ مدهشٌ  
في صورةٍ بشريةٍ يتجوّلُ  
وتقوم من بعد الجلوس كأنما  
هي باقةٌ منثورةٌ تتشكلُ

هي نسمة للصيف، تفرض نفسها  
تجتاح قلبك .. دون إذن تدخل  
وتسيل فيك كقطرة من زئبق  
وتروح تحفر مسلكا.. تتغلغل  
بالحمد تغمض عينها ممتنة  
وتبوس ظاهر كفاها وتقبل  
وتقول: "شكرًا يا جلالة مبدعي  
شكرًا لآتي في النساء الأجل.

- قال نزار قباني:

شُعْرَاءَ الْأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ  
يَا مَنْ نَبْرَاتٍ حَنَاجِرِكُمْ  
تُشْبِهُ حَشْرَجَةَ الْمَشْتُوقِينَ.  
يَا مَنْ أَلْوَانِ مَحَابِرِكُمْ  
تَبْدُو كَرِقَابِ الْمَذْبُوحِينَ  
يَا أَجْمَلَ طَيْرٍ يَأْتِينَا مِنْ لَيْلِ الْأَسْرِ  
يَا حُرْنَا شَقَافَ الْعَيْنَيْنِ  
نَقِيًّا مِثْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ.

- وقال نزار قباني:

يُحَاكِي شَقَائِقَ النَّعْمَانِ؟

لِمَنْ الْأَحْمَرُ الْقَانِي فِي سَائِنَاءِ

- قال علي الجارم حينما (تَعَسَّرَ) عليه تشبيه النبي صلوات ربي، وسلامه عليه:

فَإِنَّ مِنَ التَّشْبِيهِ مَا يَتَصَعَّبُ

كَأَنَّ، وَمَا تُغْنِي كَأَنَّ؟ فَخَلَّهَا

- قال محمود غنيم:

كَالسَّيْفِ فِي كَفِّ الْمُدْرَعِ أَبْتَرَا

إِنَّ الْبِرَاعَةَ فِي أَنْامِلِ طَالِبِ

مِثْلُ اللَّوَاءِ عَلَى الْكُتَيْبَةِ أَحْمَرَا

وَالطَّرْسَ فِي يَمْنَاهُ أَبْيَضَ نَاصِبَا

- قال خليل مطران في الغزل:

فَحَكَى الْمُحْيَا وَرَدَّةً فِي كِمِّهَا

سَتَّرَتْ بِأَخْضَرِ سُنْدُسِيٍّ جِيدَهَا

- قال إيليا أبو ماضي مخاطبا جامع المال:

كَأَنَّمَا هُوَ سَوْءَاتُ ثَوَارِيهَا

حَتَّامًا، يَا صَاحِ تَخْفِيهِ وَتَطْمُرُهُ؟

يَأْتِي الْحُقُولَ فَيُرْوِيهَا وَيُحْيِيهَا  
وَالنَّفْسُ كَالْمَاءِ تَحْكِيهِ وَيَحْكِيهَا  
لَعَلَّ فِي الْقَوْلِ تَذْكِيرًا وَتَنْبِيهًا

انْظُرْ إِلَى الْمَاءِ إِنَّ الْبَذْلَ شَيْمَتُهُ  
فَمَا تَعَكَّرَ إِلَّا وَهُوَ مُنْحَبِسٌ  
أُرْسَلْتُ قَوْلِي تَمَثِيلًا وَتَشْبِيهًا

- وقال في وصف معركة بحرية:

أَعْمَدْتُمْ جَبَلًا مَشَى أَوْ سَارًا؟  
لَكَمَا الْكَوَاكِبُ تَبْعَتْ الْأَنْوَارًا  
أَبَدًا بِهَا يَتَوَقَّعُ الْأَخْطَارًا

سُفُنٌ هِيَ الْأَطْوَادُ لَوْلَا سَيْرُهَا  
مِثْلُ الْكَوَاكِبِ فِي النَّظَامِ وَإِنَّهَا  
هِيَ كَالْمَدَائِنِ غَيْرَ أَنْ نَزِيلَهَا

- وقال في رثاء أحد أصدقائه:

ذَهَبَتْ كَأَنَّ فِي الْأَرْضِ لَمْ تَنْضَوِّعْ  
وَأَلَى شَبِيهَكَ فِي الْوَدَاعَةِ فَاخْشَعْ

لُبْنَانُ، هَذَا مِنْ رِيَاضِكَ زَهْرَةٌ  
قُلْ لِلْبَنَفْسِجِ فِي سُفُوحِكَ وَالرُّبَى

- قال معروف الرصافي في وصف مشهد حريق:

مِنَ الدُّخَانِ كَأَنَّ النَّارَ أَبْطَالَ  
صَرَغَى، يُبُوتُ وَأَمْوَالٌ وَأَمَالٌ

أَتَارَتِ النَّارُ فِي أَطْرَافِهَا رَهْجًا  
حَتَّى حَكَّتْ مَعْرَكًا خَرَّتْ بِسَاحَتِهِ

- قال الشاعر القروي مستعطفًا من يهوى، ووصفا هواه:

إِنْ لَمْ تُدَارِبْهَا بِقُرْبِكَ تَنْطَفِي

هُوَ شَمْعَةٌ أَذْكَى هَوَاكِ لَهْبِيهَا

- قال مصطفى صادق الرافعي: "اجْتَمَعَ لَيْلَةَ الْأَضْحَى خَرُوفَانِ فِي دَارِنَا، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَبِشُ أَقْرَنَ، يَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهِ شَجَرَةَ السَّيْنِينَ، وَقَدْ انْتَهَى سَمْنُهُ حَتَّى ضَاقَ جِلْدُهُ بِلَحْمِهِ، فَإِذَا مَشَى تَبَخَّرَ تَبَخَّرَ الْعَائِنِيَّةُ فِي حُلَّتِهَا، وَهُوَ مِنْ اجْتِمَاعِ قُوَّتِهِ وَجَبْرُوتِهِ أَشْبَهُ بِالْقَلْعَةِ، وَيَعْلُوهَا مِنْ هَامَتِهِ كَالْبُرْجِ الْحَرْبِيِّ مَدْفَعَانِ بَارِزَانِ، وَتَرَاهُ أَبَدًا مُصْعَرًا خَدًّا كَأَنَّهُ أَمِيرٌ مِنَ الْأَمْرَاءِ، أَوْ بَطْلٌ مِنَ الْأَبْطَالِ".

- قال نزار قباني: "إِنَّ مَعَارِكَنَا الْأَدَبِيَّةَ شَبِيهَةٌ بِمَعَارِكِ الدَّجَاجِ وَالِدَيْكَةِ: رِيَشٌ نَافِشٌ، وَمَخَالِبٌ تُعْرَزُ فِي الْأَعْنَاقِ، وَمَنَاقِيرُ اسْتَبَدَلَتِ الْغِنَاءَ بِالْعَضِّ وَقَفَّءِ الْعُيُونِ".

- وقال: "نَحْنُ مُحَاصِرُونَ بِالشَّعْرِ، وَمُرْغَمُونَ عَلَى كِتَابَةِ الْقَصَائِدِ، كَمَا أَرْضُ مِصْرَ تَحْبَلُ بِقُطْنِهَا، وَأَرْضُ الشَّامِ بِقَمْحِهَا، وَأَرْضُ الْعِرَاقِ بِتُمُورِهَا".

**التدريب الثاني:** حدّد نوع التشبيه باعتبار الأداة فيما يأتي:

- قال الناقد عبد المالك مرتاض في محمد البشير الإبراهيمي: "تُدرِكُ عِبْقَرِيَّةَ هَذَا الرَّجُلِ مِنْ طَبِيعَةِ كَرَائِمِ اللُّغَةِ الْمُنتَفَاةِ، وَمِنْ سِحْرِ النَّسْجِ الْأَسْلُوبِيِّ الْمُسْتَمِيزِ بِرِفْعَةِ اللُّغَةِ، وَجَمَالِ الْإِيقَاعِ، وَتَقَابُلِ الْجَمَلِ مُتَسَلِّسِلَةً مُنْسَابَةً كَالْمَاءِ الزَّلَالِ، الصَّادِرِ مِنَ الْيَنْبُوعِ التَّرْتَارِ، وَقَدْ كَانَ يَنْشُرُ كِتَابَاتِهِ فِي جَرِيدَةِ الْبَصَائِرِ، وَهِيَ مَعْرُضُ الْعَرَبِيَّةِ الرَّاقِيَّةِ فِي الْأَلْفَافِ وَالْمَعَانِي وَالْأَسَالِيبِ، وَهِيَ السُّوقُ الَّتِي تُجَلِبُ إِلَيْهَا كَرَائِمُ اللُّغَةِ، وَهِيَ مَجْلَى

الفصاحة والبلاغة في نَمَطِهَا الْعَالِي. وَالْإِبْرَاهِيمِيَّ - وَدَعُونِي أَقُولُ أَمِيرَ الْبَيَانِ - أَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ صِفَةَ الْكَرَائِمِ عَلَى الْأَفْظَانِ الْعَرَبِيَّةِ الرَّاقِيَةِ، فَشَبَّهَهَا بِنَاتِ الْأَكَارِمِ وَالْأَكَابِرِ مِنَ النِّسَاءِ".

- قال محمد البشير الإبراهيمي: "سَارَتِ الْأُمَّمُ فِي مَنَاهِجِ الْعُمَرَانِ عُنُقًا فَسِيحًا، وَنَحْنُ فِي نَوْمَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ".

- قال أحمد أمين: "لَيْسَتْ نَظَرَاتُ الْإِنْسَانِ إِلَى الْحَيَاةِ قَوْلَابَ مِنَ الْأَجْرِ، كُلُّ قَالِبٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، مَحْدُودٌ بِحُدُودِهِ، إِنَّمَا هِيَ شَبِيهَةٌ بِسَائِلِ لِطَيْفٍ إِذَا لَوْنَتْ نُقْطَةً مِنْهُ بِلَوْنٍ، شَعَّ اللَّوْنُ فِي سَائِرِ السَّائِلِ".

- قال نزار قباني: "الْجُمْهُورُ طِفْلٌ طَيِّبٌ، كَثِيرُ الْبَرَاءَةِ، وَلْيَعْلَمْ هَؤُلَاءِ الْمَنْفِيُونَ عَنْ جَنَّةِ النَّاسِ أَنَّ الْجُمْهُورَ بَوْصَلَةٌ بِمُنْتَهَى الذِّكَاةِ وَالْحَسَاسِيَّةِ، تَعْرِفُ أَيْنَ أَرْضِ الْمَطَرِ، وَأَيْنَ أَرْضِ السَّرَابِ".

- قال ميخائيل نعيمة: "الْعِتَابُ صَابُونُ الْقَلْبِ".

- قال حكيم: "كَلَامُ النَّاسِ مِثْلُ الصُّخُورِ، إِمَّا أَنْ تَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِكَ فَيَنْكَسِرَ، أَوْ تَبْنِي بِهَا بُرْجًا تَحْتَ أَقْدَامِكَ، فَتَعْلُو وَتَنْتَصِرَ".

- قال أحد الأدباء: "لَا خَيْرَ فِي الْأَقْلَامِ إِنْ أَضَحَتْ حُلِيًّا كَالْأَسَاوِرِ".

- قال نزار قباني في أطفال الحجارة:

يَا تَلَامِيذَ عَزَّةَ: عَلِّمُونَا بَعْضَ مَا عِنْدَكُمْ

فَإِنَّا نَسِينَا

عَلِّمُونَا بِأَنْ نَكُونَ رِجَالًا

فَلَدَيْنَا الرَّجَالُ صَارُوا عَجِينَا

عَلِّمُونَا كَيْفَ الْحِجَارَةُ

تَعْدُو بَيْنَ أَيْدِي الْأَطْفَالِ مَاسًا ثَمِينَا

كَيْفَ تَعْدُو دَرَاجَةُ الطِّفْلِ لُعْمَا

وَشَرِيطُ الْحَرِيرِ يَعْدُو كَمِينَا

كَيْفَ مَصَاصَةُ الْحَلِيبِ

إِذَا مَا حَاصَرُواهَا تَحَوَّلَتْ سِكِينَا.

- قال الشاعر القروي:

شَدَّ الْوَالِيدُ بِشَعْرِهَا الْمُسْتَرْسِلِ

أَبْكِي وَأَضْحَكُ لِلْعَذَابِ كَمُرْضِعِ

- قال أبو القاسم الشابي:

مَوْجُ الْأَسَى وَعَوَاصِفُ الْأَرْزَاءِ

لَا يُطْفِئُ اللَّهَبَ الْمُؤَجَّجَ فِي دَمِي

- وقال الشابي:

أَنْعَامُهُ، مَا دَامَ فِي الْأَحْيَاءِ  
إِلَّا حَيَاةً سَطْوَةً الْأَنْسَاءِ

فِي فَمِّمِ لِرَأَيْنَا رِيحَهَا غَابَا  
وَرَوَائِحَ الْبَارُودِ تَنْفُحَ عَنِّبَرَا

وَسَرِيرَةَ كَلَالِي الْأَصْدَافِ

مَاسُ بَيْنَ الْمَعَادِنِ  
فِي سَمَاءِ الْمَحَاسِنِ

وَلَا زَمَ طَيْفِكَمَّا مُقَلَّتِيَا  
وَأِنْ غَبْنَمَّا كَمَا سَجْنَا عَائِيَا  
قَطَّاتَيْنِ خَفَّاقَتَيْنِ إِلِيَا

يَكْسُو السُّيُوفَ عَلَى الزَّمَانِ مَضَاءً  
أَبْلَى فَأَحْسَنَ فِي الْعَدُوِّ بَلَاءً

بِيضًا، فَمَا بِحَدِيدِهَا أَصْدَاءُ

جِسْرًا، فُقُلَ لِرِفَاقَتِنَا أَنْ يَعْبُرُوا

إِنِّي أَنَا النَّأْيُ الَّذِي لَا تَنْتَهِي  
وَأَنَا الْخِضَمُّ الرَّحْبُ لَيْسَ تَزِيدُهُ

- قال محمود غنيم في حفل تكريم الأديب توفيق الحكيم:

إِنَّ الْمَوَاهِبَ مِثْلَ الطَّيِّبِ لَوْ حُبِسَتْ  
- وقال محمود غنيم مفتخرًا بقومه في الحرب:

وَيَرُونَ جَوْفَ الرَّمْلِ أَجْمَلَ فُنُوقِ  
- قال علي الجارم:

خُلِقَ كَأَمْوَاهِ السَّحَابِ مُطَهَّرُ  
- قال مصطفى صادق الرافعي:

لِي حَبِيبٌ كَأَنَّهُ الْـ  
أَسْطَعُ النَّاسِ نَجْمَةٌ

- قال الشاعر الجزائري الشيخ أحمد سحنون في قصيدة "ابنتاي":

تَبَوَّأْتُمَا مُهَجَّتِي يَا ابْنَتَيْيَا  
أَرَى الْبَيْتَ رَوْضًا بِشَخَصٍ يُكَمَا  
مَتَى عُدْتُ لِلْبَيْتِ أَفْبَلْتُمَا

- قال أحمد شوقي في رثاء بطل ليبيا عمر المختار:

يَا أَيُّهَا السَّيْفُ الْمَجْرَدُ بِالْفَلَا  
تَلُوكَ الصَّحَارِي غَمْدُ كُلِّ مُهَنَّدِ

- وله في وصف شمس الصيف:

فَحَكَّتْ أَشِعَّتُهَا حِرَابًا أَشْرَعَتْ  
- قال عمر أبو ريشة:

تَفْضِي الْبُطُولَةَ أَنْ نَمُدَّ جُسُومَنَا

**التدريب الثالث:** حدّد وجه الشبه فيما يأتي:

- نصح ميخائيل نعيمة الكتاب الشباب، فقال: "لا بدّ لكم من معدّة أدبيّة تهضمّ ما تلتقطونه هنا وهناك، فتحوّلوه غذاءً طيباً لكم، وللذين يقرأون ما تكتبون، وإلا كنتم كالإسفنجة، إذا غمستموها في سائل من السوائل، ثمّ عصرتموها ردتّ إليكم ما امتصّته عينا بعين، ودون زيادة أو نقصان، وكنتم إذ ذاك أصداء فارغة، لا أصواتاً حية. أمّا العار الأكبر فهو تقليدكم الأعمى للغير، أو سرقة بضاعة الغير، وسارق أدب الأحياء والأموات كمن

يَأْكُلُ لَحْمَ أَخِيهِ نَيْئًا، أَوْ كَمَنْ يَنْهَشُ حَيْفَةً فِي قَبْرِ، وَأَمَّا الْعُرُورُ فَأَقْتَلِعُوا جُذُورَهُ مِنْ صُدُورِكُمْ، فَهُوَ أَشَدُّ فَتْكَاً بِكُمْ مِنَ السُّوسِ بِالْخَشَبِ".

- قال محمد المويلحي: "انتهى بنا طول المسير، إلى بيت ذلك الأمير، وكأنه ميدان في اتساعه، وحسن في ارتفاعه، فخطونا في بحبوحة الميدان، فرأينا في وسطه شجرة كثيفة الأغصان، حتى قوامها تقادم الأزمان، كأنها الثكلى حلت شعرها في ماتم الأحزان، وفي ظلها فرس يجن من النشاط والمرح، وبجانبيه كبش ضان للنطاح، وحولهما ديكة نزال وضراب، مناقيرها مسنونة كالحراب".

- قال نزار قباني: "إن اللعة مثل فصيلة الدم، ولا يمكن للإنسان أن يغير فصيلة دمه كل يوم، ثم إن اللعة شجرة ثورق وتزهو وتثمر ككل الأشجار، وكما الشجرة قابلة للتلقيح، وتغير شكل أوراقها وأغصانها ونكهة ثمرها، فإن اللعة أيضاً قابلة للتلقيح والتقليم، بحيث تكتسب أشكالاً جديدة وإيقاعاً جديداً".

- وكتب عن بعض النقاد: "النقاد رجل شرطه، يطارد الكاتب داخل كتبه، وبعض النقاد عندنا مثل الشاحنات الكبيرة تفرغ بضائعها في منتصف الشارع، حتى يتعرقل سير القصائد، وتكسر أعناق الشعراء".

- قال المنفلوطي واصفاً أدب عصر المماليك: "أصبح الشعر على عهد ابن الفارض والصفدي والسراج الوراق، وأمثالهم أشبه شيء بثلث الآنية الصينية التي يضعها المترفون في زوايا مجالسهم، وعلى أطراف موايدهم، ظهراً زاهياً، وبطناً خاوياً، لا تشفي غلة، ولا تسمن، ولا تغني من جوع".

- وقال المنفلوطي أيضاً: "جزى الله الإيمان عناً خيراً، فهو النجم الخافق، الذي يلمع في سماء الليلة المظلمة، فينير أرجاءها، وهو الدوحة الفينانة، التي يلجأ إليها المسافر من حرور الصحراء وسؤمومها، فيجد في ظلها راحته وسكونه، وهو الجرعة الباردة التي يظفر بها الظامى، فيطفئ بها لوعته، وهو المطرة الشاملة التي تنزل بالأرض القاحلة، فتتهزئ تربتها، وتبعث في صميمها القوة والحياة".

- قال إبراهيم في الاستعمار: "الاستعمار كالشيطان، ملعون بكل لسان، ممجوج اسمه في كل سمع، ممقوت في كل نفس، مستنكر من كل عقل".

- قال توفيق الحكيم: "التفكير في أبسط صورة مثل طعام تجهزه بنفسك، بأن تفحص مواده، وتنفقها، وتحللها، وتنسقها، وتنضجها، وهو على تقيض الطعام المعلب والمحفوظ، لذلك عندما نتعبد في فرد أو شعب فدره التفكير، فإنه يتقبل الأفكار الجاهزة التي يقدّمها له الغير دون تفكير أو تحليل، وتلك مرتبة بدائية في الإنسان، تكاد تقترب به من الحيوان الذي يلتهم الطعام الذي يقدم له، أو يصادفه دون أن ينظر فيه".

- قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة في وصف الحسن:

حُسْنٌ طَبِيعِيٌّ الْخَطُوطِ مُشَاغِبٌ      وَمُدَّالٌّ مِثْلَ الشَّقِيقِ الْأَصْغَرِ  
قَلْبٌ كَبَارُودِ الْبَيَادِقِ... قَاتِلٌ      مِتْلَاعِبٌ كَالزُّبُقِ الْمُتَفَجَّرِ

- وقال نزار قباني:

مَا دَخَلَ الْيَهُودُ فِي حُدُودِنَا

وإنما تسرّبوا كالنمل من عُيوننا.

**التدريب الرابع:** حدّد صورة كل تشبيه، ومرتبته ممّا يأتي:

- قال المنفلوطي: "مَرَرْتُ صَبَاحَ الْيَوْمِ أَمَامَ الْمِرْآةِ، فَلَمَحْتُ فِي رَأْسِي شَعْرَةً بَيْضَاءَ، تَلَمَعُ فِي تِلْكَ اللَّمَّةِ السُّودَاءِ، لَمَعَانَ شَرَارَةِ الْبَرْقِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ. رَأَيْتُ الشَّعْرَةَ الْبَيْضَاءَ فِي مَفْرَقِي، فَارْتَعْتُ لِمَرَّآهَا، كَأَنَّمَا خُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّهُ سَيْفٌ جَرَدَهُ الْقَضَاءُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ عَلَمٌ أبيض، يَحْمِلُهُ رَسُولٌ جَاءَ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ، يُنذِرُنِي بِاقْتِرَابِ الْأَجْلِ، أَوْ خَيْطٌ مِنْ خَيْوِطِ الْكَفَنِ الَّذِي تَنْسُجُهُ يَدُ الدَّهْرِ، وَتُعِدُّهُ لِبَاسًا لِحُجَّتِي. أَيَّتُهَا الشَّعْرَةُ الْبَيْضَاءُ مَا لِي أَرَاكَ تَهْمِسِينَ فِي آذَانِ أَخَوَاتِكَ السُّودِ، اللَّوَاتِي بِجَانِبِكَ، تُحَاوِلِينَ إِعْرَاءَهُنَّ بِالتَّشْبِيهِ بِكَ، وَالتَّرَدِّي بِرِدَائِكَ، وَكَأَنِّي بِكَ سَائِحٌ أبيض، يُنَزِلُ بِأَمَةِ الزُّنْجِ مُسْتَكْشِفًا، فَيُصْبِحُ مُسْتَعْمِرًا".

- قال ميخائيل نعيمة: "إِذَا شِئْنَا أَنْ نَرْفَعَ آدَابَنَا مِنَ الْمُسْتَنْقَعَاتِ الَّتِي تَتَمَرَّعُ فِيهَا فَعَلَيْنَا أَنْ نَسْعَى لِوَضْعِ أُسُسٍ مَتِينَةٍ لَهُ، وَذَلِكَ بِتَرْبِيَةِ أَذْوَاقِنَا، حَتَّى إِذَا نَهَضْنَا كَأَنَّا نَهَضْنَا نَهْضَةَ جَبَّارِ أَفَاقٍ مِنْ نَوْمٍ طَوِيلٍ، لَا نَهْضَةَ عَاجِزٍ فَتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَرَى الْمَوْتَ أَمَامَهُ".

- قال البشير الإبراهيمي: "الْجَزَائِرُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ الصَّابِرَةُ هِيَ عُصْنُ فَيْنَانٍ مِنْ دَوْحَةِ الْإِسْلَامِ، وَفَرْعُ رِيَانٍ مِنْ شَجَرَةِ الْعُرُوبَةِ، وَزَهْرَةٌ فَوَاحَةٌ مِنْ رِيَاضِ الشَّرْقِ، تَعْرَبْتُ هَذِهِ الزَّهْرَةَ كَمَا تَعْرَبْتُ قَبْلَهَا نَحْلَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّاخِلِ".

- قال نزار قباني: "إِنَّ الشَّاعَرَ الْعَرَبِيَّ الْقَدِيمَ هُوَ صَيَّادٌ مُصَادَفَاتٍ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ، فَهُوَ يَنْتَقِلُ مِنْ وَصْفِ سَيْفِهِ إِلَى تَعْرِ حَبِيبَتِهِ، وَيَقْفِزُ مِنْ سَرَجِ حِصَانِهِ إِلَى حِضْنِ الْخَلِيفَةِ بِحَفَّةٍ بَهْلَوَانٍ".

- وقال نزار قباني في أطفال الحجارة:

يَرْمِي حَجْرًا

أَوْ حَجْرَيْنِ

يَقْطَعُ أَفْعَى إِسْرَائِيلَ إِلَى نِصْفَيْنِ

يَمْضَعُ لَحْمَ الدَّبَابَاتِ

وَيَأْتِينَا مِنْ غَيْرِ يَدَيْنِ

تَسْأَلُ عَنْهُ الصُّحُفُ الْكُبْرَى

أَيُّ نَبِيِّ هَذَا الْقَادِمِ مِنْ كُنْعَانَ؟

أَيُّ صَبِيٍّ

هَذَا الْخَارِجِ مِنْ رَحِمِ الْأَحْزَانِ؟

أَيُّ نَبَاتٍ أَسْطُورِيٍّ

هَذَا الطَّالِعِ مِنْ بَيْنِ الْجُدْرَانِ؟

أَيُّ نُهُورٍ مِنْ يَأْفُوتِ

فَاضَتْ مِنْ وَرَقِ الْقُرْآنِ؟

مَنْ هُوَ هَذَا الْوَلَدُ الطَّالِعُ

مِثْلَ الْخَوْخِ الْأَحْمَرِ

مِنْ شَجَرِ النَّسِيَانِ؟

- وقال نزار:

وَحَدَائِقُ الشَّعْرِ الْجَمِيلِ خَرَابُ؟

فَحَيَاتُنَا الْكِبْرِيَتْ وَالْأَحْطَابُ

فَيُفْلِتُ مِنْ بَيْنِ الْأَصَابِعِ هَارِبًا

فَأَنْتَ فِيهِ أَشْبَهُ بِالْيَتِيمِ

الشَّعْرِ كَهْفًا يَا أُوَيْ إِلَيْهِ الضَّمِيرُ؟

وَحَمَوَا عَرْشَهُمْ فَكَانُوا أَسْوَدًا

وَعَلَا صَوْتُهُمْ فَكَانُوا رُغْوَدًا

لِكُلِّ مَخْلُوقٍ وَلَا تُشْكَرُ

غُزِينَا رَأَيْنَا صَاحِبَ الثَّاجِ هُدُودًا

تَارِغًا فِي مُهَجَّتِي جَمْرًا ذَكِيًّا

ضِيَانِهِ الرَّكْبُ وَذُنُوبُ الْفَلَاةِ

أَصَابَ فِي الْأَرْضِ الْحَصَى وَالنَّبَاتِ

مِنْ أَيْنَ أَدْخَلُ الْقَصِيدَةَ يَا ثَرِي

نَارُ الْكِتَابَةِ أَحْرَقَتْ أَعْمَارَنَا

- قال محمود غنيم في قصيدة (راتبي):

وَلِي رَاتِبٌ كَالْمَاءِ تَحْوِيهِ رَاحَتِي

- قال محمود غنيم:

إِذَا مَا عِشْتَنِي فِي جِيلٍ جَدِيدٍ

- قال أمين نخلة في مدح بشارة الخوري:

عَمَرَكَ اللَّهُ : هَلْ رَأَيْتَ كَبِيَّتَ

- قال علي الجارم:

أَسْعَدُوا شِعْبَهُمْ فَكَانُوا سَحَابًا

وَاسْتَحْتُوا الْخُطَا فَكَانُوا بُرُوقًا

- قال نسيب عريضة:

كُنْ مِثْلَ شَمْسٍ مَنَحَتْ نُورَهَا

- قال إلياس فرحات في سلاطين العرب الذين ضيّعوا البلاد:

مُلُوكٌ ظَنَّنَاهُمْ صُقُورًا وَعِنْدَمَا

- وقال إلياس فرحات:

فَرَّ عَصْفُورُ شَبَابِي مِنْ يَدَيَّا

- قال إيليا أبو ماضي:

فَكَانَ كَالْكَوْكَبِ يَمْشِي عَلَى

وَكَانَ كَالْعَيْثِ إِذَا مَا هَمَى

## تَقْسِيمُ التَّشْبِيهِ إِلَى مَلْفُوفٍ وَمَفْرُوقٍ وَتَسْوِيَةٍ وَجَمْعٍ

1/ التَّشْبِيهُ الْمَلْفُوفُ: وَهُوَ مَا أُوتِيَ فِيهِ بِالمُشَبَّهَاتِ أَوْلا عَلَى طَرِيقَةِ العَطْفِ، أَوْ غَيْرِهِ، ثُمَّ بِالمُشَبَّهَاتِ بِهَا كَذَلِكَ<sup>1</sup>، وَهُوَ مِنْ أبلَغِ أنواعِ التَّشْبِيهِ الأَرْبَعَةِ، "وَيَسْمُونَ هَذَا النُّوعَ (مَلْفُوفًا) لِأَنَّ المَتَكَلِّمَ لَفَّ المَشْبَهَاتِ مَعًا، وَالأَشْيَاءَ المَشْبَهَةَ بِهَا كَذَلِكَ"<sup>2</sup> وَمِنْ أَجْمَلِ مَا قَرَأْتُ لِهَذَا النُّوعِ مِنَ التَّشْبِيهِ مَا أَنشَدَهُ عَلِي الجَارِمُ فِي مَدْحِ المَلِكِ فَارُوقَ:

كَأَنَّ أَيَّامَهُ وَالْبِرُّ يُعْمُرُهَا صَحَائِفُ الطَّهْرِ فِي أَيَّامِ الأَبْرَارِ

فالشاعر شبه أيام الملك بالصُّحفِ المُطَهَّرَةِ، وشبه البرَّ فيها بأَيَّامِ الأَبْرَارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمِمَّا يَلَاحِظُ عَلَى هَذَا التَّشْبِيهِ أَنَّ الشَّاعِرَ أَتَى بِالمَشْبَهَيْنِ أَوْلا (أَيَّامِ المَلِكِ، وَالبِرِّ)، ثُمَّ أَتَى بِالمَشْبَهَيْنِ بِهَمَا (الصَّحَائِفِ، وَأَيَّامِ الأَبْرَارِ).

- قال مصطفى صادق الرافعي في تشبيهه ليله، والنجوم التي تضيء ظلماته، بنعش الموت الذي تحفه الزهور من كل الجهات:

فَاللَّيْلُ عِنْدِي وَالنُّجُومُ تَزِينُهُ كَالنَّعْشِ تَجْعَلُهُ الزُّهُورُ مُزَخْرَفًا

فالشاعر كما ترى قد شبه ليله بالنعش، وشبه نجوم ليله بالزهور التي تحفُّ الضريح أو النعش، لكنه فضّل أن يأتي بالمشبهين على جدا (الليل والنجوم) على طريقة العطف، ثم يأتي بالمشبهين بهما (النعش والزهور). - قال محمود سامي البارودي:

مَرَّتْ عَلَيْنَا تَهَادَى فِي صَوَاحِبِهَا كَالْبَدْرِ فِي هَالَةٍ حَقَّتْ بِهِ الشُّهُبُ

كَأَنَّ غُرَّتَهَا مِنْ تَحْتِ طُرَّتِهَا فَجَرُّ بِجَانِحَةِ الظُّلْمَاءِ مُنْتَقِبُ

فالبارودي في البيت الأول يشبه من يتعزل بها بالبدْر، ويشبه رفيقاتها بالشهب، غير أنه أتى بالمشبهين أولاً، ثم بالمشبهين بهما، وكذلك فعل في البيت الثاني، حيث شبه غُرَّتَهَا (وجهها) بالفجر، وشعرها بالليلة الظلّماء.

- قال معروف الرصافي يصف كرة القدم وجمع اللاعبين:

فَتَخَالَهَا وَتَخَالَهُ كَفَرِيْسَةٍ سَقَطَتْ فَرَمَجَرَ دُونَهَا الضَّرْعَامُ

فالشاعر شبه كرة القدم بالفريسة، وشبه جمع اللاعبين بالضرغام، غير أنه أتى بالمشبهين أولاً من خلال الضميرين، ثم بالمشبهين بهما.

- وقال الرصافي في وصف روضة:

حَيْثُ العُصُورُ مَعَ النَّسِيمِ مَوَائِلُ فَكَأَنَّهِنَّ مَعَاطِفُ وَخُصُورُ

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية الدكتور عيسى علي العاكوب ص 366

<sup>2</sup> البلاغة فنونها وأفنانها الدكتور فضل حسن عباس ص 52

حيث ذكر المشبهين أولاً (العصون والنسيم)، ثم المشبهين بهما (المعاطف والخصور).  
إلى أن قال:

وَكَمَا أَنَّ مُحَمَّرَ الشَّقِيقِ وَحَوْلَهُ      فِي الرَّوْضِ زَهْرُ الْيَاسَمِينِ يَمُورُ  
شَمْعٌ تَوَقَّدَ فِي زُجَاجِ أَحْمَرٍ      فَعَدَا حَوَالَيْهِ الْفَرَّاشُ يَدُورُ

مشبهها شقائق النعمان بالشمع المتقد، وزهر الياسمين بالفراش على نهج التشبيه الملفوف.

- وقال الله دره يصف جبلا من جبال لبنان:

وَتَرَى النُّجُومَ عَلَى ذُرَاهُ كَأَنَّهَا      مِنْ فَوْقِهِ دُرٌّ عَلَى تَيْجَانِ

حيث شبه النجوم بالدرر، وشبه الجبال بالتيجان، والملاحظ أن الشاعر أتى بالمشبهين على حدّ (النجوم والجبال)، ثم المشبهين بهما (الدرر، والتيجان).

- ومن التشبيه الملفوف قول إيليا أبي ماضي:

كَأَنَّ الْفَضَاءَ فِيهِ الطُّيُورُ      بُحُورٌ بِهَا سُفُنٌ سَابِحَاتُ

فالشاعر شبه الفضاء بالبحور، وشبه الطيور بالسفن السابحات، حيث أتى بالمشبهين أولاً على طريقة العطف، ثم بالمشبهين بهما.

**2/ التشبيه المفروق:** وهو أن يجمع الأديب كل مشبه مع ما شبهه به، أي أنه يأتي بمشبهه، ومُشَبَّه به، ثم يَأخَرُ

وَأخَرُ، وَهَكَذَا<sup>1</sup>. "وسموا هذا مفروقا لأن المتكلم فرّق بين التشبيهات، فجاء كل مستقلا عن صاحبه."<sup>2</sup>

- قال ميخائيل نعيمة: "يَوْمَ نَادَى مُنَادِي الْحَرْبِ، نَادَتِ الْبَشْرِيَّةُ بِالْهَزِيمَةِ، فَالْعَدْلُ مَدْفَعٌ تَرْتَارُ، وَالرَّأْفَةُ طَيَّارَةٌ

تَزْرَعُ الْبَوَارِ، وَالْحَقُّ دَبَابَةٌ تَقْدِفُ النَّارَ، وَالْحُبُّ سَيْفٌ فِي يَدِ الْبُعْضَاءِ، وَالصِّدْقُ عَلَكٌ فِي فَمِ الرِّيَاءِ، وَالْمُرُوءَةُ

نَعْلٌ لِلْخَسَاسَةِ، وَالطُّهْرُ خُلْخَالٌ لِلرَّجَاسَةِ، وَالْحُرِّيَّةُ طَعْمٌ لِلْعَوْغَاءِ، وَالْإِيمَانُ مَطِيَّةٌ لِأَحْطِ الرَّغَائِبِ وَالْأَهْوَاءِ."

فالكاتب كما لاحظت قد جمع كل مشبه مع ما شبهه به، فالعدل مشبهه، والمدفع مشبه به، والرأفة مشبهه،

والطيارة مشبه به، والحق مشبهه، والدبابة مشبه به، والحب مشبهه، والسيف مشبه به... وهكذا دواليك.

- قال معروف الرصافي واصفا حبه للبنان:

إِذَا كَانَ لِبْنَانُ كَأَيُّ مَحَاسِنًا      فَلَا تَعْجَبُوا مِنْ أَنَّي الْيَوْمَ قَيْسُهُ

فالشاعر شبه لبنان بليلي، وشبه نفسه بقيس، لكنه هذه المرة فضّل التشبيه المفروق، وفصل بين التشبيهين:

حيث أتى بالمشبه الأول: (لبنان) رفقاً المشبه به الأول (ليلي)، ثم جاء دور المشبه الثاني (الشاعر) ليتمثل

(قيس) دور المشبه به الثاني.

- وقال الرصافي في وصف الحرب:

وَالْأَفُقُ مُحَمَّرَةٌ جَوَانِبُهُ      كَأَنَّهَا الْجَوُّ مَلُوءُهُ لَهَابُ

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 367

<sup>2</sup> البلاغة فنونها وأفانها ص 52

والمَوْتُ كَالْكَبْشِ فِي جَوَانِبِهِ      يَزَعِي نُفُوسًا كَأَنَّهَا عُشْبٌ

فالشاعر قد جمع كلّ مشبه مع ما شبهه به، بحيث شبه الموت بالكبش، والأنفس بالعشب على طريقة التشبيه المفروق.

- قال محمود غنيم في حفل أقيم تكريماً للدكتور طه حسين:

كَأَنَّ مِدَادَهُ شَهْدٌ مُصَفَّى      كَأَنَّ سَطُورَهُ بَسَمَاتٌ غِيدِ

- قال محمد العيد آل خليفة:

هَذِهِ الْأَرْضُ لِلْقَوِيِّ سِمَاطٌ      لَيْسَ فِيهَا غَيْرُ الضَّعِيفِ طَعَامٌ

لعلك لاحظت أن الشاعر شبه الأرض بالسماط، وشبه الضعيف فيها بالطعام، لكن كيف قدّم الشاعر هذا التشبيه؟ إنه قد فصل بين كل تشبيه، حيث أتى بالمشبه الأول (الأرض) في صحبة المشبه به الأول (السماط)، ثم أتى بالمشبه الثاني (الضعيف)، مصحوباً بالمشبه به الثاني (طعام).

- قال رشيد أيوب شاعر المهجر:

وَبَدَتْ طَلَائِعُ مُقَاتَيْكَ فَاتَّخَذَتْ      بِسُيُوفِهَا أَهْلَ الْعَرَامِ جِرَاحًا

فَكَأَنَّ مَا الْعُشَّاقُ آلٌ أُمِّيَّةٌ      وَكَأَنَّ طَرْفَكَ أَصْبَحَ السَّقَاحَا

فالشاعر قد فصل بين كل تشبيه، بمعنى أنه أتى بالمشبه الأول (العشاق)، ومعه المشبه به (آل أمية)، ثم أتى بالمشبه الثاني (الطرف)، مصحوباً بالمشبه به (السفاح أبو العباس).

- قال أحمد شوقي:

وَلَمْ أَرَ كَالْأَحْدَاثِ سَهْمًا إِذَا جَرَتْ      وَلَا كَاللَّيَالِي رَامِيًا يُبْعِدُ الْمَرْمَى

فالشاعر قد جمع كلّ مشبه مع ما شبهه به، حيث جمع بين الأحداث والسهم، ثم جمع بين الليالي والرّامي، والأول منهما مشبه، والثاني مشبه به.

ومثله قول شوقي أيضاً:

وَالْمَالُ - مُذْ كَانَ - تِمْتَالٌ يُطَافُ بِهِ      وَالنَّاسُ - مُذْ خُلِقُوا - عِبَادُ تِمْتَالِ

فالشاعر قد جمع كلّ مشبه مع ما شبهه به، حيث جمع بين المال والتمثال، ثم جمع بين الناس وعباد التمثال، الأول منهما مشبه، والثاني مشبه به.

ومن التشبيه المفروق قول حافظ إبراهيم:

وَأَنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً      لَهَا الْحُبُّ جُنْدٌ وَالْوَلَاءُ سَافِرٌ

فَوَادِي لَهَا عَرْشٌ وَأَنْتَ مَلِيكُهُ      وَدُونِكَ مِنْ نَأْيِكَ الضُّلُوعُ سُتُورٌ

ومنه كذلك قول حافظ في المديح:

صَوَالِجُهُ سُمُرُ الْقَنَا، وَكُرَاتُهُ      رُؤُوسُ الْأَعَادِي، وَالْحُصُونُ مَلَاعِبُهُ

**13/ تشبيه التسوية:** وهو أن يَتَعَدَّدَ المُشَبَّه، وَيَبْقَى المُشَبَّه بِهِ وَاحِدًا.<sup>1</sup> "ويسمى هذا النوع التسوية لأن المتكلم

سوى بين المشبهات بحيث جعل لها مشبها به واحدا.<sup>2</sup>

كقول الشاعر الجزائري رمضان حمود:

إِنَّمَا قَلْبِي وَرُوحِي وَفَمِي      أَلَّةٌ تَسْعَى لِرَفْعِ الضَّرَرِ

فالشاعر عدد المشبه (القلب والروح والفم)، لكن المشبه به واحد (آلة).

وكقول أحمد شوقي في وصف الحبيب المصطفى:

سَنَاوُهُ وَسَنَاوَهُ الشَّمْسُ طَالِعَةٌ      فَالْجِرْمُ فِي فَلَكِ والضَّوْءُ فِي عَالَمِ

فالشاعر قد عدد المشبه (سناؤه: رفعته)، و(سناؤه: نوره)، بينما كان المشبه به واحدا (الشمس).

وكقول أحمد شوقي كذلك:

إِنَّمَا السَّحْرُ وَالبَلَاغَةُ وَالحِكْمُ      مَمَّةٌ بَيِّنَةٌ، كِلَاهُمَا مِصْرَاعُهُ

وكقوله أيضا:

المَجْدُ والشَّرْفُ الرَّفِيعُ صَحِيفَةٌ      جُعِلَتْ لَهَا الأَخْلَاقُ كَالعُنْوَانِ

قال معروف الرصافي في الرثاء:

والدَّمَعُ والشَّعْرُ مِمَّنْ قَدْ بَكَى بِهِمَا      كِلَاهُمَا حَكِيْفًا فِي يَوْمِهِ الدَّرْرَا

وكقول محمد العيد آل خليفة عن بلاده الجزائر:

فَكُلُّ لِيَالِيهَا وَأَيَّامِهَا لَنَا      وَلاَئِمُّ لَمْ تَبْرَحْ تَلِيهَا وَلاَئِمُّ

وكقول الشاعر:

العُمُرُ وَالإِنْسَانُ وَالدُّنْيَا هُمْ      كَالظَّلِّ فِي الإِقْبَالِ وَالإِدْبَارِ

ومنه قول الشاعر:

فَمَا المَالُ وَالعَيْشُ إِلاَّ كَطِيفِ      خَيْالِ سَرَى طَارِقًا فِي مَنَامِ

ومن أمثاله في النثر قول البشير الإبراهيمي: "يَمُرُّ الزَّمَنُ، وَيَبْقَى اللِّسَانُ العَرَبِيُّ، وَالبَيَانُ العَرَبِيُّ، وَالشَّعْرُ

العَرَبِيُّ رُسُلًا صَادِقِينَ".

وقول المنفلوطي: "وما الأراءُ السَّامِيَّةُ والأفكارُ النَّاصِجَةُ التي رَفَعَتْ شَأْنَ المَدِينَةِ الحَدِيثَةَ إِلاَّ أَبْجَرَةُ الأَدْمِغَةِ

بِنِيرَانِ الهُمُومِ".

**14/ تشبيه الجمع:** وهو عَكْسُ تشبيه التسوية، وَذَلِكَ حِينَ يَتَعَدَّدُ المُشَبَّه بِهِ، وَيَبْقَى المُشَبَّه وَاحِدًا.<sup>3</sup> "ويسمى هذا

النوع من التشبيه (الجمع) لأن المتكلم جمع مشبهات بها متعددة لمشبه واحد.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 367

<sup>2</sup> البلاغة فنونها وأقنائها. فضل حسن عباس ص 51.

<sup>3</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 368

<sup>4</sup> البلاغة فنونها وأقنائها ص 50.

كقول الشاعر الجزائري محمد جربوعة في الغزل:

عَيْنَاكَ مَحْبِرَتَا شَيْخٍ بِصَوْمَعَةٍ      أَوْ وَمُضْتَانِ عَلَى خَيْطَيْنِ مِنْ مَطَرٍ

لعلك أدركت من غير مشقة أنّ المشبه به متعدد: المحبرتان، والومضتان، والمشبه واحد: العينان.

أو كقول خليل مطران:

إِذَا مَا تَرَدَّدِيَتِ الْبِيَاضُ لِنْتَجَلِي      فَكَالشَّمْسِ يَجْلُوهَا الصَّبَاحُ لِتَسْطَعَا

وإن تُؤثِرِي سُودَ الْمَطَارِفِ مَلْبَسَا      فَكَالْبَدْرِ يَخْتَارُ اللَّيَالِي مَطْلَعَا

المشبه واحد: المحبوبة، أما المشبه به فمتعدد: الشمس حين ترتدي هذه المحبوبة البيضاء، والبدر حين

ترتدي السواد.

أو كقول حافظ إبراهيم:

خُلِقَ كَضَوْءِ الْبَدْرِ أَوْ كَالرَّوْضِ أَوْ      كَالزَّهْرِ، أَوْ كَالخَمْرِ، أَوْ كَالْمَاءِ

أو كقوله:

الأمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعَدَّتْهَا      أَعَدَّتْ شَعْبًا طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

الأمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَ الْحَيَا      بِالرِّيِّ أَوْ رَقَّ أَيْمًا إِيْرَاقِ

أو كقول مفدي زكريا في قصيدة "الذبيح الصاعد":

قَامَ يَخْتَالُ كَالْمَسِيحِ وَيُيْدَا      يَتَهَادَى نَشْوَانًا، يَنْأُو النَّشِيدَا

بِاسْمِ الثَّغْرِ كَالْمَلَأِكِ أَوْ كَالطُّ      قَلٍ يَسْتَقْبِلُ الصَّبَاحَ الْجَدِيدَا

حَالِمًا كَالكَلِيمِ كَلَمَهُ الْمَجْدُ      دُ فَشَدَّ الْحَبَالَ يَبْغِي الصُّعُودَا

وَتَسَامَى كَالرُّوحِ فِي لَيْلَةِ الْقَدِّ      رِ سَلَامًا يَشْعُ فِي الْكَوْنِ عِيدَا

أو كقول نزار قباني:

وَأَنَا كَالطَّقَالَةِ فِي يَدِهِ      كَالرِّيشَةِ تَحْمِلُهَا النَّسَمَاتُ

أو كقوله:

وَأَنْتَظِرُ الصَّوْتِ..

صَوْتِكَ يَهْمِي عَلَيَّ

كَصَوْتِ نَبِيٍّ

كَصَوْتِ ارْتِطَامِ النُّجُومِ

كَصَوْتِ سُفُوطِ الْحُلِيِّ

ومنه في النثر قول مصطفى لطفى المنفلوطي: "إنَّ صَدِيقَكَ هُوَ حَفْلُكَ الَّذِي تَزْرَعُهُ بِالْمَحَبَّةِ، وَتَحْصُدُهُ

بِالسُّكْرِ، هُوَ مَا يَدُنُّكَ وَمَوْفِدُكَ، لِأَنَّكَ تَأْتِي إِلَيْهِ جَائِعًا، وَتَسْعَى وَرَاءَهُ مُسْتَدْفِنًا".

ومنه قول مي زيادة في "دمعة على المعرد الصامت": "مات الصغير المعرد، مات صغير حشاشتي، شعاع ذهبي أطل حيناً، واختفى في كبد الآفاق، ابتسامه لطف أشرقت، وما لبثت أن توارت في أخفية الظلام، وردة أثير تنفست، فطرت وأسكرت، ثم ذبلت، نعمة حب تموجت ساعة، ثم تلاشت في هاوية السكينة، هذه فيثارتني، فقدت أحد أوتارها، فناحت بلابل أنغامها، فما أتعس القلوب الشديدة التأثر! وما أمر الجرح الصغير الذي يفتح جراحات كبيرة!".

**تدريب:** حدّد نوع كل تشبيه مما يأتي:

- قال جبران خليل جبران معلقاً على الشاعر الجيد، والشاعر المقلد: "أما المقلد فمقلد حتى في حبه وغزله وتشبيهه، فإن ذكر وجه حبيبته وعنفها، قال: بدر، وغزال، وإن خطر على باله شعرها، وقدها، ولحظها قال: ليل، وغصن بان، وسهام، وإن شاء أن يأتي بمعجزة بيانية قال: حبيبتي تستمطر لؤلؤ الدمع من نرجس العيون، لتسقي ورد الخدود، وتعض على عناب أناملها ببرد أسنانها."

- قال الكاتب محمد المويلحي يصف مآذبة عشاء: "وقام الأمير يمشي أمام الصُفوف في خياله، مشية الفائد يوم بلائه، وفتح الباب، ولا فتح سعد للقادسية، والمعتصم لعمرية، ومحمد للقسطنطينية، ودخلت في إثره صُفوف الجموع، وهم في سُكونٍ وخُشوع، دخول الثقة للصلاة، والعفة للصلات، ثم ما لبثوا أن هجموا على المائدة هجوم الفوارس البواسل، على الحصون والمعاقل، لا بل هجوم الأسود الضارية، على الأشلاء الدامية، والذئاب الخاوية، على الشياه الراعية، واشتد الزحام، وزلت الأقدام، وضلت المذاهب، واصطكت المناكب، وشخصت الأحداق، وامنتت الأعناق، وتحركت الأُشداق، وتفرقت الأطباق، وتصلت الأيدي بالمدى، كالطبي في الوعى، والتفت الساق بالساق، واشتد الهول وضاق الخناق، ثم انجلت المعمة عن شهداء النخم، وأسراء البشم، وقتلى الطعام، وصرعى المدام."

- قال نزار قباني: "كانت قصائدنا فصيلة من الدواجن، ترقد كل عام اثني عشر شهراً على بيوضها، ثم تكتشف أن بيضها فارغ، وحملها كاذب، الشعر بعد خزيان يكون قطعة سلاح أو لا يكون، يكون بندقيّة، لغماً أو لا يكون، لم تعد القصائد العربية الحديثة حماماً زاجلاً يحط على كتف أمير المؤمنين، ويفر الحب من راحة أمير المؤمنين، صارت القصائد فوجاً من الذئاب الجائعة لا يردها شيء، صحيح ليس من وظيفة الشعر أن يتحول إلى ذئب، ولكن حين يدخل رُمح إسرائيل إلى هذا المدى من كبرياننا، وحين يسافر في أنسجتنا وأعصابنا، ولا أحد يسأله إلى أين؟ يصبح الشعر هجمة انتحارية تدمر الأرض والسما جميعاً."

- قال الشاعر القروي يصف الشعرة البيضاء:

بدا بينها عصرٌ أغرٌ مجيدُ	كأنَّ الشُّعورَ السُّودَ أعصرُ ظلمةٍ
تصدى لها رأيٌ أجلُّ سديدُ	كأنَّ سوادَ الفؤدِ حيرةٌ جاهلِ
حواليه من سُودِ الشُّعورِ عبيدُ	تجلت على عرشِ الشُّبابِ كسديدِ

- قال نزار قباني:

فَالْأَسَى خَمْرَةٌ وَقَلْبِي الْإِنَاءُ

سَنَا كَوَكَبٍ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ لِأَيْحُ

وَالْغُصْنِ خَدًّا وَالْغَزَالَةَ مَلْفَقًا

كَاللَّحْنِ، كَالصَّبَّاحِ الْجَدِيدِ

كَالْوَرْدِ، كَابْتِسَامِ الْوَلِيدِ

كَسُؤْبَةِ نُبَلَةٍ تُحَاصِرُهَا الْخُقُولُ

وَالنُّبَاتِ مِرْزَاةَ زَهَّتْ بِإِطَارِ

كَأَنَّمِلِ مَرَّتْ عَلَيَّ أَوْتَارِ

وَكَاأَنَّيَ فِيهِ أَبُوتَ تَمَامِ

كَأَنَّيَ حُسَيْنُ وَدَهْرِي يَزِيدُ

وَتَلَّتْ بِهَا الْخُطْبَاءُ وَهِيَ طُيُورُ

هَوَى سَاجِدًا شُكْرًا وَبَيَّرُوتَ رَأْسَهُ

وَلَيْسَ سِوَى حُسْنِ الْخَلَائِقِ مِنْ جَالِ

لَدَى حَسَرَاتٍ مِنْهُ كَالْجَمْرِ تَلْدَعُ

وَكَاَنَّ النَّفْسَ بَعْضُ إِمَاءِ

سَكَنَ الْخُزْنَ كَالْعَصَافِيرِ قَلْبِي

- قال محمود سامي البارودي:

كَأَنَّ اهْتِزَانَ الْقُرْطِ فِي صَفْحِ جِيدِهَا

- وقال البارودي:

كَالْوَرْدِ خَدًّا وَالْبَنْفَسِجِ طُرَّةً

- قال أبو القاسم الشابي:

عَذْبَةٌ أَنْتِ كَالطَّفُورَةِ كَالْأَحْلَامِ

كَالسَّمَاءِ الضَّحُوكِ، كَاللَّيْلِ الْقَمَرَاءِ

- قال الشاعر محمد جربوعه:

وَأَفْهَمُ كَيْفَ تُخْرِجُهَا الصَّبَابَا

- قال أحمد شوقي في الوصف:

وَلَقَدْ تَمَرُّ عَلَى الْغَدِيرِ تَخَالُهُ

حُلُوقُ السُّلْسُلِ مَوْجُهُ وَخَرِيرُهُ

- وقال شوقي مادحا ومفتخرا:

وَكَاأَنَّهُ فِي الْفَتْحِ عَمُورِيَّةٌ

- وقال شوقي:

ظَمِنْتُ وَمِثْلِي بِرِيٍّ أَحَقُّ

- قال معروف الرصافي في وصف روضة:

مَثَلَتْ بِهَا الْأَغْصَانُ وَهِيَ مَنَابِرُ

- وقال في وصف أحد جبال لبنان:

كَأَنَّ جِبَالَ الْمَنَنِ حَدْبَةٌ عَابِدِ

- وقال أيضا:

أَرَى الْعِلْمَ كَالْمِرْآةِ يَصْدَأُ وَجْهَهُ

- وقال معروف في قصيدة "اليتيم في العيد":

فَكَانَ ابْتِسَامُ الْقَوْمِ كَالْتَلْجِ قَارِسًا

- قال الأخطل الصغير (بشارة الخوري) في الغزل:

فَكَانَ الْقُلُوبَ بَعْضُ عَيْبِ

- قال مصطفى صادق الرافعي:

يَا هِنْدُ هَلْ يَهْوَى الْفُوَادُ انْتَنَيْنِ  
وَالطَّفُلُ لَا يُوَالِدُ مِنْ مَرَاتَيْنِ

ظُنُونِي وَهَذَا الْخُبُّ فِيهِ خَطِيبُ  
كَأَنَّ عُيُونَ الْعَاشِقِينَ تَقُوبُ  
كَأَنَّ دَبِيبَ الشُّوقِ فِيهِ وَثُوبُ

عَزِيزِ وَهَذَا الْبَدْرُ فِيهِنَّ يُوسُفُ  
مُعَلَّقَةٌ فِي الْأَفْقِ وَالْبَدْرُ مُصْحَفُ

وَسَيِّدَاتِ كَعَقْدِ الدَّرِّ مَنْظُومًا

وَرَأَيْتُهُ فِيهِ كَالْبُنْيَانِ مُدْعَمُ

تَاجًا يَتِيئُهُ بِهِ عِزًّا وَسُلْطَانًا  
بَحْرًا سَحِيقَ الْمَدَى بِالسُّفْنِ مَلَانًا

قَمَرٌ تُحِيطُ بِهِ الْكَوَاكِبُ فِي الْفَضَا  
مَلِكٌ تَحِفُّ بِهِ الْجُنُودُ إِذَا مَشَى

وَكَمَا أَنَّهُنَّ فَرِيسَةٌ وَصُقُورُ

وَمَا زَادَ عَن هَذَا وَتِلْكَ فُضُولُ

تَقُولُ إِنِّي مُشْرِكٌ فِي الْهَوَى  
الْحُبُّ طِفْلٌ أَنْتِ أُمُّ لَهْ

- وقال وأجاد:

كَأَنَّ فُوَادِي مِنْبَرٌ أَحْدَقْتُ بِهِ  
وَأَبْكِي بِعَيْنٍ لَيْسَ تُمَسِّكُ عِبْرَةَ  
وَرَثَ فُوَادِي فَهُوَ لَا يَحْمِلُ الْهَوَى

- وللرافعي أيضا في وصف القمر والنجوم:

كَأَنِّي أَرَى بَيْنَ الْكَوَاكِبِ نِسْوَةَ الْـ  
كَأَنَّ النُّجُومَ الْغُرَّ سُبْحَةَ زَاهِدِ

- قال خليل مطران:

يَا سَادَةَ كَالنُّجُومِ الْغُرَّ مَنْزِلَةٌ

- وقال مطران يصف مواقف سعد زغلول في العدل:

بَيَانُهُ فِيهِ كَالْيَبُوعِ مُنْفَجِرُ

- قال عادل الغضبان يصف حلب:

تَمَتَّلْتُ لِي سُلْطَانًا وَقَلَعْتُهَا  
تَحَكِّي حَادِثُهَا حَقَّتْ مَنَازِلُهَا

- قال إيليا أبو ماضي:

وَقَفَّتْ تُحِيطُ بِهَا الزُّهُورُ كَأَنَّهَا  
وَمَشَتْ تَحِفُّ بِهَا الْعُصُورُ كَأَنَّهَا

- وقال إيليا أبو ماضي:

حَامَتْ عَلَيَّ رُوحِي الشُّكُوكُ كَأَنَّهَا

- قال إلياس فرحات:

وَمَا الْعُمُرُ إِلَّا دَمْعَةٌ وَابْتِسَامَةٌ

## التشبيه التمثيلي وغير التمثيلي

**التشبيه غير التمثيلي:** هو ما كان فيه وجه الشبه واحدًا مفردًا، أي صفةً واحدة<sup>1</sup>، مثل قول الشاعر الجزائري صالح خرفي:

أنا قيسٌ في عشقي الحُسنَ لكن أنتَ ليلاي في الهوى يا جزائر  
**التشبيه التمثيلي:** ويكون فيه وجه الشبه مُتعدِّدًا، مُركَّبًا من جُملةٍ من الصفات، يصعبُ فصلُ بعضها عن بعض، ولا يئمُّ التشبيه إلا بها مُجمِعةً، وهذا التعدُّد يُكونُ لنا صورةً، أو هيئَةً ما. وبعبارة مفصلة نقول: هو "ما كان وجهه مُنتزَعًا من مُتعدِّد: أمرين أو أكثر، بأن يكون لكلٍّ من الطرفين كَيْفِيَّةً حاصِلَةً من مجموع شيئين، أو أشياء قد تضامَّت وتلاءمت، حتَّى صارت شيئًا واحدًا، فيعمدُ الشاعرُ إلى أجزاء الطرف المُشَبَّه، فيشَبِّهها مع الهيئَةِ الحاصِلَةِ من تركيبها بالطرف الآخر، وهكذا".<sup>2</sup>

ومن روائع التشبيه التمثيلي قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة في مدح الشفيق:

تتفاصرُ الأمتالُ دونَ مقامِهِ فمقامُهُ فوقَ السُّها والفرقَدِ  
كتفاصرِ المشكاةِ في تمثيلِها للنور، والفاني نقيضُ السرمدي  
فمحمدٌ صلى الله عليه وسلم علمٌ يرفرف في الجوزاء، وسماءٌ ما طاولتها سماء، أتى له مثل أو شبيهه، ومن رام أن يجد له في الأعلام مثيلاً، فذلك كمن يشبه الخالد بالبائد، أو كمن يقارن في وضوح الصباح نورَ الشمس بضوء مصباح، فذكره خالد، خلود الشمس في النور، وغيره فإن فناء الزيت في القنديل. تصوير تشبيهي تتلاحم وتتظافر فيه أوجه الشبه: (الرفعة، والعظمة، والنور، والخلود) في وحدة عضوية يتعدَّر فصل بعضها عن بعض.

ومن بدائع التشبيه التمثيلي قول خليل مطران:

أضياء رجا في دجى الرأى كاذبٌ فأوحى إلى قلبى السرورَ فأنشدا  
كما عُشَّ بالمصباحِ قُمريُّ حُجرة توهَّمهُ ضوؤ الصَّباحِ فَعَرَدَا  
الشاعر كما تلاحظ لم يشبه شيئاً بشيء، بل شبه صورةً بصورة، أو هيئةً بهيئة، أو مشهداً بمشهد، فهو قد شبه حاله، وقد فنَّته رسولُ رجا دجال، أوحى إلى قلبه السرور، فنشر البهجة، وبعث الانشراح إلى قلبه، فشدنا وترنم، نقول شبه هذه الحال بحال قُمريِّ منزلٍ توهَّم ضوؤ المصباح نورَ صباح، فترنم والليل مُدلهم.  
مشهد القُمريِّ هذا يُشبه مشهد ديكَةِ باريس التي حدت عنها محمد المويلحي حين وصف أحياءها في الليل:  
"والقَوْمُ في أزديحامٍ وافتحام، واصطدامٍ والتحام، مُتدققين في سيرهم تدفق السيل، تحت أضواءٍ مَحَت آية الليل، يُخشى فيها على الأبصار أن نَعشُو من شدَّة الأنوار، وربما انخدعت بها الديكة، فأخذت في الصياح، إيداناً بانبلاج الصَّباح".

<sup>1</sup> علوم البلاغة الدكتور محمد أحمد قاسم والدكتور محي الدين ديب ص 170  
<sup>2</sup> فن التشبيه علي الجندي الجزء الثاني ص 11.

ومن نماذج التشبيه التمثيلي البليغة قول خليل مطران في رثاء أمين فكري باشا:

هَوَى بَيْنَ أَيْدِينَا وَقَدْ وَدَّتِ الْمُنَى  
لَوْ أَنَّ لِفَضْلِ سَاعِدًا فَهَوَ نَاشِلُهُ  
كَمَا سَقَطَتْ فِي الْبَحْرِ دُرَّةٌ بَاخِلِ  
أَحَاقَ بِهِ لُجٌّ مِّنَ الْيَأْسِ شَامِلُهُ  
فَرَاخٌ يُعِيدُ الطَّرْفَ لَا هُوَ صَابِرٌ  
وَلَا هُوَ يَدْرِي أَيُّ أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ  
يُقَطِّرُ فَوْقَ الْأَرْضِ سَائِلَ دَمْعِهِ  
وَلَا يُدْرِكُ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ سَائِلُهُ

مشهدان متقابلان يعجان بالحركة والأحداث: فهنا مشهد الشاعر وقومه، وقد شيعوا رجلاً عظيماً، وضيعوا فاضلاً كريماً، ذهبت نفوسهم عليه حسرات، وفاضت العيون بالعبرات، فالقلوب قد بلغت الحناجر، وجفت الدموع في المحاجر، واليأس قد استبد، والحزن قد اشتد، أنزلوا الشهيد في الترى، وعادوا إلى منازلهم والحزن قاتلهم، وفي المقابل هناك مشهد بخيل قوم، خسر دُرَّتَهُ الثمينة في الماء، وانقطع في قلبه حبل الرجاء، وقد نال منه الجزع أي نيل، فسال دمعُه أي سيل، وعاد إلى داره والألم يعصر قلبه. فكانك أمام لوحة فنية أبدع في رسمها أمهر الفنانين، والفرق أنك في اللوحة المرسومة تأخذ المشهد كله بمجامع عينيك، وفي هذه كانت الأحداث متوالية، والمشاهد متتالية.

ومن فرائد التشبيه التمثيلي قول أحمد شوقي في تشبيه الإنسان بالدَّهر:

هُوَ الدَّهْرُ مِيلاً، فَشَغَلْ، فَمَا تَمُّ  
فَذَكَّرْ، كَمَا أَبْقَى الصَّدى ذَاهِبَ الصَّوْتِ

شبهه شوقي الإنسان بالصَّوت، وشبهه ذكره بعد موته بالصَّدى، (والصَّدى هو ما يردُّ على المصوِّت شبيهاً بصوته)، ومما يلاحظ على هذا التشبيه أنَّ وجه الشبه فيه مركب، لا مفرد، فبين المشبه (الإنسان)، والمشبه به (الصوت) أوجه شبه متعددة، ومرتبطة بعضها ببعض أشدَّ الارتباط، مثلها كمثل البنيان المرصوص يشد بعضها بعضاً، فالإنسان حين يقطع في حياته سلسلة من الأطوار، والمراحل: من الميلاد، إلى حياة العمل، إلى الممات، إلى الذُّكر، هذا الإنسان إنما يشبهه في حياته "حياة" الصوت بدءاً من مرحلة الموجات الصوتية المتتالية والمتعاقبة، إلى مرحلة الصدى المتتابعة هي الأخرى.

ومن نماذج التشبيه التمثيلي قول أحمد أمين: "إنَّ الأديبَ عِنْدَنَا مَثَلُهُ كَمَثَلِ الْمُحَاضِرِ فِي الرَّادِيُو، يَتَكَلَّمُ وَحَدَهُ، وَلَا يَشْعُرُ بِمَا يَجْرِي وَرَاءَ حُجْرَتِهِ، وَلَا يَسْمَعُ تَصْفِيْقًا وَلَا يُحْسُ ضَيْقًا، وَلَيْسَ أَمَامَهُ عِيُونٌ يَقْرَأُ فِي نَظْرَاتِهَا عِلَامَاتِ اسْتِحْسَانٍ أَوْ اسْتِهْجَانٍ، فَهُوَ فِي طَرِيقِهِ مَعَ غَيْرِ مُرْشِدٍ، وَمِنْ غَيْرِ مُشَجِّعٍ، وَبِذَلِكَ ضَعْفُ الْإِنْتِاجِ الْأَدْبِيِّ."

تشبيه تمثيلي، بل دعنا نقول: شبكة تشبيه تمثيلية، ظفرتها أنامل الكاتب بإتقان: شاهد كيف شبه أحمد أمين الأديب العربي بالمحاضر في إذاعة الراديو، يتكلم وحده، ولا يعي بما يجري خلف حجرة التسجيل، وكذلك الأديب، معزولٌ ومنفِي عن أبناء جنسه، لا ينظم قصيدته سوى لطرُسه، ولا يروي قصته إلا لنفسه، والمحاضر لا يسمع تصفيق المعجبين، ولا ضيق المتذمرين، وكذلك حال الأديب، الجمهور أبعد ما يكون عن أدبه، والجمهور كما تعلم بوصلة الأديب الحساسة التي يعرف من خلالها الأديب موضع رجليه، وليس أمام

المحاضر في الراديو عيونُ تُقرأ في نظراتها علائمُ الاستحسان، أو قرائن الاستهجان، والحال نفسها عند الأديب العربي، يكتب أدبه فلا ينهض قاذحٌ مُعترض يفضح معايب أدبه، ولا مادح موالٍ يُبين محاسنه، والنقد كما تعلم مرآة الأدب، التي من خلالها يعرف الأديبُ ملامح وجه أدبه، ومكان أنفه، وشكل فمه، ولون عينيه. لعلك أدركت أنّ الكاتب في العرض الممتع جعل من أوجه الشبه وحدة كلية ليست قابلة للانقسام أو التجزئة.

ومن شواهد التشبيه التمثيلي قول نزار قباني: "الوَطَنُ الْعَرَبِيُّ يَنْتَظِرُ الشَّعْرَ كَمَا تَنْتَظِرُ الْحُلُوهُ عَلَى النَّافِذَةِ فَارِسَ الْأَحْلَامِ، يَأْتِي عَلَى صَهْوَةِ جَوَادِهِ، حَامِلًا لَهَا قَوَارِيرَ الْعِطْرِ، وَأَطَوَاقَ الْيَاسَمِينِ، وَمَكَاتِيِبَ الْغَرَامِ".

لوحتان متقابلتان، تضم كل واحدة منهما ألوانا كثيفة وزاهية ومتناسقة من أوجه الشبه، فالكاتب قد شبّه الوطن العربي في حال ظمئه، وشوقه للشعر الممتاز، وطول السنوات، بل قل القرون العجاف، منتظرا من نافذة القدر أمراء البيان، وفرسان اللسان، مُمتطين أقلامهم، حاملين قلائد القصائد، التي يفوح منها عبق الفن، نقول: شبّه هذا الوطن بالحسناء في شوقها، وسهدها، وليلها الطويل، منتظرة فارس أحلامها، معتليا صهوة فرسه البيضاء، حاملا معه أطواق الياسمين، ورسائل الغرام. صورة تشبيهية، بل نسيج تشبيهي، تظافت فيه أكثر من صفة جامعة بين المشبه، والمشبه به.

ومنه قول نزار قباني أيضا: "التَّجْدِيدُ لَيْسَ انْقِلَابًا عَسْكَرِيًّا، فَالشَّعْرُ نَهْرٌ عَظِيمٌ، وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ نَهْرٌ لَهُ مَصَبٌّ، وَلَيْسَ لَهُ مَنَبَعٌ".

فالكاتب قد شبّه الشعر بالنهر، ومثلما كان النهر العظيم يتدفق من قديم الزمان، إلى نهاية الأكوان، من الأزل، إلى الأبد، ويتصل مصبه بمنبعه وأصله، فنهر الشعر لا يمكن أن ننكر أصوله، ومنابعه، مهما قطع في مسيرة التجديد أشواطًا، فالشعر لا يكمن أن نظهره، أو نصفه، أو ننقم من شعراء عصوره البائدة، مثلما ينتقم الانقلابيون ممن انقلبوا عليهم، وهكذا يظهر جليا أنّ وجه الشبه بين الشعر والنهر ليس صفة واحدة، بل مركبا من مجموعة من العناصر المتداخلة تداخلا عضويا، والتي يتعدّر فصلها عن بعضها البعض.

- وغير بعيد عن هذا المعنى قول توفيق الحكيم حين شبه الحياة بالنهر: " الْحَيَاةُ مِثْلُ نَهْرٍ لَا نَعْرِفُ مِنْهُ الْمَنَبَعُ وَلَا الْمَصَبُّ، الْبَعْضُ يَكْتَفِي مِنْهُ بِاللَّعِبِ عِنْدَ الشَّطِّ، وَالْبَعْضُ يَسْبَحُ بِالْقُرْبِ مِنْ شَطِّ النَّهْرِ، وَالْبَعْضُ يَفْعَلُ كُلَّ ذَلِكَ، وَلَا يَكْفِيهِ، بَلْ يُحَاوِلُ أَنْ يَصْعَدَ فِي مَنَابِعِهِ بَاحِثًا مُرْتَادًا".

- ومن التشبيه التمثيلي الذي وفق فيه توفيق الحكيم أيما توفيق قوله: "الدُّنْيَا حَلَقَاتٌ، كُلُّ جِيلٍ يَجِبُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ إِلَى الْجِيلِ الَّذِي يَلِيهِ، إِذَا تَمَّ ذَلِكَ فِي أُمَّةٍ فَقَدْ صَحَّ كَيَانُهَا، وَاسْتَقَامَ، شَأْنُ الْجِسْمِ السَّلِيمِ، بِسِلْسِلَتِهِ الْفَقْرِيَّةِ الْمُتَمَاسِكَةِ، وَإِذَا لَمْ يَتَمَّ ذَلِكَ فَحَنُ أَمَامَ كَائِنٍ سَقِيمٍ، انْفَصَلَتْ حَلَقَاتُ وُجُودِهِ، وَانْقَصَمَ عَمُودُ ظَهْرِهِ، وَلَمْ يَعُدْ يَصْلُحُ لِلْبَقَاءِ".

فالكاتب قد شبه كيان الأمة المتماسكة بالجسد السليم، لكن وجه الشبه ليس مفردا، بل صورة مركبة، تشكل نسيجا تشبيهيا، فمثلما أن الجسم السليم يقوم، ويستقيم بسلسلته الفقرية المتماسكة، فكذلك الأمة يصح كيانها بتماسك، واتصال أجيالها، فكل جيل بالنسبة للأمة هو بمثابة الفقرة الواحدة في سلسلة العمود الفقري للجسم،

فإن حدث انفصال بين الأجيال نكون أمام أمة منفصلة الحلقات، منهارا الأركان، مهددة بالزوال، كالجسم المهدد بالفناء حين يكون منكسر الظهر، بسبب شللٍ في عموده الفقري.

- ومن تشبيهاته التمثيلية قوله: "يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّزَامُ جُزْءًا مِنْ كَيَانِ الْأَدِيبِ أَوْ الْفَنَّانِ، وَيَجِبُ أَنْ يَلْتَزِمَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ مُلْتَزِمٌ، مِثْلُهُ مِثْلُ حَمَامٍ زَاجِلٍ، يَنْقُلُ رِسَالَةً وَهُوَ حُرٌّ طَائِرٌ، لَا يَشْعُرُ بِقَيْدٍ فِي سَاقِهِ، وَلَا بِغُلٍّ فِي جَنَاحِهِ، فَإِذَا شَعَرَ الْفَنَّانُ لَحْظَةً وَاحِدَةً أَنَّهُ يُودِّي بِفَنِّهِ ضَرِيْبَةً عَلَيْهِ أَنْ يُودِّيَهَا وَجُوبًا، فَإِنَّ الَّذِي سَيُنْتِجُهُ لَنْ يَكُونَ فَنًّا."

فالكاتب قد شبه الأديبَ بالحمام الزاجل، ووجه الشبه كما رأيت صورة منتزعة من متعدد، فهو يشبهه به حين يكون ناقلًا لرسالته، حرًا غير شاعر بقيود في ساقيه، وكذلك الأديب الملتزم، التزامه في حريته، ينقل رسالته بكل حرية، بعيدا عن أية ضغط أي إكراه أو إجبار.

وأنشد حافظ إبراهيم واحدًا من خيرة نماذج التشبيه التمثيلي حين قال مخاطبا إمبراطور ألمانيا:

أَكْثَرَتْ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ تَوَرُّعًا      وَزَعَمَتْ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وَأَمِينٌ  
وَكَذَلِكَ الْقَصَّابُ يَذْكُرُ رَبَّهُ      وَالنَّصْلُ فِي عُنُقِ الدَّبِيحِ دَفِينٌ

فالشاعر قد شبه إمبراطور ألمانيا حين يلهج لسانه بذكر الله، متورعا، زاعما أنه رسول أمين، بالجزار حين يذكر الله بلسانه، وسكينه يعمل في عنق الذبيحة. فوجه الشبه كما تلاحظ صورة كلية، مركبة من صفات كثر.

ومن تشبيهات حافظ التمثيلية التي لامست عتبات الإبداع قوله مادحًا:

يَبْدُلُ الْمَعْرُوفَ فِي السَّرِّ كَمَا      يَرْقُبُ الْعَاشِقُ إِغْفَاءَ الرَّقِيبِ

ومن التشبيه التمثيلي قول مصطفى صادق الرافعي:

أَرَى الْإِنْسَانَ يَطْعَى حِينَ يَغْنَى      وَمَا أَوْلَى الْهُبُوطِ مِنَ الصُّعُودِ  
كَمَا تَعْمَى الْبَهَائِمُ حِينَ تَرَعَى      عَنِ الشُّوكِ الْكَثِيرِ لِأَجْلِ عُودِ

فالرافعي قد شبه الإنسان حين يغنى، ويبطر، ويطغى، ويتجبر، ويغفل عما يجره من طغيان وفساد بالبهائم التي ترعى الأعشاب، ولكنها تعمي عن الشوك الكثير من أجل قليل من العشب، فوجه الشبه هنا صورة مركبة مأخوذة أو منتزعة من عدة أشياء لا قيمة لها إلا باجتماعها.

ومن التشبيه التمثيلي أيضا قول الشاعر القروي مفاخرا بالنساء العربيات في الحرب:

وَنِسَاؤُهُمْ، لَوْ تَشْهَدُونَ نِسَاءَهُمْ      فِي الْحَرْبِ حَامِلَةٌ عَلَى الشَّجَعَانِ  
كَالْمَاءِ أَعْدَبُ مَا يَكُونُ، وَإِنَّهُ      لِأَشَدُّ مَا يَسْطُو عَلَى النَّيْرَانِ

لقد شبه الشاعر حرائر العرب - على لطف جنسهن - حين يُظهرن الشجاعة في النزال، والبسالة في القتال، يصرعن الأبطال، ويقهرن الرجال، بصورة الماء العذب الزلال، الذي يروي العطشان ويقهر النيران،

ولاحظ كيف أنّ وجه الشبه ليس مفردا، بل مشهّداً مكونا من عدة لقطات متصلة يصعب فصلها عن بعضها البعض.

ومنه قوله أيضا في الهجاء:

تَرَاهُ صَاحِحَ الْوُدِّ وَهُوَ سَاقِيمُهُ      كَمَا تُكْسِبُ الْحَمَى الْخُدُودَ تَوَرُّدَا

حيث شبه القروي مهجّوه حين ينافق، ويغالط، ويخون المودة والصدقة بالحمى، يكون ظاهرها جمالا، وباطنها سقاما، كسراب يحسبه الظمان للوفاء ماءً، فوجه الشبه كما ترى ليس مفردا، بل صورة مأخوذة من عديد صفات.

وقريب من هذا المعنى قوله في الغزل:

يَزْدَادُ تَوْرِيْدُ خَدِّيْهَا إِذَا لِحِظْتُ      كَمَا تَزِيْدُ زُهْرُ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ

حيث شبه خدّ المحبوب بالزهر في حالات مختلفة: فخذّه زهرة نضرة في بستان، وجهها يزيد تورداً، وشذى، وفتنة، ونضارة، كلّما سقطت عليها أشعة العيون، مثلما الغيث إذا وقع على بستان الزهور يزيدا كمالا، وجمالا، وبهاءً، وكثرة.

ومنه قول محمد البشير الإبراهيمي: "إِنَّ الْأُخُوَّةَ مُنْذُ فَفَدْنَاهَا لَمْ نَجِدْ أَنْفُسَنَا، وَكَأَنَّنا حَبَاتٌ انْقَطَعَ سِلْكُهَا فَأَنْتَرَتْ، فَأَصْبَحَتْ كُلُّ حَبَّةٍ مِنْهَا فِي كَفِّ لَاقِطٍ."

فأمير البيان بعبقريته الخيالية يشبه الإخوان بحبات اللؤلؤ، ويشبه الأخوة بالسلك الذي يجمع تلك الحبات، لتشكل عقدا فريدا في جماله، وحال الإخوة في افتراق كلمتهم، وتنافر ودّهم، وتبدد شملهم، أمام أعين عدوهم، كحال عقد اللؤلؤ حين ينقطع سلكه، ويتناثر لؤلؤه، فتتعدى عليه الأيدي بالجمع، فتغدو كل حبة في كف طامع، أو جيب جامع.

ومن جميل ما جادت به أقلام الكتّاب في هذا النوع من التشبيه قول ميخائيل نعيمة: "كِبَارُ النُّفُوسِ كَالنَّحْلِ، وَصِغَارُ النُّفُوسِ كَالذُّبَابِ، فَيَبِينَمَا تَعِيْشُ النَّحْلَةُ مَعَ الْأَزْهَارِ، تَعِيْشُ الذُّبَابَةُ مَعَ الْأَقْدَارِ، ثُمَّ تَعُودُ النَّحْلَةُ، فَتُقَدِّمُ جَنَاهَا إِلَى النَّاسِ شَهْدًا شَهِيًّا، أَمَّا الذُّبَابَةُ فَلَا تَنْقُلُ إِلَى النَّاسِ غَيْرَ سُومٍ قَائِلَةً."

لاحظ كيف شبه الكاتب كبار النفوس بالنحل، يعيش مع الأزهار، والرياحين، يمتصّ الرحيق، فيخرج من بطونها شراباً فيه شفاء للناس، ثم انظر كيف شبه صغار النفوس بالذباب الذي يعيش في الأقدار، وينقل الأخطار، ولعلك أدركت أنّ وجه الشبه ليس مفردا، بل صورة مركبة من عدة أشياء.

ومن التشبيه التمثيلي الذي أبدع فيه المنفلوطي قوله: "إِنَّ الْمَدَنِيَّةَ الْحَدِيثَةَ مَا دَخَلَتْ أَوْرُبًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ زَحَزَحَتْ الْمَسِيحِيَّةَ مِنْهَا، لِئَحْتَلَّ مَحَلَّهَا، كَالْمَاءِ الَّذِي لَا يَدْخُلُ الْكَأْسَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَطْرُدَ مِنْهُ الْهَوَاءُ، لِأَنَّهُ لَا يَتَسَعُّ لُهُمَا."

وأروع منه قوله: "فَإِذَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَتَّصِرَ مِرَاةً تَكْذِبُ فِي تَمَثِيلِ الصُّورَةِ الْمَائِلَةِ أَمَامَهَا، اسْتَطَعْنَا أَنْ نَتَّصِرَ بَيَانًا يَخْتَلِفُ فِي وَصْفِهِ عَن وَصْفِ نَفْسِ صَاحِبِهِ."

وللمفلوطي في الأخلاق: "مَثَلُ الْمُتَعَلِّمِ غَيْرِ الْمُتَأَدِّبِ، كَمَثَلِ شَجَرَةِ عَارِيَّةٍ، لَا تُورِقُ وَلَا تُثْمِرُ، قَدْ انْتَصَبَتْ لِلنَّاسِ فِي مُلْتَقَى الطَّرِيقِ، تَعْتَرِضُ الرَّايِحَ، وَتَصُدُّ سَبِيلَ الْغَادِي، فَلَا النَّاسُ بِظِلِّهَا يَسْتَنْظِلُونَ، وَلَا هُمْ مِنْ شَرِّهَا نَاجُونَ."

### بلاغة التشبيه التمثيلي:

التشبيه التمثيلي أبلغ من غيره، لما فيه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان الفكر، وتدقيق النظر، وهو أعظم أثرا في المعاني، يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها. والتشبيه التمثيلي أبلغ أنواع التشبيه، لما فيه من تجسيد وتشخيص للأمور المعنوية، لأن المحسوس أيسر فهما، وأسهل إدراكا من المعقول، وبما أنّ النفس في الأصل كانت صفحة بيضاء، خالية من المعارف كما يدّعي فلاسفة المذهب الحسي، وبما أنّ كل معارفها التي اكتسبتها إنما تسربت إليها عن طريق نوافذ الحواس قبل إعمال العقل، "فليس هذا التأثير الذي ينفخ به التمثيل، والذي يعمل عمل السحر في كياننا، فيهبّه من الأعماق، قد جاء اعتباطا، أو هو ممّا يقع فلتات، بل له علل وأسباب متينة الصلة بالنفوس الإنسانية، فإذا استأذن عليها فتحت له أبوابها على مصاريعها، وتلقته بالقبول والبشاشة والارتياح، كما تتلقى شيئا سارّا مبهجا، يلذها موقعه، ويخفّ عليها محمله، فالنفس إذا عرضنا عليها المعاني العقلية في صورة ما يدرك بالحس، ويفهم بالطبع لم نفاعجئها بشيء غريب تزهد فيه، وتنبو عنه، بل نكون قد عرضنا عليها شيئا يمت لها بألفة قديمة، ومودة سابقة، لا تنكر قرابته، فتتهشّ له، وتبشّ به، وتفتح له أحضانها كما يلتقي حبيبان بعد طول الفراق."<sup>1</sup>

ويقول العلامة بديع الزمان النورسي: "إن في التشبيه التمثيلي سرا لطيفا، وحكمة عالية، إذ به يصير الوهم مغلوبا للعقل، والخيال مجبوراً للانقياد للفكر، وبه يتحول الغائب حاضرا، والمعقول محسوسا، والمعنى مجسما، وبه يجعل المتفرق مجموعا، والمختلط ممتزجا، والمختلف متّحدا والمنقطع متّصلا."<sup>2</sup>

### التدريب الأول: ميّز التشبيه التمثيلي من غيره فيما يأتي:

- قال ميخائيل نعيمة: "إِنَّ مَثَلَ الَّذِينَ يُهْنِدِسُونَ عَالَمَ الْإِنْسَانِ فِي مَعَزَلٍ عَنِ سَائِرِ الْعَوَالِمِ، هُوَ مَثَلُ جَمَاعَةٍ مِنَ الْفِرَّانِ، اسْتَوْطَنْتْ مَخْزَنًا مِنْ مَخَازِنِ سَفِينَةٍ فِي بَحْرٍ، ثُمَّ رَاحَتْ تَنْسَابِقُ وَتَنْقَاتِلُ وَتَنْنَاهِشُ عَلَى مَا فِي الْمَخْزَنِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ، وَإِذَا أَعْيَاهَا الْقِتَالُ، رَاحَتْ تَعْقِدُ الْمُؤْتَمَرَاتِ لِأَقْتِسَامِ مَا فِي الْمَخْزَنِ، وَلِتَقْرِيرِ الْإِتِّجَاهِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ تَتَّخِذَهُ السَّفِينَةُ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَحْسِبَ أَقْلَ حِسَابِ لِرُكَّابِ السَّفِينَةِ، وَحَاجَاتِهِمْ إِلَى مَا فِي مَخَازِنِهَا، وَلَا لِرُبَّانِ السَّفِينَةِ، وَيَدِهِ الَّتِي عَلَى الدَّقَّةِ، وَمَشِيئَتِهِ الَّتِي مِنْ خَلْفِ يَدِهِ."

- قال محمد المويلحي في وصف قصور السلاطين: "حَوَّلْنَا النَّظَرَ إِلَى أَعَالِي الشَّرَفِ، وَجَوَانِبِ الْعُرْفِ، فَرَأَيْنَا مِنْ بَيْنِهَا مَقَاصِيرَ عَلَيْهَا رَقَائِقُ السَّنَائِرِ، تَشْفُ عَنْ لَوَامِعِ اللَّالِيِّ وَالْجَوَاهِرِ، فِي نُحُورِ الْحُورِ، مِنْ مَكُونَاتِ

<sup>1</sup> فن التشبيه علي الجندي الجزء الثاني ص 22. 23.

<sup>2</sup> جماليات التشبيه التمثيلي في القرآن الكريم عبد الرحمان بن الطاهر بوزنون.

القُصُور، وَرَبَّاتِ الخُدُور، يَكْشِفْنَ عَنِ الطَّرَر، تُضِيءُ بِالغُرَر، ضَوْءَ اللَّيْلِ تَحْتَ القَمَر، وَيَتَرَايَن تَرَائِي الكَوَاكِبِ وَالنُّجُوم، مِنْ خِلَالِ السُّحُبِ وَالعُيُوم."

- قال المنفلوطي: "إِنَّ الأُمَّةَ الشَّرْقِيَّةَ فِي مَوْفِقٍ مِنْ أَحْرَجِ مَوَاقِفِهَا، وَمَسَلَكٍ مِنْ أَضَلِّ مَسَالِكِهَا، وَإِنَّ حَوَادِثَ الدَّهْرِ وَعَادِيَاتِ الأَيَّامِ قَدْ مَلَكَتْ عَلَيْهَا سَبِيلَهَا، وَانْتَقَتْ حَوْلَهَا التِّغَافَ الحَيَّةَ بِالعُنُقِ، وَأَحَاطَتْ بِهَا إِحَاطَةُ القَيْدِ بِالْيَدِ وَالرَّجْلِ، فَمَثَلَهَا كَمَثَلِ رَجُلٍ أَحَاطَتِ النَّارُ بَيْتَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَعَلَقَتْ بِسُقُوفِهِ وَجُدْرَانِهِ، وَنَوَافِذِهِ وَأَبْوَابِهِ، فَمَا هُوَ بِنَاجٍ، إِنْ أَرَادَ نَجَاءً، وَلَا بِبَاقٍ إِنْ أَرَادَ بَقَاءً. بَلْ مَثَلَهَا كَمَثَلِ آخَرَ ضَلَّ بِهِ سَبِيلَهُ، وَاشْتَبَهَتْ عَلَيْهِ مَسَالِكُهُ فِي لَيْلَةٍ دَاجِيَةٍ مُدْلهِمَةٍ، قَدْ غَابَتْ كَوَاكِبُهَا، وَاسْتَسْرَتِ نُجُومُهَا، فَوَقَفَ وَفَقَّةَ الحَائِرِ المُضْطَرِبِ، يَسْمَعُ العَوَاءَ وَالزَّيِيرَ، وَالضَّجِيحَ وَالصَّفِيرَ، فَلَا يَعْلَمُ أَيْزَادًا ضَلَالًا، أَمْ يُحِجُّمُ فَلَا يَجِدُ مَجَالًا، أَمْ يَقِفُ فَيُصْبِحُ فَرِيسَةً المُفْتَرَسِ، وَلُقْمَةً المُزْدَرْدِ؟".

- قال محمد البشير الإبراهيمي: "قَضِيَّتُهُ القَوْمِيَّةُ العَرَبِيَّةُ لَيْسَتْ مِيدَانِ سِلَاحٍ أَوْ حَرْبٍ، وَإِنَّمَا هِيَ مِيدَانُ عَقْلِ وَفِكْرٍ، وَالأَدِيبُ فِي مِيدَانِ الفِكْرِ كَالقَائِدِ بَيْنَ يَدَيِ المَعْرَكَةِ، يُوجِّهُهَا بِخَبْرَتِهِ، وَيُدِيرُهَا بِحِكْمَتِهِ، وَيَقُودُهَا بِمَوَاهِبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ إِلَى النُّصْرِ المُبِينِ".

- قال أحمد أمين: "إِنَّ مَثَلَنَا نَحْنُ العَيُورِينَ عَلَى الأَدَبِ مَثَلُ الطَّيْبِ الَّذِي يَرَى المَرِيضَ العَزِيزَ عَلَيْهِ، فَلَا يَمْنَعُهُ حُبُّهُ وَإِسْقَافُهُ مِنْ تَشْخِيسِ المَرَضِ كَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ العِلْمُ وَيَدْعُو إِلَيْهِ الحَقُّ، وَيَذْكَرُ فِي صَرَاحَةٍ خَطَرَ المَرَضِ، وَإِنْ كَانَتْ نَفْسُهُ تَدُوبُ حَسْرَاتٍ، وَيَصِفُ العِلَاجَ وَقَلْبُهُ يَبْتَهِلُ إِلَى اللهِ بِالنَّجَاحِ، وَمَثَلُ بَعْضِ الكُتَّابِ مَثَلُ العَجَائِزِ، يَدْخُلْنَ عَلَى المَرِيضِ، فَلَا هَمَّ لَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَكْذِبْنَ وَيَقُلْنَ لَهُ: مَا أَحْسَنَ وَجْهَكَ، وَمَا أَجُودَ صِحَّتَكَ، وَمَا أَبْيَنَ العَافِيَةَ عَلَيْكَ، وَنَحْوَ هَذَا مِنْ مَعْسُولِ الكَلَامِ الَّذِي لَا يُفِيدُ، وَقَدْ يَحْمِلُ المَرِيضَ عَلَى الاسْتِنَامَةِ لِقَوْلِهِنَّ، وَعَدَمِ الأَخْذِ بِوَسَائِلِ الاسْتِشْفَاءِ الصَّحِيحِ".

- وقال أحمد أمين: "إِنَّ الصَّعَابَ فِي الحَيَاةِ أُمُورٌ نِسْبِيَّةٌ، فَكُلُّ شَيْءٍ صَعْبٌ جِدًّا عِنْدَ النَّفْسِ الصَّغِيرَةِ، وَلَا صُعُوبَةَ عَظِيمَةً عِنْدَ النَّفْسِ العَظِيمَةِ، فَبَيْنَمَا النَّفْسُ العَظِيمَةُ تَزْدَادُ عَظَمَةً بِمُغَالَبَةِ الصَّعَابِ، إِذَا بِالنُّفُوسِ الهَزِيلَةَ تَزْدَادُ سَقَمًا بِالْفِرَارِ مِنْهَا، وَإِنَّمَا الصَّعَابُ كَالكَلْبِ العُفُورِ، إِذَا رَأَى خِفَتَ مِنْهُ وَعَدَوْتَ، نَبَحَكَ وَعَدَا وَرَاءَكَ، وَإِذَا رَأَى تَهَرَأَ بِهِ، وَلَا تُعِيرُهُ اهْتِمَامًا، وَتَبْرُقُ لَهُ عَيْنُكَ، أفسَحَ الطَّرِيقَ لَكَ، وَانْكَمَشَ فِي جِلْدِهِ مِنْكَ".

- قال توفيق الحكيم: "الإِبْدَاعُ شَيْءٌ حَيٌّ مُتَحَرِّكٌ فِي الزَّمَانِ وَالمَكَانِ، إِنَّهُ كَالشَّجَرَةِ، يَمْتَدُّ وَيَنْطَوِّرُ فِي مُخْتَلَفِ الفُصُولِ، يُبَدِّلُ وَيُعَيِّرُ فِي أَوْرَاقِهِ، وَفِي مَظَاهِرِ إِبْنَاعِهِ وَإِثْمَارِهِ، مَاضِيهِ مُتَّصِلٌ بِحَاضِرِهِ، وَحَاضِرُهُ مُرْتَبِطٌ بِحَبْلِ مُسْتَقْبَلِهِ".

- قال نزار قباني: "إِنَّ دِمَشْقَ تَنَكَّمَشُ بِي كَمَا يَنكَمُشُ الرِّضِيعُ بِنَدِي أُمِّهِ، إِنَّهَا تَسْكُنُنِي كَمَا يَسْكُنُ الجَمَالَ وَجْهَ امْرَأَةٍ حَسَنَاءَ، مَزْرُوعَةٌ بِي دِمَشْقَ كَمَا الحَلْقُ الإِسْبَانِيُّ مَزْرُوعٌ فِي آدَانِ الإِسْبَانِيَّاتِ، مُسْتَوِطِنَةٌ فِي صَوْتِي، وَفِي حَبْرِي، وَفِي دَفَاتِرِي، كَمَا يَسْتَوِطِنُ السُّكَّرُ فِي شَرَابِيِنِ العُنُقُودِ".

- قال جبران خليل جبران: "أُبَحِرَتِ السَّفِينَةُ وَأَنَا عَلَى ظَهْرِهَا أَشْبَهُ شَيْءٍ بِعُصْفُورٍ بَيْنَ مَخَالِبِ بَاشِقٍ يَسْبَحُ مُحَلَّقًا فِي الْخَلَاءِ."

**التدريب الثاني:** ميّز من بين النماذج الآتية التشبيه التمثيلي من غيره، وشرح وجه الشبه:

- قال خليل مطران في وصف شعر أحمد شوقي:

مَا زَالَ خَلَقًا لِكُلِّ خَرِيدَةٍ  
كَالْبَحْرِ يُهْدِي كُلَّ يَوْمٍ دُرَّةً  
تُصْبِي الْحَلِيمَ بِرَوْعَةٍ وَبَهَاءٍ<sup>1</sup>  
أَزْهَى سَنَى مِنْ أَخْتِهَا الْحَسَنَاءِ

- وقال مطران في رثاء الأديب نجيب الحداد:

نَظْمٌ تَزِيدُ بِهِ الْحَقِيقَةَ رَوْنَقًا  
كَالشَّمْسِ يَسْطَعُ نُورُهَا فِي حَمَاءَةٍ  
وَتُعِيدُ مُبْتَدَأَ الْأُمُورِ غَرِيبًا  
فِيحِيلُ قَاتِمٍ لَوْنَهَا تَذْهِيبًا<sup>2</sup>

- قال معروف الرصافي عن حال الأمة العربية:

وَمَا نَحْنُ إِلَّا اللَّيْثُ شُدَّتْ قَيْوُدُهُ  
يَرَى الشُّبْلَ مَأْكُولًا فَيَزَارُ مُوثِقًا  
وَأَلْقَى حَيًّا شِبْلُهُ فِي فَمِ الدَّنْبِ  
فَلَا يَسْتَطِيعُ الْوُثْبُ إِلَّا تَمَطُّيًا  
وَيَضْرِبُ كَفَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ لِلْوُثْبِ  
وَزَارًا وَانْشَابَ الْمَخَالِبُ بِالتَّرْبِ

- وقال معروف الرصافي في وصف (قصر البحر) في بيروت:

كَأَنَّ الْمَوْجَ فِي الدَّامِا رَجَالًا  
تُخَاطِبُهُمْ مَبَانِيهِ فَيَعْلَمُو  
وَهَذَا الْقَصْرَ بَيْنَهُمْ خَطِيبًا<sup>3</sup>  
مِنَ الْأَمْوَاجِ تَصْفِيْقٌ رَجِيْبٌ

- قال محمد العيد آل خليفة في وصف حال الأمة:

حَيَارَى كَقَطْعَانٍ جَفَّتْهَا رُعَاتُهَا  
فَأُغْرَتْ بِهَا خَصْمَيْنِ ذَنْبًا وَتَعْلَابًا  
دَنَا كَالشَّمْسِ حِينَ دَنَتْ شُعَاعًا  
قَالَ عَلِي الْجَارِمُ:

دَنَا كَالشَّمْسِ حِينَ دَنَتْ شُعَاعًا  
قَالَ مُصْطَفَى صَادِقِ الرَّافِعِيِّ:

إِنْ ضِيقَتْ بِالْعُسْرِ فَلَا تَبْتَسِ  
كَالْبَرْقِ يَحْكِي فِي سَنَاهُ اللَّظَى  
فَرُبَّمَا دَلَّ عَلَى ضِيْدِهِ  
وَقَدْ يَكُونُ الْغَيْثُ مِنْ بَعْدِهِ

- وقال في الغزل:

فَمَا زَالَ يَهْدِي نَاطِرِي نُورٌ وَجْهَهَا  
قَالَ إِبِلِيَا أَبُو مَاضِي فِي رِثَاءِ أَبِيهِ:

<sup>1</sup> الخريفة: اللؤلؤة.  
<sup>2</sup> حماة: الماء الممتزج بالطين.  
<sup>3</sup> الداماء: البحر.

إِلَى مَا وَرَاءَ الْبَحْرِ أُذْنُو وَأُسْتَذْنِي  
فَطَارَتْ عَلَى رَوْعِ تَحُومٍ عَلَى الْوَكْنِ

كَمَا دُعِرَ الْمُسُوعُ رَاءَ الْأَفَاعِيَا  
كَمَا تُحْرَكُ كَفُّ الْعَازِفِ الْوَتْرَا

بَيْنَ الْعُرُوقِ كَمِبْضَعِ الْجَرَّاحِ

كَأَنَّ لِعَيْنَيْهَا فِي الْبَحْرِ عِرْقَا

كَالْأَيْتِ تَزَارُ دَاخِلَ الْأَغْوَارِ  
يَتَفَجَّرُ الْبُرْكَانُ بَعْدَ حِصَارِ

أَخَذَ الْأَمَانَ لَهَا مِنْ الْأَعْوَامِ  
ظِلٌّ وَسُنْبُلَةٌ وَقَطْرُ غَمَامِ  
فِي رَاحَتَيْكَ وَدَائِعُ الْأَيْتَامِ

وَبِكُلِّ نَاقُوسٍ لَقِيَتْ دُعَاءَ  
وَتَرُّ يُسَايِرُ فِي الْبَنَانِ غِنَاءَ

فَاطْرَحُوا تُرْبِي وَصُونُوا ذَهَبِي

كَالْتَهْرِ يَجْتَرِفُ الْأَقْدَارَ وَالذَّهَبَا

شَخِصْتُ بِرُوحِي حَائِرًا مُنْطَلَعَا  
كَذَاتِ جَنَاحِ أَدْرَاكِ السَّيْلِ عُشَّهَا

مَشَاهِدُ لَاحَتْ لِي فَهَزَّتْ فَرَائِصِي  
- وله أيضا في وصف فتى مُحِبٍّ:

شَاكَ فَحَرَكَ بِالشُّكُوى عَوَاطِفَهَا

- وقال رفيقُ دُرْبِهِ إِيَّاسَ فَرِحَاتِ فِي وَصْفِ حَيَاتِهِ بِالْمَهْجَرِ:

يَمْشِي الْأَسَى فِي دَاخِلِي مُتَعَلِّغَا

- وقال أنيسُ وَحَشْتِهِ شَفِيقَ الْمَعْلُوفِ فِي أُمَّه، وَقَدْ تَرَكَهَا وَحِيدَةً كَسِيرَةً بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى أَمْرِيكَ:

فَمَا نَضَبَتْ لِعَيْنَيْهَا دُمُوعُ

- قال الشاعر الجزائري أبو القاسم خمار:

فِي فَلَسْطِينِ.. عَزِيمَةٌ مَكْبُوتَةٌ  
وَالْمَعْرِبُ الْعَرَبِيُّ مُنْذَلِعٌ كَمَا

- قال أحمد شوقي مادحا:

اللَّهُ سَخَّرَ لِلْكَنَانَةِ خَازِنَنَا  
وَكَأَنَّ عَهْدَكَ عَهْدُ يُوسُفَ: كُلُّهُ  
وَكَأَنَّ مَالَ الْمُودِعِينَ وَزَرَ عُهُمُ

- وقال شوقي:

مِنْ كُلِّ مِئْذَنَةٍ سَمِعْتَ مَحَبَّةً  
يَتَأَلَّفَانِ عَلَى الْهَتَافِ كَمَا انْبَرَى

- قال حافظ إبراهيم:

أَنَا كَالْمَنْجَمِ تَبْرُ وَتَبْرَى

- قال الشاعر القروي:

وَالْمَوْتُ مَا عَفَّ عَنْ عَبْدٍ وَلَا مَلِكٍ

## التشبيه الضمني

**تعريف التشبيه الضمني:** "هو تشبيه لا يوضع فيه المشبّه والمُشَبَّه به في صورة من الصور المعروفة، بل يُلمح المُشَبَّه والمُشَبَّه به، ويُفهمان من المعنى"<sup>1</sup>، فإذا أورد الأديب المُشَبَّه في صورة، أو حكم قد يُنكره المُتلقي أو المُستمع، احتاج في إمكان هذا الحكم وقبوله إلى قياسه بنظير له منطقي (مُسلم به، وبديهي)، وذلك بالتلميح، لا بالتصريح، أي أن الأديب عند لجوئه إلى هذا النوع من التشبيه فكأنه يريد إقامة حجة أو دليل أو برهان على الحكم المراد إسناده إلى المُشَبَّه، وذلك البرهان يكون من المُسلمات، أو البديهيات التي لا جدال فيها. "ومهما يكن فالتشبيه الضمني لا يرد على صور التشبيهات المعروفة غالباً، بل يُلاحظ في تضاعف الكلام، وفيه يقع المُشَبَّه به دائماً دليلاً على إمكان المُشَبَّه"<sup>2</sup>.

اقرأ معي قول الشاعر محمود غنيم في شأن المرأة:

فَلَا تَقُلْ هَذِهِ أَنْثَى وَإِنْ ضَعُفَتْ      أَمَا يُدَبِّرُ مُلْكَ النَّحْلِ أَنْثَا؟

لقد أصدر الشاعر حكماً توقع إنكاره من طرف المستمع، وهذا الحكم هو حكمة المرأة في بناء المجتمع وتدبير شؤونه، ولما عرف الشاعر أن حكمه بحاجة إلى دليل وبرهان هداه خياله إلى الدليل (ملكة النحل)، فهي أنثى، ولكن كفاءتها لا نظير لها في تدبير مملكتها. إذن فالتشبيه الضمني لا يعدو أن يكون قضية أوردتها الشاعر، يظهر بطلانها بادئ النظر، فيأتي التشبيه برهانا على صدقها، وجوازاً لوقوعها.

واستمع إليه حين يقول في قصيدة "معجزة السد العالي":

حَجَرُ السَّدِّ زِينَةُ الْوَطَنِ الْمَحْمُودِ      بُوْبٍ، وَالسُّدْرُ جَائِيَةُ الْعَانِيَاتِ

كيف تكون الأحجار زينة الوطن؟ ألا يحمل هذا الحكم قسطاً من الغرابة؟ لكن، أما ترى أن السد - وهو معدود في الأحجار - زينة الحسنة؟ نقول إن الشاعر شبه أحجار السد العالي بالدرر، وشبه مصر بالغانية، لكنه لم يذكر ذلك صراحة وعلناً، بل فضل واختار التشبيه الضمني، ولعله أصاب الاختيار.

واسمع إلى قوله أيضاً في حادثة العدوان الثلاثي على مصر:

هُمُ حَسِبُوا مِصْرَ صَيْدًا سَمِينًا      وَقَدْ تَقَنَصُ الْأَسَدُ صَايَاَهَا

لعلك أدركت من غير كد أن الشاعر في هذا الموقف يشبه أبطال مصر بالأسود، ويشبه دول العدوان بصياد مندفع مغرور، لم يحسب للأسود حساباً، فكان من الخاطئين. ومن الملاحظ أن الشاعر في هذه المرة أيضاً يختار التشبيه الضمني لما يمتاز به هذا الأخير من إمتاع وإقناع.

وفي المعنى نفسه أنشد حافظ إبراهيم:

فَالْيَوْمَ قَرِي يَا كِنَانَةً وَاهْدِي      حَرَمَ الْكِنَانَةِ لَمْ يَكُنْ بِمَبَاحِ

<sup>1</sup> معجم البلاغة العربية الدكتور بدوي طبانة ص 358.

<sup>2</sup> فن التشبيه علي الجندي الجزء الأول ص 219.

مَنْ ذَا يُغَيِّرُ عَلَيَّ الْأَسْوَدَ بِعَابِهَا      أَوْ مَنْ يَغُومُ بِمَسْبَحِ التَّمْسَاحِ؟

شبه الشاعر شعبه بالأسود تارة، وبالتمساح تارة أخرى، لكن، هل سمعته يذكر ذلك صراحة؟ لا، بل نلاحظ أنّ حافظاً فضّل التشبيه المكسوف على التشبيه المكشوف، ليترك للعقل حسنة اكتشافه، نقول إذن إن البيت الثاني ليس سوى دليل وتعليل قوى به الشاعر حكمه الذي أصدره في البيت الأول. ولك أن تقرأ معي قول شوقي في رثاء إسماعيل أباطة:

هَيَاكِلُ تَفَنَّى وَالْبَيَانُ مَخَالِدٌ      أَلَا إِنَّ عَثَقَ الْخَمْرِ يُنْسِي الْأَوَانِيَا

فأمير الشعراء يدخل حرم الإبداع كعادته، ويشبه لك جسد مرتثيه الفاني بالآنية التي تُقدّم فيها الخمر، بينما يشبه بيانه الخالد بالخمير المعتقة، التي تُنسى عند أهل الخمر شكل الأكواب والأواني التي تُسكب فيها، ولكن الشاعر كما لاحظت لم يوظف التشبيه بنمطية الكلاسيكية، بل فضّل أن يسلك مسلكاً آخر، هو مسلك التعليل عن طريق القياس، ليقدم قياسه كدليل يثبت به ما ادّعه في صدر البيت. ومن بديع التشبيه الضمني قول معروف الرصافي في شأن محبوبته:

فَكَانَتْ لَهَا سُودُ الْجَلَابِيْبِ حَلِيَّةً      وَلَا عَجَبُ أَنَّ الدُّجَى مِنْ جِلَى الْبَدْرِ

معروف أن السواد لونُ الجداد، أمّا أن يكون حلية وزينة فذلك حكمٌ عند أهل الذوق غريب، نقول إن الرصافي بهذا الحكم قد فتح باب الجدل على مصراعيه، لكن لا عجب - يقول الرصافي - فالليل الداجي حلية البدر المنير، الحاصل أن الشاعر شبه وجه الحسناء بالبدر، وشبه لباسها الأسود بالدجى، ولكن بالتلميح لا بالتصريح، وما قصة البدر والليل سوى قياسٍ لحكم توقع الشاعر إنكاره.

ومن التشبيه الضمني قول علي الجارم بمناسبة انتخاب الدكتور علي إبراهيم نقيباً للأطباء:

قَالُوا: عَلِيٌّ غَدَا نَقِيْبًا      قُلْتُ: مَتَى لَمْ يَكُنْ نَقِيْبًا؟

المِسْكُ مِسْكٌ فَإِنْ تَبَالُغَ      فِي وَصْفِهِ لَمْ تَزِدْهُ طِيْبًا

شبه الشاعر ممدوحه بالمسك، رغم أنّ ظاهر العبارة ليس فيه ما يدلّ على التشبيه، نقول إنّ الشاعر قد أوحى بذلك إحياء ملحوظاً، غير ملفوظ، فلم يعمد إلى أركان التشبيه المعروفة، بل أثر التشبيه الضمني، لما له من تأثير في النفس والعقل، فعجز البيت الأول قد ينكره السامع، لذا كان لزاماً على الشاعر أن يعلل حكمه ويقويه، فقاسه بأمر مسلم به وبديهى، ولا نزاع فيه، وهو حقيقة المسك. ومنه قول الجارم أيضاً:

خُوضُوا الصَّعَابَ وَلَا تَمَلُّوا إِنَّمَا      نَيْلُ الْمُنَى بِالصَّبْرِ وَالْإِلْحَاحِ

قَدْ يُنْجِدُ اللَّحْجُ الْغَرِيْقَ بِقَدْفِهِ      حَيًّا فَيَلْقَى الْمَوْتَ فِي الضَّخْضَاحِ

يقول: إنَّ على الإنسان أن يركب كلَّ صعب، ولا يرهَبَ أي خطب، وقد احتاج شاعرنا إلى تعليل موقفه، فقاسه بالغريق الذي قد يسعفه تلاطم الأمواج حين تقذفه حيًّا إلى شاطئ النجاة، بينما قد يلقي حتفه في الماء اليسير القليل.

واستمع إلى بيتين من أجمل ما خطته أقلام على قرطيس أنشدهما البارودي في مدح الخديوي عباس:  
لا غَرَوْ أَنْ جَمَعَ المَحَامِدَ يَافِعًا      وَسَمَّا بِهِمَّتِهِ عَلى نُظْرَائِهِ  
كيف يمكن لصبيٍّ أن يجمع الفضائل والمحامد قاطبة، ويسمو على أترابه وأقرانه؟ ألا يجدُ حكمٌ مُماتِلٌ عشرات الأسباب لإنكاره؟ أليس ذلك بعسيرٍ على مَنْ كان في مقتبل العمر؟ لكنَّ هذا الحكم المجرد ليس كلَّ ما في جعبة الشاعر، إنه يريد الآن أن يعلل لك حكمه كي تقرَّ عينك، ويأتيك ببرهان يزيل كل الشبهات التي علقت في نفسك، فيقول لك بكلِّ إيجاز وإعجاز:

فَالعَيْنُ وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي حَجْمِهَا      تَسَعُ الفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ  
ألم ترَ - يقول البارودي - أنَّ العين على صغر حجمها قادرة على احتواء الفضاء، بما فيه من أرض وسماء؟ إذن فتشبيه البارودي للممدوح وهو غلام حَدَثُ السنِّ بالعين لم يكن تشبيها صريحا، بل ضمنيا فهم من سياق الكلام.

ومن نماذج التشبيه الضمني قول محمود سامي البارودي في قصيدة قصيرة بعث بها إلى شكيب أرسلان:  
فَهَاكُهَا تُحْفَةُ مَنِّي وَإِنْ صَغُرْتُ      فَالْدُرُّ وَهُوَ صَغِيرٌ حَلِّي أَجْيَادِ  
البارودي يعتقد جازماً أنه أتحفَ صديقه بقصيدة عظيمة، حَلَبَ فيها دَرَّ اللِّسَانِ، وَجَلَبَ فيها دَرَّ البَيَانِ، ومن أجل أن يثبت أن قلة أبياتها وحجمها لا يعيبانها لجأ إلى دليل لا يجادل فيه أكثرُ الناس، وهو أن الدُرَّةَ - على صغر حجمها - هي أجمل ما تتحلَّى به الأجياد، فالنتيجة أن الشاعر شبه قصيدته بالدرة الصغيرة الثمينة، فكان تشبيها جميلا، زاده إخفاؤه وانتقابه حُسْنًا كما يزيد الحسناء حُسْنًا نقابُ.

ومن التشبيه الضمني قول البارودي ردًّا على الذين اتهموه بتقليد ومحاكاة الشعراء العباسيين:  
تَكَلَّمْتُ كَالْمَاضِيْنَ قَلِي بِمَا جَرَتْ      بِهِ عَادَةُ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ  
فَلَا يَعْتَمِدُنِي بِالْإِسَاءَةِ غَافِلٌ      فَلَا بُدَّ لِابْنِ الْإِيكِ أَنْ يَتَرَنَّمَ  
أراد البارودي أن يبرهن أنه مطبوع على قول الشعر، وأن الشعر مركز في نفسه، فشبه نفسه بالبلبل في عجز البيت الثاني تشبيها خفيًا، وكما البلبل مفطورٌ ومجبولٌ على الترنم، فهو مثله، كلاهما مطبوع على الغناء، لكنك إن أمعنت النظر تجد المشبه به ليس مرتبطا بالمشبه ارتباطا لفظيا، فالشاعر قد أثر الارتباط المعنوي عن الرابط اللفظي، وهذا هو سرُّ التشبيه الضمني.

ومن تشبيهاته الضمنية التي زانت ديوانه قوله في الحكمة:  
فَلَا تَثِقْ بِوَدَادِ قَبْلِ مَعْرِفَةٍ      فَالْكُحْلُ أَشْبَهُ فِي الْعَيْنَيْنِ بِالْكَحَلِ

فَالْبَازُ لَمْ يَأُو إِلَّا عَالِي الْقَلْبِ

وَأَنهَضَ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِيَا

وقوله أيضا:

فَالشَّمْسُ وَهِيَ ضِيَاءُ أَفْئَةِ الْمُقَلِّ

فَإِنْ يَكُنْ سَاءَ هُمْ فَضَلِي فَلَا عَجَبٌ

وقوله لله درّه:

تَدْنُو الْجُسُومُ وَتَبْعُدُ الْأَخْلَاقُ

فَالنَّاسُ أَشْبَاهُ وَشَتَّى بَيْنَهُمْ

لَا تَسْتَوِي الْأَغْلَالُ وَالْأَطْوَاقُ

فَاعْرِفْهُمْ وَاحْذَرْ تَشَابَهَ أَمْرِهِمْ

ومن أجمل شواهد التشبيه الضمني قول الشاعر القروي:

للسَّرِّ نَافِذَتَانِ: السُّكْرُ وَالْعَضَبُ

اغْضِبْ صَدِيقَكَ تَسْتَطِيعَ سَرِيرَتَهُ

حكّمك أيها الشاعر الحكيم يحتاج إلى دليل... هنا يردُّ علينا القروي:

مِنْ رَاسِبِ الطِّينِ إِلَّا وَهُوَ مُضْطَرَبٌ

مَا صَرَخَ الْحَوْضُ عَمَّا فِي قَرَارَتِهِ

أليس مثالُ الحوض المضطرب الذي يكشف اضطرابه عن راسب الطين دليلاً طبيعياً قوياً به الشاعر حكمه؟ وكأني بالشاعر يقول لنا: من أنكر حكمي عليه أولاً أن ينكر دليلي إن استطاع، إنه تشبيه ضمني ساقه الشاعر مساق حجة أثبت بها ما أراد إثباته.

وللقروي أيضاً في أصالة العربي:

جَلَّتْ أَصَالَتُهُ عَنِ النَّكْرَانِ

لَا تُنْكِرُوهَا فَالِدَمَّ الْعَرَبِيَّ قَدْ

لَمْ تُحْصَ فِي الْحَشَرَاتِ وَالذِّدَانِ

إِنَّ الْبُرَاةَ وَإِنْ تَنَاثَرَ رِيشُهَا

فالشاعر قد شبه الإنسان العربيّ بالبازي دون الاعتماد على أركان التشبيه المألوفة، فلقد عرض في البيت الأول فكرة كثر في عصرنا من أنكرها، وهي أصالة الدّم العربي، ثم أتى بعدها في البيت الثاني بأمر يعرفه جميع الناس، ويسلمون به دون جدال، وهو أنّ البازي يبقى بازياً وإن تناثر ريشه، (مبدأ عقلي لا ينكره عاقل يسميه أهل المنطق بمبدأ الهوية)، فكأني بالشاعر يقول لمخاطبيه: إن أنكرتم عليّ ما أقول، فإنّي آتيكم بمثل لا يجادل فيه إلا من أوتي من الفطنة قليلاً. حقاً إن التشبيه الضمني يجمع بين حرارة الإمتاع، ووضوح الإقناع.

ومن روائعه قول نزار قباني:

إِنَّ اغْتِصَابَ الْأَرْضِ لَا يُخِيفُنَا

فَالرِّيشُ قَدْ يَسْقُطُ مِنْ أَجْنَحَةِ النُّسُورِ

وَالعَطَشُ الطَّوِيلُ لَا يُخِيفُنَا

فَالْمَاءُ يَبْقَى دَائِمًا فِي بَاطِنِ الصُّخُورِ

الشاعر يشبه في السطرين الأول والثاني الشعب العربي بالنسور، ثم يشبهه بالصخور في السطرين الثالث والرابع، غير أنه في السطرين الأول والثالث قد عرض حكّمين ليس من السهل الاقتناع بهما، فهما في نظر البعض محضُ ادّعاء، لذلك نجد الشاعر قد أتى بالبيّنة على ما ادّعى، فقدّم المشبه به في السطرين الثاني

والرابع كحجة، أو برهان لما عرض له من أحكام، ولا شك أنك لاحظت في كلّ مرة أنّ المشبه به ليس مرتبطين بالمشبه ارتباطاً لفظياً، وبالتالي يكون هذان التشبيهان ضمنيين، لا صريحين.

وله في القصيدة نفسها:

وإنَّ أَمْرِيكَ عَلَى بَاسِهَا  
لَنْ تَمْنَعَ الطُّيُورَ مِنْ أَنْ تَطِيرَ  
قَدْ تَقْتُلُ الْكَبِيرَ بَارُودَةً  
صَغِيرَةً فِي يَدِ طِفْلِ صَغِيرٍ.

ولنزار قباني أيضاً:

وَكَيْفَ أَهْرَبُ مِنْهُ إِنَّهُ قَدْرِي؟ هَلْ يَمْلِكُ النَّهْرُ تَغْيِيرًا لِمَجْرَاهُ؟

بقليل من التأمل تجد أن الشاعر يرى نفسه مسيراً في هواه لا مخيراً، فهو محكوم عليه بهذا الهوى كما النهر محكوم عليه بالجريان، ولكن الشاعر أخفى هذا التشبيه، وتحجج بحجة النهر، لأنها حجة بديهية، ومسلّمة طبيعية لا نزاع فيها.

ومن التشبيه الضمني قول مصطفى صادق الرافعي في الغزل:

تَرَفَّرَقَ حُسْنُهَا فِيهَا فَمَا لَأْتِ  
وَفِي الطَّائِفِ طَبَعُ الْاِخْتِيَالِ

لقد شبه الرافعي من يتغزل بها بالطاوس، ووجه الشبه الكبر والاختيال، لكنه لم يذكر ذلك مباشرة على سنة التشبيه المعتادة، فكأنه يقول: إذا كان الاختيال من طباع الطاوس، لا أحد ينكره، أو يجادل فيه، فلماذا أنكره عليها؟

ومن التشبيه الضمني في النثر قول السيد أحمد الهاشمي في رسالة شوقٍ بعث بها إلى صديقه: "كِتَابِي لَدَيْكَ، يَصِفُ شَوْقِي إِلَيْكَ، فَمُدُّ فَارَقْتَنِي فَرَقْتَنِي بَيْنَ أَنْسِي وَنَفْسِي، بَلْ بَيْنَ رُوحِي وَجِسْمِي، وَلَا تَعْجَبْ إِذَا كُنْتُ أَغْدُو وَأُرُوحُ، فَالطَّيْرُ يَمْشِي مِنَ الْأَلَمِ وَهُوَ مَذْبُوحٌ".<sup>1</sup>

الكاتب قد شبه نفسه – وهي على ما هي عليه من شوقٍ وحنين – بالطير المذبوح، ليس في ذلك شك، لكنه سلك في تشبيهه مسلماً وعرّاً غير المسلك المعروف، فهو قد حكم حكماً قد ينكره عليه المتلقي، فلم يكن أمامه إلا الإتيان بالبرهان، فكان مثال الطير المذبوح برهاناً ودليلاً على ذلك الحكم.

ومنه في النثر قول مصطفى صادق الرافعي: "الشَّبَابُ هُوَ الْقُوَّةُ، فَالشَّمْسُ لَا تَمْلَأُ النَّهَارَ فِي آخِرِهِ كَمَا تَمْلَأُهُ فِي أَوَّلِهِ".

فالكاتب يقارن بين حالين (الشباب والشمس) الحالة الثانية منهما لا جدال فيها، فالشمس في بداية النهار تملأ الأرض نورا، وكذلك الشباب هو بداية العمر الحقيقي، وهو المرحلة الأكثر نشاطاً وفعالية، والتشبيه كما

<sup>1</sup> جواهر الأدب السيد أحمد الهاشمي ج1. ص 56.

ترى خفي، وضمني، لم يأت على نسق التشبيه المعهود، من ذكر المشبه بإزاء المشبه به. إن الشاعر يريد إقامة حكم، فألحقه، وقاسه بظاهرة طبيعية لا جدال فيها، على سبيل البرهان، والحجة.

ومن أمثلته النثرية البديعة قول أحمد أمين: "سَبَبُ قُصُورِ الشَّعْرِ الجَاهِلِيِّ فِي بَابِ الوَصْفِ أَنَّ الطَّبِيعَةَ فِي هَذِهِ البَيْئَةِ طَبِيعَةٌ قَاسِيَةٌ، لَا رَحِيمَةَ، وَطَبِيعَةٌ فَقِيرَةٌ، لَا غَنِيَّةَ: حَرٌّ مُهْلِكٌ، وَبَرْدٌ قَارِسٌ، وَصَحْرَاءُ مُجْدَبَةٌ، وَأَرْضٌ شَحِيحَةٌ، وَجِبَالٌ جَرْدَاءٌ، وَأَرْضٌ صَمَاءٌ، وَرِمَالٌ لَا يَسْتَقِرُّ فِيهَا مَاءٌ، فَكَيْفَ تُوحِي هَذِهِ الطَّبِيعَةُ بِالتَّغْنِي بِالجَمَالِ؟ إِنَّ الطَّائِرَ إِذَا لَمْ يَجِدِ العُصُونَ النَّاصِرَةَ، وَالأَزْهَارَ اليَانِعَةَ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَعِيشَ، فَضُلًّا عَنُّ أَنْ يُعْنَى".

### بلاغة التشبيه الضمني:

التشبيه الضمني نوع من التفنن في أساليب التعبير، والنزوع إلى الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه، فيلجأ الأديب إلى أسلوب يُوحي بالتشبيه، من غير أن يصرح به في صورة من صوره المعروفة، رغبةً منه في إخفاء معالم التشبيه، لأن التشبيه كلما خفي ودق كان أبلغ وألصق بالنفس، ذلك لأنه يشبع عندها حب التطلع إلى الجديد، وشغفها به. وتكمن جماليتها في إمكان الحكم المسند إلى المشبه، وكأنه بذلك في مقام البرهان العقلي، والقدرة على ربط العلاقات، والجمع بين أشياء أبعد ما تكون عن التقارب والتآلف، حيث تتعانق المعاني الذهنية، والحالات الشعورية في نظم بديع، فيكون لذلك أثر بالغ في فنية التعبير وجماله. وبعبارة وجيزة نقول: إن التشبيه الضمني يجمع بين حرارة الإمتاع، ووضوح الإقناع.

**تدريب:** حدّد التشبيه الضمني، وشرحه فيما يأتي:

- قال نزار قباني:

حَبْلُ الفَجِيعَةِ مُتَأَنِّفٌ عَلَيَّ عُنُقِي      مَنْ دَا يُعَاتِبُ مَشْنُوقًا إِذَا اضْطَرَبَا؟

- وقال نزار قباني:

وَإِذَا فَسَوْتُ عَلَى العُرُوبَةِ مَرَّةً      فَالْقَدْ تَضَيَّقُ بِكُلِّهَا الأَهْدَابُ

- ولنزار أيضا:

قَدَرٌ عَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَا      يَا حُلُوتِي، رَغَمَ الَّذِي كَانَا  
إِنَّ الحَدِيقَةَ لَا خَيْارَ لَهَا      إِنَّ أَطْلَعْتَ وَرَقًا وَأَغْصَانَا

- قال خليل مطران:

زَجَرْتُ فُؤَادِي أَنْ يُبُوحَ بِحُزْنِهِ      فَبَاخَتْ بِهِ عَيْنِي وَلَمْ يَنْفَعِ الزُّجْرُ  
وَمَا زَجْرُكَ الكَاسَ الدَّهَاقَ بِخَمْرِهَا      إِذَا هِيَ سَأَلَتْ عَن جَوَانِبِهَا الخَمْرُ؟

- قال شاعر الجزائر محمد جربوعة متغزلا:

والحُسنُ فِي صَنَعَاءِ يُخْفِي نَفْسَهُ      لَكِنَّهُ يُرَدِّي وَأَوْ لَمْ يَظْهَرِ

لَكِنَّهَا إِن أَنْذَرْتُ لَمْ تَعُدِّرِ

صَلَابَةُ الصَّخْرِ تُعْيِي قَرْنِي الْوَعِلِ<sup>1</sup>

عُمَرَهَا بَيْنَ جَيْبَةٍ وَدَهَابِ؟

لِرُكُوبِ الْهَوَاءِ أَيِّ جَسَابِ؟

هِيَ إِحْدَى الْكَوَاعِبِ الْأَثْرَابِ

وَلَمْ تُورِ فِي يَوْمِ الصِّدَامِ زُنُودَهَا؟

وَمَا ارْتَجَسَتْ بَيْنَ الْغُيُومِ رُغُودَهَا؟

فَكَمْ ذُبَابَةٌ غَابَ أَرْعَجَتْ نَمِرًا

وَالْعُودُ لَيْسَ لَهُ صَوْتٌ بِلَا وَتَرِ

إِنْ دَامَ ضَاقَتْ دُونَهُ الْفَلَاوَاتُ

وَالْمَاءُ تَجْمَعُ سَائِلُهُ الْقَطْرَاتُ

وَلَوْ أَنَّ نَهَجَ الْعِزَّ كَانَ جَحِيمًا

فِي الطُّورِ لَمْ يَكُ لِلْإِلَهِ كَلِيمًا

فَالسَّهْمُ يَصْدِفُ أَحْيَانًا عَنِ الْعَرَضِ

أَلِفَ الدَّلَالِ عَلَى الْمَدَى

وَالكِمُّ يُفَنِّحُهُ النَّادَى<sup>2</sup>

مَثَلًا... عَطُورُ السَّيِّدَاتِ خَفِيفَةٌ

- قال محمود غنيم فيمن يرؤمون تشويه صورة الشعر:

لَنْ يَبْلُغَ الْقَوْمُ مِنْ تَشْوِيهِهِ عَرْضًا

- وقال غنيم في "مضيفة الطائفة":

قَالَ جَارِي: أَتِلْكَ فِي الْجَوِّ تَقْضِي

قُلْتُ: هَلْ تَحْسِبُ الْعَصَافِيرُ يَوْمًا

قَدْ بَلَّغْنَا عَدْنَا، وَتِلْكَ لَعْمَرِي

- قال معروف الرصافي:

أَتَطْمَعُ هَذِي النَّاسُ أَنْ تَبْلُغَ الْمُنَى

فَهَلْ لَمَعَتْ فِي الْجَوِّ شُعْلَةٌ بَارِقِ

- وقال مخاطبا الغرب:

لَا تَسْتَهِينُوا بِنَا مِنْ ضَعْفِ قُوَّتِنَا

- وقال معروف الرصافي مخاطبا العرب:

كَيْفَ النَّجَاحُ وَأَنْتُمْ لَا اتَّفَاقَ لَكُمْ

- وقال الرصافي في الحكمة:

لَا تُهْمَلُوا الضَّرَرَ الْيَسِيرَ فَإِنَّهُ

فَالنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ سُقُوطِ شَرَارَةٍ

- قال محمد العيد آل خليفة:

حُبُّ الْخَطِي لِلْعِزِّ وَاسْأَلْكَ نَهَجَهُ

لَوْ خَافَ مُوسَى أَنْ يَحُلَّ بِهِ رَدَى

- قال محمود سامي البارودي معتذرا:

فَإِنْ تُكُنْ هَفْوَةٌ أَوْ زَلَّةٌ عَرَضَتْ

- قال أحمد شوقي في الغزل:

هَامَ الْفُؤَادُ بِشَوَابِدِ

أَبْكِي فَيَضْحَكُ نَغْرُهُ

- وقال شوقي:

<sup>1</sup> الوعل: تيس الجبل.  
<sup>2</sup> الكم: كأس الزهرة.

لَا تَطَّلِعُ الشَّمْسُ وَالْأَنْدَاءُ فِي أَنْ

فَإِنَّ فِي الْمَوْتِ زَوَالَ الشُّكَاةِ  
فَأَطَّلَعَ النَّبْتَ وَأَحْيَا الْمَوَاتِ

إِنَّ الْحَيَاةَ بِبِلَا "بَادِيسَ" لَمْ تَطِبْ  
لَا خَيْرَ بَعْدَ ذَهَابِ الرَّأْسِ فِي الذَّنْبِ

وَلَكِنَّنِي بِالْخُبِّ أَدْرَى وَأَعْلَمُ  
وَعُورَةَ هَذِي الْأَرْضِ وَهُوَ يُحَوِّمُ؟

وَمِنْ أَيْنَ مَا أُرْتَدُّ أَلْقَاهُ جَانِبِي  
عَلَى الْمَاءِ مَهْمَا كَانَ مَاضِي الْمَضَارِبِ؟

هَوَاكُمُ مَا بَقِيَتْ أَضْلَعِي  
وَالرَّوْضِ وَالجَدُولِ الْمُثْرَعِ  
جَمَالَ الرَّبِيعِ وَلَمْ يَسْجَعِ

إِنَّ الْجَمَادَاتِ لَا تَشْكُو مِنَ الْأَمِّ

فَقَدْ يَسْتَفِيدُ الْفَيْلَسُوفُ مِنَ الْغَرِّ  
إِذَا كَانَ فِي كَفِّي وَضِيعِ بِلَا قَدْرِ

وَالْبَدْرِ فِي اللَّيَالِيَةِ الْيَلَاءِ يُفَنَّقُ

- قال حافظ إبراهيم في شعراء لبنان الذين انتشروا وانتثروا في بلاد أمريكا:

فَالشُّهُبُ مِنْتُورَةٌ مُذْ كَانَتْ الشُّهُبُ

عَسَى تَكْفُ دُمُوعُ فَيْكَ هَامِيَةً

- وقال في رثاء عبد الله البستاني:

يَا صَاحِبَ "البُسْتَانِ" نَمَّ أَمْنَا

مَا غَابَ مَاءٌ غَابَ تَحْتَ النَّرَى

- قال الشيخ أحمد سحنون في رثاء عبد الحميد بن باديس:

لَمْ يَبْقَ طَعْمٌ لِعَيْشٍ بَعْدَ مَصْرَعِهِ

مَا حَالَ جِسْمٍ إِذَا مَا الرَّأْسُ فَارَقَهُ

- قال مصطفى صادق الرافعي:

بَلَى إِنَّ طَرِقَ الْخُبِّ أَوْ عَرَّ مَسْلَكًا

وَمَاذَا يَضُرُّ الطَّيْرَ فِي الْجَوِّ أَنْ يَرَى

- وله أيضا:

فَمِنْ أَيْنَ مَا يَمَّمْتُ أَلْقَاهُ جَانِبِي

وَمَا يَصْنَعُ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ إِذْ هَوَى

- قال إيليا أبو ماضي:

يَمِينًا سَأَحْمِلُ فِي أَضْلَعِي

وَأَشْكُرْكُمْ بِلِسَانِ النَّسَائِمِ

فَلَا عُدْرَ لِلطَّيْرِ إِمَّا رَأَى

- ولإيليا أبي ماضي كذلك:

وَلَسْتُ أَعْجَبُ أَنْ لَمْ تَشْتِكِ الْمَا

- قال الشاعر القروي:

خُذِ الْعِلْمَ يَا ابْنِي مِنْ حَكِيمٍ وَجَاهِلٍ

وَأَنْ نَفِيسَ الدُّرِّ مَا ضَاعَ قَدْرُهُ

- قال إبراهيم ناجي في الرثاء مضمنا:

إِنَّا افْتَقَدْنَاكَ وَالْأَفْهَامُ حَائِرَةٌ

- قال حافظ إبراهيم في شعراء لبنان الذين انتشروا وانتثروا في بلاد أمريكا:

مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ نُثِرُوا

## التشبيه المقلوب وتشبيه التفضيل

**تعريف التشبيه المقلوب:** هُنَاكَ قَوْلٌ مَأْتُورٌ فِي التَّشْبِيهِ مَفَادُهُ أَنَّ وَجْهَ الشَّبْهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَظْهَرَ، وَأَشْهَرَ فِي الْمُشَبَّهِ بِهِ مِنْهُ فِي الْمُشَبَّهِ، وَذَلِكَ كَيْ تَصِحَّ مُقَارَنَةُ الْمُشَبَّهِ بِالْمُشَبَّهِ بِهِ، لَكِنَّ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ وَالْكَتَّابِ انْقَلَبُوا عَلَى سِيَاسَةِ التَّشْبِيهِ، وَعَكَسُوا هَذِهِ الْمُعَادَلَةَ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ، إِيهَامًا بِأَنَّ الْمُشَبَّهَ أَقْوَى، وَأَكْمَلُ فِي وَجْهِ الشَّبْهِ مِنَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، أَيْ أَنَّهُمْ قَلَّبُوا التَّشْبِيهِ، وَخَرَجُوا عَنِ الْمَأْلُوفِ، فَجَعَلُوا الْمُشَبَّهَ مُشَبَّهًا بِهِ، وَالْمُشَبَّهَ بِهِ مُشَبَّهًا، وَأَطْلَقَ عُلَمَاءُ الْبَيَانِ عَلَى هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّشْبِيهِ التَّشْبِيَةَ الْمَقْلُوبَ.

اسمع إلى الكاتب محمد المويلحي، وهو يشير إلى هذا المعنى حين تعذّر عليه وصف برج (إيفل) بفرنسا: "أَنِّي لِخِيَالِ الشَّاعِرِ أَنْ يَعْطُو فِي وَصْفِهِ عُلوَّهُ، وَيَسْمُو سُمُوهُ؟ لَا جَرَمَ أَنَّهُ يَضِيقُ عَلَيْهِ نِطَاقَ الْوَصْفِ، فَيَلْجَأُ إِلَى تَشْبِيهِ الْأَكْبَرِ بِالْأَصْغَرِ، وَالْأَعْظَمِ بِالْأَحْقَرِ، كَمَا شَبَّهُوا شَمْسَ النَّهَارِ، بِكَأْسِ الْعُقَارِ." وقد أدرك الشعراء والكتّاب ما في التشبيه المقلوب من تصويرٍ لخلجات النفس، فبادروا إلى استخدّامه، ولأنّ الأديب في هذا النوع من التشبيه يجعل الأصل فرعاً، والفرع أصلاً، "سمّاه ابن جنيّ "غلبة الفروع على الأصول"، وقال: "لا تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض منه المبالغة."<sup>1</sup>، وإليك طائفة من نماذجه البليغة:

- قال الشاعر اللبناني يوسف غصوب في قصيدة (أوراق الخريف):

تَنَثَّرَ الْخَرِيفُ عَلَى الثَّرَى أَوْرَاقَهُ	فَتَنَثَّرَتْ كَثَّتْ أَثَرِ الْعَبْرَاتِ
يُثْرُكُنْ أَعْصَانًا أَلْفَنَ عِنَاقَهَا	وَيَقْعُدُنْ بَيْنَ يَدَيِّ مُضْطَرِبَاتِ
يَلْهُو الْهَوَاءُ بِبَعْضِ هُنَّ هُنَيْهَةً	وَيَعُودُ يَجْمَعُهُنَّ بَعْدَ شَتَاتِ
فَكَأَنَّهُنَّ إِذَا خَفَقْنَ جَوَاحِي	وَحَفَّ يَفْهَنَّ كَأَنَّهُ زَفَرَاتِي

درج على أسننتنا تشبيهه الدموع المتساقطة من العيون بأوراق الخريف المتناثرة من الأشجار، فكنا نقول دوماً: "دموعه متناثرة كأوراق الخريف"، ذلك لأنّ وجه الشبه أكمل وأظهر في المشبه به، لا المشبه، لكنّ الشاعر في هذه المرتبة الذاتية ينعي حياته القصيرة الموشكة على الفناء، فيشبه الأوراق الذابلة والمتهاوية عن أغصان ألفت عناقها بدموعه المنحدرة من عينيه، فالملاحظ أنّ الشاعر قد قلب التشبيه بغرض المبالغة في وصف حزنه على حياته، ثم يعود الشاعر في البيت الأخير، ويشبه خفقان الأوراق في الهواء بخفقان فؤاده، قالبا التشبيه كذلك، وأخيراً يشبه بالطريقة نفسها صوت الأوراق وحفيفها بزفراته الحرّى، وأنفاسه الأخيرة.

- قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة:

فَالْبَدْرُ فِي الْأَعْصَانِ طَلَعَتْهَا إِذَا	أُرْحَتْ عَلَيْهَا مِنْ ضَفَائِرِ شَعْرَهَا
--	---

تصويرٌ بارعٌ ذلك الذي يشبه لك وجه الحسنة حين ترخي ضفائر شعرها بقمرٍ من خلال الأغصان بادٍ، ولكنّ الأبرع من ذلك حين يغامر الشاعر فيقلب تلك اللوحة الفنية، ليفاجئ القارئ بصورة نادرة، مشحونة

<sup>1</sup> علوم البلاغة الدكتور محمد أحمد قاسم الدكتور محي الدين ديب ص 178.

بالكمال والجمال، وغرض الشاعر من هذا الصنيع إنما هو إيهام السامع بأن وجود وجه الشبه (الجمال) أقوى وأكمل في المشبه (قمر الشاعر) من وجوده في المشبه به (قمر السماء).

- قال إيليا أبو ماضي واصفا فيلسوفه المجتّح (البلبل):

فَكَأَنَّ مَا الْأَزْهَارُ سِرْبُ كَوَاعِبٍ      وَكَأَنَّ مَا هُوَ شَاعِرٌ يَتَغَزَّلُ

لقد عودنا الشعراء على تشبيه الفتيات بالأزهار، وتشبيه الشعراء بالبلابل، هذا هو المؤلف، لكن إيليا أبا ماضي أبى إلا أن يهيم في وادٍ آخر، ويسبح ضد تيار التشبيه، فصير بتشبيهه الأصل فرعاً، والفرع أصلاً، فقلب معادلة التشبيه، حين جعل الأزهار التي كانت طيلة قرون مضت مشبهاً به، جعلها اليوم مشبهاً، وجعل الكواعب مشبهاً به، مدّعياً أن وجه الشبه صفةً أكثر كمالاً في المشبه، لا المشبه به. وكذلك فعل في تشبيهه البلبل بالشاعر.

- قال علي الجارم مهتناً الملك فاروق بالعيد:

كَأَنَّ ضِيَاءَ الصُّبْحِ وَالكَوْنُ مُشْرِقٌ      سَنَا طَلْعَةَ الْفَارُوقِ لَاحَتْ رَكَائِبُهُ

عزم الجارم أن يكيل المدح للملك، فادّعى أنّ وجهه، وطلعتُه أشهر، وأتم، وأكملُ ضياءً، وإشراقاً من طلعة الصُّبح، فكأنه يزعم أنّ الصبح لا يشبه بمدوحه كفاية، أو كأنه يستكثر على الصُّبح أن يرقى إلى رتبة المشبه به، نقول إنّ الشاعر قد تجاهل أنّ الصُّبح هو المثل الأعلى للإشراق، فعمد إلى ما حقّه أن يكون مشبهاً، فجعله مشبهاً به، وإلى ما حقّه أن يكون مشبهاً به، فجعله مشبهاً، وهدف الشاعر واضح كضياء الصبح، وهو المبالغة في المدح.

- وقال الجارم متغزلاً:

إِنْ يَسْطَعِ الصُّبْحُ قُلْنَا: الصُّبْحُ أَشْبَهَهَا      أَوْ يَسْطَعِ الْمِسْكُ قُلْنَا: الْمِسْكُ حَاكَهَا

- قال محمود سامي البارودي في الغزل:

فَفِي الْغُصْنِ مِنْهَا إِنْ تَنَنَّتْ مَشَابِهُ      وَفِي الْبَدْرِ مِنْهَا إِنْ تَجَلَّتْ مَلَامِحُ

لقد عودنا الشاعر العربي في سوق الغزل أن يشبه المليحة بالبدْر، ويشبه قامتها الهيفاء بالغصن، لكن البارودي يعرض علينا بضاعة مختلفة، فيجعل البدرَ والغصنَ هما الشبيهان محوّلاً الأصل فرعاً، والفرع أصلاً... بضاعةً جيّدة ليس سوى سيولة الإعجاب نقودها.

- وقال البارودي:

كُلَّمَا شِئِمْتُ بَارِقًا خِلْتُ نَعْرًا      بِاسِمًا مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْخِيَامِ

حيث شبه الشاعر السُّحبَ التي تحمل البرق بالنعْر، وشبه البرق بالأسنان عند الابتسام، فماذا فعل البارودي؟ لقد عكس المعادلة، وتجاهل حكمة التشبيه، فبدل أن يشبه الأسنان بالبرق فعل العكس، زاعماً أن بياض الأسنان أشدُّ بريقاً من لمعان البرق.

- قال معروف الرصافي:

وَأَيْلٍ كَأَنَّ الْبَدْرَ فِيهِ مَلِيحَةٌ      أَغَارِلُهَا وَالنَّيِّرَاتِ رَقِيبٌ

لعلك مدرك أن وجه الشبه (الحسن) أقوى وأظهر في البدر منه في الحسناء، فالشعراء يشبهون الشيء بما هو أقوى، وأوضح في وجه الشبه، ليكتسب منه قوة ووضوحاً، لكن بعد أن ظل التشبيه زمناً غير قصير واقفاً على رجليه، يطلع الرصافي، ويجعل التشبيه واقفاً على رأسه، فليست المليحة في منطق عشقه شبيهة بالبدر، بل العكس هو الصحيح، لأنه رأى بعينه التي في قلبه أن وجه الشبه (الحسن) أكمل، وأتم في المحبوب منه في البدر.

- قال مصطفى صادق الرافعي في مدح الخديوي:

جَرَى النَّيْلُ فِيهَا حَاكِيًا نَيْلَ كَفِّهِ      وَهَلْ فِي الْوَرَى مَنْ يَعْدِلُ الْبَحْرَ بِالنَّهْرِ؟

وها هو ذا مصطفى صادق الرافعي يرفع من توتر التشبيه، فيأتي في صدر البيت بتشبيه مقلوب، ويأتي في عجزه بتشبيه ضمني مؤكداً به لدعواه، فيجعل تشبيهه للخديوي فنحنين في فنح، وما يهمننا في هذا المقام هو التشبيه المقلوب، فالشاعر قد ركب مركب سابقه، وشن غارة على التشبيه المألوف، رافعا لواء المبالغة في المدح عالياً، وبدلاً أن يشبه بَدَل ممدوحه بنهر النيل على عادة الشعراء، ها أنت ذا تراه يشبه نهر النيل بالممدوح، فهيهات في نظره أن يرقى النهر إلى رتبة البحر.

إنه منطق يفرض عليك أن تسلّم أن ما كان دائماً مشبهاً به أصبح الآن مشبهاً، والعكس، أليس هذا ما يروج له، ويبشّر به الرافعي نفسه في قوله:

وَقَالُوا حَكَيْتَ الطَّبِيَّ جِيْدًا وَلَفْتَةً      وَأَشْبَهْتَ عُصْنَ الْبَانَ فِي هَيْفِ الْبَانَ

وَأَقْسِمُ مَا الْغَزْلَانُ فِي لَفَاتِهَا      وَلَا هَيْفُ الْأَغْصَانِ إِلَّا الشَّيْبِيهَانَ

### بلاغة التشبيه المقلوب:

للتشبيه المقلوب سحر، ووقع على القلوب، وهو مظهر من مظاهر التفنن في التعبير، تظهر فيه قدرة الأديب على الإبداع، والتغيير، "وحين أنشد خالد الكاتب قوله:

عَشِيَّةً حَيَّانِي بِوَرْدٍ كَأَنَّهُ      خُدُودٌ أَضِيْفَتْ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضِ

استخفَّ إبراهيم بن المهدي الطرب، فزحف في مقعده، حتى صار في ثلثي فراشه، ثم هتف: يا فتى، شبهوا

الخدود بالورود، وأنت شبهت الورد بالخدود!"<sup>1</sup>

"والشرط في استعماله ألا يرد إلا فيما جرى عليه العرف، وذلك حتى تظهر بوضوح صورة القلب والانعكاس، على هذا الأساس يحسن التشبيه المقلوب، ويقبل، أما إذا ورد في غير المعهود المألوف، فإنه يكون معيباً، لأن المبالغة فيه تصيبه بالغموض، وتؤدي إلى التداخل بين طرفيه، فلا يُعرف أيهما المشبه، وأيها المشبه به."<sup>2</sup>

<sup>1</sup> فن التشبيه علي الجندي الجزء 1 ص 307 308.

<sup>2</sup> علم البيان عبد العزيز عتيق ص 101.

وَيُعَدُّ التَّشْبِيهَ المَقْلُوبَ ضَرْبًا مِنَ التَّجْدِيدِ، لِكَسْرِ نَمَطِيَّةِ التَّشْبِيهِ، وَ"الرَّتَابَةُ فِي التَّشْبِيهِ المَبْتَدَلَةُ، الَّتِي مَجَّهَا الذُّوقُ، وَمَلَّهَا السَّمْعُ، فَجَاءَ التَّشْبِيهُ المَقْلُوبَ لِيَقْضِيَ عَلَى الرَّتَابَةِ، وَيَحْدِثُ ضَرْبًا جَدِيدًا مِنَ العَلَاقَاتِ الفَائِئِمَةِ بَيْنَ طَرَفِي التَّشْبِيهِ."<sup>1</sup>

وليس كل التشبيه المقلوب في الحسن سواء، بل يتفاوت في البلاغة تفاوتًا كبيرًا، بما يراعى فيه من دقة وعمق، وبما يحمله من أشياء طريفة مخترعة، فقد جرى العرف مثلًا على تشبيه الأسنان بالبرق، ولكن لا يكفي قلب التشبيه فنقول: برق كالأسنان، حتى تكون آتيت بشيء بديع يعتد به في البلاغة، غير أنك تستطيع أن تخلب القارئ، وتثير إعجابه، وتلهب شعوره، وتقنعه أنك جلوت عليه صورة فاتنة إذا أنت جئته بمثل قول محمود سامي البارودي:

وَأَقُولُ إِنَّ البَرَقَ يَحْكِي بِشَرِّهِ      لَوْ كَانَ بَرَقَ المُزْنَ غَيْرَ خَلُوبٍ<sup>2</sup>

أو قوله:

كُلَّمَا شِمْتُ بَارِقًا خَلْتُ نَعْرًا      بِاسِمًا مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الخِيَامِ

حيث شبه البارودي السحب التي تحمل البرق بالنعز، وشبه البرق بالأسنان عند الابتسام. يا لها من صورة متسقة مؤتلفة، تلهيك عن مزية القلب نفسه، فلا تكاد تحس بقلب التشبيه، بل تصرفك إليها مباشرة، لتستمتع بما حوته من سمات الجمال والإبداع. "وليس التشبيه المقلوب بشيء إذا لم يقع موقعه اللائق به حتى كأنه متعين فيه، وكأنَّ المقام ينادي عليه."<sup>3</sup>

وزبدة القول: إن التشبيه المقلوب يكون أبلغ إذا رُشِحَ بأحد أنواع التشبيهات الأخرى، كالتشبيه الضمني، وبأحد المحسنات البديعية، كالجناس في قول مصطفى صادق الرافعي في مدح الخديوي:

جَرَى النِّيلُ فِيهَا حَاكِيًا نَيْلَ كَفِّهِ      وَهَلْ فِي الوَرَى مَنْ يَعْدِلُ البَحْرَ بِالنَّهْرِ؟

### تشبيه التفضيل:

قال نزار قباني: "هَلْ تَعْرِفُونَ مَعْنَى أَنْ يَسْكُنَ الإنسانُ فِي قَارُورَةِ عِطْرٍ؟ بَيْنُنَا قَارُورَةُ عِطْرٍ، إِنَّنِي لَا أَحَاوِلُ رِشْوَتَكُمْ بِتَشْبِيهِ بَلِيغٍ، وَلَكِنْ ثَقُوا أَنِّي بِهَذَا التَّشْبِيهِ لَا أَظْلِمُ قَارُورَةَ العِطْرِ، وَإِنَّمَا أَظْلِمُ دَارَنَا". بهذه المقولة ينخرط نزار قباني في حزب الشعراء الذين يعدلون عن التشبيه، ويدعون أنَّ المشبه أفضل من المشبه به، وذلك هو معنى تشبيه التفضيل، "وقد عرف علماء البيان هذا الفن، فقالوا: وتكون هذه الصنعة بأن يشبه الشاعر شيئًا بشيء آخر، ثم يعود فيعدل عن التشبيه، ويفضل المشبه على المشبه به."<sup>4</sup>

وأفضل ما أستشهد به لهذا النوع من التشبيه قول خليل مطران:

أَغْرُ المَحْيَا كَالصَّبَا ح نَقِيُّهُ      لَهُ قَامَةٌ كَالرُّمْحِ أَوْ هِيَ أَعْدَلُ

<sup>1</sup> علوم البلاغة مرجع سابق ص 178.

<sup>2</sup> خلوب: خادع.

<sup>3</sup> فن التشبيه ص 1 ج 322.

<sup>4</sup> المعجم المفصل في علوم البلاغة ص 328.

فالشاعر في الشطر الثاني شبه قامة المتغزل بها بالرّمح، لكنه حين قال (أَوْ هِيَ أَعْدَلُ) نستنتج أنه قد عدل عن تشبيهه، وفضل المشبه على المشبه به.

ومن نماذجه قول علي الجارم:

لَمَخَاتُ كَأَنَّهَا خَاطِفُ الْبَرِّ      ق، وَأَيِّنَ الْبُرُوقُ مِنْ لَمَخَاتِهِ؟

فالشاعر ظن لأول وهلة أنّ نظرات الممدوح الخاطفة تشبه البرق الخاطف، لكنه بعد النظر والتدقيق، والإمعان والتحقيق تبين له أنه قد تسرع في الحكم، فعاد، وصحح حكمه من خلال قوله: (وأيّن البروق من لمخاته؟).

ومن أمثاله النثرية قول محمد المويلحي في وصف منازل باريس: "والبُيُوتُ عَلَى حَاقَتِي الشَّارِعِ تُشَارِفُ جَوَّ السَّحَابِ، وَتُحَاوِلُ أَنْ تَعْلَقَ مِنَ السَّمَاءِ بِأَسْبَابِ، فَارِعَةً بِأَسِيقَةٍ، مُتَلَاصِقَةً مُنَاسِقَةً، كَأَنَّهَا فِي انْتِسَاقِهَا سُطُورُ الْخَطِّ، وَالْأَزْهَارُ عَلَى جُذْرَانِهَا شَكْلٌ وَنُقْطٌ، كَأَنَّهَا، بَلْ أَيِّنَ مِنْهَا مَا بَنَاهُ لِفِرْعَوْنَ هَامَانَ، وَشَادَهُ جِنَّ سُلَيْمَانَ لِسُلَيْمَانَ، وَرَفَعَهُ سِنِمَارُ لِلنُّعْمَانَ، لَا بَلْ أَيِّنَ الْبَحْرُ الْعُبَابِ، مِنْ لَامِعِ السَّرَابِ؟ وَأَجْرَامُ الْكَوَاكِبِ، مِنْ بُيُوتِ الْعَنَاكِبِ؟"

ومن تشبيه التفضيل قول شوقي في رثاء الكاتب الكبير، والواصف القدير محمد المويلحي:

هُوَ فِيهِ بَدِيعُ كُلِّ زَمَانٍ      مَا بَدِيعُ الزَّمَانِ؟ مَا أَسْجَاعُهُ؟

فشوقي أراد أن يشبه المويلحي ببديع الزماني الهمداني، صاحب المقامات، وإمام السجع، لكنه عدل عن هذا التشبيه، وفضل في عجز البيت مرثيته عن طريق الاستفهام.

واسمع إلى قول مصطفى صادق الرافعي:

طَلَبُوا لَهَا شَبَهًا يُضِيءُ ضِيَاءَهَا      لَهَا وَى النَّوَاطِرِ أَوْ يُدِلُّ دَلَالَهَا  
أَمَّا السَّمَاءُ فَجَلَّتْ عَلَيْهِمْ بَدْرَهَا      وَالْأَرْضُ قَدْ عَرَضَتْ لِذَلِكَ غَزَالَهَا  
لَكِنَّهَا نَظَرَتْ فَأَخْجَلَّتِ الظُّبَا      وَتَأَقَّتْ لِلْبَدْرِ فَاسْتَحْيَا لَهَا  
هُم يَطْلُبُونَ مِثْلَهَا فَلْيَرْقُبُوا      مِرَاتَهَا يَجِدُوا هُنَاكَ مِثْلَهَا  
لَمَّا عَجَزْنَا أَنْ نُفَضِّلَ وَصَفَهَا      جَمَعَتْ لَنَا مِرَاتَهَا إِجْمَالَهَا

في عقيدة الشاعر إيمان بأن محبوبته امرأة عصية عن التشبيه والمقارنة، ولتسمع أيها القارئ الكريم إلى روايته: ها هي ذي السماء ترشح بدرها، والأرض تعرض غزالها، لكن هيهات أن يتربّع على عرش الجمال سواها، فمن أين للبدر جمالها، وأنى يكون للغزاة دلالتها، ومن يطلب نظيرها، فليس في شيء غير صورة المرأة نظيرها.

واسمع إلى قول الرافعي أيضا:

فَلَا أَقُولُ شَعْرُهَا لَيْلٌ وَحَا      شَاهُ فَتَحَتِ اللَّيْلُ صُبْحُ أَشْيَبِ

ولا أقول وجهها شمسٌ وميضٌ — لُ الشمسِ عندي فحمةٌ تلهبُ  
ولا أقول خدّها نارٌ فإنّ — كلَّ نارٍ تنظفي وترطبُ  
ولا أقول قُدّها عُصنٌ فإنّ — العُصنَ كيفَما يكونُ حطبُ  
تبارك الله الذي صوّرها — عجيبةً يَخارُ فيها العجبُ

فالشاعر يحسب أنّ شعرَ المحبوب أشدّ سوادًا من ظلمة الليل الحالك، ووجهها أشدّ إشراقًا من قرص الشمس المتوهج، وخدّها أشدّ نفاحًا من لهيب النار المتأجج، وقُدّها أجملُ قوامًا من غصن البان الرشيق، ليست هذه محض افتراءات، فالشاعر لا يتأخر أبدًا في تعليل أحكامه، ليبين أنّ المحبوبة جديرة بهذا التفضيل.

قال علي الجارم في مدح الملك فاروق:

صِفِ السُّحْبَ أَيْنَ السُّحْبِ مِنْ فَيْضِ جُودِهِ؟ — إِذَا وَكَفَتْ لِلْبَائِسِينَ سَحَائِبُهُ  
تَمَنَّتْ زُهُورُ الرُّوضِ لَوْ أَنَّ طَيْبَهَا — لَهُ نَفْحَةُ الذُّكْرِ الَّذِي هُوَ كَاسِبُهُ

معلوم أنّ تشبيه التفضيل والتشبيه المقلوب أكثر من يمتطيه شعراء المديح، وليس لذلك غرض سوى الإفراط في المدح، وإيهام السامع أنّ وجه الشبه صفة أكثر بروزًا في المشبه، لا المشبه به، لذلك تراهم يترفعون عن المشبه به، ويفضّلون عليه المشبه لحاجة في قلوبهم، فالشاعر في هذين البيتين (لا يريد أن يظلم ممدوحه) بتشبيبه بالسحب والزهور، فتراه ينفي عن طريق الاستفهام أن تكون السحب أكرم من يد الممدوح، فهي التي علّمت ابنة السماء معنى السخاء، ثم يدّعي أنّ نفحة ذكره تشتهيها، بل تخجل منها زهور الروض، ورياحين الأرض.

واسمع إلى الشاعر وهو يقطع بسيف تشبيه التفضيل قول كلّ خطيب:

مَا عَنَّتْ لَمَّا يَجُولُ مُحَارِبًا؟ — مَا حَاتَمَ لَمَّا يَجُودُ وَيَحْلِمُ؟  
إِنْ قُلْتَ لَيْتَ فَهُوَ أَعْظَمُ سَطْوَةً — أَوْ قُلْتَ غَيْثٌ فَهُوَ مِنْهُ أَكْرَمُ

فما عنّرة في صولاته وجولاته، ولا حاتم في قصص كرمه، ونوادير جوده، ولا الليث في رهبته وهيبته، ولا الغيث في صوبه وسخائه، بأفضل من الممدوح شجاعة، وعطاءً، وبأسًا، وندى.

ومسك ختام هذا النوع من التشبيه قول الشاعر:

وَلَيْسَ لِلْوَرْدِ فِي التَّشْبِيهِ رُبُّبُهُ — وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ مَعْنَاهُ تَقْرِيْبُ

وأحسبك الآن عرفت على نحو لا يحتاج إلى مزيد إيضاح أنّ تشبيه التفضيل هو مفاضلة بين المشبه والمشبه به في عرف التشبيه، ثم تأكيد تفضيل المشبه على المشبه به، وهذا ما يُركّبه قول الشاعر:

طَلَعَ الْهَالِلُ وَيُمْنُ وَجْهِكَ لِلْوَرَى — يَنْفَاضَ لَانَ وَأَنْتَ أَنْتَ الْأَفْضَلُ

**تدريب:** تعرّف على التشبيه المقلوب، وتشبيه التفضيل فيما يأتي:

- قال محمد المويلحي في وصف روضة: "هُنَاكَ تَسْتَبِيكَ أَلْوَانُ الْأَزَاهِرِ، بِمَا يُزْرِي بِلَمَعَانِ الْجَوَاهِرِ، فَمَا الْيَاقُوتُ عِنْدَهَا وَالزَّبَرْجَدُ؟ وَمَا الْفَيْرُوزُ وَالزُّمُرُودُ؟ وَمَا الْعَقِيقُ وَالْجَمَانُ؟ وَمَا الدُّرُّ وَالْمَرْجَانُ؟ وَكَيْفَ يُقَاسُ الْحَجْرُ بِالشَّجَرِ؟ وَتَسْتَوِي الْحَصْبَاءُ الْيَابِسَةُ بِأَكْمَامِ الْأَغْصَانِ الْمَائِسَةِ؟ وَكَيْفَ يُقَدَّمُ الْجَامِدُ الثَّابِتُ عَلَى النَّامِي النَّابِتِ؟ وَأَيُّ الْحَرَكَةِ مِنَ السُّكُونِ؟ وَالْمَنْشُورُ مِنَ الْمَدْفُونِ؟ وَأَيُّ الْمَنْشُورِ عَلَى ظَهْرِ الرَّوْضَةِ الرَّهْرَاءِ، مِنَ الْمَلْحُودِ فِي بَطْنِ الْعَبْرَاءِ؟".

- قال خليل مطران:

فَيَجِبُنِي بِرِيَاحِهِ الْهَوَجَاءِ  
قَلْبًا كَهَذَا الَّذِي الصَّخْرَةَ الصَّمَاءِ  
وَيَفْتِنُهُهَا كَالسُّفْمِ فِي أَعْضَائِي  
كَمَا دَا كَصَدْرِي سَاعَةَ الْإِمْسَاءِ

شَاكِ إِلَى الْبَحْرِ اضْطِرَابَ خَوَاطِرِي  
تَأْوِي عَلَى صَخْرٍ أَصَمٍّ وَلَيْتَ لِي  
يُنْبَأُهَا مَوْجٌ كَمَوْجِ مَكَارِهِ  
وَالْبَحْرُ خَفَاقُ الْجَوَانِبِ ضَائِقِ

- وقال خليل مطران متغزلا بفتاة تدعى زُمُرُودَ:

بَيْنَ الْحُلِيِّ بِأَنَّهُ حَاكَاكِ  
فَإِذَا دَنَوْتَ فَمَنْ لَأَهُ بِسَانَكِ؟

شَبَّهْتَ نَفْسَكَ بِالزُّمُرُودِ فَازْدَهِي  
فِيهِ مَخَاطِلُ مَنْ سَانَكِ بَعِيدَةَ

- وقال خليل مطران في وصف قصائده:

مَوَاقِعُ الدُّرِّ إِذَا سُلِسِلَا

أَلْفَاطُهَا كَالدُّرِّ أَوْ دُونَهَا

- قال شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

نَا، تَمُورُ بِهِ الْمُهَاجِرُ الْفَائِزَةُ

وَكَمْ شَابَةِ النَّيْلِ نَهَرَ دِمَا

- قال بشارة الخوري:

حَتَّى أَتَى الضَّفَّةَ الْأُخْرَى وَحَادَاهَا  
كَعَادَةٍ وَهِيَ تَلْهُو ضَاعَ قُرْطَاهَا

وَأَشْرَقَ الْبَدْرُ يَهْوِي نَحْوَ مَعْرِبِهِ  
وَقَدْ تَحَدَّبَ فَوْقَ الْبَحْرِ يَفْحَصُهُ

- قال محمود سامي البارودي:

لَوْ كَانَ بَرَقَ الْمُزْنِ غَيْرَ خَلُوبٍ<sup>1</sup>

وَأَقُولُ إِنَّ الْبَرَقَ يَحْكِي بِشَرِّهِ

- وقال سامي البارودي يصف أيام الربيع:

تَجُولُ بِخَدِّ أَوْ جَمَانٍ عَلَى تَبْرِ

كَأَنَّ النَّدى فَوْقَ الشَّقِيقِ مَدَامِعُ

- وقال سامي أيضا في وصف الربيع:

رَوْضٍ فِي حِلْيَةٍ مِنَ الْأَزْهَارِ

هُوَ فَصْلٌ تَخْتَالُ فِيهِ عُصُونُ الْـ

نَنْ تِيَابُ دُرِّيَّةُ الْأَزْرَارِ

مَائِسَاتٍ مِثْلَ الْعَدَارَى عَلَيْهِ

<sup>1</sup> خلوب: خادع

- قال الشاعر اللبناني إلياس عبد الله طعمة متغزلاً:

مَثَلُ السَّعَادَةِ وَالْوَفَاءِ قَلِيلٌ  
وَالْقَلْبُ عَنْدَكَ مُهْتَدٍ وَضَالِلٌ  
وَصَبَاحُهُ مِثْلَ الْحَيَاةِ جَمِيلٌ

أَصْبُو إِلَى لَيْلِ الْوَصَالِ، وَنَوْمُنَا  
وَنُجُومُهُ فِي مُقَاتِلِكِ ضِيَاؤُهَا  
وَهَلَالُهُ الْهَاوِي كَخِصْرِكِ نَاجِلٌ

- قال حافظ إبراهيم في بعض إخوانياته:

كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْخَلِيمِ  
قَدِ التَّهَبَّتْ مِنْ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ

أَجِنُّ لَهُمْ وَدُونَهُمْ قَالَةٌ  
كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَابٍ

- ولحافظ إبراهيم في وصف قصور لبنان:

خُدُورُ الْغَوَانِي بِأَدْوَارِهَا

قُصُورٌ كَأَنَّ بُرُوجَ السَّمَاءِ

- قال مصطفى صادق الرافعي متغزلاً:

— هِ وَمَا الْبَيَانُ وَالْقُدُودُ سَوَاءٌ  
— هِ وَتَأْبَى خُدُودُهُ الْحَمْرَاءُ

يَدَّعِي الْبَيَانَ قَدَّهُ وَتَتَنَبَّأُ  
وَيَرَى الْوَرْدُ أَنَّهُ مِثْلُ خَدِّيْ

- وقال الرافعي:

كَالِدَّمَعِ فَوْقَ خُدُودِهَا يَجْرِي

وَأَرَى النَّدَى فِي الْوَرْدِ مُنَحْدِرًا

- قال معروف الرصافي:

وَكَأَيِّ بَطِيْبٍ هُبُوبِهِ الْأَمَالَا

أَمَّا النَّسِيمُ فَقَدْ جَرَى مُتَعَطِّرًا

- قال نزار قباني:

وَخِيُولِي قَدْ هَدَّهَا الْإِعْيَاءُ  
وَبِصَدْرِي مِنَ الْأَسَى كَرَبْلَاءُ

أَنَا جُرْحٌ يَمْشِي عَلَى قَدَمَيْهِ  
فَجِرَاحُ الْحُسَيْنِ بَعْضُ جِرَاحِي

- قال أحمد شوقي:

وَمَا الْبَدْرُ؟ مَا قَدْرُهُ؟ وَابْنُ مَنْ؟

وَلَقَّبَ بِالْبَدْرِ مَنْ حُسْنِهِ

- وقال شوقي في مدح الحبيب المصطفى:

وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمِ

الْبَدْرِ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفِ

- قال ناصيف اليازجي:

فَقَدْ شَبَّهْتُ بِالشَّمْسِ الْهَلَالَا

إِذَا قُلْتُ السَّحَابُ كَرَاخَتِيْهِ

- قال مصطفى الغلاييني:

حَسَنَاءُ تَسْنُرُ وَجْهَهَا بِشُفُوفِ

وَالْبَدْرِ فِي خَلْلِ الْغَمَامِ كَأَنَّهُ

- قال الشاعر يصف غزاله، ويشبها بمحبوبته:

وَلَكِنْ عَظُمَ السَّاقُ مِنْكَ دَقِيقُ

كَمَا أَشْبَهَ الْبَلُورُ فِي الظَّاهِرِ المَاسَا

لَوْ كَانَ طَلَقَ المُحَيَّا يُمَطِّرُ الدَّهْبَا  
وَالْأَسْدُ لَوْ لَمْ تُصَدِّ وَالبَحْرُ لَوْ عَذْبَا

أَسْتَغْفِرُ اللهَ، بَلْ يَا طَلَعَةَ القَمَرِ  
مِنْ أَيْنَ لِلطَّبِي مَا بِاللَّحْظِ مِنْ حَوْرٍ؟

وَقَالَتْ: لَعَمْرِي هَذِهِ غَايَةُ الدَّمِّ  
نِفَارًا وَقَالَتْ: صِرْتَ تَطْمَعُ فِي شَتْمِي

فَتَاهَتْ وَقَالَتْ قَاسَ خَدِّي بِالْوَرْدِ  
وَأَنَّ قَضِيبَ البَّانِ يُشْبِهُهُ قَدِّي  
فَقُولُوا لَهُ لِمَ جَاءَ يَطْلُبُهُ عِنْدِي؟

فَعَيَّنَاكِ عَيْنَاهَا وَجِيذُكِ جِيذَهَا

- قال علي الدرويش:

وَشَابَهَهُ البَدْرُ المُنِيرُ مَحَاسِنًا

- قال شاعر مداح:

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ العَيْثِ مُنْسَكِبًا  
وَالْبَدْرُ لَوْ لَمْ يَغِيبْ وَالشَّمْسُ لَوْ نَطَقَتْ

- قال الشاعر في الغزل:

يَا ظَبِيَّةَ البَّانِ يَا عُصْنَ النِّقَا النُّضِيرِ  
مِنْ أَيْنَ لِلعُصْنِ مَا بِالقَدِّ مِنْ هَيْفٍ؟

- قال صفي الدين في الغزل:

تَغَزَّلْتُ فِيهَا بِالعُزَالِ فَأَعْرَضَتْ  
وَصَدَّتْ وَقَدْ شَبَّهْتُ بِالبَدْرِ وَجْهَهَا

- قال أحد الشعراء:

رَأْتَنِي وَقَدْ شَبَّهْتُ بِالْوَرْدِ خَدَّهَا  
كَمَا قَالَ إِنَّ الأَفْحُونَ كَمَبْسِمِي  
إِذَا كَانَ هَذَا فِي البَسَاتِينِ عِنْدَهُ

## التشبيه الدائري (الاستطرادي)

**تعريفه:** هُو تشبيه يبدأ غالباً بـ "ما"، وينتهي على الأغلب بـ "الباء" الداخلة على اسمٍ من أسماء التفضيل، وقد ينتهي باسم التفضيل مجرداً من الباء، ونادراً ما ينتهي بغير اسم التفضيل. وبين فاتحة هذا التشبيه وخاتمته يكون المشبه به مطوّلاً، حيث يطرق فيه الأديب غير معني، ويرسم غير صورة، إلى أن يستدير الأديب فنياً، فيفضل المشبه على المشبه به، رغم كل الاستطراد والاسترسال والوصف العظيم الذي وصف به المشبه به. إذن فالتشبيه الاستطرادي تفصيل ثم تفضيل، "وتكمن قيمة التشبيه الدائري في طول نفسه، واتساع عباراته، حيث يترك الشاعر المشبه، ليسترسل، ويستطرّد في تفصيل أجزاء المشبه به، والإحاطة بمناحي الجمال، والعظمة فيه، ليكون في تفضيل المشبه في الأخير إغراق في التعظيم والمفاضلة"<sup>1</sup>.

- اقرأ معي إلى قول حافظ إبراهيم:

عند الغروب إليه ساقها القدر	فما مطوّقة قد نالها شرك
من النجاة وجنح الأيل معتكر	باتت تجاهد هماً وهي آيسة
مروّعاً لرجوع الأم ينتظر	وبات زغولها في وكرها فرعا
إذا سرت نسمة أو وسوس الشجر	يحفز الخوف أحشاه وتزعجه
هذا الصديق فهلاً كان يدكر	مني بأسوأ حالاً حين قاطعني

أراد حافظ أن يصف حزنه الجليل، يوم خاصمه الخليل، فلم يجد أفضل من الحمامة تقوم مقام المشبه به، فقام بتجنيد كل طاقاته الشعرية، وفتح كل نوافذ الخيال لديه، وبدأ في حياكة قصة حمامة تقع في شباك صياد ساعة الغروب، وهي تحاول جاهدة النجاة والهروب، وشينا فشيئا يبدأ اليأس يتسرّب إليها، والليل قد طفق يسدل ستاره على الغابة، فتعاطم مصيبتها إذ تذكر أنها خلفت وراءها في الوكر فرخاً لا قوة له، ينتظر في العش أوبة أمه، تحمل معها الحبّ والحبّ، ولكن الأم لا تأتي، فيقع الفرخ فريسة الخوف والهلع على مصير أمه، ومصيره، ويستيقن في النهاية من دنو أجله، ويأس عمله. كل هذا الحزن، وتلك المأساة لم تكن شيئاً مذكوراً حين تقارن بحزن الشاعر لما جفاه صديقه، وأعرض عنه رفيقه.

نقول: لقد استطرّد الشاعر، وبالغ في وصف المشبه به، فقط من أجل أن يدور فنياً، ويجعل المشبه أعظم في صفة الحزن من المشبه به في حال اكتمال حزنه، وقد استعمل حافظ الوساطة الفنية (فما - بأسوأ).

- وقرأ معي قول صادق الراعي (دون الابتداء بالنفي):

بها كأن جبل في البحر يقتلع	يا ظلمة الموج يطغى البحر منتفضاً
أو لا، فزوبعة في الماء تضطجع	تظن زلزلة في الماء قد جلست
فأطبقت، فارتمت، كالرعب تدفع	تقلقت، فاستطارت، فاندنت، فهوت

<sup>1</sup> علوم البلاغة مرجع سابق ص 180.

عَلَى غَرِيقٍ بِحَبْلِ الْمَاءِ مُعْتَصِمٍ  
لَهُ بَقِيَّةُ رُوحٍ فِي أَصَابِعِهِ  
بَيْنَ الْحَيَاةِ وَبَيْنَ الْمَوْتِ مُرْتَكِسٌ  
أَذَاكَ أَعْظَمُ هَوْلًا فِي فَجِيعَتِهِ  
وَالْحَبْلُ فِي لَمَسَاتِ الْكَفِّ يَنْقَطِعُ  
يُنَازِعُ الْمَوْتَ فِيهَا وَهِيَ تُنْتَزِعُ  
يَقِيئُهُ الْبَحْرُ أَطْوَارًا وَيَبْتَلِعُ  
أَمِ الْمُحِبُّونَ فِي أَحْبَابِهِمْ فَجَعُوا؟

أراد الراجعي أن يصور ألم المحبين يوم البين، فأبحر في عالم خياله، لدرجة استفاد مخزونه الخيالي، فاختر قصة هذا الغريق:

في هذا اليوم ينتفض البحر ويثور، وتتحرك أمواجه وتمور، فكأنه النفخ في الصور، أو كأن مارداً أسطورياً طلع من الأعماق، فخيّم السحاب الأسود في الآفاق، ويزمجر البحر، سلاً سيف النحر، وتقوم للبحر قيامته، ويزلزل زلزاله، وتُدكّ جباله، فكأنّ قذيفة في أحشائه استقرت، وبعد حين انفجرت، فيطير الماء ويندفع، زارعاً الرعب والهلع، وهذا المسكين تحت رحمة الأمواج، وسطوة العجاج، فيكشر الموت عن أنيابه، قاطعاً بها حبل الرجاء وأسبابه، فيمسي المسكين بين مدّ الحياة، وجزر الممات، يصارع الحمام وهو يصرعه، والبحر تارة يقينه وطوراً يبلّعه.

هنا يستوقفك الشاعر ويسألك: هل تخيلت معي هذا الكرب العظيم؟ وهذا الموت الأليم؟ إنّ كلّ هذه الواقعة، ليست أكثر فاجعة، من ألم المحبين يوم جزعوا، وفي أحبابهم فجعوا.

- وائل معي قول الراجعي ثانية:

تَرَشُّفٌ مِنْ رِيْقِ السَّمَاءِ النَّدِي  
رِيْحٌ كَنَفْحِ الزَّمَنِ الْأَرْغَدِ  
مِنْ إْتِمَادِ الْحُسْنِ بِبَلَا مِرْوَدِ  
أَسْرَارُ حَادِّ الصَّارِمِ الْمُغْمَدِ  
عَلَى ابْتِسَامٍ كَانَ عَنْ مَوْعِدِ  
لَوْ لَا الْحَيَاةُ قَدْ نَالَهَا الْمُجْتَدِي  
أَطْهَرَ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ مَقْصِدِ!  
تَاللَّهِ مَا الْوَرْدَةُ قَدْ أَصْبَحَتْ  
وَاخْتَبَّتْ مَا بَيْنَ أَوْرَاقِهَا  
وَمَا الْعُيُونُ النَّجْلُ قَدْ كُحِّلَتْ  
وَأَنْبَعَثَتْ مَا بَيْنَ أَجْفَانِهَا  
وَلَا شِفَاةَ الْغَيْدِ قَدْ أَطْبَقَتْ  
وَاحْتَبَسَ الْوَجْدُ بِهَا قُبْلَةً  
مَا كُفُّ دَا مُشْبِهَهُ قَلْبِي، وَمَا

في هذه المرة أراد الشاعر أن يعظم من شأن المشبه به قبل أن يعطف عنه دائرياً، ويفضل المشبه، لكنه اختار أن يكثر من أعداد المشبه به، فوضع حفنة من المشبهات بها في كفة، ووضع المشبه في الأخير في الكفة الراجحة في ميزان التفضيل.

- واقرأ معي قول معروف الرصافي:

وَمَا أَدْمَاءُ تَرْتَعُ حَوْلَ رَوْضٍ  
وَيَرْتَعُ خَلْفَهَا رَشَاءُ رَيْبٍ<sup>1</sup>

<sup>1</sup> الأدماء: الظبية شديدة البياض. الرشأ: ولد الظبية. ريبب: ملازم لها.

فَمَا لَقَّتْ إِلَيْهِ الْجِدَّ حَتَّى  
تَخَطَّفَهُ بِأَزْمَتَيْهِ ذَيْبٌ<sup>1</sup>  
فَرَاخَتْ مِنْ تَحْرِقَتِهَا عَلَيْهِ  
بِدَاءٍ مَّا لَهَا فِيهِ طَيْبٌ  
تَشْتُمُ الْأَرْضَ تَطْلُبُ مِنْهُ رِيحًا  
وَتُنْحَبُ، وَالْبُعَامُ هُوَ النَّحِيبُ  
بِأَجْرَعٍ مِنْ فُؤَادِي يَوْمَ قَالُوا  
بِرَغْمِ مِنْكَ فَارَقَكَ الْحَيْبُ

أورى معروف الرصافي زناد قريحته، وبدأ في وصف حالة غزالة تكابد حزنا لا يحسدها عليه أحد، الغزالة ترعى في الروض، وبجانبتها وحيدها، أمين، مطمئن، وذات غفلة منها، إذا بالذئب بجانبه، والردي حشو مخالبه، فيتخطف الصغير وبه يكتفي، ويضرب في الأرض ويختفي، فتروح الأم تحت السير تشتم الأرض بحثا عنه، وتبعم بصوتها الرخيم، ولكنها تعود - يا حسرة - بقلب كليم، على فراق الولد الوحيد، والأنيس الفريد. أخيرا يترجل الشاعر من طوافه، ويرسي شراع التشبيه عند شاطئ تعظيم حال المشبه، رغم عظمة حال المشبه به.

**تدريب:** دلّ على التشبيه الاستطرادي، وشرحه مبينا الوسطة الفنية:

- قال مصطفى لطفى المنفلوطي: "مَا عَدَبَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِنَازِلَةِ الْقَضَاءِ، وَصَاعِقَةِ الْعَدَابِ، وَطَاغِيَةِ الطُّوفَانِ، وَالزَّلْزَالِ الْأَكْبَرِ، وَالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ، وَالْخَوْفِ مِنَ الْجُوعِ، وَالنَّقْصِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ، بِمِثْلِ مَا عَدَّبَهُمُ بِالْأَمَلِ الْبَاطِلِ، وَمَا لَيْلَةٌ، ضَرِيرٌ نَجْمُهَا، حَالِكٌ ظَلَامُهَا، يَبِيْتُ مِنْهَا صَاحِبُهَا عَلَى مِثْلِ قَلْبِ الطَّنْبِي خَيْفَةً، فَوْقَ أَرْضِ، تَحُومُ عُقْبَانُهَا، وَتَزَارُ سِبَاعُهَا، وَتَعْوِي ذُنَابُهَا، وَتَحْتَ سَمَاءٍ تَتَهَاوَى نُجُومُهَا، وَتَتَوَالَى رُجُومُهَا، وَتَتَرَاكُمُ غُيُومُهَا، بِأَسْوَأَ فِي نَفْسِهِ أَثْرًا مِنْ رَجَاءٍ كَاذِبٍ، يَتَرَدَّدُ بَيْنَ جَنبَيْهِ".

- وللمنفلوطي أيضا: "لَيْسَ جَمَاعَةُ الْمُنْسَوِّلِينَ الَّذِينَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ وَرَاءَ لُفْمَةٍ، أَوْ خِرْقَةٍ، يَنْفُونَ بِهَا لَفْحَةَ الرَّمْضَاءِ، وَلَيْسَ الْبُؤْسَاءُ الَّذِينَ يَحْرِقُونَ فَحْمَةَ اللَّيْلِ، بُكَاءً وَنَحِيبًا عَلَى صِعَارٍ، كَفِرَاخِ الْقَطَا، يَنْلَوُونَ فِي مَضَاجِعِهِمْ مِنَ الْجُوعِ، مِثْلَ الْأَقَاعِي الْمَضْطَرَبَةِ، فَوْقَ الرِّمَالِ الْمُتَهَبَةِ، وَتَحْتَ الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ، أَسْوَأَ حَالًا، وَلَا أُنْكَدَ عَيْشًا، وَلَا أَعْظَمَ شَقَاءً، مِنْ هَوْلَاءِ الْفُقَرَاءِ، الَّذِينَ يُسَمِّيهِمُ النَّاسُ أَغْنِيَاءً".

- قال معروف الرصافي مخاطبا أبناء وطنه:

وَمَا تَلَّةٌ<sup>2</sup> قَدْ أَهْمَلْتَهَا رُعَاتُهَا  
بِمَأْسَدَةٍ جَاعَتْ لِعَشْرِ أُسُودِهَا  
فَبَاتَتْ وَلَا رَاعٍ يُحَامِي مَرَاخَهَا  
فَرَائِسَ بَيْنَ الضَّارِيَاتِ تُبِيدُهَا  
بِأَضْيَعٍ مِنْكُمْ حَيْثُ لَا دُوَّ شَهَامَةٍ  
يَذُبُّ الرِّزَايَا عَنْكُمْ وَيَذُودُهَا

- قال إبراهيم طوقان في الغزل:

مَارُونَقُ الْفَجْرِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ  
إِذَا تَنَفَّسَ نُورًا فِي حَنَائِيهَا

<sup>1</sup> الأزمتان: النابان.  
<sup>2</sup> تلّة: بفتح التاء قطع كبير من الأغنام.

مِنَ الْأَغَارِيدِ أَحْلَاهَا وَأَشْجَاهَا  
تَفَقَّحَتْ فِي الرِّيَاضِ الْفِيحِ تَعَشَّاهَا  
فِي الْأَقْحْوَانِ وَأُمُّ الشَّهْدِ تَرَعَاهَا  
تَحْتِ النَّقَابِ وَلَا حَتَّ لِي تَنَائِيهَا

- قال إيليا أبي ماضي:

فَسَأَلَهُ قَدْرٌ نَحْوَ النَّبَاتَيْنِ  
حِينَئِذَا، وَيُسْعِدُهَا بَعْضَ الْأَحَابِيثِ  
يَا مَعْشَرَ السَّادَةِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ

فَهَبَّتِ الطَّيْرُ تَدْعُو الطَّيْرَ مُرْسِلَةً  
وَلَا السُّورُودُ كَأَمْتَالِ الْخُدُودِ وَقَدْ  
كَلًّا وَلَا قَطْرَاتِ الطَّلِّ كَأَمِنَةِ  
يَوْمًا بِأَجْمَلٍ مِنْ مَيِّ إِذَا ابْتَسَمَتْ

- وقال أبو ماضي أيضا:

فَمَا أَنْبَيْتَ زَهْرًا وَلَا أَطْلَعْتَ بَقْلًا  
إِذَا اسْتَطَعَمْتُهُ النَّفْسُ أَطْعَمَهَا الْعَذْلًا

مَا طَائِرٌ كَانَ فِي بَيْدَاءٍ مُوحِشَةٍ  
فَبَاتَ تُسْعِدُهُ فِيهَا بِلَابِلُهَا  
مِنِّي بِأَسْعَدَ حَظًّا مَدَّ نَزَلْتُ بِكُمْ

- قال حافظ إبراهيم:

وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسِبَاقِ  
وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي  
قَدْ مَازَ جَنُّهُ سَلَامَةً الْأَدْوَاقِ

فَمَا دَيْمَةٌ صَبَّتْ عَلَى الصَّخْرِ مَاءَهَا  
بِأَضْيَعٍ مِنْ بُرْدِ الشَّبَابِ عَلَى امْرِي

مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءٍ مَزَاجِهَا  
وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُؤُوسِ وَتَخْتَفِي  
بِالَّذِي مِنْ خُلُقٍ كَرِيمٍ طَاهِرِ

- وقال حافظ في الأديب والشاعر الفرنسي فكتور هوغو:

ضَاحِكَاتٍ مِنْ بُكَاءِ السُّحْبِ  
كُنُنَايَا الْغَيْدِ أَوْ كَالْحَبِّبِ  
مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ بِبِي

مَا تُغُورُ الزَّهْرِ فِي أَكْمَامِهَا  
نَظْمَ الْوَسْمِيِّ فِيهَا لَوْلُؤًا  
عِنْدَ مَنْ يَقْضِي بِأَبْهَى مَنَظَرًا

- قال الشاعر:

فَجَاءَتْ وَلِلرَّمْضَاءِ غَلِي الْمَرَاجِلِ  
عَلَيْهِ رَأْيِنَ الْمَوْتِ دُونَ الْمَنَاهِلِ  
حَشَّاهَا عَلَى سُمِّْ الْأَقَاعِي الْقَوَاتِلِ  
عَلَيْكَ وَإِنْ لَمْ أَحْظَ مِنْكَ بِطَائِلِ

وَمَا حَائِمَاتٌ تَمَّ فِي الصَّيْفِ ظَمُّهَا  
فَلَمَّا رَأَيْنَ الْمَاءَ عَذْبًا وَأَقْبَلَتْ  
فَعَادَتْ وَلَمْ تَنْقَعْ غَلِيلاً وَقَدْ طَوَتْ  
بِأَكْثَرِ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ وَلَوْ عَتِي

## بَلَاغَةُ التَّشْبِيهِ

يمتثل التشبيه الركن الأساسي في صناعة الشعر العربي عبر العصور، "وإذا كان علم البيان جوهر البلاغة العربية وميدان الإبداع في تصوير الجمال بمختلف أشكاله ووجوهه، فإن التشبيه هو الجسر الوطيد والبنيان المشيد لذلك الميدان، من دوه ينحسر الأداء التصويري الجميل، لا بل تتعثر مسيرة الأدب نحو مشارف المتعة الفنية"<sup>1</sup>.

وقد اتفق علماء البلاغة على شرف قدره، وفخامة أمره، فهو يلبس المعاني جمالا، ويزيدها كمالا، وهو ميدان فسيح، تتبارى فيه قرائح البلغاء والشعراء، والتشبيه يدلّ على خصب الخيال، وسُمُوّه، وسعته، وعمقه، كما يُظهرُ كذلك مدى القدرة على تمثيل المعاني، والتعبير عنها في صور خلّابة رائعة.

يقول الجرجاني: "إذا جاء التشبيه في أعقاب المعاني كسأها أبهه، فأكسبها منقبة، ورفَع من أقدارها، وشبَّ من نارها، وضاعف من قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكُلفا، وقسّر الطّباع على أن تعطّيها محبة وشغفا، فإن كان مدحا كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وإن كان ذمّا كان مسّه أوجع، وميسمّه أذع، ووقعه أشدّ، وحدّه أجدّ، وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهّ، وبيانه أبهر، وإن كان افتخارا كان شأنه أبعد، وشرفه أجدّ، ولسانه ألدّ، وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وإن كان عطا كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزّجر، وأجدر بأن يُرى العليل، ويشفي الغليل"<sup>2</sup>.

ولو لم يكن التشبيه سقف البلاغة، ومنتهى البيان الفني لما تفنن الشعراء في صوره وألوانه، وتنافس ذوو المواهب في طرق تناوله، والإتيان فيه بكل غريب، وبديع وطريف. "وللتشبيه الغريب في النفس وقع شاج يتغلغل إلى قرارتها، ويهز أعماق أوتارها، ويلمس مكان الطرب والاستحسان منها، لأنه هبط عليها من أفق عال، لا تستطيع أن ترتفع إليه بقوتها الذاتية، وأطل عليها من نافذة سحرية لم تكن تترقب أن تطالعه منها"<sup>3</sup>.  
وإننا لنرى من البلغاء من لا يقف عند حدّ إجادته، وإنما يتجاوز ذلك إلى الإتيان بأكثر من تشبيه في البيت الواحد.

<sup>1</sup> الدكتور ياسين الأيوبي في شرح ديوان الراجعي ص 34.

<sup>2</sup> أسرار البلاغة للجرجاني ص 93.

<sup>3</sup> فن التشبيه علي الجندي الجزء الثاني ص 160.

## الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية

**الاستعارة لغة:** هي السُّلْفَة، أي طَلَبُ الشَّيْءِ وأخذه، مَعَ رَدِّهِ مُسْتَقْبَلًا، قال إيليا أبو ماضي في هذا المعنى:

سَرَقَ التَّقَاخُ مِنْ وَجَنَّتِهَا      واسْتَعَارَ الظُّبْيُ مِنْهَا الحَوْرَا

"وإذا كانت الاستعارة بين الناس لا تكون إلا بين فئة يعرف بعضها بعضًا، فليس للمستعير أن يستعير إلا ممن له به صلة تجمعهم، أو علاقة تربطهما"<sup>1</sup>.

وقريب من معنى الاستعارة في اللغة ما أشار إليه نزار قباني بقوله: "الأول مرة نعرف معنى التعايش الفني إذا جاز لي أن أستعير هذا التعبير من قاموس السياسة".

**الاستعارة اصطلاحًا:** هي نقل اللفظ من معناه الذي عرف به، ووضع له إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل، لعلاقة المشابهة، فلو قلنا مثلاً: "تنافس فرسان القرآن على جائزة كبرى وضعتها الدولة"، فمعنى هذا أننا نقلنا لفظ الفرسان من معناه الذي عرف به، ووضع له، أي المعنى الذي وضعته العرب لكلمة "فراس" (الفروسية فوق ظهور الجياد)، إلى معنى آخر لم يعرف به من قبل، وذلك لوجود علاقة مشابهة بينهما. فكأنك قلت: "حفظت القرآن فرسان".

فالاستعارة إذن ليست إلا تشبيهاً، ولكنه تشبيه مضمراً في النفس، تشبيه نحذف أحد طرفيه (المشبه أو المشبه به)، وندعي أن أحد الطرفين هو عين الآخر.

**أركان الاستعارة:** لا بد لكل استعارة من أن تشمل على أركان ثلاثة:

1- المُسْتَعَار.

2- المُسْتَعَارُ لَهُ.

3- المُسْتَعَارُ مِنْهُ.

فلو قلت مثلاً: "أحييت براعم المدرسة حفلة يوم العلم"، كان المستعار في المثال: (براعم)، والمستعار له: (التلاميذ)، والمستعار منه: المعنى الموضوع في الأصل لكلمة البرعموم: (الزهر قبل أن يتفتح).

**أقسام الاستعارة:**

**1- الاستعارة التصريحية:**

وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به (المستعار منه)، وحذف المشبه (المستعار له)، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، ولتوضيح ذلك نذكر المثال الآتي: "شاهدت النجم في الملعب يسدد قذيفة سكنت عرين الأسد". في المثال وردت أربع استعارات تصريحية: النجم، والقذيفة، والعرين، والأسد، وكلها تشبيهات بليغة مقدرة كما يأتي: اللاعب نجم، والركلة قذيفة، والمرمى عرين، والحارس أسد، وفي كل من الاستعارات كنا نحذف المشبه، ونترك القرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي وهي (الملعب).

<sup>1</sup> علم البيان عبد العزيز عتيق ص 167.

وإليك باقة من الاستعارات التصريحية قطفتها لك من رياض شعراء عصرنا الحديث:

- قال خليل مطران:

يَا زَائِرَ الْحَسَنَاءِ فِي عِيدِهَا      إِنَّ تُهْدِ فَانظُرْ مَا الَّذِي تُهْدِي  
أَخْطَأُكَ الْحَزْمُ وَأَخْطَأْتُهُ      أَيَحْمَلُ الْوَرْدُ إِلَى الْوَرْدِ؟

استعارة حسناء، بل زهرة عطرة، لا تعثر على مثلها إلا في روضة مطران، انظر إليه كيف يشبه المرأة الحسنة بالوردة، متناسيا التشبيه، ومدعياً المطابقة بين المشبه (المرأة)، والمشبه به (الوردة)، بحذف المشبه، والتصريح بالمشبه به، وهذا هو مبعث تسميتها بالاستعارة التصريحية.

- قال محمود غنيم في وصف عرق الفلاح:

شَاهَدْتُ لَوْلُؤَةً كَالْبَرْقِ تَأْتِقُ      عَلَى جَبِينِ أَمِيرٍ سَارَ مُخْتَالًا

تأمل كيف شبه عندليب مصر في هذه التغريدة قطرة العرق على جبين الفلاح باللؤلؤة، حيث صرح بالمشبه به (اللؤلؤة)، وحذف المشبه، والقرينة (جبين)، كما شبه الفلاح البسيط بالأمير، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه.

- وقال محمود غنيم في مدح الملك فاروق تحية له عند توليه العرش:

النَّيْلُ يَحْمَلُ سِبْطَ إِسْمَاعِيلَ      أَرَأَيْتَ نَيْلًا جَاءَ يَحْمَلُ نَيْلًا؟

وردت لفظة (نيلًا) في عجز البيت مرتين: الأولى وردت بمعناها الحقيقي، والثانية ليست سوى مجاز، شبه فيه الشاعر ممدوحه بنهر النيل، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، ادعاءً منه بأن المشبه به هو عين المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

- قال مفدي زكريا في وصف عملية إعدام الشهيد أحمد زبانة بالمقصلة:

رَافِلًا فِي خَلَاحِلِ زَغَرَدَتْ تَمُّ      لَأَمِنْ لَحْنِهَا الْفَضَاءَ الْبَعِيدَا

حيث شبه الشاعر قيود الشهيد الشجاع بالخلاخل، وبما أن الشاعر قد صرح بالمشبه به (الخلاخل)، وحذف المشبه (القيود)، فإن الاستعارة بهذا الوضع تكون تصريحية.

- قال معروف الرصافي:

تَبَسَّمُ حِينَئِذَا تَمَّ تَجَهَّشُ بِالْبُكََا      فَمِنْ لَوْلُؤٍ تُبْدِي وَمِنْ لَوْلُؤٍ تَذْرِي

الشاعر وصف حالة حسناء مفجوعة في الحرب، فشبه أسنانها باللؤلؤ، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، والقرينة (تبسم)، ثم شبه دموعها كذلك باللؤلؤ، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، والقرينة (البكاء).

- قال محمود سامي البارودي في شأن من يتغزل بها:

وَتَبَسُّمُ عَن جَمَانٍ فِي عَقِيقٍ      يُقَالُ لَهُ بِحُكْمِ الدَّوْقِ تُغْرُ

حيث شبه الأسنان بالجمان: اللؤلؤ، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، كما شبه الشفتين بالعقيق: الحجر الكريم الأحمر غالباً، وصرح بالمشبه به كذلك وحذف المشبه.

- وقال محمود سامي البارودي:

عَاتَبْتُهُ لَا لِأَمْرٍ فِيهِ مَعْتَبَةٌ      عَلَيْهِ لَكِنْ لِأَرْعَى وَرَدَّةَ الْخَجَلِ  
فَأَلْبَسْتُ يَاسَمِينَ الْخَدَّ حَجَائِئُهُ      وَرَدًّا جَنِيئًا جَنَاهُ رَائِدُ الْمُقَلِّ

الشاعر شبه حُمرَةَ الخجل بالوردة في البيت الأول، حيث حذف المشبه، وصرح بالمشبه به، ثم شبه بياض الخدّ في البيت الثاني بالياسمين، وحذف المشبه كذلك، وصرح بالمشبه به، كما شبه نفسه بالرائد حين قال: (جناه رائد المقل)، والرائد هو الذي يسعى في طلب المراعي والمياه لقومه، حاذفاً المشبه، ومصرحاً بالمشبه به.

- قال أحمد شوقي في رثاء طيَّارينِ عثمانيين سقطت بهما الطائرة في مصر، فماتا:

انظُرْ إِلَى الْأَقْمَارِ كَيْفَ تَزُولُ      وَإِلَى وُجُوهِ السَّعْدِ كَيْفَ تَحُولُ  
وَإِلَى الْجِبَالِ الشُّمِّ كَيْفَ يُمِيلُهَا      عَادِي الرِّدَى بِإِشَارَةِ قَنَمِيْلُ  
وَإِلَى الرِّيَّاحِ تَخِرُّ دُونَ قَرَارِهَا      صَرَغَى عَلَيَّهِنَّ التُّرَابُ مَهِيْلُ  
وَإِلَى النَّسُورِ تَقَاصَّرَتْ أَعْمَارُهَا      وَالْعَهْدُ فِي عُمُرِ النَّسُورِ يَطْوِلُ

فشوقي يشبه الطيَّارينِ بحزمة من التشبيهاً: بالأقمار، والجبال، والرياح، والنسور، وفي كل تشبيه كانت عادةً الشاعر حذف المشبه، والتصريح بالمشبه به. ولعمري إن وفود الشعراء في العصر الحديث حين بايعوا أميرهم فقد بايعوه تحت مثل هذه الشجرة التي يثمر الغصن منها بدل الثمرة الواحدة العديد من الثمار.

- وأبلغ منه وأوجز قول شوقي:

وَبَعْضُ الْمَنَايَا تُنْزِلُ الشَّهَدَ فِي الثَّرَى      وَيَحْطُطْنَ فِي التُّرْبِ الْجِبَالِ الرَّوَاسِيَا

حيث شبه الكرام الذين أصابتهم سهام المنايا بالشهد تارة، وبالجبال تارة أخرى، وفي كلا التشبيهين صرّح الشاعر بالمشبه به، وحذف المشبه.

- قال علي الجارم في قصيدة "ذكرى الغرب":

أَلْقُوا خُدُودَ الْعَذَارَى فِي حَدَائِقِهَا      وَلَقَّبُوهَا بِأَثْمَارٍ وَأَزْهَارِ

فالشاعر بعد رحلته إلى بلاد الغرب، والتنزّه في حدائقها، يشبه ورودها وثمارها بخدود العذارى، ويصرّح بالمشبه به ويحذف المشبه كما رأيت، والقرينة (حدائقها). ثم ألا تراه يدّعي في الشطر الثاني أنّ ما رآه ليس مجرد أثمار وأزهار؟ فكأنّي بالشاعر لا يدّعي فقط أنّ المشبه هو عين المشبه به كما شرحنا ذلك في التعريف، بل يزيد على ذلك بهدف المبالغة والغلو.

وهذا ما يؤكد قوله مفتخراً بإحدى قصائده:

وَسَمَّيْنَاهُ تَضُّ لِيلاً كَلَامًا

نَظْمَنَا لَوْلُوَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا

(الاستعارة التصريحية في قوله: لَوْلُوَ الْفِرْدَوْسِ).

- قال حافظ إبراهيم مهتئا الخديوي بقدمه من الحج:

وَقَدْ يَمَّمُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْمُحَرَّمَا:

أَقُولُ وَقَدْ شَاهَدْتُ رَكْبَكَ مُشْرِقًا

يَفِيضُ جَلَالَ الْمُلْكِ وَالِدَيْنِ مِنْهُمَا

مَشَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيَا إِلَى كَعْبَةِ الْهُدَى

فَتَى الشَّرْقِ مَوْلَانَا الْأَمِيرَ الْمُعْظَمَا

وَفِي الرَّكْبِ شَمْسٌ أَنْجَبَتْ أَنْجَبَ الْوَرَى

جَوَانِيهُ بَدْرًا وَشَمْسًا وَأُنْجَمَا

فَلَمْ أَرْ أَفْقًا قَبْلَ رَكْبِكَ أَطْلَعَتْ

قافلة من الاستعارات التصريحية أوردها الشاعر في الأبيات الثلاثة الأخيرة، وهي كالآتي:

شبه ممدوحه بالكعبة في البيت الثاني، وشبه زوجة الممدوح بالشمس في البيت الثالث، وفي البيت الأخير

شبه ركب الملك بالأفق، وشبه الملك بالبدر، والزوجة بالشمس، والأمير بالنجم. وفي كل مرة كان الشاعر

يصرِّح بالمشبه به، ويحذف المشبه.

- ومن الاستعارات التصريحية الجيدة قول حافظ إبراهيم في رثاء فقيد العلم محمد عاطف بركات:

قَدْ رَمَاهَا أَعْدَاؤُهَا بِالْحَيَالِ

لَمْ تَكُنْ مِصْرُ بِالْعَقِيمِ وَلَكِنْ

قَدْ أَضَرَّ الْحَيَادَ ضَيْقُ الْمَجَالِ

أَفْسَحُوا لِلْحَيَادِ فِيهَا مَجَالًا

الشاهد في الاستعارة التصريحية في البيت الثاني.

- ومن الاستعارات التصريحية في النثر قول عبد العزيز البشري في ذكرى وفاة أحمد شوقي: "في مثل هذا

اليوم من عامين مضيا أذن مؤذن أن البلبل قد سكت بعد طول سجه وتغريده، وأن الزهر قد ذبل بعد إشراقه

وتوريده، وأن النجم قد هوى فلم يعد يتألق، وأن الغدير قد غاص، وهيهات له بعد الآن أن يترقرق".

لقد زين الكاتب كلامه بأربع استعارات تصريحية، وإليك تفصيلها:

- "البلبل قد سكت بعد طول سجه وتغريده": حيث شبه الكاتب أحمد شوقي بالبلبل، وصرِّح بالمشبه به،

وحذف المشبه، (ترشيح الاستعارة التصريحية في قوله: سجه وتغريده، سنعرض له بعد هذا الدرس).

- "الزهر قد ذبل بعد إشراقه وتوريده": حيث شبه فقيد الشعر بالزهر، وصرِّح بالمشبه به، وحذف المشبه.

- "النجم قد هوى فلم يعد يتألق": حيث شبهه بالنجم، وصرِّح بالمشبه به، وحذف المشبه.

- "الغدير قد غاص، وهيهات له بعد الآن أن يترقرق": شبهه بالغدير، وصرِّح بالمشبه به.

- وفي قصة بديعة كتبت مي زيادة عن بكاء الطفل: "سمعتُ الطفل يبكي، ورأيتُ الجمان ينحدر من عينيه

على وجنتيه الورديتين، فكانت تلك اللآلي الذائبة جمرات نارٍ تكويني".

فلو أعنت نظرك لوجدت أن الكاتبة شبهت دموع الطفل بالجمان تارة، وباللآلي تارة أخرى،

والقرينة: (عينيه) و(وجنتيه)، فالكاتبة قد صرَّحت بالمشبه به، فالاستعارة إذن تصريحية.

## 2- الاستعارة المكنية:

وهي التي حُذِفَ منها المشبه به (المُستعار منه)، ورُمِزَ إليه بما يدلُّ عليه من صفاته، ولا بدَّ فيها من ذِكرِ المشبه، وتسمى أيضا "الاستعارة بالكناية، لأن المشبه به يحذف، ويكنى عنه بلازم من لوازمه".<sup>1</sup>  
- قال خليل مطران في المديح:

حَتَّى الْهُمُومُ سَمَتْ إِلَيْكَ بِوُدِّهَا      مَنْ كَانَ يَحْسَبُ لِلْهُمُومِ قُلُوبًا؟

تأمل كيف تفنن الشاعر، وزعم أن للهموم قلوبًا تحبُّ بها، ولم تكن الهموم تُعرف بالوداد من قبل حتى جاء الشاعر وسما بجوهرها، وخلق لها عواطف كعواطف الإنسان. نقول إن الشاعر شبه الهموم بالإنسان المحب، ولكنه لم يصرح بالمشبه به، بل حذفه، وترك القرينة الدالة عليه، وهي (وُدِّها).

- قال علي الجارم مادحًا:

مَلِكُ تَعَارُ النَّيِّرَاتِ إِذَا بَدَا      أَسَمِعْتَ أَنَّ النَّيِّرَاتِ تَعَارُ؟

وَدَّتْ لَوْ اشْتَمَلَتْ بِفَضْلِ رِدَائِهِ      هَيْهَاتَ ثَوْبِ الْمَجْدِ لَيْسَ يُعَارُ

الكواكب لا تغار، وثوبُ المجد لا يُعار، ولكن الذي يُعار هو الألفاظ، كما أسلفنا في تعريف الاستعارة، فالشاعر قد شبه الكواكب بالإنسان، وحذف المشبه به (المستعار منه)، ورمز إليه بشيء من لوازمه أي بصفة من صفاته، وهي (تغار)، وبما أن المشبه به مكنون (محذوف) فاستعارة الشاعر مكنية.

- وقال علي الجارم في المديح:

مِنْ حُسْنِهِ اخْتَلَسَ الْأَصِيلُ جَمَالَهُ      وَبِشْرِهِ تَنَبَّسَ الْأَسْوَاحُ

سَفَرَتْ بِهِ الْبُشْرَى فَطَاحَ قِنَاعُهَا      عَمْدًا وَطَارَ مَعَ الْهَوَاءِ خِمَارُ

استعارة تُشرق بالبيان، شبه فيها الشاعرُ الأصيلَ - وهو الوقت ما بين العصر وغروب الشمس - باللصِّ المحترف، حاذفا المشبه به، ورامزًا إليه بشيء من لوازمه (اختلس)، كما شبه السحر - وهو ذلك الوقت الذي قبيل الصبح - بإنسان سعيد يتبسّم ضاحكًا مستبشرًا ببشاشة الملك، حاذفا كذلك المشبه به، ومشيرًا إليه بلازم من لوازمه (تتبسّم)، ثم انظر إليه كيف أبحر بعيدًا بخياله ليرسي شراع الاستعارة عند تشبيهه البشري بالمرأة الحسنة التي سقط عنها قناعها حياءً من جمال الممدوح، ليطير مع الريح حسنًا وخمارها!

- والله دَرُّهُ حين يقول:

تَمَنَّتْ نُجُومُ الْأَفْقِ رَوْعَةَ زَهْوِهِ      وَسَالِ لِشَمْسٍ أَبْصَرْتُهُ لَعَابُ

انظر إلى الشاعر كيف شبه النجوم بإنسان يعيش الأمانى، وحذف المشبه به، وأبقى على شيء من لوازمه (تمنّت)، وشبه الشمس بإنسان انتهى شيئًا ما، وحذف المشبه به، تاركًا شيئًا من خواصه (لَعَاب) على سبيل الاستعارة المكنية.

<sup>1</sup> علم البيان بسيوني عبد الفتاح فيود ص 187.

**ملحوظة:** يمكن اعتبار الاستعارة التي زينت الشطر الثاني تصريحية، وشرحها كالاتي: شبه الشاعر أشعة الشمس بالألعاب، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه.

- قال محمود سامي البارودي في وصف قلمه:

عَرِدُ إِذَا مَا جَالَ فَوْقَ صَاحِبِهِ  
سَجَدَتْ لِحُسْنِ صَرِيرِهِ الْأُوتَارُ

فالشاعر قد شبه القلم بالبلبل، ولم يصرح بالمشبه به، وإنما حذفه، ورمز إليه بلازم من لوازمه (عَرِدُ) على سبيل الاستعارة المكنية، ثم شبه الأوتار بزمرة من العباد يركعون ويسجدون، وحذف المشبه به، وترك قرينة تدل عليه، وهي (سَجَدَتْ) على سبيل الاستعارة المكنية.

- قال حافظ إبراهيم في سعد زغلول حين عودته إلى القاهرة:

هَذَا زَعِيمُ النَّيْلِ حَلَّ عَرِينَهُ  
بَعْدَ الْغِيَابِ فَيَا وَفُودُ تَدَقِّي

فالشاعر قد شبه الزعيم بالأسد، وحذف المشبه به، وأبقى على صفة من صفاته، وهي (عرينه)، ثم شبه الوفود بالسيل، وحذف كذلك المشبه به، وأبقى على قرينته، وهي (تدقي) على سبيل الاستعارة المكنية.

- وقال حافظ إبراهيم:

وَكَيْدًا طَهَاءُ الرَّأْيِ تَنْزُكُهُ  
لِلدَّهْرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهَلٍ

فالشاعر كما هو واضح شبه الرأي بالطعام، وحذف المشبه به، وأبقى على صفة تدل عليه، وهي (طهأة) على سبيل الاستعارة المكنية.

- قال الشاعر محمود غنيم:

لَا كَانَ مُخْتَرِغُ الرَّصَاصِ فَإِنَّهُ  
بَاعَ الْمُنُونَ رَخِيصَةً الْأَسْعَارِ

لاحظ كيف شبه الشاعر المنون (الموت) بالسلعة التي تباع وتشتري، وحذف المشبه به كما ترى، وأبقى على خاصية من خصائصه، وهي (باع) على سبيل الاستعارة المكنية. أما قوله: (رخيصة الأسعار) فهو ترشيح للاستعارة، ستتعرف عليه في الدرس اللاحق.

- وقال محمود غنيم في وصف الربيع:

تَبَسَّمَ الْبَحْرُ مِنْ بَعْدِ الْعُبُوسِ، فَهَلْ  
لِلْبَحْرِ أَيْضًا مَسَرَاتٌ وَأُحْزَانُ؟

ليس للبحر مسرات ولا أحزان، والتبسّم والعبوس صفتان للإنسان، فالشاعر شبه البحر بالكائن البشري، وحذف المشبه به، وأبقى القرينة (تبسم).

- وقال محمد العيد آل خليفة:

وَقَفْتُ عَلَى بَحْرِ الْجَزَائِرِ لَيْلَةً  
وَنَاجَيْتُهُ لَوْ كَانَ يَسْمَعُنِي الْبَحْرُ

فَقُلْتُ لَهُ: يَا بَحْرُ مَا لَكَ هَائِجًا  
عَلَى الْبَرِّ مُغْتَاطًا وَلَمْ يُذْنِبِ الْبَرُّ؟

البحرُ لا يسمعك يا شاعرنا الكبير، ولكنك تتاجيه كما يناجي مهمومٌ أنيساً يبثه شكواه، أو جليسا يشكوه أساه، وبما أنّ المشبه به (الأنيس) أو (الجليس) كان مكنوناً في البيت الأول كانت الاستعارة مكنية، وفي البيت الثاني شبه الشاعرُ البحرَ بالإنسان أيضاً، وعزّل المشبه به، وعفاً على صفة من صفاته (مغتاظاً)، كما شبه البرّ كذلك بالإنسان، وحذف المشبه به هو الآخر، وثبتت صفة يتّصف بها (يُذنب) على سبيل الاستعارة المكنية.

- قال مفدي زكرياء بصوت قادم من أعالي الروح:

إلَامَ تَظَلُّ تَلَسُّعُنَا الْجِرَاحَ؟      وَفِيمَ تَبَيَّيْتُ تَنْهَشُنَا الرَّمَاحَ؟

لقد شبه الشاعرُ الجراحَ بالعقارب، وحذف المشبه به، وأبقى على صفة تدلُّ عليه، وهي كلمة (تَلَسُّعُنَا)، ثم شبه الرّمّاحَ بالوحوش الكاسرة، وحذف المشبه به، وأبقى على صفة دالةً عليه، وهي كلمة (تَنْهَشُنَا)، فالاستعارتان مكنيتان.

- قالت مي زيادة: "أحبُّ عبقَ تُربةِ الجُدود، ورائحةَ الأرضِ التي دغدغها المحرّاتُ منذُ حين، أحبُّ الأشجارَ ذاتَ الظلِّ الوارف، أكانتَ محجوبةً في أحشاءِ الوادي، أم أسفرتَ مشرقاً على البحرِ البعيد، أحبُّ الطرُقَ الوعرةَ المتواريةَ في قلبِ الغاب، وتلك الملتوية على أكتافِ الجبالِ كالأفاعي البيضاء".

أسطولٌ من الاستعارات المكنية، تهزمُ به الكاتبة جيشَ العُموضِ الذي قد يكتنف الاستعارة المكنية، لقد شبهت تُربةَ الجُدود بالمسك، والقرينة: (عبق)، ثم شبهت الأرضَ بالعطر، والقرينة: (رائحة)، ثم شبهت الأرضَ كذلك بالرّضيع، والقرينة: (دغدغها)، ثم شبهت الوادي بالإنسان، أو الحيوان، والقرينة: (أحشاء)، ثم شبهت الأشجارَ بالشمس، أو البدر، والقرينة: (أسفرت)، ثم شبهت الغابة بالإنسان، والقرينة: (قلب)، وأخيراً شبهت الجبالَ بالإنسان كذلك، والقرينة: (أكتاف). وفي كلّ تلك الاستعارات كان المشبه به مغيّباً، والقرينة حاضرة.

**التدريب الأول:** تعرّف على الاستعارات التصريحية، والاستعارات المكنية في النماذج البلاغية الآتية:

- قال ميخائيل نعيمة واصفا الربيع: "(هَجَمَ الرَّبِيعُ)، بهاتين الكلمتين حيّاني أمسٍ أحدُ الجيران، وكانَتْ أجملَ تحية، فقد حاصرنا الشتاء في هذه السنة حصاراً طويلاً قاسياً، استنفدَ كلَّ ما اختزنناه من الوفود، لقد سئمَ الجميعُ روائحِ الفحمِ والدخان، وسئموا حتّى زغاريدِ النَّارِ في الحطب، وباتوا يتبرّمونَ بالأمطارِ والثلوجِ والعواصفِ تنفضُ عليهم من سماءٍ غضبي، لا يُلطفُ من غضبها شعاعُ شمس، أو بسمه قمر، أو عمرة نجمة، وأخيراً أطلت الشمسُ علينا، لتتولّى بذاتها قيادةَ الهجومِ المبارك، هجومِ الربيع، فكانَ البردُ أولَ ضحاياه، وجاءَ دورُ الثلجِ، حليفِ البردِ الأعدى والأشدّ، وها هو ذا تنهارُ عزيمته، وتتصدّعُ صوفه، ويتخننُ صدره بالجراح، ويميع قلبه، فينحدرُ من الأعالي شلالاتٍ تدفعُ شلالات، وفي انحداره من الأعالي وانديفاعه نحو البحرِ يأتيك بالعجيب من الأغاني، فكانته وهو الهاربُ من الميدانِ بعدُ الهروبِ ضرباً من البطولة، فيسمعك من الأهاريج ما لا تمّله أذنك، ولا ترتوي منه روحك".

- قال عائض القرني في إحدى مقاماته: "الجمال في الصبح إذا تنفّس، فسبحان من صوّر وتقدّس، الجمال في الصبح بطلعه الأسرّة، وإطلالته الباهرة، الجمال في الصبح وهو ينشر عباءته الذهبية على الوجود، فيكاد يكلمه من حسنه الجمود، الجمال في الصبح يوم يتوضأ الفكر في عباب نوره، ويعتسل القلب في بحر سروره، وتسرح النفس في مهرجان عرسه، وتنصت الروح لهمسِهِ وجرسِهِ. الجمال في الليل إذا عسعس، وأقبل في هُدوء يتوجّس، يُقبل الليل بردائه الأسود، وشعره المجدد، فيستُر الأحياء بئياته، ويضع الأشياء تحت جلبابه، فيملاً بجيشه المساكين، فكلُّ متحرّكٍ ساكن، والليل له هيبته في العيون، كأنه كتيبة تحمل المنون."

- قال محمد المويلحي: "نزلنا من ضواحي الإسكندرية قصراً ذا روضة غناء، في بقعة فيحاء، لا تسمع فيها إلا هديل الورقاء، إيقاعاً على هدير الماء، فإذا بلل الموج جناح النسيم، فرُفرف على ذلك الروض البسيم، نثر الماء دُرّاً على تيجان الزهر، ورفقه دُموعاً في أحداق العبير<sup>1</sup>، هناك يتمنى العاشق لو استعار هذي الدُموع لمحاجرته، فيستلين بها قلب شاجيه وهاجرته، وتودّ الغانية لو نظمت من ذلك الدرّ عقداً لنحرها، أو نطقاً لخصرها."

- قال جبران خليل جبران: "الشاعر أبو اللّعة وأمهّا، تسير حينما يسير، وتربض أينما يربض، وإذا ما قضى جلست على قبره باكيةً منتحبة، حتى يمرّ بها شاعرٌ آخر، ويأخذ بيدها، وإذا كان الشاعر أب اللّعة وأمهّا، فالمقلّد ناسجٌ كفنها، وحقارٌ قبرها."

- كتب المنفلوطي قائلاً: "إذا انقضى النهار، وأوت الشمس إلى خدرها، صعد الأولاد إلى صحرة عظيمة، تُشرف على ذلك الوادي جميعه، فإذا ألقوا بأنظارهم، خيل إليهم أنهم بين سماءين متقابلتين: سماءٍ تُنبئ الكواكب والنجوم، وأخرى تُنبئ الأزهار والأشجار، أو بين روضتين متراميتين، تتألق في أحدهما الزنايق البيضاء على ديباجة زرقاء، وفي أحرهما الورود الحمراء على قطيفة خضراء."

- قال توفيق الحكيم: "في الشباب يورق الخيال والشعور والعاطفة، وفي الكهولة يورق العقل والحكمة والتجارب."

### التدريب الثاني: حدّد نوع الاستعارة في النماذج الآتية:

- قال محمود غنيم يصف البحر، والغيد الحسان على شاطئه:

أيسكن الدرّ والمرجان شاطئه؟	أم في قراراته درّ ومرجان؟
لا أرهب البحر والغيد الحسان به	فإن غضبته عطف وتحنان
ولا أهاب هدير البحر إن سبحت	فيه المهّا، فهو تطريب وأحان
عجبت للبحر، قد فاض العباب به	لكنه لرضاب الغيد ظمآن

- وله في الحكمة:

<sup>1</sup> العبير: النرجس.

تَنْفِي الْحَصَى يَدُهُ وَالذَّرَّ تَبْقِيهِ

مِنْ بَنَاتِ الْفِكْرِ حُورًا أَرْبَعَهُ

وَبِهَذَا قَدْ نَشَأْتُ وَأَشْنَدْتُ عُودِي

لَا الْبُحْثُورِي هُنَا وَلَا زُرِّيَابُ

أَخْشَى عَلَى الْبَلُورِ أَنْ يَتَوَجَّعَا

كَيْفَ تَبْكِي شَوَاطِي الْمَرْجَانِ

وَبَسْمَةِ الثَّغْرِ مِنْهَا الضَّوُّ يَحْتَشِمُ

فِي حَضْرَةِ الْكَتِفِ السَّعِيدِ الْأَيْسَرِ

- إِنَّ أَنْتَ خَيْرٌ - أَنْ تَكُونَا؟

يَا لَيْتَ لِي هَذِهِ الْعُيُونَا

وَمَ، وَأَتْرَعْتُ كَأَيْبِي وَصُغْتُ الشَّوَادِي

وَعَرَزْتُ فِي شَعْرِ الضَّيَاءِ أَنْامِلِي

سَوَى صَوْتِ عِرْقٍ نَابِضٍ بِحَشَاهَا

فَالْمَجْدُ بَالِكِ وَالْعُلَا تَتَأَقَّفُ

وَنَأْكُلُ الْحَدْسَ فَلَا نَشْبَعُ

قُلْ مَا نَشَاءُ، فَإِنَّ الدَّهْرَ يُنْقِذُهُ

- وقال في رثاء عباس محمود العقاد صاحب العبقريات:

طَلَّقَ الدُّنْيَا ثَلَاثًا، وَأَصْطَفَى

- وقال محمود غنيم يصف تأثره بشعر البحتري:

رَوْضَةُ الْبُحْثُورِيِّ مَنَبَتُ رِيثِي

- قال نزار قباني:

لَمْ يَبْقَ فِي دَارِ الْبَلَابِلِ بُلْبُلٌ

- وقال نزار قباني:

لَا تُنْعِبِي يَدَكَ الرَّقِيقَةَ إِنِّي

- وقال نزار:

إِرْمِ نَظَارَتَيْكَ كَمَا كَيْ أَمَلِي

- قال شاعر الجزائر محمد جربوعة في قصيدة "قنديل بني هاشم":

هَذَا النَّبِيُّ. اخْضِرَارُ الْأَرْضِ نَظَرْتُهُ

- وقال في الغزل:

يَمْنِيَّةٌ كَأَنْتِ تَمَشُّ طَهْرَهَا

- قال خليل مطران:

لَوْ قِيلَ لِلْحُسْنِ كَيْفَ تَهْوَى

لَقَالَ فِي بَدْءِ كُلِّ شَيْءٍ:

- قال مفدي زكريا:

لِأَجْلِ بِلَادِي عَصَرْتُ النُّجُ

- قال محمود درويش:

أَغْمَدْتُ فِي لَحْمِ الظَّلَامِ هَزِيمَتِي

- قال معروف الرصافي في وصف الساعة:

وَحَرْسَاءٌ لَمْ يَنْطِقْ بِحَرْفٍ لِسَانُهَا

- وقال معروف الرصافي:

إِنْ لَمْ نُضَاكِ بِالسُّيُوفِ خُصُومَنَا

- وقال الرصافي:

كَمْ نَشْرَبُ الظَّنَّ فَلَا نَرْتَوِي

- قال علي الجارم في وصف قصيدته:

وَفِي عُقُودٍ مِّنَ الْفُصْحَى نَظْمَانَاهَا

لَقَدْ قَطَفْنَا لَكَ الْأَزْهَارَ بِاسِمَةٍ

- وقال الجارم:

سُرٌّ وَتَنْفِي عَنِ مُقَلَّتَيْهِ الرُّقُودَا

يُنْصِتُ اللَّيْلُ حِينَ تُنْشِدُ يَا شِعْ

- قال شاعر المهجر رشيد أيوب:

عَرَائِسَ أَبْكَارٍ بَرَزْنَ مِنَ الْخِذْرِ

أَصْوَعُ الْقَوَافِي حَالِيَاتٍ نُحُورُهَا

تَسَاقَطَتْ مِنْهَا الدُّرُّ فِي رَوْضَةِ الشُّعْرِ

إِذَا مَا نَسِيْمُ الشُّوقِ هَزَّ قَرِيحَتِي

- وقال رشيد أيوب:

فِي أَنْتَقِي مِنْهُ الْجَمَانَ

وَسَبَحْتُ فِي بَحْرِ الْقَوَا

فَاقْتِ عَالِي الْغَيْدِ الْحِسَانَ

أَصْطَاذُ كُلِّ خَرِيْدَةٍ

- قال الشاعر القروي بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة المتنبي:

يَعِيْبُ عَلَيْهَا الشَّدُوْ بُومٌ وَغَرَبَانُ

تُحْيِيكَ يَا نَسْرَ الْقَرِيضِ بِلَابِلُ

أَزَاهِيْرٌ مِنْ تَعْرِيدِهِنَّ وَأَفْنَانُ

إِذَا أَنْتَ أَرْقَصْتَ النُّجُومَ تَرْتَحَتْ

- قال إيليا أبو ماضي:

وَأَعَشَقْتُ تَرْتَرَةَ السَّافِيَاتِ

أَجِبُّ الزَّهْوَرَ، وَأَهْوَى الطِّيُورَ

وَضِحْكَ الْجَدَاوِلِ وَالْقَهْقَهَاتِ

وَرَقْصَ الْأَشْيَعَةِ فَوْقَ الرُّوَابِي

- قال مصطفى صادق الرافعي في مقدم الربيع، وذهاب الشتاء:

لَمَّا مَضَتْ أَشْهُرُ الرِّضَاعِ

أَصْبَحَ نَبَتْ الرُّبَى فَطِيْمَا

- قال سليمان الصولة:

قَدِمَ وَلَا جَبَلًا بَظْهَرِ حِصَانِ

لَمْ أَلْقَ بَدْرًا قَبْلَهُ يَمْشِي عَلَى

- قال حافظ إبراهيم في رثاء الشيخ محمد عبده:

لَأَنْتِ عَلَيْنَا أَشْأَمُ السَّنَوَاتِ

فِيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعْشِهِ

وَأَذُوَيْتِ رَوْضًا نَاضِرَ الزَّهْرَاتِ

حَطَمْتَ لَنَا سَيْفًا وَعَطَلْتَ مِنْبَرًا

عَلَى جَمَرَاتِ الْحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ

وَأَطْفَاتِ نَبْرَاسَا وَأَشْعَلْتَ أَنْفُسَا

- وقال حافظ إبراهيم:

فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَتَأَلَّمَا

فِيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعُ إِذَا عَضَّكَ الْأَسَى

فَلَا سَيْلُ دَمْعٍ تَسْكُبِيْنَ وَلَا دَمَا

وَيَا عَيْنُ قَدْ أَنْ الْجُمُودُ لِمَدْمَعِي

## الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة

### 1) الاستعارة المرشحة:

إِذَا أَتَى الْأَدِيبُ - بِالِإِضَافَةِ إِلَى الْقَرِينَةِ - بِمَا يُلَائِمُ الْمُشَبَّهَ بِهِ مِنْ كَلِمَاتٍ، أَوْ عِبَارَاتٍ، أَوْ أَوْصَافٍ، نُسِمِي تِلْكَ الْإِسْتِعَارَةَ مُرَشَّحَةً، "وَسُمِّيَتْ مُرَشَّحَةً لِأَنَّ مَا اقْتَرَنَ بِهَا يُعْطِيهَا زِيَادَةً تَقْوِيَةً لِلْمُسْتَعَارِ مِنْهُ بِزِيَادَةِ أَغْطِيَةٍ، تَحْتَاجُ زِيَادَةَ عَمَلٍ ذِهْنِيٍّ، لِكَشْفِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْمَجَازِيَّةِ، الَّتِي اسْتُعْمِلَ اللَّفْظُ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ"<sup>1</sup>.

وسنركز في درسنا هذا على الاستعارة المرشحة، لِمَا لَهَا مِنْ سِحْرٍ وَجَمَالٍ، وَبَيَانٍ وَكَمَالٍ، وَسَأَنْقِلُ لَكَ شَهَادَةَ الزَمَخْشَرِيِّ فِي شَأْنِهَا، يَقُولُ: "هَذَا مِنَ الصِّفَةِ الْبَدِيعَةِ، الَّتِي تَبْلُغُ بِالْمَجَازِ (الاستعارة) الذَّرْوَةَ الْعُلْيَا، وَهُوَ أَنْ تُسَاقَ كَلِمَةٌ مَسَاقَ الْمَجَازِ، ثُمَّ تُقْفَى بِأَشْكَالٍ لَهَا وَأَخَوَاتٍ، إِذَا تَلَاخَقْنَ لَمْ تَرَ كَلَامًا أَحْسَنَ مِنْهُ دِيْبَاجَةً، وَأَكْثَرَ مَاءً وَرَوْقًا، وَهُوَ الْمَجَازُ الْمُرَشَّحُ".

وإليك طائفة من نماذجها البليغة:

- قال مفدي زكريا في وصف جمال الجزائر:

بِإِلَادٍ تَمَّازِحُ عُشَّاقَهَا      وَتَمْنَعُ عَنْهُمْ لَذِيذَ الْوِصَالِ

شبه الشاعرُ الجزائرَ بالمرأةِ الحسنةِ، وحذف المشبه به، وأبقى على قرينته (تمازح عشاقها)، ثم أتى بعبارة (وتمنع عنهم لذيق الوصال)، وهي عبارة تلائم المشبه به المحذوف، أي تلائم المرأة الحسنة، وليس ذلك إلا ادعاءً منه بأنَّ الجزائرَ حسنةٌ حقيقيَّةٌ، فما يدعيه الشاعرُ ليس تشبيهاً أو مجازاً، بل هو الحقيقة بعينها.

- قال بشارة الخوري مخاطباً فلسطين:

نَحْنُ يَا أَحْتُ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي      قَدْ رَضَعْنَاهُ مِنَ الْمَهْدِ كِلَانَا

شبه الشاعرُ العهدَ باللبن، وحذف المشبه به، وترك قرينته (رضعناه)، ثم أتى بلفظ (المهد)، وهو لفظ يلائم المشبه به، وهذا اللفظ وظيفته تقوية دعوى الشاعر بأنَّ العهدَ لبناً حقيقياً، لا محضَ مجاز. وبذلك تكون استعارة الشاعر مكنية مرشحة.

- قال إبراهيم ناجي:

فَسَمًا قَدْ غَفَا الْجَلَالَ لِيَصْحُو      مِنْ جَدِيدٍ فِي وَجْهِكَ الْوَضَاءِ

شبه الشاعرُ الجلالَ بالإنسان مثلاً، وحذف المشبه به على سُنَّةِ الاستعارة المكنية، والقرينة (غفا)، ثم ذكر لفظاً يلائم المشبه به المحذوف، وهو لفظ (ليصحو)، على سبيل الاستعارة المكنية المرشحة.

- قال الشاعر القروي في وصف سفينة (تيتانيك):

عِنْدَمَا سُلْطَانَةُ الْبَحْرِ سَرَتْ      لَيْلَةً تَرَاهُ بِأَبْهَى الْحُلِّ

<sup>1</sup> البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمان حسن الميداني ص 253.

فالشاعر قد شبه السفينة بالسلطنة، وصرّح بالمشبه به، وحذف المشبه، والقرينة (البحر)، على سبيل الاستعارة التصريحية، غير أنه لم يضيف عبارة (أبهى الحل)، وهي عبارة تلائم المشبه به أي السلطنة، إلا ليزيد ذلك من تناسي المعنى الأصلي، وإيهام أن هذا الادعاء المجازي إنما هو حقيقة لا محض تشبيهه.

- قال محمود غنيم متحدثاً عن أبنائه:

لِيَنْتَبِي أَسْقِيَهُمْ تَجَارِبَ عُمُرِي فِي إِنْءٍ، وَأَيَّنَ هَذَا الْإِنْءُ؟

الشاعر شبه تجارب العمر بالماء، وحذف المشبه به كما هو واضح، وترك قرينته (أسقيهم)، نقول إن هذه الاستعارة المكنية قد استوفت قرينتها، فلماذا ذكر الشاعر عبارة (في إنء)؟ إنها عبارة تلائم المشبه به المحذوف، وتعزز حقيقته، فلولا أنّ الشاعر كان قصده نسيان التشبيه وإنكاره لما كانت لهذه الإضافة أي معنى.

- وقال محمود غنيم:

شَرَفُ الْعُرُوبَةِ بَاتَ وَهُوَ مُلَوْتُ بِالْعَارِ، لَا تَلْبَسُهُ حَتَّى يَطْهُرَا

شبه الشاعر الشرف بالثوب، وحذف المشبه به وترك القرينة (ملوث)، ثم ماذا صنع الشاعر؟ أضاف عبارة (لا تلبسه حتى يطهرا)، وهي عبارة تقوي دعوى الشاعر بأن الشرف ثوبٌ حقيقي، لا مجرد مجاز.

- قال نزار قباني في معرض حديثه عن القومية: "قَبْلَ سَنَوَاتٍ قَلِيلَةٍ كَانَ الْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ فِي غَيْبُوبَةٍ جُزْئِيَّةٍ، وَكَانَ الشَّلْلُ نَصْفِيًّا، أَمَا الْآنَ فَإِنَّ الْجَسَدَ الْعَرَبِيَّ فَقَدْ حَسَّاسِيَّةً قَوْمِيَّةً نِهَائِيًّا، فَهُوَ لَا يُحْسُ بِآلَافِ الْمَسَامِيرِ الَّتِي تُغْرَزُ فِيهِ، وَلَا بِآلَافِ السَّكَاكِينِ الَّتِي تَعْمَلُ فِيهِ بِنْرًا وَقَطْعًا".

شبه نزار قباني العالم العربيّ بشخصٍ مريض، ينام منذ سنوات في غرفة الإنعاش، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه (في غيبوبة)، وهو قرينة الاستعارة المكنية، ثم ذكر ما يلائم تلك الحالة المرضية من قبيل: الشلل النصفِي، وفقدان الحساسية بالجسد، والبتير، والقطع، وتلك عبارات من قاموس الطب، تلائم الشخص الذي يرقد على سرير المرض، أي تلائم المشبه به، كل تلك العبارات التي رشح بها الاستعارة كان هدفُ الشاعر من ورائها تقوية علاقة المشابهة بين العالم العربي، والشخص المغيب الوعي، والادعاء بأن المشبه هو عين المشبه به.

- قال مصطفى لطفى المنفلوطي: "أَيُّهَا الْمُجْرِمُ الْفَاتِكُ الَّذِي يَسْلُبُ الْأَجْسَامَ أَرْوَاحَهَا، إِنَّ شَرِيكَكَ فِي الْجَرِيْمَةِ أَبُوكَ، فَهُوَ الَّذِي عَرَسَ الْجَرِيْمَةَ فِي نَفْسِكَ، وَتَعَهَّدَهَا بِالسُّقْيَا، حَتَّى أَيْنَعْتُ، وَنَمْتُ، وَأَثْمَرْتُ".

إنّ الكاتب قد شبه الجريمة بالنبتة الصغيرة أو الفسيلة، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهي (غرس) على سبيل الاستعارة المكنية، فالاستعارة قد استوفت كما رأيت قرينتها، لكن الشاعر لم يكتف بذكر قرينة المشبه به، بل ذكر كلمات تلائم المشبه به المحذوف، وهي: (السقيا)، (أينعت)، (نمت)، (أثمرت). نقول إنّ الكاتب قد قوى الاستعارة بالترشيع، فالاستعارة التي بين يديك هي استعارة مكنية مرشحة.

- قال علي الجارم:

بَسَمَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَأَشْرَقَ وَجْهَهَا      مِنْ بَعْدِ مَا عَبَسَتْ لِطَوْلِ نَوَاجِهَا

فالشاعر شبه الدنيا بالإنسان، وقد استوفت هذه الاستعارة قرينتها، وهي في قوله (بسمت)، ثم قرن استعارته المكنية بما يلائم المشبه به (أشرق وجهها)، (عبست)، (نواجها) تقويةً لادعاء اتحاد الطرفين.  
- وقال علي الجارم:

قَدْ غَرَسْتَ الْوَلَاءَ فِي كُلِّ قَلْبٍ      فَتَقَيَّأُ فِي ظَأْهِ مَمْدُودًا

حيث شبه الولاء بالشجرة، وحذف المشبه به، وترك القرينة (غرست)، على سبيل الاستعارة المكنية، ثم ذكر ما يلائم المشبه به في عجز البيت.

- قال حافظ إبراهيم في وصف الأسطول العثماني:

مَلَكُوا الْبَرَّ فَلَمَّا لَمْ يَسْغِ      مَجْدُهُمْ نَالُوا مِنَ الْبَحْرِ الْمَرَامَا  
بِحَوَارٍ مُنْشَأَتٍ كَالدُّمَى      أَيُّنَمَا سَارَتْ صَبَا الْبَحْرِ وَهَامَا  
كُلَّمَا أَوْفَقَتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ      سَجَدَ الْمَوْجُ خُشُوعًا وَاحْتِشَامَا

في البيت الثاني شبه الشاعر البحر بالعاشق، والقرينة (صبا)، على سبيل الاستعارة المكنية، ثم رشح تلك الاستعارة بذكر ما يلائم المشبه به، وهي كلمة (هأم)، وفي البيت الثالث شبه الموج بالإنسان المقيم الصلاة، وأضاف إلى جانب القرينة (سجد) ما يلائم المشبه به المحذوف (خشوعًا واحتشامًا).

- وله أيضا مهنتا ممدوحه بشفائه من مرض ألم به:

لَبِسْتَ الشُّفَا تَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا      فَأَلْبَسْتَنَا تَوْبًا مِنَ الْعِزِّ نَرْضَاهُ  
وَكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَخْفُقُ قَلْبُهُ      فَلَمَّا شَفَاكَ اللهُ أَهْدَأَتْ أَحْشَاهُ

الشاهد في الترشيح: (أهدأت أحشاه).

- وقال حافظ مادحا:

جَاءَ وَالْأَحْلَامُ فِي أَصْفَادِهَا      مَا لَهَا فِي سِجْنِهَا مِنْ مَذْهَبٍ  
طَبَعَ الظُّلْمُ عَلَى أَقْفَالِهَا      بِأَظْهَاهُ خَاتَمًا مِنْ رَهَبٍ

الشاهد في الترشيح: (سجنها)، و(أقفالها)

- قال محمد العيد آل خليفة في وصف مدينة الجزائر:

الْبَرُّ وَالْبَحْرُ فِي أَكْنَافِهَا اعْتَنَقَا      وَوَصَلَا قُبْلًا فِيهَا فَمَّا بِفَمٍ

فالشاعر قد شبه البر والبحر بالإنسان، على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (اعتنقا)، لكنه رشح استعارته حين صبغ عجز البيت كاملا بما يلائم المشبه به (وواصلا قبلا فيها فما بفم).

- قال إيليا أبو ماضي بعد زوال الدولة العثمانية:

وَاسْتَأْسَدُوا لَمَّا رَأَوْا لَيْثَ الشَّرَى      عَافَ الرَّئِيسَ وَقَلَّمَ الْأَطْفَارَا

فالشاعر شبه الدولة العثمانية بالأسد، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، فالاستعارة تصريحية، ثم ذكر ما يلائم المشبه به أي الليث، وهي عبارة: (عاف الزبير، وقلم الأظفار). فالاستعارة تصريحية مرشحة.

## (2) الاستعارة المجردة:

وهي أن يأتي الكاتب، أو الشاعر بعبارة، أو أوصافٍ تُلائمُ المُشَبَّه، أي "هي التي اقترنت بما يُلائمُ المُستَعَارَ له، وذلك بعد استيفاء القرينة".<sup>1</sup>، مثل قولنا: "رأيتُ الأسدَ في المعركةِ يُبيدُ الأعداءَ برشاشه، ويُفجّرُ الدباباتِ بقنابله". فقد شبهنا الجندي بالأسد، وصرحنا بالمشبه به، وحذفنا المشبه، والقرينة (وسط المعركة)، ثم ذكرنا عبارتين: (يبيد الأعداء برشاشه)، و(يفجّر الدبابات بقنابله)، وهما عبارتان تلائمان المشبه (الجندي)، وذلك إضعافاً لعلاقة المشابهة بين الطرفين، وكما نذكر أنّ الأمر لا يخرج عن دائرة المجاز، فالاستعارة إذن تصريحية مجردة.

ومن أمثلتها في الشعر قول خليل مطران في الرثاء:

وَمَشَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ طُودًا      حَمَاتُهُ أَيُّدٍ عَلَى أَعْوَادٍ

شبه الشاعر مرثيته بالطود، وصرح بالمشبه به، على سبيل الاستعارة التصريحية، لكنه عاد وأتى بعبارة (حملته أيدي على أعواد)، وهي عبارة تلائم الإنسان الميت، أي تلائم المشبه، وهي العبارة التي أدت إلى إضعاف علاقة المشابهة بين طرفي التشبيه.

ومن أمثلتها في الاستعارة المكنية قول البارودي:

هَلِ اكْتَحَلْتُ عَيْنَايَ إِلَّا بِمَدْمَعٍ      إِذَا ذَكَرْتُكَ النَّفْسُ سَالَتْ عَلَى خَدِّي؟

حيث شبه الشاعر دموعه بالكحل، والقرينة (اكتحلت)، ثم ذكر عبارة (سال على خدي)، وهي عبارة تلائم الدموع، أي تلائم المشبه لا المشبه به، وبذلك تكون الاستعارة مكنية مجردة. ولقد سُميت هذه الاستعارة بالمجردة لتجريدها من المبالغة، والتجريد كما قال البلاغيون يُنزل الاستعارة إلى مستوى التشبيه، ويُضعف ادعاء التطابق، أو الاتحاد بين المشبه، والمشبه به.

## (3) الاستعارة المطلقة:

وهي التي تخلو مما يُلائمُ المُشَبَّه، أو المُشَبَّه به، أي "التي لم تقترن بما يُلائمُ المُستَعَارَ له، ولا المُستَعَارَ منه".<sup>2</sup> قال الله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾<sup>3</sup>. فالله قد شبه القرآن الكريم بإنسان، والقرينة (ينطق)، ولكن هذه الاستعارة خلت مما يلائم المشبه، وخلت كذلك مما يلائم المشبه به، ومنها قول مفدي زكريا عن حبيته الجزائر:

وَيَا مَنْ سَكَبْتَ الْجَمَالَ بِرُوجِي      وَيَا مَنْ أَشَعْتَ الضَّيَاءَ بِدَرْبِي

<sup>1</sup> علم البيان المرجع السابق ص 207.

<sup>2</sup> علم البيان المرجع السابق ص 206.

<sup>3</sup> المؤمنون 62.

هذا هو النوع الأول من الاستعارة المطلقة، وهو النوع الذي تخلو فيه الاستعارة من ملائمت المشبه، أو المشبه به.

أما النوع الثاني من الاستعارة المطلقة فهي تلك التي تجمع بين ما يلائم المشبه به، وما يلائم المشبه، بعبارة أخرى هي التي تجمع بين الترشيح، والتجريد. بهذا الاجتماع يقول علماء البيان: إن ما يلائم المشبه (التجريد)، وما يلائم المشبه به (الترشيح) قد تعادلا، لذلك يتساقتان، فنقول إنها مطلقة، لا مجردة، ولا مرشحة.

ومثالها في الشعر قول حافظ إبراهيم في تهنئة الخديوي عباس بالعيد:

أزفُ فيه إلی العَبَّاسِ غَانِيَةً      عَفِيفَةً الْخِدرِ مِنْ آيَاتِ عَدْنَانِ

لقد شبه الشاعر قصيدته بالغانية، وصرح بالمشبه به، ثم ذكر ما يلائم المشبه به، وهي عبارة (عفيفة الخدر)، وهذا ما نسميه ترشيحا، ثم لم يكتف بذلك، فأتى بما يلائم المشبه، وهي عبارة (آيات عدنان)، وذلك ما نسميه تجريدا، ومنه تكون استعارة الشاعر تصريحية مطلقة.

ومثالها في النثر قول مصطفى لطفى المنفلوطي: "ما لهؤلاء النظاميين لا يهدؤون ساعة واحدة عن تصديع رؤوسنا، وتمزيق أفئدتنا بهذه الصواعق التي يُمطرونها علينا كل يوم من سماء الصحف".

فالكاتب كما رأيت قد شبه قصائد هؤلاء النظاميين بالصواعق، وصرح بالمشبه به، وحذف المشبه، ثم ذكر ما يلائم المشبه به، وهي كلمة (يمطرونها)، وهذا ما نسميه ترشيحا، كما ذكر ما يلائم المشبه، وهي كلمة (الصحف)، وهذا ما نسميه تجريدا، وبالتالي فالاستعارة مطلقة، لا مرشحة ولا مجردة.

نستنتج في الأخير أن الترشيح أبلغ من التجريد والإطلاق، والاستعارة المرشحة تمثل الإفراط في المبالغة، بينما المجردة تمثل التفريط في المبالغة، والمطلقة قد أمسكت بعضا الاستعارة من وسطها.

**تدريب:** تعرّف على الاستعارة المرشحة، والمجردة، والمطلقة:

- قال محمد المويحي إمام السجع في العصر الحديث يصف ليلة: "سمعتُ صديقي يُناديني نداءً مُتتالياً، ففُمتُ إليه مُسرِعاً ومُلبِياً، وطلبَ مِنِّي أن نُحِيَّ اللَّيْلَةَ بِالسَّمَرِ، وأنْ أَقْتُلَهَا مَعَهُ بِالسَّهَرِ، فَجَلَسْنَا نَتَبَادَلُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ، مِنْ قَدِيمٍ فِي الزَّمَنِ وَحَدِيثِ، إِلَى أَنْ صَارَتِ اللَّيْلَةُ فِي أُخْرِيَاتِ الشَّبَابِ، فَاسْتَهَانَتْ بِالْإِزَارِ وَالنَّقَابِ، ثُمَّ دَبَّ الْمَشِيبُ فِي قَوْدِهَا<sup>1</sup>، وَبَانَ أَنْرُ النَّيَاضِ فِي جِلْدِهَا، فَزَرَعَتْ مِنْ صَدْرِهَا كُلَّ مَنثورٍ وَمُنظومٍ، مِنْ دُررِ الْكَوَاكِبِ وَوَالِيِ النُّجُومِ، وَأَلْقَتْ بِالْفَرْقَدَيْنِ مِنْ أَدْنِيهَا، وَخَلَعَتْ خَوَاتِيمَ الثُّرَيَّا مِنْ يَدَيْهَا، ثُمَّ إِنَّهَا مَزَقَتْ جِلْبَابَهَا، وَهَنَكَتْ حِجَابَهَا، وَبَرَزَتْ لِلنَّاطِرِينَ تَرْتَعُدُ مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَا الْجُوزَاءِ، تُرَدِّدُ آخِرَ أَنْفَاسِ الْبَقَاءِ، فَسَتَرَهَا الْفَجْرُ بِمَلَأَتِهِ الزَّرْقَاءِ، وَدَرَجَهَا الصُّبْحُ فِي أُرْدِيَّتِهِ الْبَيْضَاءِ، ثُمَّ قَبَرَهَا فِي جَوْفِ الْفَضَاءِ، وَقَامَتْ عَلَيْهَا بَنَاتُ الْهَدِيلِ، نَائِحَةً بِالتَّسْجِيعِ وَالتَّرْتِيلِ، ثُمَّ انْقَلَبَ الْمَاءُ فِي الْحَالِ عُرْسَ اجْتِلَاءِ، وَتَغَيَّرَ النَّحِيبُ بِالْغِنَاءِ، لِإِشْرَاقِ عُرُوسِ النَّهَارِ، وَإِسْفَارِ مَلِيكَةِ الْبُودْرِ وَالْأَقْمَارِ."

<sup>1</sup> الفود: جانب الرأس مما يلي الأذن.

- قال جبران خليل جبران: "أحبُّ الذي يشتغلُ بفكره، فيبتدعُ من الترابِ صورًا حيَّةً جميلةً نافعةً، وأحبُّ ذلك الذي يجدُ في حديقةٍ ورثها عن أبيه شجرةً تُفاحٍ واحدةً، فيغرسُ إلى جانبها شجرةً ثانيةً، وذلك الذي يشتري كرمًا تثمرُ قنطارًا من العنب، فيعطفُ عليها ويدللُّها، لئعطِي قنطارين، أحبُّ الذي يحوِّكُ من القطنِ قميصًا، ومن الصوفِ جبَّةً، ومن الحريرِ رداءً، وأحبُّ الحدادَ الذي ما أنزلَ مطرقتَه على سندانِه إلا أنزلَ معها قطرةً من عرقه، وأحبُّ الخياطَ الذي يخبِطُ الأثوابَ بأسلاكٍ مُشْتَبِكَةٍ بأسلاكٍ من نورِ عينيه، وأحبُّ النجارَ الذي لا يدقُّ المسمارَ إلا إذا دَفَنَ معه شيئًا من عِزيمته."

- قال نزار قباني معلقًا على غضبه في قصيدته "هوامش على دفتر النكسة": هل كان عليّ يا تُرى أن أنتظر أنحسارَ مياهِ الطوفانِ حتَّى أكتبَ عن الطوفانِ؟ وبالتالي هل كان عليّ الأدبِ العربيّ أن يضعَ أعصابه في ثلاجةٍ حتَّى ترحلَ العاصفةُ؟".

- وقال أيضا: "أنا من أمةٍ تتنفسُ الشعرَ، وتتمشطُ به، وترتديه".

- قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة في قصيدة "لقطات تقول يا الله":

من أسألَ الزَّهرَ في قارورةِ العِطْرِ  
فَقَالَتْ

لِمُصَلِّ دَاهِبٍ لِلْعَصْرِ:

يَا هَذَا تَعَطَّرَ مِنْ شِفَاهِي

ثُمَّ رُدَّ - مِنْ فَضْلِكَ فَوْقِي

قَبْلَ أَنْ تَمْضِيَ - الْغِطَاءُ؟"

- قال نزار قباني في قصيدة بعنوان "اعتذار لأبي تمام":

فَقُلْ لِي أَيُّهَا الشَّاعِرُ:

لماذا شعرنا العربيُّ قد يبست مفاصله

من التكرار واصفرَّت سنابله؟

وقل لي أيها الشاعر:

لماذا الشعرُ حينَ يشيخُ

لا يستلُّ سكينًا .. وينتحرُّ؟

- قال علي الجارم في وصف الحبيب محمد:

وَنَافَسَتْ الأَرْضُ السَّمَاءَ بِكُوكَبِ

لَهُ الحَقُّ والإيمانُ باللهِ هَالَةٌ

وَضِيءِ المُحَيَّا مَا حَوَّثَهُ سَمَاءُ

وَفِي كُلِّ أَجْوَاءِ العُقُولِ فَضَاءُ

- وقال مادحا:

وَاهْتَزَّ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهِ الْمُنْبَرُ  
خَفَرًا وَيَزْهُوَهَا الْجَمَالَ فَنُسْفِرُ

فَلَكُمْ تَمَنَّى الدَّيْنُ طَالَعِ صُبْحِهِ  
تَمَشِي الْمَنَى فِيهِ تَجْرُ خِمَارَهَا

- قال مفدي زكريا:

فَاسْتَبْشِرُوا وَأَسْرِعُوا، فَالْبَيْعُ مَحْدُودُ  
فِي مَصْرِفِ اللَّهِ، لَا فِي (الْبَنْكِ) مَرْصُودُ

مَنْ يَشْتَرِي الْخُلْدَ؟ إِنَّ اللَّهَ بَائِعُهُ  
وَالرِّيحُ يَا نَاسُ مَضْمُونٌ وَمُدَّخَرُ

- وقال مفدي بمناسبة ليلة الأول من شهر نوفمبر (ليلة اندلاع الثورة الجزائرية):

وَأَلْقَى السَّيَّارَ عَلَى أَلْفِ شَهْرٍ

تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَأْتِيَ قَدْرُ

- ولمفدي زكريا بمناسبة انتصار الثورة الجزائرية:

وَالنَّصْرَ رُحْنَا نَسُوقُ السَّافِينَا

سَبَحْنَا عَلَى لَجَجِ مِنْ دِمَائِنَا

- قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة في حسانة جزائرية ماتت في عز شبابها:

رَوْجًا وَبَاءَ بِصَدِّكَ الْخُطْبَاءُ  
لَكِنْ خَضَائِكَ يَا عَرُوسُ دِمَاءُ

الْمَوْتُ جَاءَكَ خَاطِبًا فَرَضِيَّتِهِ  
فَزِفَّتْ فِي عُرْسٍ لِرَوْجِكَ صَاحِبِ

- وقال آل خليفة بمناسبة حادثة السيارة التي كادت أن تودي بحياة العلامة الجزائري البشير الإبراهيمي:

وَتَخَطَّأَكَ فَأَبْشِرْ بِالسَّلَامَةِ

فَرَّ مِنْكَ الْمَوْتُ يُخْرَى بِالْمَلَامَةِ

- قال خليل مطران في وصف أدب الشيخ عبد الله البستاني:

وَمَنَّا لَهُ مِنْ أَقْرَبِ الشَّيْطَانِ

يَصْطَادُ أَعْلَى الدَّرِّ مِنْ قَامُوسِهِ

- قال بشارة الخوري في صنعة عاصر الخمر:

بِدِمَائِهِ، بُورِكْتِ مِنْ سَفَاحِ!

يَا ذَابِحَ الْعُنُقُودِ خُضِّبْ كَفَّهُ

- قال محمود غنيم مفتخرًا بشعره:

لَا يَعْصِرُ الْخَمَّارُ مِنْ أَعْنَابِهِ  
ظَفَرِ الزَّمَانِ عَلَى الْأَدْيَابِ وَنَابِهِ

وَمِنَ الْخُرُوفِ الْمُعْجَمَاتِ عَصَرْتُ مَا  
يَا عُصْبَةَ الْأَدَبِ الْحَدِيثِ سَلِمْتُ مِنْ

- وقال مخاطبا مجلس الأمن:

كَأَنَّمَا هُوَ بِالْحِنَاءِ مُخْتَضِبُ

مَا بَالُ خَدِّكَ مِنْ لَطْمِ الْيَهُودِ لَهُ

- وقال مادحا:

أَنْ يَمُدَّ إِلَيْهِ دَيْنَ الْبَلْغَمِ فَيُقِ  
زَعُجَ جَيْشِ الظَّلَامِ عِنْدَ الشُّرُوقِ

يُوشِكُ الْحَقُّ - إِذْ تُدَافِعُ عَنْهُ -  
يَفْزَعُ الظُّلْمَ إِنْ رَأَى كَمَا يَفْ-

- قال محمود سامي البارودي:

يَأْقُوتَةٌ أودَعَتْ سَطْرَيْنِ مِنْ دُرِّ

تَبَسَّمتْ فَجَلَّتْ لِلْعَيْنِ مِنْ فَمِهَا

- قال مصطفى صادق الرافعي:

أَنْتَ غَرَسْتَ الْحُبَّ فِي أَضْأَعِي

فَكَيْفَ لَا أَسْقِيهِ مِنْ أَدْمِعِي؟

- قال إيليا أبي ماضي واصفا شعره:

بَنَيْتُ فِرْدَوْسِي وَزَخْرَفْتُهُ

حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ ضَمُّ يَعْنُهُ

أَجْرِيْتُ فِي أَنْهَارِهِ كَوُنُورًا

فَدَاقَهُ النَّاسُ وَمَا دُقُّهُ

- وقال إيليا أبو ماضي:

عَارٌ إِذَا أَنْشَبْتُ فِيكَ مَخَالِي

إِذْ لَيْسَ مِنْ خُلُقِي افْتِرَاسُ نَعَاجِ

- قال أبو القاسم الشابي:

وَكَمْ نَسَجْتُ مِنَ الْأَحْلَامِ أُرْدِيَةً

قَدْ مَرَّقَتْهَا اللَّيَالِي وَهِيَ تَبْتَسِمُ

- قال نزار قباني:

أَلَا تَرَانِي بِبَحْرِ الْحُبِّ غَارِقَةً

وَالْمَوْجُ يَمْضَغُ أَمَالِي وَيَرْمِيهَا؟

أَنْزِلْ قَلِيلًا عَنِ الْأَهْدَابِ يَارَجُلًا

مَا زَالَ يَقْتُلُ أَحْلَامِي وَيُحْيِيهَا

- قال شفيق المعلوف في رثاء شقيقه:

أَتَعُورُ تَحْتَ الْأَرْضِ زُوبَعَةً

نَارِيَّةً قُدْسِيَّةً اللَّهُ أَب؟

لَهْفِي عَلَى نَسْرِ تَوْغَلٍ فِي

تَخْلِيْقِهِ يَوْمًا وَلَمْ يَكُنْ يَوْبِ

- قال معروف الرصافي:

دَعَوْتُ غُرَّ الْقَوَافِي وَهِيَ شَارِدَةٌ

فَأَقْبَلَتْ وَهِيَ تَمْشِي مَشْيَ مُعْتَذِرِ

وَسَأَلْتَنِي عَنْ طُوعِ مَقَادِنِهَا

فَرُحْتُ فِيهِنَّ أَجْرِي جَرِي مُقْتَدِرِ

إِنِّي لِأَنْتَزِعُ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ عَلَى

عُرِي فَأَكْسُوهُ لَفْظًا قَدْ مِنْ دُرِّ

- وللرصافي أيضا:

فَلَا عَجَبٌ أَنَّنِي كُلَّ سَاعَةٍ

أُكْفَى الْمَنَائِي دَامِيَاتِ الْأَطْفَارِ

- قال حافظ إبراهيم:

أَيُّهَا الشَّرْقِيُّ شَمْرٌ وَلَا تَنْمُ

وَأَنْفُضِ الْعَجَزَ فَإِنَّ الْجِدَّ قَامَا

وَأَمْتِطِ الْعِزْمَ جَوَادًا لِلْعُلَا

وَاجْعَلِ الْحِكْمَةَ لِلْعِزْمِ زِمَامَا

وَإِذَا حَاوَلْتَ فِي الْأَفْقِ مَنَى

فَارَكِبِ الْبَرْقَ وَلَا تَرْضَ الْغَمَامَا

- ولحافظ إبراهيم:

فَمَا لِي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ سَابَ قَرْنُهَا

وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامُ؟

## الاستعارة الأصلية والتبعية

**الاستعارة الأصلية:** الاستعارة تُعدُّ أصليةً إذا كان اللفظ المُستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه اسماً جامداً غير مُشتق<sup>1</sup>، وإليك طائفة من نماذجها البليغة:

- قال إيليا أبو ماضي:

فَتَحَ الْفَجْرُ جَفْنَهِ فَإِذَا الطُّو      فَاِنْ يَعْشَى الْمَدِيْنَةَ الْبَيْضَاءِ

فالشاعر شبه الفجر بالإنسان أو الحيوان، والقرينة (جفن)، وهو من الأسماء الجامدة، فالاستعارة مكنية أصلية.

- قال البارودي يصف ليلة أنس رُفقة من يهوى:

وَكَيْفَ لَا تَبْلُغُ الْأَفْلاكَ مَنْزِلَتِي      وَالْبَدْرُ فِي مَجْلِسِي وَالشَّمْسُ فِي قَدْحِي؟

شبه البارودي المرأة الغانية بالبدن، وشبه الخمر بالشمس، واللفظان المستعاران (البدن)، و(الشمس) اسمان جامدان يجعلان من الاستعارة تصريحية أصلية.

- قال الأخطل الصغير (بشارة الخوري):

فَعِيوُنُ النَّجْمِومِ تَرْتُؤُو الْإِنْسَانَ      وَلِلسَانِ الْوَدَجَى يَكْأَدُ يَفْؤُوهُ

فالشاعر شبه النجوم والليل بالإنسان، على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة (عيون، لسان)، ومما يلاحظ على الاستعارة أن اللفظين المستعارين (عيون، لسان) هما اسمان جامدان، فالاستعارتان بهذا الوضع تكونان أصليتين.

- قال رياض معلوف في وصف ليلة مطرة:

وَعَيْنُ السَّمَاءِ تُرْفِرُقُ دَمْعًا      عَلَى خَدِّ هَذَا الزَّجَاجِ النَّدِي

لاحظ أن اللفظين المستعارين (عين)، و(خد) هما اسمان جامدان يجعلان الاستعارتين أصليتين.

- قال معروف الرصافي في رثاء أستاذه محمود شكري الألوسي:

أَمَّا الْعِرَاقُ فَأَمْسَى الرَّافِدَانَ بِهِ      سَطْرَيْنِ لِلدَّمْعِ مِنْ خَدَّيْهِ قَدْ سَالَ<sup>2</sup>

الشاعر شبه نهري دجلة والفرات بسطرين من الدمع على سنة التشبيه البليغ، ثم شبه العراق بالإنسان، وحذف المشبه به، والقرينة (خديه)، والملاحظ أن اللفظ المستعار (خديه) هو اسم جامد يجعل من الاستعارة مكنية أصلية.

- قال حافظ إبراهيم:

وَهَأُنَا بَيْنَ أَنْيَابِ الْمَنَائِيَا      وَتَحْتَ بَرَائِنِ الْخَطِّابِ الْجَسِيمِ<sup>3</sup>

<sup>1</sup> علم البيان عبد العزيز عتيق ص 181.

<sup>2</sup> الرافدان: دجلة والفرات.

<sup>3</sup> برائن: مخالب.

فالشاعر شبه المنيا بالسباع، والقرينة (أنياب)، وشبه الخطوب بالطيور الجارحة أو السباع، والقرينة (برائن)، واللفظان المستعاران (أنياب)، (برائن) هما اسمان جامدان، فالاستعارة أصلية.

- قال محمد العيد آل خليفة موصيا الشاب الجزائري ببلاده:

هَلَمْ نَدُّدْ عَنْهَا نُسُورًا حَوَائِمًا عَسَى تَنْجَلِي عَنْهَا النُّسُورُ الحَوَائِمُ

فالاستعارة تصريحية، واللفظ المستعار (نسورًا) هو لفظ جامد، فالاستعارة تصريحية أصلية.

- قال أحمد شوقي في واحدة من استعاراته النادرة:

فَلَمَّ أَرَقْبَلُهُ المَرِيخُ مُلْقَى وَلَمَّ أَسْمَعُ بِدَفْنِ النِّيَّراتِ

لاحظ أن شوقي قد شبه مَرِيخَهُ بالمَرِيخِ، وصرح بذلك علناً، وأكد ذلك في عجز البيت، وهذا اللفظ المستعار (المَرِيخِ) اسم جامد كما لم يخف عليك، وبالتالي نقول إن هذه الاستعارة تصريحية أصلية.

- قال ناصيف اليازجي:

للشَّامِ جِسْمٌ قَدْ أَصِيبَ فُؤَادُهُ فَبَدَّتْ عَلَيْهِ مِنَ السَّقَامِ عَلَائِمُ

فاللفظ المستعار (جسم)، وهو لفظ جامد، أما لفظه (فؤاده) فقد أتى به الشاعر لترشيح الاستعارة.

**الاستعارة التَّبَعِيَّةُ:** وهي ما كَانَ اللفظُ المُستَعَارُ فِيهَا اسماً مُشتقاً، أو فعلاً، أو حرفاً<sup>1</sup>.

- **الاستعارة التَّبَعِيَّةُ فِي الاسْمِ المُشْتَقِ:** ومثالها في اسم الفاعل قول خليل مطران:

والأَرْضُ رَاقِصَةٌ وَالرِّيْحُ عَازِفَةٌ وَالجِدُّ يَمْرُحُ وَالْأَخْطَارُ تَبْتَسِمُ

والشاهد في الاستعارة التَّبَعِيَّةُ فِي الاسْمِ المُشْتَقِ: (رَاقِصَةٌ - عَازِفَةٌ).

ومثالها في اسم المفعول قول حافظ إبراهيم:

فَأَسْتَبِيئُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدُّوا فَالْمَعَالِي مَخْطُوبَةٌ لِلْمَجْدِ

ومثالها في اسم الآلة قول مصطفى لطفى المنفلوطي: "لَا مَحْرَاثَ لِلقَلْبِ غَيْرُ الشُّعْرِ". فاللفظ المستعار

(مَحْرَاثَ)، وهو اسم آلة. ومثالها قول أحمد أمين: "لَقَدْ كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ قَبْلَهُ يَحْمِلُ مِصْبَاحًا لِقَوْمِهِ، فَجَاءَ مُحَمَّدٌ

يَحْمِلُ مِصْبَاحًا لِلْعَالَمِ". مشبهاً الهداية بالمصباح، ومصرحاً بالمشبه به، فاللفظ المستعار (مِصْبَاح) كما ترى

اسم آلة على وزن (مفعال).

ومثالها في اسم المكان قول محمود سامي البارودي:

يَا رَائِدَ الوُدِّ قَدْ صَادَقْتَ مُنْتَجِعًا بَيْنَ الجَوَانِحِ فَأَنْزَلَهُ وَلَا تَرِمِ

فالشاعر شبه قلبه بالمنتجع على سبيل الاستعارة التصريحية، والمنتجع هو المكان الذي يقصده الناس لما

فيه من كلاً وماء، ولو تأملت البيت لأدركت بلا عناء أن اللفظ المستعار (منتجع) هو اسم مكان على وزن

مضارع.

<sup>1</sup> علم البيان بسيوني عبد الفتاح فيود ص 196.

ومنها أيضا قول توفيق الحكيم: "إِنَّ الْفَنَانَ لَا يَهْدِمُهُ الذَّمُّ وَلَا الْقَدْحُ، بَلْ يَدْعَمَانِ وُجُودَهُ، إِنَّمَا الَّذِي يَهْدِمُهُ حَقًّا هُوَ الْإِهْمَالُ، فَكَفَّنَهُ مَنْسُوجٌ مِنَ الْعَنْكَبُوتِ، وَمَدْفَنُهُ تَحْتَ غُبَارِ النَّسِيَانِ".  
لاحظ أن اللفظ المستعار (مَدْفَنٌ) هو اسم مكان.

ومثالها في الصفة المشبهة قول حافظ إبراهيم في رثاء محمود سامي البارودي:  
مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضَبِي لَا تُطَاوِعُنِي؟ وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرُ مَمْدُودٍ؟  
فاللفظ المستعار (غَضَبِي) صفة مشبهة على وزن (فَعَلَى) التي مذكورها على وزن (أَفْعَل).  
ومثالها أيضا في الصفة المشبهة على وزن (فَعْلَان) قول محمد العيد في وصف البادية:  
وَالْوَحْشُ سَلَوَانٌ فِي الْغَابَاتِ مُنْطَلِقٌ وَالطَّيْرُ جَذْلَانٌ فِي الْأَوْكَارِ زَقْرَاقٌ  
فاللفظان المستعاران (سَلَوَانٌ)، و(جَذْلَانٌ) هما صفتان مشبهتان على وزن (فَعْلَان).  
ومثالها في الصفة المشبهة أيضا قول الشاعر الجزائري مصطفى بن رحمون في وصف موسم الورد:  
انظُرِ الْمَوْجَ هَادِيًا يَلْتَمُّ الشَّطْرَانَ صَاحُو الْأَيْمِمْ، طَلَّقَ الْمُحَيَّا  
لاحظ أن اللفظين المستعارين (صَاحُو، طَلَّقَ) هما صفتان مشبهتان كل منهما على وزن (فَعْل).  
ومثالها في اسم التفضيل قول محمود غنيم:

لَعَمْرُكَ قَدْ يَكُونُ الْمَوْتُ أَحْنَى عَلَيَّ الْأَحْيَاءِ مِنْ أُمَّ رَوْمٍ  
لاحظ أن اللفظ المستعار (أَحْنَى) هو اسم تفضيل.  
وقول معروف الرصافي:

وإِنَّ أَصْدَقَ بَرَقٍ أَنْتَ شَانِمُهُ بَرَقٌ تَبَسَّمَ عَنْهُ الصَّارِمُ الْخَذِمُ  
فالملاحظ أن اللفظ المستعار (أَصْدَقُ) هو اسم تفضيل كما ترى.  
ومثالها في صيغة المبالغة قول معروف الرصافي:  
بِلَادٍ بِهَا جَهْلٌ وَقَفَرٌ كِلَاهُمَا أَكُولٌ شَرُوبٌ لِلْحَيَاةِ قَتُولٌ  
فالألفاظ المستعارة (أَكُولٌ، شَرُوبٌ، قَتُولٌ) هي صيغ مبالغة على وزن (فَعُول) كما رأيت.  
ومثالها أيضا قول محمد العيد آل خليفة:

حَيْثُكَ فِي الْبَدْوِ كُلِّ الْكَائِنَاتِ بِهِ الرِّيْحُ عَازِقَةٌ وَالرَّوْضُ صَفَاقٌ  
لعلك أدركت أن اللفظ المستعار (صَفَاقٌ) هو صيغة مبالغة على وزن (فَعَال).  
- الاستعارة التبعية في الفعل: ومن أمثلتها قول إيليا أبي ماضي في رثاء صديقه أمين الريحاني:

فَابْسِمِي فَوْقَ قَبْرِهِ يَا نُجُومٌ وَتَرْتَمِ مِنْ حَوْلِهِ يَا نَسِيمٌ  
فاللفظان المستعاران (ابسمي، وترتم) هما فعلا كما رأيت.

- **الاستعارة التبعية في الحرف:** وتكثر هذه الاستعارة في كتاب الله، ومن أمثلتها قوله تعالى: ﴿فَأَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا<sup>1</sup>﴾. لاحظ أن لام التعليل في كلمة (لِيَكُونَ) لم تستعمل استعمالاً حقيقياً، بل مجازياً. فالتقاط موسى ليس علة حقيقية ليكون عدوًّا، بل علة ليكون مصدرَ عونٍ وأمنٍ. لذلك شبه الله العون بالعداوة، ثم استعار اللام لعلّة غائبة، لتدلّ مجازاً على العداوة.

ومن الاستعارات التبعية في الحرف قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَبَنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ طه 71 حيث استعار حرف الجرّ (في) للدلالة به على معنى حرف الجرّ (على).

وإليك طائفة أخرى من الاستعارات التبعية في الحرف:

قال الله تعالى: (وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ) محمد 38

استعار الحرف (عن) للدلالة به على معنى الحرف (على)، والتقدير: يبخل على نفسه.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الأعراف 38

استعار الحرف (في) للدلالة به على معنى الحرف (مع)، والتقدير: ادخلوا مع أمم.

قال تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ إبراهيم 9 ، استعار الحرف (في) للدلالة به على معنى الحرف (إلى)، والتقدير: إلى أفواههم.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ الإسراء 7، استعار حرف اللام للدلالة به على معنى الحرف (على)، والتقدير: وإن أسأتم فعليها.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ الأنبياء 47. استعار حرف اللام للدلالة به على معنى الحرف (في) والتقدير: في يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، المطففين 2، والتقدير: اكتالوا من الناس.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الشورى 25، والتقدير: من عباده.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ النساء 2، والتقدير: مع أموالهم.

قال تعالى: ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ فاطر 40، والتقدير: ماذا خلقوا في الأرض؟

**تدريب:** تعرّف على الاستعارات الأصلية، والتبعية فيما يأتي:

- قال ميخائيل نعيمة: "عَدَا تَعُودُ مَيَادِينُ الْحَرْبِ حُقُولًا وَعَابَاتٍ وَمُدُنًا آهْلَةً، فَيَخْطُو الْمِحْرَاثُ فِي أَثْرِ الْمِدْفَعِ، وَالتُّورُ فِي أَثْرِ الدَّبَابَةِ، وَتَفْتَفِي الْفَأْسُ الرَّصَاصَةَ، وَالْمِطْرَقَةُ الْقُنْبُلَةَ، وَيَعُودُ التُّورُ مِنْ مَنَفَاهِ، وَالَّذِينَ فِي الْأَرْحَامِ يَبْرُرُونَ إِلَى الْعَالَمِ، وَلَكِنَّ كِبَارَهُمْ سَيُوقَعُونَ فِي خَلْدِهِمْ أَنَّ عَالَمَ الْأَمْسِ غَيْرُ عَالَمِ الْيَوْمِ، وَأَمَهَاتِهِمْ سَيُرْضِعْنَهُمْ مَعَ اللَّبَنِ حُبَّ الْأَنْتِقَامِ، وَأَمَّا الْيَدُ الَّتِي عَلَى الْمِحْرَاثِ فَسَتَبْذُرُ مَعَ كُلِّ حَبَّةٍ لَعْنَةً، وَالَّتِي عَلَى الْفَأْسِ سَتَقْطَعُ مَعَ كُلِّ عُوْدٍ يَدًا، وَالَّتِي عَلَى الْمِطْرَقَةِ سَتَسْحَقُ بِكُلِّ طَرْقَةٍ جُمُجْمَةً، وَلَوْ بِالْخِيَالِ، وَفِي مَكَانٍ مَا مِنْ بِلَادٍ مَا يَجْتَمِعُ جَمَهْرَةٌ مِنْ زُعَمَاءِ أُمَّمِ الْأَرْضِ، وَيَنْكَبُونَ عَلَى أَكْدَاسٍ مِنَ الْأَوْرَاقِ وَالْخَرَائِطِ يُفْصَلُونَ مِنْهَا أَرْضًا جَدِيدَةً لِأُمَّمٍ"

<sup>1</sup> القصص 08.

جَدِيدَةٌ، فَلِلْسَعَايَاتِ طَنِينٌ وَدَبِيبٌ، وَلِلْمَطَامِعِ أَرِيْزٌ وَلَهِيْبٌ، وَلِلْبُعْضِ فَحِيْحٌ وَزَيْرٌ، وَلِلرِّيَاءِ بَسَمَاتٌ صَفْرَاءٌ، وَقَهَقَاتٌ بَلْهَاءٌ، أَمَّا الْمَحَبَّةُ فَالْتَلْفُظُ بِاسْمِهَا مَجَازٌ، وَأَمَّا الْحَقُّ فَمِمْسَحَةٌ لِأَرْجُلِ الدَّاخِلِيْنَ وَالْخَارِجِيْنَ".

- قال محمد المويلحي: "مَا تَخَيَّلْنَا فِي هَذَا الرَّوْضِ مِذَّ رَأْيِنَاهُ إِلَّا أَنَّنَا فِي حَفْلَةِ عُرْسٍ، جَمَعَتْ أَسْبَابَ اللُّهُوِّ وَأَطْرَافَ الْأَنْسِ، قَدْ نَصَبَ الْعَيْمُ عَلَيْهَا سُرَادِقَهُ، وَمَدَّ مُلْتَفُّ النَّبَاتِ فِيهَا نَمَارِقَهُ، وَأَشْرَقَتْ الْأَعْصَانُ بِالْأَنْوَارِ<sup>1</sup>، إِشْرَاقَ الْمَصَابِيحِ بِالْأَنْوَارِ، وَقَامَتِ الْأَطْيَارُ عَلَى الْأَعْوَادِ، تَتَسَابَقُ فِي التَّرْنَمِ وَالْإِنْشَادِ، وَلِلنَّسِيمِ بَيْنَ الشَّجَرِ نَعَمَاتٌ تُصَفِّقُ لَهَا أَكْفُ الْأَوْرَاقِ، وَتَقُومُ الْأَفْنَانُ لِلرَّقِصِ عَلَى سَاقٍ، مُتَرَنِّحَةً الْأَعْطَافِ مِنْ خَمْرِ النَّدَى، مُهْتَزَّةً الْقُدُودِ بِعَمْرِ النَّدَى، تَبْسِمُ عَنْ أَقَاحِ نَضِيدِ، يَزْرِي بِثَنَائِيَا الْعَيْدِ، ثُمَّ تَمِيلُ بِرَشِيْقِ الْقَوَامِ، فَتَلْتَقِطُ مَا يَنْقُطُهَا بِهِ الْعَمَامِ، وَالْجَدُولُ يَجْرِي تَحْتَ أَذْيَالِهَا وَيَنْعَثِرُ، وَيَنْسَابُ الْمَاءُ فِي ظِلَالِهَا وَيَتَكَسَّرُ، كَأَنَّ حَصْبَاءَهُ اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانَ، فِي نُحُورِ الْحِسَانِ، أَوْ قَلَائِدِ الْعَفْيَانِ، فِي أَجْيَادِ الْقِيَانِ، وَلَمَّا مُلْنَا مِنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ طَرَبًا، وَقَضَيْنَا عَجَبًا، قُلْنَا: مَا شَاءَ اللهُ، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ".

- قال مصطفى لطفى المنفلوطي: "يَنْظُرُ الْعُدُّ إِلَى أَمَالِنَا، وَأَمَانِينَا نَظَرَاتِ الْاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ، قَائِلًا فِي نَفْسِهِ: لَوْ عَلِمَ جَامِعُ الْمَالِ أَنَّهُ يَجْمَعُ لِلْوَارِثِ، وَعَلِمَ هَذَا الْبَانِي أَنَّهُ يَبْنِي لِلْخَرَابِ، وَعَلِمَ هَذَا الْوَالِدُ أَنَّهُ يَلِدُ لِلْمَوْتِ، مَا جَمَعَ جَامِعٌ، وَلَا بَنَى بَانٍ، وَلَا وُلِدَ وَالِدٌ".

- قال توفيق الحكيم في معرض حديثه عن دور الصحافة: "قَدِيمًا كَانَ النَّاسُ فِي الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ يَتَنَاوَلُونَ أَيْضًا غِذَاءَهُمْ الْعَقْلِيَّ فِي كُلِّ حِينٍ، لِأَنَّ الْبَشَرِيَّةَ لَمْ تَنْقَطِعْ يَوْمًا عَنْ طَلْبِ الطَّعَامِ الذَّهْنِيِّ، إِلَى جَانِبِ الطَّعَامِ الْمَادِيِّ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُ صِحَافَةً يَوْمِيَّةً وَلَا أُسْبُوعِيَّةً، كَانَتْ تَعْرِفُ شُعْرَاءَ الْحَيِّ، وَقَلَّاسِفَةَ الْأَسْوَاقِ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ قَوْمًا مُمْتَازِينَ: أَنْبَتَهُمُ الْعَبْرِيَّةُ وَأَرْضَعَهُمُ النَّبُوءُ، هَكَذَا كَانَ الْمَطْبَخُ الْعَقْلِيَّ فِي الْمَاضِي، فَهَلْ لَنَا أَنْ تَتَفَاعَلَ بِالْمَطْبَخِ الْحَدِيثِ؟".

- قال نزار قباني:

أرواحنا تشكو الإفلاس

هل نحن خير أمة أخرجت للناس؟

لو أننا لم ندفن الوحدة في التراب

لو بقيت في داخل العيون

والأهداب

لما استباححت لحمنا الكلاب.

- وقال نزار:

قَبَلِ عَامِ التَّقْيِينَا

كَانَ جُرْحِي لَا يَزَالُ فِي طُفُولَتِهِ، وَكَانَ حُرْنِي

<sup>1</sup> الأنوار جمع نور: وهو الزهر الأبيض.

لا يَزَالُ يَتَعَلَّمُ الْكَلِمَاتِ الْأُولَى.

- قال حافظ إبراهيم في الرثاء:

أَمَسَّتْ مُنَاهُ وَأَصْبَحَتْ صَرْعَى  
غَاضَ الْمَعِينُ وَأَجْدَبَ الْمَرْعَى  
بِيَدِ الْعُلَا وَبِأَنْفِهَا جَدْعَا  
وَأَرَى الْمُرُوءَةَ أَفْقَرَتْ رَبْعَا

فَلَيْشَتِ الْحَسَادُ فِي رَجُلٍ  
وَلتَحْمِلِ الْأَيَّامُ حَمَلَتَهَا  
إِنِّي أَرَى مِنْ بَعْدِهِ شَلَالًا  
وَأَرَى النَّادَى مُسْتَوْجِشًا قَلْقَا

- وقال في رثاء ابنة البارودي:

يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيَّنَ كَانَ أَبُوكِ؟

دَاسَ الْحَمَامُ عَرِينَ آسَادِ الشَّرَى

- وقال حافظ في تحية أحمد شوقي:

وَالْمَاءُ أَمْسَكَ فِيهِ عَنْ جَرِيَانِهِ  
وَالطَّيْرُ مُسْتَمْتِعٌ عَلَى أَفْنَانِهِ

النَّيْلُ قَدْ أَلْقَى إِلَيْهِ بِمَسْمَعِهِ  
وَالزَّهْرُ مُصْنَعٌ وَالْحَمَائِلُ خُشْعٌ

- قال مفدي زكريا:

لِسَانَ الْحَالِ أَفْصَحُ مِنْكَ نُطْقَا

سَلِّ الْفُصْحَى وَقُلْ لِلضَّادِ رِفْقَا

- وقال مفدي مفتخرًا بشعره:

وَأَطْرَقَتْ لِنَسَائِبِي نَوَادِيْنَا

كَمْ صَفَقَتْ لِأَنَاشِيدِي مَدَافِعُنَا

- قال الشاعر محمد جربوع:

إِنَّ أَوْفَى أَصْدِقَاءِ الْمَرْءِ جُرْحُ

لِي جِرَاحٍ إِنْ أَتَى تَشْرِيئُ تَصْحُو

- قال محمود غنيم في وصف الربيع:

وَمَاؤُهُ مُطْبِقُ الْجَفْنَيْنِ نَعْسَانُ

مَرَّ النَّسِيمُ عَلَى سَطْحِ الْعَدِيرِ ضَحَى

سَلُّوا الْعَدِيرَ سَلُّوهُ: أَهْوَ غَضْبَانُ؟

فِيمَ التَّجْعُدُ إِذْ مَرَّ النَّسِيمُ بِهِ؟

- وقال محمود غنيم في وصف ثورة الجزائر:

فَعَدَّتْ عَلَى الْأَسَدِ الْكُوَاسِرُ؟

عَجَبِي عَلَى الذُّؤْبَانِ كَيْفَ

- وله في وصف فلاح:

أَرْضِهِ قُلَّتْ: آيَةٌ فِي النَّجَابَةِ

لَوْ تَرَى مَا يَخْطُ مِحْرَاطَهُ فِي

بِدَوَاةٍ وَمِرْقَمٍ طَلَّابُهُ<sup>1</sup>

إِنَّ لِلْكَوْنِ مَعَهُدًا أَلَمْ يُتَّقَفْ

- قال خليل مطران:

<sup>1</sup> المِرْقَمُ: القلم.

فَفَوْدِي ضَحُوكُ وَالْفَوَادُ كُئِيبٌ<sup>1</sup>  
إِذِ الدَّهْرُ مُصْنَعٌ وَالسُّرُورُ مُجِيبٌ

هَلْ يَنَالُ الشَّمُوسَ رَيْبُ الْمُتُونِ؟

وَأَجْرُهَا عَن حُمْرَةٍ يَتَبَسُّمُ

لِلْعَيْنِ فِيهَا بَهَجَةٌ لَا تَضُرُّ<sup>2</sup>  
وَالسُّحْبُ تَنْقُطُ وَالْحَمَائِمُ تَقْرَأُ

حَسْرَى وَسَاعَاتُهُ فِي الطُّولِ كَالجَّجِ

لِمُضْجَعِهَا فِي سَرِيرِ الْأَفْقِ

فِيهِدُمْ مَا شَادَ الظَّلَامُ وَيَحْطِمُ

إِلَى مَسْمَعِ الْفَضَاءِ السَّاهِي

فَالْيَأْسُ فِيهَا غَرِيبُ الْأَهْلِ وَالذَّارِ

إِلَى الْغُصْنِ فِي رَيْعَانِهِ وَهُوَ مُوْنِعُ

وَيَنْهَشُ اللَّحْمَ، فَمَا أَجْشَعَا!

وَمَا زَالَ الْعِرَاقُ بِهِ قَطُّوْبُ

عَلَا مَفْرَقِي بَعْدَ الشَّبَابِ مَشِيبُ

شَبَابٌ تَقَضَّى بَيْنَ لَهْوٍ وَنِعْمَةٍ

- وقال مطران في رثاء أديبة لبنانية:

رَبَّةُ النَّبْلِ وَالجَمَالِ الْمُصُونِ

- وقال مطران يصف منازل في لبنان:

حِجَارَتُهَا ضَحَاكَةٌ عَن بِيَاضِهَا

- قال محمود سامي البارودي في وصف جزيرة:

فَتَحَ الرَّبِيعُ بِهَا مَدَارِسَ بَهَجَةٍ

فَالرَّيْحُ تَكْتُبُ وَالْعَدِيرُ صَحِيفَةٌ

- وقال في وصف ليلة:

لَيْلٌ غِيَاهِيَةٌ حَيْرَى وَأَنْجُمُهُ

- قال مصطفى صادق الرافعي في وصف الغروب:

تَدْرَجَتِ الشَّمْسُ وَسُنَى الْجُفُونِ

- قال أبو القاسم الشابي:

هُوَ الْحَقُّ يَغْفَى... ثُمَّ يَنْهَضُ سَاخِطًا

- وقال الشابي يشكو جراحه:

هَذِهِ زَفْرَةٌ يُصَاعِدُهَا الْهَمُّ

- قال علي الجارم في المدح:

أَحْيَا النَّفُوسَ بِأَمَالٍ تُضَاجِكُهَا

- وقال علي الجارم في الرثاء:

وَلَمْ نَدِرْ أَنَّ الْمَوْتَ بَاسِطٌ كَفَّهُ

- وقال واصفا "الموت" في الحرب العالمية الأولى:

يَحْسُو دَمَ الْقَتْلَى، فَأُظْمِي بِهِ!

- قال معروف الرصافي:

تَبَسَّمتِ الْبِلَادُ بِكُلِّ أَرْضٍ

- وقال الرصافي يصف امرأة شبَّ حريق في دارها:

<sup>1</sup> الفود: جانب الرأس.

<sup>2</sup> تضرأ: تخفى.

كَالْبَرْقِ يَضْحَكُ فِي الدُّجَى وَيُلُوحُ

نَثَرَتْ مَبَاسِمَهَا عَلَيْهَا الْأَنْجُمُ  
تَحَتَ الْعُصُونِ وَرَبْوَةَ تَنْبَسُّمُ

وَإِنْ غَضِبْتَ فَالْشَّرُّ يَقْضَانُ مُغْضِبُ

وَصَدْرَ الرِّيحِ يَخْفِقُ بِالْحَنَانِ  
وَلَمْ أَرَ عَابِسًا غَيْرَ الدُّخَانِ

وَأَمَلِ الْقَلْبِ رَحْمَةً وَحَنَانًا

لَا تَرَى غَيْرَ خَيَالَاتِ السَّنِينِ  
قَبْلَ أَنْ أُبْلَغَ حَدَّ الْأَرْبَعِينِ

تَبْكِي وَقَدْ ضَحِكَ الْحَرِيقُ بِدَارِهَا

- قال بشارة الخوري (الأخطل الصغير):

لُبْنَانُ كَمْ لِلْحُسْنِ فِيكَ قَصِيدَةٌ  
كَيْفَ التَّفَقَّتْ فَجْدُولٌ مُمَاوَةٌ

- قال أحمد شوقي:

إِذَا حَلَمْتَ فَالْشَّرُّ وَسَنَانُ حَالِمٍ

- قال الشاعر القروي في الوصف:

رَأَيْتُ الْوَحْشَ يَأْتِسُ لِلْأَعَانِي  
وَعُشْبَ الْحَقْلِ يَبْسِمُ عَنْ جَمَانِ

- وقال القروي في الحكمة:

أَشْبَعِ الْعَقْلَ حِكْمَةً وَاخْتِيَارًا

- قال جبران خليل جبران:

شَاخَتْ الرُّوحُ بِجِسْمِي وَغَدَتْ  
وَالْتَوَتْ مِنِّي الْأَمَانِي وَأَحْنَتْ

## الاستعارة التمثيلية

**تعريف الاستعارة التمثيلية:** "هي استعارة شائعة في الأمثال السائرة نثرًا وشعرًا"<sup>1</sup>، وهي نوع من الاستعارة التصريحية، كوننا نصرح فيها بالمشبه به، والفرق بين الاستعارة التصريحية، والاستعارة التمثيلية أن الأولى تجري في المفرد، والثانية تجري في المركب (الكلام المركب)، وهي تشبيه حال بحال.

فمن الاستعارة التمثيلية قولنا لبعضنا البعض، ونحن عرب يجمعنا ما يجمعنا من أواصر ووشائج:

أَصَابِعُ كَفِّ الْحُرِّ فِي الْعَدِّ خَمْسَةٌ      وَلَكِنَّهَا فِي مَقْبَضِ السَّيْفِ وَاحِدٌ

إن هذا القول في الأصل هو حكمة للشاعر القروي، وظفناها اليوم، وحال الأمة العربية كما تعلم، استعرناها كما أنشدها الشاعر، فنحن قد استعرنا التركيب ككل تشبيها لحال بحال. لذلك قال علماء البيان: "إن قرينة الاستعارة التمثيلية هي قرينة حالية تفهم من سياق الكلام".

ومن الاستعارة التمثيلية قول الأستاذ لمن أجاب دون تفكير، وأخطأ: "قَبْلَ الرَّمَاءِ تَمْلَأُ الْكَنَائِنُ".

وهذا القول هو مثل له مورد تاريخي، وظفناه دون زيادة أو نقصان لهذا التلميذ، لتشابهه الحاليين.

ونقول مثلا للحاسدين الذين لا يضُرُّ كلامهم: "لا يَضُرُّ السَّحَابَ نَبْحُ الْكِلَابِ".

- ونقول لمن أردنا أن نحثه على السعي والاجتهاد:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصَرْتَ حَاصِدًا      نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

إن بلاغة، وسر الاستعارة التمثيلية هو توظيف التاريخ، وبعث التراث الأدبي القديم، وتوظيفه في الأدب

الحديث، هذا إلى جانب الإيجاز، أي جمع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة.

**تدريب:** دل على الاستعارات التمثيلية، وشرحها:

- والعُودُ لَا يُفْرَعُ كَأَلْبِ الْفَلَا

- إِنَّ ابْنَ آدَمَ لَا يُعْطِيكَ نَعْجَتَهُ

- الدَّنْبُ يَثْرُكُ شَيْبًا مِنْ فَرِيَسَتِهِ

- لَا تَحْتَقِرَنَّ صَغِيرًا فِي مَخَاصِمِهِ

- وَمَا ضَرَّ الْوُرُودَ؟ وَمَا عَلِيَّهَا؟

- إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَ تَمْلَأْهُ

- إِذَا سَقَطَ الدَّبَابُ عَلَى طَعَامٍ

- أُيْرَجِي بِالْجَرَادِ صَلاَحَ أُمْرٍ

- أَلَا رَبُّ رَاجٍ حَاجِجَةٌ لَا يِنَالُهَا

- وَأَخْرُقُ قَدْ نُقِضِيَ لَهُ وَهُوَ جَالِسٌ

<sup>1</sup> علوم البلاغة مرجع سابق ص 212.

## بلاغة الاستعارة

التشبيه، والاستعارة، والكناية، والمجاز هي أقطاب البلاغة، وأعمدة الإعجاز، غير أن علماء البلاغة يعتبرون الاستعارة قطب البلاغة الرئيس، وجوهرها النفيس، وقد عبّر عبد القاهر الجرجاني عن فضيلة الاستعارة بقوله: "اعلم أن الاستعارة هي أمد ميداننا، وأشد أفتاننا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، إنها تُبرز البيان في صورة تزيد قدره نبلا، وتوجب له بعد الفضل فضلا، وإنك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كل موضع من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف مفرد، إنها تخرج لك من بحرها جواهر تمد في الشرف والفضيلة باعا لا يقصر، وتبدي من الأوصاف الجليلة محاسن لا تنكر، ومن مناقبها أيضا أنها تُعطي الكثير من المعاني باليسير من الألفاظ، حيث تُخرج من الصدفة الواحدة الغزير من الدرر، وتجنّي من الغصن الواحد الكثير من الثمر."<sup>1</sup>

ومن حسناتها التخصيص والتجسيد في المعنويات، وبث الحياة في الجماد، يقول الجرجاني: "فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية، وإن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسمت، حتى رآتها العيون."<sup>2</sup>

وهذا ما جسده خليل مطران حين قال في وصف شعر أحمد شوقي:

وسبكك يُعيدُ اللفظَ لحنًا موقعا      ويُبدي لنا المعنى الخفيّ مجسدا

كما عبّر عنه معروف الرصافي أحسن تعبير، وصوره أدق تصوير:

أرى الحُسنَ في بُنَانٍ أَيْعَ عَرْسُهُ      وقاربَ حتى أمكن الكفّ لمُسهُ

فالحُسنُ - هذا المعنى المجردُ في العقل - قد قارب مرمى البصر، حتى وقع في شباك النظر، فأبصرته العيون، ولمسته الأُكفّ، وإن أردت أن تميّط اللثام عن مكنون جمال هذه الاستعارة لقلت عبارة واحدة: استعارة قد ضربت عليها المحاسن أطنابها، وخلعت عليها الزخارف جلابها.

ومثل ذلك في قول خليل مطران:

لو قيلَ للحُسنِ كيفَ تهوى      - إن أنبتَ خيُرتَ - أن تكونَا؟

لَقالَ في بَدْءِ كُلِّ شَيْءٍ:      يا لَيْتَ لي هَذِهِ العُيونَا

وإن قلت هل من مزيد، فاصغ إلى هذا التغريد:

ومَن إذا قيلَ: إنَّ البدرَ يُشبهُهُ      حُسنًا أتى البدرُ ممّا قيلَ يعنُزُ

فالبدر ليس كما تراه وأراه جمادًا لا حياة تدب فيه، رأيت كيف صورهُ الشاعرُ إنسانًا؟ ألم يجعل له عينين وشفقتين ولسانًا؟ صورة استعارية بعثت الحياة في البدر، ونشرت في جوانبه الحركة، وبعثت في قلبه أجمل الفضائل. رأيت أسلوبًا أُرشق منه تعبيرًا، وأرق تأثيرًا، وأدق تصويرًا؟

<sup>1</sup> أسرار البلاغة للجرجاني ص 32.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 33.

وأروع منه في (أحاسيس) الجمادات قولُ محمد جربوعه في قصيدة (قنديل بني هاشم):

هَذَا النَّبِيُّ. اخْضِرَارُ الْأَرْضِ نَظَرَتْهُ  
وَبَسْمَةُ الثَّغْرِ مِنْهَا الضُّوءُ يَحْتَشِمُ

واستمع إلى هذا العرض الممتع، والتصوير المبدع، حين ينتحل البارودي شخصية عالم الجمال العارف بأسراره، والمُحيط بأخباره، فيشبهه لك أسنان العاج باللؤلؤ في الصفاء والنقاء والبياض واللمعان، ويشبه الشفتين بالحجر الكريم الأحمر الذي يعرف بالعقيق، دون أن يأتي على ذكر المشبه، فيقول:

وَتَبَسِمُ عَنْ جَمَانٍ فِي عَقِيقٍ  
يُقَالُ لَهُ بِحُكْمِ الدَّوْقِ تَغْرُ

تصوير يملك الجنان، ويعقل اللسان، ويبعث في النفس إعجاباً يروغ من التصوير، ونشوة تفرّ من الوصف والتعبير.

وإن أردت أن تزداد بالبلاغة كلفاً، وتتعلق بالبيان شغفاً، فاستمع إلى هذه الاستعارة التي تذيع معانيها شذو وعرفاً. يقول محمود سامي البارودي في وصف قلمه:

غَرِدٌ إِذَا مَا جَالَ فَوْقَ صَاحِبَةٍ  
سَجَدَتْ لِحُسْنِ صَرِيرِهِ الْأَوْتَارُ

فكأنّ القلم بلبلٌ يشدو ويغرّد، وكأنّ الوترَ عابداً يركع ويسجد. رأيت لحناً أعذب من هذا طرباً، وآيةً من آيات البيان أكثرَ من هذه عجباً؟ فوالذي علم بالقلم، ومنح خيرَ خلقه جوامع الكلم، إنّ قلمك يا سامي من السحر المبين ما تخرّ له سحرّة البيان ساجدين.

واقراً وإيائي قول حافظ إبراهيم في رثاء ابنة البارودي:

دَاسَ الْحَمَامُ عَرِيْنَ أَسَادِ الشَّرَى  
يَا لَيْتَ شِعْرِي أَيِّنَ كَانَ أَبُوكِ؟

صورة بيانية تجعلك تدين لحافظٍ باعتراف، وليس ذلك سوى أنها صورةٌ تلقي بالنفس الرّوعة، وتستجدي من المآقي الدمعة.

ومن الاستعارات التصريحية التي يرُوعك سحرها، ويهزّ وجدانك تأثيرها، ويُبهر نفسك تصويرها قول علي الجارم:

نَظَّمْنَا لَوْلُوَ الْفِرْدَوْسَ فِيهَا  
وَسَمَّيْنَاهُ تَضَلُّلاً كَلَامًا

فالشاعر لم يكتفِ بإبهار نفسك، وانتزاع الإعجاب من فؤادك حين شبه ألفاظ قصيدته باللالئ في صدر البيت، إنه أراد أن يضللك، ويسحر عيونك في عجز البيت، بأن ألقى عليك تعويذة جعلتك تعجز عن تمييز الحقيقة من المجاز.

وهات صورةٌ من صور بشارة الخوري يصف فيها صنعة عاصر الخمر:

يَا ذَابِحَ الْعُنُقُودِ خُضِّبْ كَفَّهُ  
بِدِمَائِهِ، بُورِكْتِ مِنْ سَفَاحِ

صورة لم يُسبق إليها بشارة الخوري، على كثرة ما في الشعر العربي قديمه وجديده من خمريات تتناول وصف عاصر الخمر، انظر إليه كيف يشبه العاصِرَ بالسَّفاح، ويشبه العنقودَ بالذبيحة، ويشبه آثار لون العنب بالدماء التي تخضب كفّ العاصر! استعارة تنفي بلابل الصدور، وتجلّي بواعث السرور. وقرأ معي قول خليل مطران:

حَتَّى الهُمُومُ سَمَتَ إِلَيْكَ بُوْدَهَا      مَنْ كَانَ يَحْسَبُ لِلْهُمُومِ قُلُوبًا؟

تأمل يا خليلي كيف برع الشاعر حين زعم للهموم قلوبا تحبّ بها، ولم تكن الهموم تُعرف بالوداد من قبل، حتى جاء مطرانُ وسَمًا بجوهرها، وخلق لها قلوبًا مشحونة بالأحاسيس والعواطف!

واسمع إلى قول محمود غنيم حين يشبه عَرَاقَ الفلاح باللؤلؤ، ويشبه الفلاح المصريّ البسيط بالأمير:

شَاهَدْتُ لَوْلُؤَةً كَالْبَرْقِ تَأْتَلِقُ      عَلَى جَبِينِ أَمِيرٍ سَارَ مُخْتَالًا

هل هذه يا تُرى كلماتٌ أم دُرٌّ نظيم؟ وهل تلك معانٍ أم جوهر يتيم؟

وتذوّق معي طعم هذه الاستعارات التي اقتنصها لك محمد العيد آل خليفة في رحاب البادية:

حَيْثُكَ فِي الْبَدْوِ كُلِّ الْكَائِنَاتِ بِهِ      الرِّيْحُ عَازِقَةٌ وَالرَّوْضُ صَفَاقُ

وَالْحَقْلُ مُخْتَفِلُ الْأَشْجَارِ مِنْ طَرَبِ      تَشْتَدُّ وَتَهْفُو بِهِ وُرُقٌ وَأُورَاقُ

تخيّل وأنت في البادية مدعوٌ لحفلة تحييها مظاهر الطبيعة، جَوْقةٌ موسيقية، تعزف فيها الريح بصوتها العذب الرخيم، والروض قد احمرّت أكفّه من التصفيق، وأوراق الأشجار راقصة على أنغامٍ أتى تبديعها أنامل الفنان، وبنات الهديل يصفقن بأجنتهنّ، ويطربنك بأعذب الألحان، ثم أخبرني: أجربتِ ثمرًا أشهى من هذا مذاقًا؟ أو أبصرتِ دُررًا أكثر من هذه إشراقًا؟

وتأمل معي هذه المعجزة البيانية التي ينشد فيها نزار قباني:

أَلَا تَرَانِي بِبَحْرِ الْخُبِّ عَارِقَةً      وَالْمَوْجُ يَمْضَغُ أَمَالِي وَيَرْمِيهَا؟

انزِلْ قَلِيلًا عَنِ الْأَهْدَابِ يَارَجُلًا      مَا زَالَ يَقْتُلُ أَحْلَامِي وَيُحْيِيهَا

وتدبّر سحرَ الاستعارة، وروعة العبارة، تجد الشاعر يعدُّ الآمالَ لُبَانًا، ويجعل الأحلامَ إنسانًا، فيشبهه ما هو معنويّ بما هو حسيّ، من أجل بعث الصورة، وإحيائها، وتشخيصها.

ثم تأمل معي قول نزار قباني، وهو يعتلي ذروة البلاغة، ويبلغ منتهى البراعة، حين يصوّر قرطاجة فتاةً شابّة زرقاء العينين، ويصوّر الزمان شيخًا، لَوَتِ السنينُ كفه على العصا:

بَحْرِيَّةُ الْعَيْنَيْنِ يَا قَرطَاجَةَ      شَاخَ الزَّمَانِ وَأَنْتِ بَعْدُ شَبَابُ

استعارة لا تقرأ مثلها على مدى الأزمان، غرّة في وجه البيان، تسحر اللبّ، وتملك الطرف بجمالها الفاتن الفتان.

ثم دع ناظريك يكتحلان بهذه الاستعارة الحسنة، التي اصطفاها حافظ إبراهيم من مملكة البيان، وكيف أبدع في تجميلها وتطبيبيها، لثُرِفَ إلى كلِّ عقل عاشق لحسان البلاغة العربية:

فَأَسْتَبِينُوا قَصْدَ السَّيْلِ وَجِدُّوا      فَالْمَعَالِي مَخْطُوبَةٌ لِلْمُجِدِّ

لا شك أن شاعر النيل قد عقد قران المعالي بالإنسان المُجِدِّ السَّاعي، فالمعالي بعد أن كانت اسماً من أسماء المعاني في قواميس العربية، خلقها الشاعر في أحسن تقويم، عادةً مدللة تحتفل بخطوبتها بفارس أحلامها. واحكم بربك على هذه اللآلي، واسأل غواص لبنان عن سحرها:

وَسَبَّحْتُ فِي بَحْرِ الْقَوَا      فِي أَنْتَقِي مِنْهُ الْجَمَانُ

أَصْطَادُ كُلِّ خَرِيْدَةٍ      فَأَقْتُ عَلَى الْغِيْدِ الْحَسَانُ<sup>1</sup>

أليس هذا الجمال، بدليل على أن الاستعارة سلطان، وبيانها هو البيان؟

واكتشف بنفسك عبقرية الخيال عند شاعرنا مفدي زكريا في تصوير يهز أوتار الفؤاد:

إِلَّامٌ تَضَلُّ تُلْسَعُنَا الْجِرَاحُ؟      وَفِيْمَ تَبِيْتُ تَنْهَشُنَا الرَّمَاحُ؟

وحدثني عن إحساسك، وأنت تتخيّل الجراح عقارب سامّة، تغرز إبرها المسمومة في شعبنا، والرماح كلاباً مسعورة تنهش في لحمنا، الله ما أجمله من بيت! وما أبعد شأو شاعرنا في التشبيد! وأجل شأنه في البناء والتجديد!

<sup>1</sup> الخريدة: اللؤلؤة.

## المَجَازُ المُرْسَلُ

**تعريف المجاز المرسل:** "هُوَ الكَلِمَةُ المُسْتَعْمَلَةُ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ لِعَلَاقَةِ غَيْرِ المُشَابَهَةِ، مَعَ قَرِينَةٍ مَايَعَةٍ مِنْ إِرَادَةِ المَعْنَى الوَضْعِيَّةِ"<sup>1</sup>. وذكرَ الدّكتورُ يوسف أبو العدوس في كتابه (المجاز المرسل والكناية): "هُوَ مَجَازٌ لُغَوِيٌّ، يَرْتَبِطُ فِيهِ المَعْنَى الحَقِيقِيُّ بِالمَعْنَى المَجَازِيِّ، بِعَلَاقَةِ غَيْرِ المُشَابَهَةِ، وَسُمِّيَ بِالمُرْسَلِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِعَلَاقَةِ المُشَابَهَةِ، فَالإِرْسَالُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الإِطْلَاقُ، وَالمَجَازُ الاسْتِعَارِيُّ مُقَيَّدٌ بِإِدْعَاءِ أَنَّ المُشَبَّهَ مِنْ جِنْسِ المُشَبَّهِ بِهِ، وَالمَجَازُ المُرْسَلُ مُطْلَقٌ عَلَى هَذَا القَيْدِ"، وَقِيلَ: إِنَّمَا سُمِّيَ مُرْسَلًا لِأَنَّهُ لَمْ يُقَيَّدَ بِعَلَاقَةِ مَخْصُوصَةٍ، بَلْ رُدِّدَ بَيْنَ عِلَاقَاتٍ كَثِيرَةٍ. "وَقَدْ أَحْصَى البَيَانِيُّونَ مَا يَزِيدُ عَلَى عَشْرِينَ عِلَاقَةً مِنَ العِلَاقَاتِ الَّتِي يَسْمَحُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِاسْتِعْمَالِ المَجَازِ المُرْسَلِ، لَدَى وُجُودِهِ بَيْنَ المَعْنَى الأَصْلِيِّ لِلْفِظِ، وَالمَعْنَى الأُخْرَى، الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ اللُّفْظُ مَجَازًا"<sup>2</sup>.

### علاقات المجاز المرسل:

**(1) السَّبَبِيَّةُ:** وَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الكَلِمَةُ المَذْكُورَةُ الَّتِي اسْتُعْمِلَتْ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ سَبَبًا فِي المَعْنَى المُرَادِ مِنَ القَوْلِ، وَمِنْ تِلْكَ العِلَاقَةِ إِطْلَاقُ اليَدِ عَلَى النِّعْمَةِ، لِأَنَّهَا سَبَبُهَا، قَالَ حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ:

سَنُطْرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَفْضَتْهَا      عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجْحَدُ اليَدَا

فالمذكور (اليَدِ)، والمقصود (النِّعْمَةُ) فهي سببها.

وقد وردت اليَدِ بمعناها الحقيقي ومعناها المجازي في قول محمود سامي البارودي:

فَمَا مَدَدْتُ يَدِي إِلا لِمَنْحِ يَدٍ      وَلَا سَعَتُ قَدَمِي إِلا لِإِسْعَادِ

وقد ورد السَّبَبُ، والمسبَّبُ في قول ناصيف اليازجي:

كَمْ مِنْ أَيَادٍ لَهُ مَا زِلْتُ أَذْكَرُهَا      وَنِعْمَةً لَسْتُ أَنْسَاهَا مَدَى الحَجَجِ

**(2) المُسَبَّبِيَّةُ:** وَذَلِكَ حِينَمَا يَكُونُ اللُّفْظُ المَذْكُورُ مُسَبَّبًا عَنِ المَعْنَى المُرَادِ، فَيَكُونُ المَعْنَى المُرَادُ هُوَ السَّبَبُ فِي اللُّفْظِ المَذْكُورِ، وَمِثَالُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَيُنزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا)<sup>3</sup>. وَأَنْتَ خَبِيرٌ بَأَنَّ اللهَ يَنْزِلُ المَاءَ مِنَ السَّمَاءِ، فَالمَاءُ سَبَبٌ، وَاللُّفْظُ المَذْكُورُ (الرِّزْقُ) مُسَبَّبٌ. وَمِثَالُهَا أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾<sup>4</sup>. حَيْثُ ذَكَرْتَ الآيَةَ المُسَبَّبَ وَهُوَ النَّارُ، وَأَرَادْتَ السَّبَبَ (أَمْوَالُ البَيْتَامِيِّ).

**(3) الآيَةُ:** وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الكَلِمَةُ المُسْتَعْمَلَةُ آيَةً، أَوْ أَدَاةً لِمَا هُوَ مُرَادٌ، وَمِثَالُهَا مِنْ كَلَامِنَا فِي عَصْرِنَا الحَدِيثِ قَوْلُنَا: "شَرَّفَ اللَّاعِبُ الكُرَةَ الجَزَائِرِيَّةَ"، أَوْ "شَرَّفَ الحَكَمُ الصَّافِرَةَ العَرَبِيَّةَ"، وَالمَرَادُ فِي الأَوَّلَى مَسْتَوَى اللَّعْبِ، وَفِي الثَّانِيَةِ مَسْتَوَى التَّحْكِيمِ، فَالكُرَةُ آيَةُ (أَدَاةُ) اللَّعْبِ، وَالصَّافِرَةُ أَدَاةُ التَّحْكِيمِ. وَمِثَالُهَا أَيْضًا قَوْلُ نَزَارِ قَبَانِي:

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 500.

<sup>2</sup> البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمان حسن الميداني ص 274.275.

<sup>3</sup> غافر 13.

<sup>4</sup> النساء 10.

وَحَارَ الْجَوَابُ بِخُنْجَرَتِي وَجَفَّ النَّدَاءُ وَمَاتَ الْقَمُّ

فقد أطلق الشاعر لفظ (الفم)، وأراد (الكلام)، وبما أن الفم هو أداة (آلة) الكلام، فالعلاقة آلية. ومنها قوله:

مَادَا سَأْفَرًا مِنْ شِعْرِي وَمِنْ أَدْبِي؟ حَوَافِرُ الْخَيْلِ دَاسَتِ عِنْدَنَا الْأَدْبَا  
وَحَاصِرَتْنَا، وَأَدْتْنَا، فَلَا قَلَمٌ قَالَ الْحَقِيقَةَ إِلَّا اغْتِيلَ أَوْ صُلِبَا

فنزار قباني أطلق لفظ (قلم)، وأراد به الشاعر، والقلم هو أداة الكتابة، أي أداة الشاعر، فالعلاقة آلية.

**(4) الكلية:** وفيها يردُّ اللفظ الدالُّ على الكلِّ، ويُرادُّ به الجزء، ومثالها قول محمود غنيم:

أَعَدَدْتُ لِلنَّقَادِ صَدْرًا لَمْ يَضِيقْ يَوْمًا بِمُنْتَقِدٍ فَسِيحُ رِحَابِهِ

فالشاعر ذكَّرَ الكلَّ: (الصدر)، وقصدَ الجزء: (القلب).

ومن نماذج هذه العلاقة في النثر قول أحمد حسن الزيات: "وأجملُ شيءٍ في الربيعِ أصائلُهُ وأماسييه، ففي هَدَيْنِ الْوَقْتَيْنِ تَزْدَهْرُ شَوَارِعُ الْقَاهِرَةِ بِزَهْرَاتٍ شَتَّى مِنْ بَنَاتِ الْإِنْسَانِ، فَتَمَلُّ الْجَوَّ عَطْرًا، وَالْعُيُونَ سِحْرًا، وَالْقُلُوبَ فِتْنَةً." فالمجاز وقع بعلاقته الكلية في قوله: (شوارع القاهرة)، ووقع كذلك في قوله: (تملأ الجو عطرا، والعيون سحرا، والقلوب فتنة). لأنَّ الحقيقة أن بعضا فقط من شوارع القاهرة تزدهر بتلك الزهرات، كما أن تلك الزهرات لا تستطيع أن تملأ الجو كله عطرا والعيون كلها سحرا، والقلوب كلها فتنة.

**(5) الجزئية:** وفيها يردُّ اللفظ الدالُّ على الجزء، ويُرادُّ به الكلِّ، ومثالها قول مفدي زكريا:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ قَالَ فِي اسْتِفْتَائِهِ: لَا.. لَنْ أُبِيحَ مِنَ الْجَزَائِرِ إصْبَعًا

الشاعرُ ذكَّرَ الجزء، وهو مقدار الإصبع من أرض الجزائر، ولكنَّ المراد هو الكلِّ، أي أرض الجزائر كلها.

ومنه قول الشاعر محمد جربوعه في قصيدة "قَدْرُ حُبِّهِ وَلَا مَفَرَّ لِلْقُلُوبِ":

يُحِبُّهُ مُوَلَّةٌ

عَلَى جِبَالِ الْأَلْبِ وَالْأَنْدِيزِ فِي زَفْرُوسَ

فِي جِبَالِ الْقُطْبِ فِي تَجْمُدِ الْعِظَامِ

يَذْكُرُهُ مُسْتَقْبِلًا

تَخْرُجُ مِنْ شِفَافِهِ الْحُرُوفُ فِي بُخَارِهَا

تَخْتَالُ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ.

ففي عبارة (تخرج من شفافه الحروف) أطلق الشاعرُ (الشفاه)، والمقصود (الفم)، والشفاه جزء من الفم.

والعلاقة نفسها في قوله في قصيدة أخرى:

لَكِنِّي فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمَعَةٍ أَدْعُ الْقَصِيْدَةَ جَانِبًا وَأَثُوبُ

حيث أطلق الشاعرُ الجزء (القصيدة)، وأراد الكلَّ (الشعر)، فالمجاز مرسل، وعلاقته الجزئية

ومثالها قولنا: "ألقى الخطيبُ كلمةً مؤثرةً"، فنحن ذكرنا الجزء (الكلمة)، وقصدنا الكلَّ (الخطبة)، ومنها قوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ»<sup>1</sup>، فالآية ذكرت الوجوه، والمقصود (المؤمنون)، فالمذكور الجزء، والمراد الكلَّ.

**(6) المحليّة:** وفيها يردُّ اللفظ الدالُّ على المحلِّ، ويُرادُ ما حلَّ به، مثل قول الشاعر الجزائري محمد جربوعة:

وإذَنْ لِمَآذَا لَا تَسْبِيلُ عُيُونُهَا  
أَمْ أَنَّهُآ تَخْشَى ابْتِلَالَ الْبُرُقُوعِ؟

يريد الشاعرُ بالعيون الدموع، فالدموع هي التي تسيل، والعيون محلُّ للدموع، فالشاعر أطلق المحلَّ، وأراد الحال، فالمجاز مرسل، والعلاقة محلية. ومنها قوله أيضا في قصيدته الرائعة "قَدْرُ حُبِّهِ وَلَا مَفَرَّ لِلْقُلُوبِ":

تُحِبُّهُ الصُّفُوفُ فِي صَلَاتِهَا  
يُحِبُّهُ الْمُؤْتَمُّ فِي مَالِيزِيَا  
وَفِي جَوَارِ النَّبِيِّ فِي مَكَّتِهِ  
يُحِبُّهُ الْإِمَامُ.

فالمجاز المرسل في قوله: (تُحِبُّهُ الصُّفُوفُ فِي صَلَاتِهَا): حيث أطلق الشاعرُ لفظَ الصُّفُوفِ، وأراد المصلِّين. ومن تلك العلاقة قول حافظ إبراهيم:

رَكِبُوا الْبِحَارَ وَقَدْ تَجَمَّدَ مَاؤُهَا  
وَالجَوُّ بَيْنَ تَنَآوُحِ الْأُرُوحِ

فالشاعر أراد أن يقول إنَّ القوم ركبوا السفن الحربية رغم تجمد الماء، واضطراب الرياح، فذكر (البحار)، وأراد (السفن)، فالعلاقة محلية، لأنَّ السفن محلُّها أو مكانها البحر، ومن أمثلتها قول محمود درويش:

سَيِّدِي الْقَاضِي:  
أَنَا لَسْتُ بِجِنْدِي

وَأَنَا لَا شَأْنَ لِي فِي مَا تَقُولُ الْمَحْكَمَةَ.

والمُرَادُ من (المحكمة) القضاة، وهي العلاقة نفسها في قولنا: "قَرَّرَ الْبِرْلَمَانُ أَوْ الْمَجْلِسُ كَذَا وَكَذَا".

**(7) الحاليّة:** وفيها نذكرُ الحال، بدَلًا من المحلِّ الذي حلَّ فيه، ومثالها قول الله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)<sup>2</sup>. فالمقصود من (رحمة الله) الجنة، ولما كانت الجنة محلًّا للرحمة، والرحمة حالةٌ في الجنة فإنَّ العلاقة حاليّة.

**(8) الماضيّة (اعتبار ما كان):** وتُطلقُ هذه الحالةُ عندما نستعملُ كلمةً تُطلقُ على ما كان عليه الشئ، ونحنُ نَقْصِدُ مَا آلَ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، ومثالها قول أسماء بنت أبي بكر الصديق حين رأت ابنها عبد الله بن الزبير- رضي الله عنهم أجمعين- وقد صلبه الحجاج: "أَمَا أَنْ لِهَذَا الْفَارِسِ أَنْ يَتَرَجَّلَ؟" ففي كلمة (الفرسان) مجاز مرسل، لأنه كان قبل قتله فارس الفرسان.

<sup>1</sup> الغاشية 8. 9. 10.

<sup>2</sup> آل عمران 107.

**(9) المُسْتَقْبَلِيَّة (اعتبار ما سوف يكون):** وَهَذَا نَذَكُرُ مَا سَوْفَ يُوُولُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ، ومثالها قول محمد العيد آل خليفة مخاطبا رجال الجزائر:

أَوْلَادُكُمْ خُلْفَاؤُكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ      فَلِدُّوا الْكِرَامَ وَأَخْلَفُوا الْأَخْيَارَا

والمقصود لِدُوا الصَّغَارَ الذين سيكونون في المستقبل كِرَامًا وَأَخْيَارًا، لأنَّ تلك الصفتين لا يمكن اكتسابهما حقيقة إلا في مستقبل أيام الطفل، ومنه قوله تعالى على لسان الملائكة: «إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ<sup>1</sup>» أي سيكون في المستقبل عليماً، لأنَّ صفة العلم لا يكتسبها الغلام إلا مستقبلاً.

**(10) الضديَّة:** وفي هَذِهِ الْعَلَاقَةِ يُطْلَقُ اللَّفْظُ، وَيُرَادُ بِهِ ضِدُّ مَعْنَاهُ، وَيُسْتَعْمَلُ هَذَا الْمَجَازُ لِأَعْرَاضِ السُّخْرِيَّةِ، وَالِاسْتِهْزَاءِ، وَالتَّهْكُّمِ، ومنها قول قائد الجيش لجلاديه: "أَكْرِمُوا أُسْبِرَكُمْ"، (راجع قصة خالد بن الوليد رضي الله عنه، حين قال لجنوده في ليلة باردة: "أَدْفِنُوا أُسْرَاكُمْ"، وإن كان ابن الوليد يقصد المعنى الحقيقي، لا المجازي كما فهمه الجنود). ومن هذه العلاقة أيضا قول بعض الصَّحَافِيِّينَ: "أَكْرَمَ الْفَرِيقُ الْمُضِيفُ مَرْمَى الضُّيُوفِ بِوَابِلٍ مِنَ الْأَهْدَافِ". قال الشاعر القروي في قصيدة "العزير والذليل":

جَادَ الْعَزِيرُ عَلَى الدَّلِيلِ بِصَفْعَةٍ      تَرَكْتُ بِصَحْنِ الْخَدِّ طَابِعَ حَمْسِهِ  
وَمَضَى الْعَزِيرُ يَحُكُّ رَاحَةَ كَفِّهِ      وَمَضَى الدَّلِيلُ يَحُكُّ جِلْدَةَ رَأْسِهِ

### بلاغة المجاز المرسل:

"يؤدِّي المجاز المرسل دوراً هاماً في بلاغة التعبير، لأنه يوسِّع دلالاته، ويبيِّعُ على التأمل الذي يُخَلِّصُ العبارة من قيود المباشرة، ويفتح المجال واسعاً أمام الخيال"<sup>2</sup>. وتكمن أهميته كذلك في كونه "يُضْفِي على الصُّورة رونقا بديعاً، ويوسِّع دائرة الإيحاء، ويكْمَلُ وظيفة اللُّغة من خلال الرؤية الفنيَّة للأشياء، وإذا كان مُسْتَحَبًّا فيه الغموضُ الفنِّي، فإنَّ هذا الأخير لا يعني التَّعْقِيدَ، ففي المجاز المرسل يتشوقُّ القارئُ إلى تحصيل الصُّورة كاملةً، فيشعرُ بلذَّة الاكتشاف، بعد أنْ أعمل عقله، وخياله في اكتشاف العلاقات القائمة بين ضروبه"<sup>3</sup>.

والمجاز يحقق الإيجاز، وهو مقصد من أهم مقاصد البلاغة، مثل قول محمد العيد: "لِدُوا الْكِرَامَ، وَأَخْلَفُوا الْأَخْيَارَا"، والمقصود لِدُوا الصَّغَارَ الذين سيكونون في المستقبل كِرَامًا وَأَخْيَارًا. وهكذا لا يلجأ إلى المجاز إلا لتحقيق غاية في صناعة الكلام، فإذا لم يحقق المجاز غاية من الغايات السابقة، ولم يكن له أثر في تقويم اللفظ أو تحسين المعنى، فلا ينبغي العدول عن الحقيقة إليه"<sup>4</sup>.

**التدريب الأول:** اكتشف المجاز المرسل، وعلاقاته فيما يأتي:

- قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة:

<sup>1</sup> الحجر 53.  
<sup>2</sup> علوم البلاغة مرجع سابق ص 230.  
<sup>3</sup> المرجع نفسه ص 231.  
<sup>4</sup> البيان العربي دكتور بدوي طبانة ص 297.

أَحَدْتُ كُلَّ قَارِنَةٍ

تُقَنِّشُ فِي بَقَايَا الْبُرِّ

فِي الْفَنْجَانِ

عَنْ بَخْتٍ.

- وقال أيضا:

فَقِيرٌ

يَكْسِرُ الْأَحْجَارَ فِي (دِلْهِي)

وَيُخْرِجُ خُبْزَهُ مَرًّا

وَيَحْلُمُ بِالْمَسَاءِ الْخُلُو.

- وله كذلك:

فَيُرْسِلُ الْعُيُونَ فِي أَنْدِهَاشِهَا

وَيُرْسِلُ الشَّفَاهَ فِي سَلَامِهَا مُصَلِّيًا.

- قال نزار قباني:

أَشْكُوكِ لِلسَّمَاءِ

كَيْفَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْتَصِرِي

جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ نِسَاءٍ؟

- قال أبو القاسم سعد الله متغنيا بثورة "نوفمبر":

كَانَ حُلْمًا.. كَانَ شَوْقًا.. كَانَ لَحْنًا

عَيْرَ أَنَّ الْأَرْضَ تَارَتْ

وَالهَيْئَاتِ تَعَالَتْ

مِنْ رِصَاصِ الثَّائِرِينَ.

- قال أبو ماضي في الشباب:

عَدُّ لَهُمْ وَعَدُّ فِيهِمْ

وَيَا حَبَّذَا الْأَمَّهَاتِ اللَّوَاتِي

فَكَمْ خَلَدَتْ أُمَّةً بِيَرَاعِ

- وقال أبو ماضي في الرثاء:

مَا كُنْتُ أُدْرِي قَبْلَ طَارِ نَعِيهِ

- ولإيليا أبي ماضي في الإنسان المُتَكَبِّر:

فَيَا أُمْسُ فَاخِرُ بِمَا هُوَ آتٍ

يَلِدُنَّ النَّوَابِغَ وَالنَّابِغَاتِ

وَكَمْ نَشَأَتْ أُمَّةٌ فِي دَوَاةٍ

أَنَّ النَّفُوسَ مِنَ الْعُيُونَ تَسِيلُ

حَقِيرٌ فَصَالَ تِيهَهَا وَعَرَبًا دُ

كَانَسِيكَابِ السَّمَاءِ فِي عَيْنَيْكَ

كَمْ جِرَاحٍ سَأَلَتْ عَلَى الْأَعْوَادِ

كَانَسِيَابِ الرَّقْطَاءِ فَوْقَ الرَّغَامِ

سَكْرَى يُمَزَّقُ جُنْدُهَا أَوْصَالَهَا

وَدَّرِ الزَّمَانَ يُعَجَّلِ اضْمِحْلَالِهَا

إِلَى الْقُدْسِ كَيْ نَنْصُرَ الْمَسْجِدَا

بَنَنْتُهُ أَنْأَمِلُ الذَّوْقِ السَّلِيمِ

لَمَّا نَامَ تَحْتَ التَّرْبِ حَيْ لَهْ أُمُّ

تَرْوِيضُ ذِي نَابٍ مِنَ الْإِحْسَانِ

رَى، فَأَهْلًا بِمَوْلِدِ الْأَمَالِ

سَمِعْتَ فِي الْعَرَبِ تَهْلِيلَ الْمُصَالِينَا

نَوَاكِسُ خَاشِعَاتٍ لِلْقَضَاءِ

نَسِي الطَّيْنِ سَاعَةً أَنَّهُ طِينٌ

- قال بشارة الخوري:

فَاسْكُوبِي رُوحَكَ الْحَنُونَ عَلَيْهِ

- وقال بشارة الخوري:

أَنَا أَدْرَى بِالطَّيْرِ حِينَ تُغْغِي

- قال حافظ إبراهيم في وصف القطار:

يَا حَدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدِ

- قال الشاعر الجزائري مفدي زكريا:

فَأَثْرُكَ فِرْنَسَا وَهِيَ أَخْلَامُهَا

دَعَهَا مَعَ الْأَحْدَاثِ تَحْصِدُ زَرْعَهَا

- قال أحمد سحنون:

إِلَى الثَّارِ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ

- قال حافظ إبراهيم واصفا قصرا:

فِيَا لَكَ مَنْزِلًا رَحْبًا سَرِيًّا

- قال الشاعر القروي في الحكمة:

وَلَوْ كَانَ يُغْنِي الْخُبُّ أَوْ يَدْفَعُ الرَّدَى

- وللشاعر القروي في الغرب:

أَحْسِنُ إِلَيْهِمْ بِالْإِسَاءَةِ إِنَّمَا

- قال علي الجارم في مولد ابنة الملك فاروق "فريال":

صَفَّقْتَ مِصْرُ حِينَ مَا جَاءَتْ الْبُشْ

- وقال أيضا:

إِنْ كَبَّرْتَ بِأَقْصِي الصَّيْنِ مُدْنَةَ

- وللجارم أيضا في الرثاء:

قَضَى دَاوُدُ فَالْأَقْلَامُ حَسْرَى

**التدريب الثاني:** حدّد المجاز المرسل، وعلاقته في الأمثلة الآتية:

- قال الله عزَّ وجلَّ:

- ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الأعراف 31

- ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾ الأنعام 6

- «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ» المسد 1.
- «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» الزمر 30.
- «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ» الغاشية 2.
- «وَأَلَيْسَتْغَفِبِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا» النور 33.
- «وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ» المرسلات 48.
- «فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ» الجمعة 9.
- «قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا» يوسف 36.
- «فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ» الصافات 101.
- قال ميخائيل نعيمة: "عَدَا تَنْتَهَى الْحَرْبُ، فَلَا مِدْفَعٌ يَفْذِفُ الْحُثُوفَ، وَلَا دَبَابَةٌ تَنْشُرُ الْبَوَارَ، وَلَا طَائِرَةٌ تُمَطِّرُ الْفَنَاءَ، وَلَا عَوَاصِفٌ تَزْرَعُ الْأَعْمَاقَ رُكَّامًا وَعِظَامًا".
- قالت مي زيادة: "أَتَعْرِفُونَ كَيْفَ تَحَزَنُ عِيُونَ الْأَطْفَالِ؟ حَدَقَ إِلَيَّ سَائِلًا عَنْ أَعَزِّ عَزِيزٍ لَدَيْهِ، وَقَالَ بِصَوْتٍ هَادِيٍّ: أُمِّي.. أُمِّي".
- قال طه حسين: "الْأَدِيبُ يُحَيِّلُ إِلَى نَفْسِهِ أَنَّ الْأَدَبَ نَفَحَاتُ طَبِيعِيَّةٍ تَصْدُرُ عَنْ أَصْحَابِهَا مِنَ الصُّدُورِ".
- قال توفيق الحكيم: "مَا مِنْ شَيْءٍ أَنَّنَا سَنَجِدُ فِي مُخْتَلَفِ فُرُوعِ الْأَدَبِ أَفْلَامًا سَتَكُونُ لَهَا الصَّدَارَةُ وَالْقِيَادَةُ فِي الْأَعْوَامِ الْمُقْبِلَةِ".
- قال أحدهم: "طَبِيبُ الْأَسْنَانِ رَجُلٌ يَحْصُلُ عَلَى نُفْمَتِهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْآخَرِينَ".
- قيل: "شَهْرُ الْعَسَلِ هُوَ الْإِجَارَةُ الَّتِي يَحْصُلُ عَلَيْهَا الرَّجُلُ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ الْعَمَلَ تَحْتَ الرَّئِاسَةِ الْجَدِيدَةِ".

## المَجَازُ العَقْلِيّ

**تعريف المجاز العقلي:** "هُوَ إِسْنَادُ الفِعْلِ، أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ إِلَى غَيْرِ مَا هُوَ لَهُ، لِعِلَاقَةِ مَا، مَعَ وُجُودِ قَرِينَةٍ تَمْنَعُ مِنْ إِرَادَةِ الإِسْنَادِ الحَقِيقِيِّ"<sup>1</sup>، والمَقْصُودُ بِ (مَا فِي مَعْنَاهُ): المُشْتَقَاتُ الَّتِي تَعْمَلُ عَمَلَ الفِعْلِ، كالمَصْدَرِ، واسْمِ الفَاعِلِ، واسْمِ المَفْعُولِ، والصفَةِ المُشَبَّهَةِ، واسْمِ التَّفْضِيلِ.

### علاقات المجاز العقلي:

**السَّبَبِيَّة:** وفيهَا يُسْنَدُ الفِعْلُ، أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ، إِلَى السَّبَبِ الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ. ومثالها: "أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ"، لاحظ أننا أسندنا الفعل "أهلك" إلى الدينار، الدينارُ لا يهلك الناسَ حقيقة، بل هو سببُ الفتنة التي تؤدي إلى الهلاك، فالمجاز عقلي، والعلاقة سببية.

ومنها قول نزار قباني:

يَا فِلْسُطِينُ، لَا تُتَّادِي عَالِيَهُمْ      قَدْ تَسَاوَى الأُمُوتُ والأَحْيَاءُ  
قَتَلَ النَفْطُ مَا بِهِمْ مِنْ سَجَايَا      وَلَقَدْ يَفْتُلُ الثَّرِيَّ الثَّرَاءُ

ومنها قول مفدي زكريا في إشارة إلى (عصبة الأمم) غير المأسوف عليها:

كَمْ خَانَ فِيهَا قَضَايَا العَدْلِ ناصِعَةً      قَوْمٌ يَسُوْفُهُمُ (الدُّوَلَارُ) كَالْبَقَرِ!

ومنها قول محمود غنيم:

الفَنُّ إِنْ يَأْخُذُ بِسَاعِدِ أُمَّةٍ      نَهَضَتْ، وَتَذَهَبُ رِيحَهَا بِدَهَابِهِ

والمقصود من الفن الفنانون، فهم الذين يأخذون بسواعد الأمة، وقد نُسب الفعلُ إلى الفن لأنَّ الفن هو سبب النهضة.

ومن هذه العلاقة قول بعضهم: "شَفَى الطَّبِيبُ المَرِيضَ"، فالشافي هو الله تعالى، والطبيب سببُ في الشفاء، ومنها أيضا قولنا: "بَنَى رَئِيسُ الجُمهُورِيَّةِ جَامِعَ الجَزَائِرِ الأَعْظَمَ"، فالرئيس ليس في الحقيقة فاعلاً، وإنما هو مَنْ أصدر قراره بالبناء، فكان بناء الجامع في عهده، نقول لقد أسندنا فعل (بنى) إلى الرئيس، ولكنه ليس الفاعل الحقيقي، إنما الفاعل الحقيقي هم العُمَّالُ، والبنائون الذين يبنون الجامع بقرار صادر من الرئيس.

**الزَّمَانِيَّة:** وفيهَا يُسْنَدُ الفِعْلُ إِلَى الزَّمَانِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ، ومثالها قول معروف الرصافي:

أَقُولُ وَأَيْلُ العَرَبِ لَيْسَ بِنَائِمٍ:      أَمَا لِنِيَامِ القَوْمِ فِي الشَّرْقِ مِنْ بَعَثٍ؟

حيث أسند الشاعرُ النَوْمَ الذي هو فعلٌ للإنسان إلى الليل، والليل لا ينام، بل يقع فيه النوم، فإسنادُ النوم لليل

مجازٌ عقلي، علاقته الزمانية.

ومنه قول مفدي زكريا:

نُوفَمَبْرُ عَيَّرَتْ مَجْرَى الحَيَاةِ      وَكُنْتُ نُوفَمَبْرُ مَطَّاعِ فَجْرٍ

<sup>1</sup> المعجم المفصل في علوم البلاغة الدكتوراة إنعام نزال عكاوي ص 639.

**المَكَائِيَّة:** وفيها يُسَنَدُ الفِعْلُ، أو مَا فِي مَعْنَاهُ، إِلَى مَكَانِ المُسْنَدِ إِلَيْهِ، أَيْ يُسَنَدُ الفِعْلُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ، ومثاله قولنا: "في بلادنا حدائقٌ غناء"، من الواضح أنّ الحدائق لا تغني، وإنما أسندنا الغناء إلى غير فاعله الحقيقي، وبما أنّ الفاعل الحقيقي الذي يغني هو الطيور، والعصافير، التي مكانها الحدائق، لذلك أسندنا الغناء إلى الحدائق، على سبيل المجاز العقلي، الذي علاقته مكانية.

وقد جمع الشاعرُ محمدُ العبدُ آل خليفة بين الفاعلين الحقيقي، والمجازي في قوله في وصف فوّارة:

يَا حَبَّادًا عَيْنٌ تُفُورُ      حَقَّتْ بِحَاقَتِهَا الزُّهُورُ  
فِي رَوْضَةٍ غَنَاءٍ قَدْ      غَنَّتْ بِسَاحَتِهَا الطُّيُورُ

**المَصْدَرِيَّة:** وفيها يُسَنَدُ الفِعْلُ إِلَى مَصْدَرِهِ، بَدَلًا مِنَ الفَاعِلِ الحَقِيقِيِّ، ومثاله قول ميخائيل نعيمة في وصف الحرب: "كَانَ العَالَمُ فِي حُمَى، وفي هَذَيَان، أو كَأَنَّ النَّاسَ قَدْ جُنُّ جُنُونُهُمْ". والمعنى: جُنَّ النَّاسُ، ومثاله أيضا قول نزار قباني:

فَدُنُوبُ شِعْرِي كُلُّهَا مَعْفُورَةٌ      وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ التَّوَابُ

والمعنى: جَلَّ اللهُ. حيث أسند الشاعرُ الفعلُ إلى مصدره، بدل أن يسنده إلى الفاعل الحقيقي.

ومثل قول شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

نُوفَمَبْرُ جَلَّ جَلَالُكَ فِينَا      أَلَسْتَ الَّذِي بَثَّ فِينَا اليَقِينَا؟

ومثاله كذلك (جَدَّ جِدُّهُمْ)، فنحن جعلنا المصدر (جِدُّهُمْ) فاعلاً، وأسندنا الفعل إليه بدلاً من الفاعل الحقيقي. كقول محمد العبد آل خليفة:

جَدَّ جِدَّ الإِسْلَامِ فِي كُلِّ أَرْضٍ      وَأَنْجَلَى عَنِ بَنِيهِ دَاءَ الفُتُورِ

**الْفَاعِلِيَّة:** وفيها يُسَنَدُ الفِعْلُ إِلَى صِيغَةِ اسمِ المَفْعُولِ، والمُرَادُ هُوَ اسمُ الفَاعِلِ، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ الإسراء 45، فالجبابُ في أصله سَاتِرٌ، لا مَسْتُورٌ، نقول: لقد حَلَّ اسمُ الفاعلِ مَحَلَّ اسمِ المَفْعُولِ، فالعبارة إذن مجازٌ عقلي، والعلاقة فاعليَّة.

**المَفْعُولِيَّة:** وهي عَكْسُ العِلَاقَةِ السَّابِقَةِ، وفيها يُسَنَدُ الفِعْلُ إِلَى صِيغَةِ اسمِ الفَاعِلِ، والمُرَادُ اسمُ المَفْعُولِ، نحو قولنا: "هَذَا مَكَانٌ آمِنٌ"، أو: "الطَّرِيقُ سَالِكَةٌ"، فنحن استخدمنا صيغة اسم الفاعل (آمن) و(سالكَة)، ونريد صيغة اسم المفعول (مأمون)، و(مسلوكة)، ففي العبارتين مجازٌ عقلي، والعلاقة مفعوليَّة.

ومثاله قول محمد العبد آل خليفة:

رِيَاضٌ دَنَّتْ لِلطَّامِعِينَ فُطُوفُهَا      فَلَمْ يَمْتَنِعْ مِنْهُمْ عَنِ القَطْفِ طَاعِمٌ

المذكورُ اسمُ الفاعلِ: (طَاعِمٌ)، والمقصودُ اسمُ المَفْعُولِ: (مَطْعُومٌ).

ومثاله قول محمود سامي البارودي:

جُودِي عَلَيَّ وَلَوْ بَوَعِدِ كَاذِبٍ      فَالْوَعْدُ فِيهِ تَعَلُّةٌ وَرَجَاءٌ

والمقصود: (جودي علي ولو بوعد مكذوب).

وقول خليل مطران:

مَا أَسْخَفَ الْعَبْرَاتِ سَاكِبَةً      وَالنَّعْشُ يَحْجُبُ وَجْهَ مُبْتَسِمٍ

فالعبرات تكون مسكوبة لا ساكبة.

**قرينة المجاز العقلي:** للمجاز العقلي أربع قرائن هي:

**القرينة اللفظية:** قد تُذكر في الكلام قرينة المجاز العقلي ذكراً لفظياً، مثل: "بَنَى أُغْنِيَاءَ الْمَدِينَةِ مَسْجِداً بَدِيعاً بِفَضْلِ أَمَّهْرِ الْبَنَانِينَ"، فالقرينة كما نلاحظ لفظية، وهي (بفضل أمهر البنانيين).

**القرينة العقلية:** مثل: "شَوَّقِي إِلَى الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ سَاقِنِي إِلَى زِيَارَتِهَا"، فالشوق ليس في الحقيقة فاعلاً، لكنّه الدافع للزيارة، وهذا أمر يُدرَك بالعقل.

**القرينة المُدرَكة بالعادة:** مثل: "كَتَبْتُ الصَّحِيفَةَ مَقَالاً مُثِيرًا عَنِ الْبَيْئَةِ"، فالصحيفة ليست في الحقيقة فاعلاً، وإنما الصَّحَافِي هو الفاعل الحقيقي، وإدراك ذلك يكون بالعادة.

**القرينة الحالية:** مثل: "كَتَبَ الْوَالِدُ رِسَالَةً إِلَى ابْنِهِ الْمُهَاجِرِ"، فإن كانت حالُ الوالدِ معروفةً بأنّه أمِّي، عرفنا بأنه أمرٌ مَنْ يكتبها له، فالقرينة حالية.

### بلاغة المجاز العقلي:

المجازُ العقليُّ أسلوبٌ راقٍ، يُعبّرُ عن سعة اللغة العربية، وقُدْرَتها على تجاوز حدود الحقيقة إلى الخيال، ويسمّيه بعضُ البلاغيين الإسنادَ المجازي، لذلك ترى كثيراً من الباحثين يدرجونه في علم المعاني، لا في علم البيان. ويُعتبرُ المجازُ العقليُّ من الأساليب البلاغية التي وسَّعت مجالات التعبير، وأضفت على اللّغة طابع الجمال، فبِوَسْاطَتِهِ أثبتت اللّغة العربية قُدْرَتها على القفز فوق حدود الحقيقة، بُغْيَةَ استيعاب الصُّور الخياليّة السَّاحرة، وقد أطلق أئمّة البلاغة العِنان في الحديث عن بلاغة المجاز العقلي، فقال ابن رشيق القيرواني في كتابه (العُمدة): "إنّ العرب كثيراً ما تستعمل هذا المجاز، وتعدّه من مفاخر كلامها، وهو دليل الفصاحة، وبه بانّت لغتها عن سائر اللغات، والمجازُ في كثيرٍ من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقِعاً في القلوب، والأسماع".

**تدريب:** اكتشف المجاز العقلي، وحدّد علاقته، وبيّن بلاغته فيما يأتي:

- قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة في قصيدة: "لَقَطَاتُ تَقُولُ يَا اللَّهُ":

أخبريني

مَنْ إِذَا الْفَنْدِيلُ فِي الشَّارِعِ

أَنْهَى الزَّيْتِ..

وَالْحَارِسُ قَدْ نَامَ قَلِيلاً

يُرْسِلُ الْبَدْرَ لِيَأْتِينَا بِحَفَنَاتِ ضِيَاءٍ؟

- قال أحمد أمين: "الأمي لا يستطيع أن يستنير بكتاب ولا بصحافة، ولا يتصل بالأمّة وشؤونها إلا من طريق ضيق فاسد، كالإشاعات والروايات الكاذبة."

- ولأحمد أمين: "رحم الله زماناً كان الأب فيه الأمر الناهي، والحاكم المطلق، والملك غير المتوج." - وكتب قائلاً: "ربما كان في النقد أحياناً هجر، وهجو، وسباب، ولكن كان بجانب ذلك حقائق تُداع، وبُحوث تُنشر، تعال فانظر معي الآن إلى ما وصلنا إليه، لقد كثرت الكتب التي يطبعها المؤلفون، وأصبح الإنتاج الأدبي أضعاف ما كان."

- قال ميخائيل نعيمة: "لا أنكر أن للنقط قيمة كبيرة في تسيير عجلات المدينة، ولكنني أنكر على النقط قيمة جديرة بأن تُهدر في سبيلها الدماء البشرية الزكية، فنزّهق الأرواح، وتتفتت الأكباد، وتغدو المدن الأهلة والقرى العامرة خراباً، والحقول والبساتين العناء يباباً."

## الْكِنَايَةُ

**تعريف الكناية لغة:** "الكناية من الاكْتِنَان، وهو السُّتْر، وأصلها كِنَانَةٌ، وإنَّمَا قُلِبَتْ النُّونُ يَاءً هَرَبًا مِنْ تَكَرَّرِ نُونَيْنِ"<sup>1</sup>. فالكناية أن تتكلم بشيء، وتريد غيره، مما يدل عليه. وهي الكلام على الشيء على نحو غير مباشر، إذ هي عكس الإيضاح، وعكس المصارحة. قال أحمد شوقي في الغزل:

يَا فَتَاةَ الْعِرَاقِ، أَكُنْتُمْ مَنْ أَنْتِ — وَأَكْنِي عَنْ حُبِّكُمْ بِالْعِرَاقِ

**الكناية اصطلاحاً:** عرف الجرجاني الكناية بقوله: "هي أن يُريدَ المُتَكَلِّمُ إثباتَ مَعْنَى مِنَ المَعَانِي، فَلَا يَذْكُرُهُ بِاللَّفْظِ المَوْضُوعِ لَهُ فِي اللُّغَةِ، وَلَكِنْ يَجِيءُ إِلَى مَعْنَى هُوَ تَالِيَهُ وَرَدُّهُ فِي الوجودِ، فَيُومِئُ بِهِ إِلَيْهِ، وَيَجْعَلُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ"<sup>2</sup>. ولقد اشتهر في الكناية التعريف الآتي: "الكناية لفظ أطلق، وأريد به لازم معناه الحقيقي، مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي"<sup>3</sup>.

### أقسام الكناية:

**1) الكناية عن صفة:** "وهي الكناية التي يستلزم لفظها صفة من الصفات"<sup>4</sup>، كالندم، وكالبخل، والكرم، والشجاعة، والجبن، والذكاء، والحمق، وغيرها من الصفات. ومن نماذجها قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

يَا لَمَجْدٍ مُضَيِّعٍ غَيْرُ مُجْدٍ — عَضُّ كَفٍّ عَلَيْهِ أَوْ قَرَعِ سِنٍّ

فالشاعر ذكر صفتين (عض الكف)، و(قرع السن)، وتلك صفتان غير مقصودتين، وإنما كان مراد الشاعر صفتين لازمتين عنهما، وهما الندم والحسرة.

ومن نماذجها قول محمد العيد مخاطباً شهر رمضان الكريم:

حَمَلَتْ لَهَا مِنَ الزَّيْتُونِ غُصْنًا — كَمَا حَمَلَتْهُ سَالِفَةُ الْحَمَامِ

فالشاعر يريد القول إن شهر رمضان الفضيل يحمل للبرايا التراضي والسلام بعد العداوات والخصام، لكنه عير عن تلك الصفات المقصودة بصفة أخرى غير مقصودة في ذاتها، وهي (حمل غصن الزيتون).

ومن الكناية عن الصفة قول علي الجارم:

لَا يَنْزِلُ الضَّيْفُ صُبْحًا عُقْرَ دَارِهِمْ — إِلَّا وَيُؤْمِسِي عِشَاءً صَاحِبَ الدَّارِ

فالشاعر ذكر صفة امتلاك الضيف للدار، وهي ليست الصفة المقصودة، بل أراد صفة ثانية لازمة عنها، وهي صفة الكرم، فلفظ (صاحب الدار) هو اللفظ الذي كنى به، والكرم هو المعنى الذي كنى عنه.

ومنها قول علي الجارم أيضاً:

<sup>1</sup> جوهر الكنز لابن الأثير الحلبي ص 100.

<sup>2</sup> دلالات الإعجاز للجرجاني ص 105.

<sup>3</sup> علم البيان عبد العزيز عتيق ص 203.

<sup>4</sup> علوم البلاغة مرجع سابق ص 243.

فَوَقَّفَتْ فَأَنْحَنَّتِ الرَّؤُوسُ      سُنْ فَكُنْتِ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبَا

فانحناء الرؤوس كناية عن صفة الاحترام والإجلال، وعلو الكعب كناية عن التفوق والتميز.  
ومن كنايات الصفة قول علي الجارم في الغزل:

عَلِفْتُهَا صَامِتَةَ الْحَجَلَيْنِ      أَنْصَعَ مِنْ سَبِيكَةِ اللَّجَيْنِ

فالشاعر يصف من تعلّق بها، فيقول إنها صامتة الخالخين، أي لا يُسمع لهما حسّ، وهي كناية عن امتلاء ساقيها.

ومنها قول محمود سامي البارودي في صفة الكرم:

فَزُرْهُمْ تَجِدْ مَعْرُوفَهُمْ دَانِي الْجَنَى      عَلَيْكَ وَبَابِ الْخَيْرِ لَيْسَ لَهُ قُفْلٌ

ومنها قول أحمد شوقي مفتخرا بقومه:

يَا ابْنَ الَّذِينَ إِذَا الْحُرُوبُ تَتَابَعَتْ      صَلَّوْا عَلَيَّ حَدَّ السُّيُوفِ وَصَامُوا

فالشاعر يثبت علو كعب في التصوير، ويذكر صفة صلاة وصيام قومه على حدّ السيوف، ولكنها ليست الصفة المقصودة في ذاتها، بل الصفة التي قصدها الشاعر هي شجاعة قومه في الحروب، وملازمتهم للسيوف، مثلما يلزم المتعبد صلاته وصيامه.

ومنها قول معروف الرصافي في قصيدة "مليكة غناء العرب":

نَكَادُ إِذَا هِيَ غَنَّتْ نَطِيرُ      إِلَيْهَا بِأَجْنَحَةٍ مِنْ طَرَبِ

وإن هِيَ قَامَتْ لِإِنْشَادِهَا      جَنَوْنَا لَهَا وَتَنِيْنَا الرُّكْبِ

في البيت الأول كناية عن صفة الإعجاب أو الانبهار بغناء المطربة، وفي البيت الثاني كناية لطيفة عن صفة الإنصات أو الإصغاء للطرب الأصيل.. فكانّ على رؤوسهم الطير.

ومن كنايات الرصافي قوله مخاطبا قومه:

فَقَدْ بَحَّ صَوْتِي وَاسْتَشَاطَتْ جَوَانِحِي      وَقَلَّ اصْطَبَارِي وَاسْتَطَالَ بُكَائِي

ومن نماذج الكناية عن الصفة قول فوزي المعلوف في شأن النازحين عن لبنان بسبب الحرب:

وَدَعَوْهَا وَالْمَاءُ مِْلءُ الْمَاقِي      لِنَوَاهَا وَالنَّارُ مِْلءُ الْكُبُودِ

فالشاعر ذكر النازحين عن وطنهم، ونسب إليهم صفتين: الأولى: (امتلاء المآقي بالماء)، والثانية: (تأجج النار في الأكباد)، ولكن الشاعر لم يُرد تلك الصفتين، وإنما أراد الصفة اللازمة عن كلّ منهما، أي: الحزن الشديد، وحرقة القلب.

ومن الكنايات الراقية قول الشاعر القروي مفتخرا بقومه العرب:

تَمِيْدُ بِنَا الْجِبَالِ إِذَا رَحَفْنَا      وَتَرْتَجُّ السُّهُولُ بِنَا ارْتِجَاجَا

سَنَنْفُتُحُ فِيكُمْ لِلْمَوْتِ سُوقَا      تُلَاقِي فِي صُفُوفِكُمْ رَوَاجَا

في البيت الأول كناية عن صفة القوّة والبأس، وفي البيت الثاني كناية عن صفة التهديد والوعيد.  
ومن كنايات القرويّ الخالدة قوله:

وَالْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ يَرَهُنُ سَيْفَهُ      فَحِجَايَهُ الشَّرْفِ الرَّفِيعِ سَرَابُ

فالصفة المذكورة، وهي غير مقصودة لذاتها هي (يرهن سيفه)، والصفة المقصودة اللازمة عنها هي صفة الجبن والخور، نقول إنّ (رهن السيف) هو اللفظ الذي كنى به الشاعر، والجُبْنُ هو المعنى الذي كنى عنه. ومنها قولُ إيليا أبي ماضي في صفة الجُبْنِ:

وَقُلُوبُهُمْ قَدْ أَسْرَعَتْ ضَرْبَاتُهَا      وَتَظُنُّهَا وَقَفَتْ عَنِ الْخَفَقَانِ  
مُتَأَفِّتِينَ إِلَى الْوَرَاءِ بِأَعْيُنٍ      تَتَخَيَّلُ الْأَعْدَاءَ فِي الْأَجْفَانِ

ومن الكنايات الظريفة قول محمود غنيم:

أَأَنْشِي كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ بَيْتٍ      وَأَسْكُنُ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْكَرَاءِ؟

الشرط الأول كناية عن صفة الإكثار في الشعر، أي أنه شاعر مكثّر، والشرط الثاني كناية عن صفة الفقر. ومن هذا النوع من الكنايات قول مصطفى صادق الرافعي:

وَلَوْ هَبَّ النَّسِيمُ عَلَيَّ يَوْمًا      لَزَحَزَحَنِي وَرَبَّكَ عَنْ مَكَانِي

فالشاعر يشكو فراق من يحبُّ، وقد نسب لجسده صفة غير مقصودة لذاتها (زَحَزَحْتُهُ عَنْ مَكَانِهِ بِفِعْلِ هَبُّوبِ النَّسِيمِ)، وإنما أراد الصفة اللازمة عن تلك الصفة، وهي صفة النحول، والهزال.

- أمّا الآن فسأتركك أيها القارئ الكريم مع طائفة مختارة من كنايات الشاعر الكبير نزار قبّاني، هذا الأديب الذي لا تكاد تقع عينك على بيت له، أو سطر، أو جملة، إلا وقد ضمّنها كناية رائعة، فكأنما هو يغرف الكنايات من البحر، أو كأنما يدّخرها في علب!

- يقول نزار قبّاني: "يُرِيدُ بَعْضُ النَّقَادِ الْقَوْلَ إِنَّ جَمِيعَ النَّيَابِ الَّتِي لَبِسْتُهَا خِلَالَ أَرْبَعِينَ عَامًا كَانَتْ مَلَابِسَ مُسْتَعْمَلَةً، وَإِنَّ كُلَّ الْقَمَاشِ الَّذِي اسْتَعْمَلْتُهُ كَانَ مِنْ وَبَرِ الْجَمَلِ، وَإِنِّي لَا أَزَالُ أُرْبِطُ نَاقَتِي عَلَى أَبْوَابِ فَنَادِي لُنْدُنَ، إِنَّ الْقَصِيدَةَ الْعَمُودِيَّةَ بَدَأْتُ تَلْمِمْ نِيَابَهَا، وَتَجَمَّعَ حَقَائِبُهَا مُنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ، وَلَيْسَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي شَيْءٍ أَنْ نَرْمِيَهَا هِيَ وَحَقَائِبُهَا مِنَ النَّافِذَةِ".

- وقال في مَنْ يعترضون على شعره التجديدي: "طَبَعًا أَنَا لَا أَسْقِطُ الْحَطِينَةَ وَالْفَرَزْدَقَ وَالنَّابِغَةَ مِنْ شَجَرَةِ الْعَائِلَةِ، وَلَكِنِّي بِالتَّأَكِيدِ لَا أَطْلُبُ إِذْنَهُمْ، وَأَهَاتِفُهُمْ كُلَّمَا جَلَسْتُ لِأَكْتُبَ قَصِيدَةً".

- ومن شعره الكنائي قوله:

لَأَنْنِي حَاوَلْتُ أَنْ أَكْشِفَ عَنْ حُزْنِي وَعَنْ بِلَائِي

ضُرْبْتُ بِالْحِذَاءِ

يَا سَيِّدِي السُّلْطَانَ

لَأَنَّ نِصْفَ شَعْبِنَا لَيْسَ لَهُ لِسَانٌ..

نُرِيدُ جِبِلًّا يَفْلَحُ الْأَفَاقَ  
وَيَنْكُشُ التَّارِيخَ مِنْ جُذُورِهِ  
وَيَنْكُشُ الْفِكْرَ مِنَ الْأَعْمَاقِ  
نُرِيدُ جِبِلًّا لَا يَنْحَنِي.. لَا يَعْرِفُ النَّفَاقَ  
يَا أَيُّهَا الْأَطْفَالُ  
أَنْتُمْ الْجِبِلُّ الَّذِي سَيَكْسِرُ الْأَعْلَالَ  
وَيَقْتُلُ الْأَقْيُونَ فِي رُؤُوسِنَا  
وَيَقْتُلُ الْخِيَالَ.  
- وقال أيضا:

مَا زِلْنَا مُنْذُ حَزِيرَانَ... نَحْنُ الْكُتَّابُ  
نَتَمَطَّى فَوْقَ وَسَائِدِنَا  
نَرْكَبُ أَحْصِنَةَ مِنْ خَشَبٍ  
وَنُقَاتِلُ أَشْبَاحًا وَسَرَابٍ.  
- ولنزار:

وَنَلْبَسُ جِلْدَ النُّمُورِ وَنَحْنُ حَمَامٌ  
وَنَزَعُمُ أَنَا جِبَالَ  
وَنَحْنُ نَطِيرُ بِكُلِّ اتِّجَاهٍ كَرِيشِ النَّعَامِ.  
- وقال أيضا:

فَمَا زِلْنَا نَطْفِطِقُ عَظْمَ أَرْجُلِنَا  
وَنَقْعُدُ فِي بُيُوتِ اللَّهِ نَنْتَظِرُ  
بَأَنْ يَأْتِيَ الْإِمَامُ عَلِيٍّ.. أَوْ يَأْتِيَ لَنَا عَمْرُ  
وَلَنْ يَأْتُوا.. وَلَنْ يَأْتُوا  
فَلَا أَحَدَ بِسَيْفٍ سِوَاهُ يَنْتَصِرُ.

**(2) الكناية عن موصوف:** "وهي الكناية التي يستلزم لفظها ذاتا، أو مفهوما" <sup>1</sup>، كالرجل، والمرأة، والوطن، والقلب، والموت، وغيرها. قال محمود غنيم بمناسبة تكريم الأديب عزيز أباظة:

عَصْرُ الْحَسَامِ وَعَصْرُ الذَّرَّةِ اقْتَرَنَا فِي شِعْرِهِ، وَالتَّقَى الصَّارُوخُ بِالْجَمَلِ

<sup>1</sup> علوم البلاغة مرجع سابق ص 245.

ذكر الشاعرُ (عصر الحُسام)، والتركيبُ كناية عن موصوف هو العصر القديم، و(عصر الذرة) وهو كناية عن موصوف هو العصر الحديث، وفي لفظ (الصاروخ) كناية عن موصوف أيضا هو الأدب الحديث، وفي لفظ (الجمل) كناية عن موصوف كذلك هو الأدب القديم.

ومن هذا النوع من الكناية قول "شاعر النيل" في الحرب اليابانية الروسية:

قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ      لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا  
وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْتَانِهِمْ      لَا يَغْمِرُونَ السَّيْفَ أَوْ يَطْفَرُوا  
أَشْبَعْتَ يَا حَرْبُ ذِيَابَ الْفَلَا      وَعَصَّتِ الْعِقْبَانُ وَالْأَنْسُرُ  
إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَنْتَبِي      وَذَلِكَ التَّنَّيْنُ لَا يُقَهَّرُ

في البيت الأول ذكر حافظ إبراهيم كلمة (البييض)، وهي كناية عن موصوف، هو الشعب الياباني، وفي البيت الثاني ذكر كلمة (الصففر)، وهي كناية عن موصوف، هو الشعب الروسي، أما البيت الثالث فهو كناية عن صفة، لا موصوف، وهي كثرة القتلى في تلك الحرب، وأما في البيت الرابع، فقد ذكر الشاعر لفظتين: (الدُّب)، و(التَّنَّيْنِ)، الأولى كناية عن موصوف، هو روسيا، والثانية كناية عن موصوف، هو اليابان.

ومن النماذج الرفيعة لهذا النوع من الكناية قول مصطفى صادق الرافعي في حجاب المرأة المسلمة:

أَلَا أَبْقُوا الْحِجَابَ عَلَى الْعَوَانِي      قَدْ أَشْتَبَتِ الْحَمَائِمُ وَالصُّقُورُ

فالحمائم كناية عن موصوف هو الفتيات، والصقور كناية عن موصوف هو الشباب.

ومنها قول علي الجارم:

خُلِقَ كَمَا يَصْفُو النَّضَارُ وَطَلَعَةٌ      أَرْهَى مِنْ ابْنِ اللَّيْلِ فِي هَالَاتِهِ

والمقصود من (ابن الليل) القمر، وهو كناية عن موصوف.

ومنها قول الجارم أيضا:

نَعَمُ الشُّعْرُ فِي رَبِّهَا جَنَاتِهِ      أَسَكَّتْ ابْنَ الْغُصُونِ فِي دَوْحَاتِهِ

ف (ابن الغصون) كناية عن موصوف هو الطير المغرد.

ومنها قول علي الجارم أيضا:

وَدَمُ الشُّبَابِ لَهُ رَوَائِعُ نَشْوَةٍ      مَا نَالَهَا يَوْمًا دَمُ الْعُنُقُودِ

ف (دم العنقود) كناية عن موصوف هو الخمر.

ومنها قول محمود سامي البارودي في وصف الخمر:

إِذَا وَجَّتْ بَيْتَ الضَّمِيرِ رَأَيْتَهَا      وَرَاءَ بَنَاتِ الصَّدْرِ تَسْفُلُ أَوْ تَعْلُو

ف (بيت الضمير) كناية عن القلب، و(بنات الصدر) كناية عن الهموم.

ومن أمثلتها كذلك قول شاعر المهجر رشيد أيوب:

فَجَاشَ لَهَيْبِ الشُّوقِ فِي مَوْضِعِ السَّرِّ

تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ

فـ (موضع السر) كناية عن موصوف، هو الفؤاد.

ومنها قول خليل مطران:

بِحَيْثُ يَحْسُدُنِي أَرْبَابُ تَيْجَانِ

فِيَا كِرَامًا أَقْرَنَنِي حَفَاوُهُمْ

مُخَلَّدَاتٍ لِأَزْمَانٍ فَازَمَانِ

ثَوْمُوا وَدَامَتْ بِلَا عَدِّ مَفَاخِرِكُمْ

بِكُمْ جَدِيدَانِ مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ

وَالْعِزُّ وَالْجَاهُ فِي هَذَا الْحِمَى أَبَدًا

ففي قول الشاعر: (أرباب التيجان) كناية عن موصوف هو الملوك، وفي قوله: (الجديدان) كناية عن موصوف هما الليل والنهار، وأما قوله: (العزُّ والجاه في هذا الحمى) كناية عن نسبة، سيأتي الحديث عنها بعد هذا النوع من الكناية.

ومن أمثلة الكناية عن الموصوف قول محمد العيد آل خليفة:

حَرَمَ الضَّادِ فِي سُمُوٍّ وَأَمْنِ

أَيْهَا الْمُحْتَفُونَ بِالضَّادِ هَذَا

فـ (الضاد) كناية عن موصوف، هو اللغة العربية.

كما يكنى عن اللغة العربية بـ (بنت الصحاري) على حد قول علي الجارم في المدح:

وَتَفْتَحُ مِنْ أَسْرَارِهَا كُلَّ مُغْلَقِ

تُنَافِحُ عَنْ بِنْتِ الصَّحَارِيِّ مُشَمَّرًا

وكنى عنها الشاعر علي الجارم بـ (سليمة عدنان) حين أنشد متحدثا عن مصر:

نَ شَبَابًا غَضًّا وَمَجْدًا أَثِيلا

وَأَعَادَتْ إِلَيَّ سَلِيلَةَ عَدْنًا

ومن نماذجها النثرية قول رفاة الطهطاوي يصف رحلة في البحر: "وبَعْدَهَا عَصَفَتِ الرِّيَّاحُ، وَتَلَاعَبَ مَاءُ الْبَحْرِ بِذَاتِ الْأَلْوَابِ، تَلَاعَبَ الْأَشْبَاحِ بِالْأُرْوَابِ." ففي قوله (ذات الألواح) كناية عن موصوف هو السفينة. ومن أمثلتها قول ميخائيل نعيمة: "وَفِي هَذَا السَّيْلِ الْجَارِفِ مِنَ الْقَيْلِ وَالْقَالِ كَلِمَاتٌ تَتَرَدَّدُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا عَلَى كُلِّ شَفَةِ لِسَانٍ: الذَّهَبُ الْأَسْوَدُ، وَالذَّهَبُ الْأَصْفَرُ..."، فالذهب الأسود كناية عن موصوف هو البترول. ومن الكناية عن الموصوف قول جبران على لسان المطر: "أَنَا خَبُوطُ فِضَّةٍ تَطْرَحُنِي الْإِلَهَةُ مِنَ الْأَعَالِي، أَنَا لِأَلَى جَمِيلَةٌ سَرَقْتَنِي ابْنَةُ الصَّبَاحِ، وَرَصَعْتَ بِي الْحُقُولِ." فـ (ابنة الصباح) كناية عن موصوف هو الشمس. **(3 الكناية عن نسبة:** "وَهِيَ الْكِنَايَةُ الَّتِي يَسْتَلْزِمُ لَفْظَهَا نِسْبَةً بَيْنَ الصِّفَةِ وَصَاحِبِهَا الْمَذْكُورِينَ فِي اللَّفْظِ"<sup>1</sup>، وَتَمَيِّزُ هَذِهِ الْكِنَايَةِ عَنِ النَّوعَيْنِ السَّابِقَيْنِ بَأَنَّ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ لِلْكَلامِ غَيْرُ مُرَادٍ فِيهَا، وَبِأَنَّنا نَصْرَحُ فِيهَا بِذِكْرِ الصِّفَةِ الْمُرَادِ لِإثباتها للموصوف، وَإِنْ كُنَّا نَمِيلُ بِهَا عَنِ الْمَوْصُوفِ نَفْسِهِ إِلَى مَا لَهُ اتِّصَالٌ بِهِ.

<sup>1</sup> علوم البلاغة ص 247.

قال الجرجاني: "إِنَّهُمْ يَرُومُونَ وَصَفَ الرَّجُلَ، وَمَدَحَهُ، وَأَثَبَاتَ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الشَّرِيفَةِ لَهُ، فَيَدْعُونَ التَّصْرِيحَ بِذَلِكَ، وَيَكُونُ عَنْ جَعْلِهَا فِيهِ، بِجَعْلِهَا فِي شَيْءٍ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ، وَيَلْتَبِسُ بِهِ، وَيَتَوَصَّلُونَ فِي الْجُمْلَةِ إِلَى مَا أَرَادُوا مِنَ الْإثْبَاتِ، لَا مِنَ الْجِهَةِ الظَّاهِرَةِ الْمَعْرُوفَةِ، بَلْ مِنْ طَرِيقٍ يَخْفَى، وَمَسْلَكٍ يَدِقٌّ"<sup>1</sup>.

وهذه طائفة من نماذجها:

قال شاعر النيل حافظ إبراهيم:

إِنِّي لِأَبْصِرُ فِي أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ نُورًا بِهِ تَهْتَدِي لِلْحَقِّ ضَلَالًا

وإليك شرح هذا النوع من الكناية: صرّح حافظ إبراهيم بالموصوف (الممدوح) المعبر عنه بضمير الغائب في (بُرْدَتِهِ)، وصرّح بصفة (النُّور)، ولكنه لم يصرّح بالنسبة بين هذه الصفة والممدوح، بل صرّح بنسبة أخرى (إثبات النُّور إلى البردة)، وهذه النسبة تستلزم النسبة المُرادَة، وهي نسبة تلك الصفة إلى الممدوح، فنقول إذن إنّ الشاعر قد نسب النُّور إلى بردة الممدوح، ومنها إلى الممدوح نفسه.

وقال حافظ إبراهيم في مدح شيخين:

خَمْسُونَ عَامًا فِي الْجِهَادِ كَلَاهُمَا شَاكِي الْبِرَاعَةِ طَاهِرُ الْجَلْبَابِ

صرّح الشاعر بالموصوف (الممدوحان)، المعبر عنهما بضمير الغائب (هما)، وصرّح بصفة الطهارة، ولم يصرّح بالنسبة بين هذه الصفة والموصوفين، بل نراه يصرّح بنسبة أخرى (إثبات الطهارة للجلباب)، وهذه النسبة تستلزم النسبة المُرادَة، وهي نسبة هذه الصفة (الطهارة) إلى الممدوحين، فالشاعر نسب الطهارة إلى الجلباب، ومنها إلى الممدوحين.

ومنها قول نزار قباني:

غَيْرَ أَنَّ الْهَوَى يَصِيرُ ذَلِيلًا كَلَّمَآ ذَلَّ لِلرَّجَالِ جَبِينُ

حيث نسب الشاعر الذلّ إلى الجبين، ومنه إلى الرجال.

ومن نماذج الكناية عن الموصوف قول محمد العيد أيضا:

وَهَلْ يَبْسُطُ الْإِسْلَامُ فِي الْأَرْضِ ظِلَّهُ وَتَنْتَشِرُ الْفُصْحَى وَتَعْلُو الْعَمَائِمُ؟

الشاعر نسب العلوّ والمجد إلى عمائم العرب، ومنها إلى العرب أنفسهم.

ومن كنايات النسبة قول ناصيف اليازجي:

الْفَخْرُ بَيْنَ بُرُوجِهِ وَسُرُوجِهِ وَالنَّصْرُ بَيْنَ سُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ

ناسبًا الجودَ إلى السَّيرير، والنصرَ إلى اللواء، ومنهما إلى الممدوح.

ومن نماذجها قول خليل مطران:

غَانِيَةٌ فِي جَمَالِ صُورَتِهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْمُنَى مِنَ الصُّورِ

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة ص 542.

حيث نسب الشاعرُ الاشتهااء إلى المُنَى، ومنها إلى نفسه.

ومن أمثلتها كذلك قول خليل مطران واصفاً أخلاق عَرُوسٍ ممدوحه:

مِنْ بَيْتِ مَجْدٍ فَارَقْتُهُ فَضَمَّهَا      بَيْتٌ كَفِيأُوهُ مَجْدِهِ الْأَذْهَارُ

حيث نسب الشاعرُ في صدر البيت المجد إلى العروس وأهلها، حين نسبه إلى بيتها، وكذلك فعل في العجز:

حيث نسب المجد إلى البيت، ومنه إلى الممدوح.

ومن أمثلة هذا النوع من الكناية قول الشاعر علي الجارم في شأن شعراء لبنان الذين هاجروا إلى أمريكا:

نَزَحُوا عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَا      وَالْعَزْمِ مِلءُ حَقَائِبِ النَّزَّاحِ

نسب الشاعرُ العزمَ إلى الحقائق، ومنها إلى تلك "الطُّيُورِ الْمُهَاجِرَةِ".

ومن نماذجها أيضاً قول علي الجارم:

لِلنَّصْرِ فِي أَعْلَامِهِمْ      صِلَةٌ بِأَبْنَاءِ الْغُمُودِ

حيث نسب الشاعرُ النصرَ إلى الأعلام، ومنه إلى الممدوحين. أمّا قوله (أبناء الغمود) فهي كناية عن

موصوف هو (السيوف).

ومن نماذجها النثرية قول أحمد حسن الزيات: "مَاذَا تَفْهَمُ مِنَ الشِّتَاءِ يَا ابْنَ مِصْرَ الضُّحُوكِ؟ هَلْ تَفْهَمُ مِنْهُ

إِلَّا أَنَّهُ أَسَابِيعُ مِنْ عُمُرِ الْعَامِ، لَا تَدْرِي أَهِيَ أَوْ آخِرُ خَرِيفِهِ، أَمْ أَوَائِلُ رَبِيعِهِ؟ هَلْ تَجِدُ فِي جِسْمِكَ غَيْرَ دِفْءِ

النُّعْمَةِ؟ وَفِي نَفْسِكَ غَيْرَ بَهْجَةِ الْأَرْضِ؟ وَفِي عَيْنِكَ غَيْرَ إِشْرَاقِ الْجَمَالِ؟"

وقد وقعت الكنايات بالنسبة في قوله: (هَلْ تَجِدُ فِي جِسْمِكَ غَيْرَ دِفْءِ النُّعْمَةِ؟ وَفِي نَفْسِكَ غَيْرَ بَهْجَةِ

الْأَرْضِ؟ وَفِي عَيْنِكَ غَيْرَ إِشْرَاقِ الْجَمَالِ؟) فقد نسب الدفء إلى النعمة، ومنها إلى الجسم، ونسب البهجة إلى

الأرض، ومنها إلى النفس، ونسب الإشراق إلى الجمال، ومنه إلى العين.

ومن كنايات النسبة قول الشاعر:

إِنْ حَلَّ حَلَّ الْجُودِ فَوْقَ سَرِيرِهِ      أَوْ سَارَ سَارَ النَّصْرِ تَحْتَ لِوَائِهِ

ومنها قول الشاعر:

وَخَيِّمِ الْمَجْدِ بِسَاحَتِهِ      وَفَاضِ بَحْرِ الْجُودِ فِي بُرْدَتِهِ

ومثلها أيضاً قول الآخر:

وَرُحْتَ فَوْقَ جَوَادِ كَالْعُقَابِ جَرَى      وَالْجُودِ فِي سَرَجِكَ وَالْمَجْدِ وَالْخَيْرِ

### بلاغة الكناية:

الغَرَضُ من الكناية هو المبالغة، والبُعْدُ عن المباشرة، والمبالغة في الصفة سبيلٌ إلى تثبيتها في النفوس،

لذلك يَعتبر الجاحظُ الكنايةَ أبلغَ من التَّصريحِ، وهي أبلغُ من الإفصاح عند الجرجاني، فللكناية قيمةٌ بلاغية،

"وهي أسلوب ذكي من أساليب التعبير عن المراد، وهي من أبداع وأجمل فنون الأدب، ولا يستطيع تصيّد

الجميل النادر منها إلا أذكاء البلغاء وفطناؤهم، وممارسوا التعبير عما يريدون التعبير عنه بطرق جميلة بديعة غير مباشرة،<sup>1</sup> ومن حسنات الكناية تجسيد المعاني، وإبرازها في صور محسوسة، تزخر بالحياة والحركة، فيكون ذلك أدعى لتأكيد ما ورسوخها في النفس، ومن حسناتها أيضا أننا نستطيع أن نعبر بوساطتها عن كثير مما نتحاشى التصريح به، فهي باب واسع، تجد النفس فيها الممكن الآمن، والطريق السالك، والمسلك الخالي من كل ما يجلب التعب، والأذى، "ألا ترى أن أسلوب الكناية يمكنك أن تشفي غليلك؟ فكم كلمة لا تؤد التصريح بها ترفعا، فتجد في الكناية متنفسا، فتنتقل من المعنى المكشوف إلى المعنى المكسوف، وربما كان ذلك خشية لا ترفعا، فتتال بأسلوب الكناية من خصمك، وتبلغ ما لا تستطيعه في غيرها، فتشفي غلة نفسك، دون أن تجعل له إليك سبيلا"<sup>2</sup> هذا "ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيع الأذان سماعه، وأمثلة ذلك كثيرة جدا في القرآن الكريم، وكلام العرب، فقد كانوا لا يعبرون عما لا يحسن ذكره إلا بالكناية، فيذكر الواحد منهم المعاني التي يريدها، دون أن يخدش وجه الأدب".<sup>3</sup>

#### التدريب الأول: عيّن نوع الكناية مما يأتي، وشرحها:

- كتب أحمد حسن الزيات يصف حديفة قال: "كنتُ أَعْشَى كلَّ صباحٍ هذا المُجْتَلَى السَّاحِر، فَهِيَ هِيَ ذِي أُمِّ الكَوْنِ قَدْ لَأَلَّتْ بِسَهَامِهَا ذَوَائِبَ النَّخْلِ، وَبَنَاتُ الهَدِيلِ يَبْحَثْنَ كَعَادَتِهِنَّ فِي فُرُوعِ النَّيْنِ، وَهِنَّ يَرْجِعْنَ عَلَى التَّقَاعِدِ أَلْحَانَ الحَرِيفِ، وَالسُّكُونُ مَرْهُوبُ الجَلَالِ، يَعْمُقُ ثُمَّ يَعْمُقُ حَتَّى تَكَاد تَسْمَعُ صَوْتَ النَّبَاتِ وَهُوَ يَنْبُتُ، وَطِفْلَانِ يَجِيبَانِ أحيانًا إِلَى الحَدِيقَةِ، فَلَوْلَا حَرَكَتُهُمَا لَحَسِبْتُهُمَا زَهْرَتَيْنِ مِنْ زُهُورِهَا. أُسِيرُ فِي الرُّوضَةِ، وَأَسْأَلُ النَّبْتَةَ الوَلِيدَةَ بِالْأَمْسِ مَا حَظُّهَا اليَوْمِ مِنْ سِرِّ الحَيَاةِ، وَنِعْمَةَ الوُجُودِ؟ فَأَيُّ مَنْظَرٍ يَسْحَرُ اللُّبَّ، وَيَمْلِكُ الطَّرْفَ كَهَذَا المَنْظَرِ الفَاتِنِ الفَتَانِ؟!"

- قال نزار قباني في تعليقه على هزيمة العرب: "أهمُّ مَا فَعَلَهُ حُزَيْرَانُ هُوَ أَنَّهُ رَمَانَا جَمِيعًا مِنْ خَلْفِ مَكَاتِبِنَا، وَقَلَبَ مَقَاعِدِنَا، وَقَذَفَ كُتُبَنَا وَأُورَاقَنَا وَأَقْلَامَنَا إِلَى الشَّارِعِ، حُزَيْرَانُ عَرَزَ دُبُوسًا حَادًّا فِي عَقْلِنَا، كَسَرَ كُلَّ طَوَاحِينِ الهَوَاءِ الَّتِي كَانَتْ تَدُورُ فِي دَاخِلِنَا، وَلَا تَطْحَنُ شَيْئًا، تَقَبَّ كُلَّ أَكْيَاسِ العُرُورِ والعَنْتَرِيَّاتِ، الَّتِي كَانَتْ تَمَلُّ جَمَاجِمَنَا، حُزَيْرَانُ كَسَسَ مُسْتَعْمَرَاتِ العُنْكَبُوتِ فِي رُؤُوسِنَا، وَاعْتَالَ جَمِيعَ الخُرَافَاتِ، مِنْ أَبِي زَيْدِ الهَلَالِيِّ، إِلَى الزَّيْرِ، إِلَى الشَّاطِرِ حَسَنَ، إِلَى السَّنْدِبَادِ، إِلَى كُلِّ الأَبْطَالِ المَصْنُوعِينَ مِنْ مَادَّةِ الحُلْمِ وَالتَّمَنِّيَّاتِ، وَالذِينَ اخْتَبَأْنَا وَرَاءَهُمْ قُرُونًا لِنُخْفِيَ جُبْنَنَا، وَعَجَزْنَا عَنْ أَنْ نَكُونَ أَبْطَالًا لِحِسَابِنَا الخَاصِ، كَانِ الخَامِسُ مِنْ حُزَيْرَانَ الجَنِينِ المَيِّتِ، الَّذِي حَمَلْنَاهُ إِلَى المَقْبَرَةِ لَيْلًا حَتَّى لَا يَرَانَا المَارَّةَ، لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبْرِئَ نَفْسَهُ مِنْ دَمِ هَذَا الطِّفْلِ الَّذِي قُتِلَ فِي يَوْمِهِ السَّادِسِ، كُلُّنَا بِمَا فِي ذَلِكَ الجُدْرَانِ، والأَبْوَابِ، والأَشْجَارِ، وَمَصَابِيحِ الطَّرِيقَاتِ، عَارِقُونَ فِي التُّهْمَةِ حَتَّى الرُّكْبِ".

<sup>1</sup> البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها عبد الرحمان حسن الميداني الجزء الثاني ص 141.

<sup>2</sup> البلاغة فنونها وأفانها الدكتور فضل حسن عباس ص 270 . 271.

<sup>3</sup> البلاغة الواضحة ص 132.

- قال أحمد أمين في وصف ثري: "لَمْ يَذُقْ يَوْمًا طَعْمَ الْحَاجَةِ، كَانَ يَأْكُلُ فِي الْحَيَاةِ مِنْ مَائِدَةٍ فَخْمَةٍ، لَيْسَ فِيهَا تَوَابِلٌ، وَيَنْعَمُ دَائِمًا بِلَذَّةٍ لَمْ يُلَوِّثْهَا الشَّقَاءُ، لَمْ يُرْزَقْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا ابْنًا وَاحِدًا، وُلِدَ وَفِي فَمِهِ مِلْعَقَةٌ مِنَ الذَّهَبِ كَمَا يَقُولُونَ، وَقَدْ وَضَعَ فِيهِ كُلَّ أَمَلِهِ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَخَذَتِ الْوَالِدَ الْحُمَى، فَارْتَفَعَتْ حَرَارَتُهُ، وَذَبَلَ جِسْمُهُ، وَاصْفَرَ وَجْهُهُ، وَبَدَلَ الْأَبُ كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ لِنَجَاتِهِ، لَكِنْ دُونَ جَدْوَى، وَيَنْظُرُ الْأَبُ إِلَى مَزَارِعِ الْفَسِيحَةِ، وَدُنْيَاهُ الْعَرِيضَةِ، فَيَرَاهَا أَضْيَقَ مِنْ سَمِّ الْخِيَاطِ، يَتَمَنَّى لَوْ جُرِدَ مِنْ كُلِّ ثَرَوَتِهِ لَيَنْجُو ابْنُهُ مِنْ هَادِمِ اللَّذَاتِ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، فَقَدْ غَلَبَ الْقَدْرُ، وَأَنْطَفَأَتْ شُعْلَةُ الْوَالِدِ".

- ولأحمد أمين أيضا: "أَفْعَلُ مَا هُوَ صَاحِبُ، ثُمَّ أَدِرُّ ظَهْرَكَ لِكُلِّ نَقْدٍ سَخِيفٍ".  
- وقال في المدنيّة الحديثية: "إِنَّ الْمَدَنِيَّةَ الْعَرَبِيَّةَ قَامَتْ عَلَى أَكْتَابِ أَشْخَاصٍ يُعَدُّونَ عَلَى الْأَصَابِعِ، لَكِنِّي أَرَى أَنَّ الْعِلْمَ قَدْ أَسْرَعَ فِي السَّيْرِ، حَتَّى جَاوَزَ الْقَلْبَ بِمَرَاكِجِ، فَوَاجِبُنَا أَنْ نَمْنَحَ الْعِلْمَ إِجَازَةً، حَتَّى يُدْرِكَهُ الْقَلْبُ".  
- قال صاحبُ النُّظَرَاتِ: "جَاءَ أَبُو تَمَامٍ شَيْخُ الصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ، فَسَلَّكَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهِ الْبَدِيعَةِ طَرِيقَ اللَّفْظِ الْمَصْنُوعِ، وَالْأَسْلُوبِ الْمُتَكَفِّفِ، فَتَغَرَّ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ تَغَرًّا أَلْحَّ عَلَيَّهَا السَّائِرُونَ عَلَى أَثَرِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِأُظْفَارِهِمْ وَأَنْبِيَابِهِمْ، حَتَّى صَيَّرُوهَا فُوَهَةً وَاسِعَةً، لَا تَمْنَعُ مَا وَرَاءَهَا، وَلَا تُدْفَعُ مَا أَمَامَهَا".  
- وقال أيضا: "أَلَيْسَ غَرِيبًا فِي لُغَةِ الضَّادِ أَنْ يَكُونَ لِسَفِينَةِ الْبَرِّ مِثْلُ اسْمِ، وَلَا يَكُونَ لِسَفِينَةِ الْبَحْرِ الْقَلِيلُ مِنْ ذَلِكَ الْحِظِّ الْكَثِيرِ؟!".

- قال ميخائيل نعيمة: "نَحْنُ سَائِرُونَ إِلَى أَهْدَافِنَا، مَا فِي ذَلِكَ شَكٌّ، إِلَّا أَنَّنَا نَسِيرُ بِأَرْجْلِ السَّلَاحِفِ، وَكَانَ فِي إِمْكَانِنَا أَنْ نَطِيرَ بِأَجْنِحَةِ النُّسُورِ".

- وَصَفَ صَاحِبُ الْعَبَقْرِ يَا تِ اسْلُوبَهُ فِي الْكِتَابَةِ، قَالَ: "لَسْتُ مَرُوحَةً لِلْكَسَالَى النَّائِمِينَ".

**التدريب الثاني:** حدّد نوع الكناية في النماذج الآتية:

- قال توفيق زياد:

أَنْ تُدْخِلُوا الْفَيْلَ بِثَقْبِ إِبْرَةٍ

وَأَنْ تَصِيدُوا السَّمَكَ الْمَشْوِيَّ فِي الْمَجْرَةِ

أَنْ تَحْرَثُوا الْبَحْرَ

أَنْ تُنْطِقُوا التَّمْسَاحَ

أَهْوَنُ أَلْفِ مَرَّةٍ

مِنْ أَنْ تُمِيتُوا بَاضِطِهَادِكُمْ وَمِيضَ فِكْرِهِ

- قالت فدوى طوقان في أطفال الحجارة:

رَفَعُوا الْقُلُوبَ عَلَى الْأَكْفِ حِجَارَةً، جَمْرًا، حَرِيقًا

هَذَا أَوْ أُنْ الشَّدَا!

وَاشْتَدَّتْ... وَمَاتُوا وَاقِفِينَ... مَتَوْهَجِينَ.

- قال محمود درويش (في ذكرى الشهيد الطفل محمد الدرة):  
محمد..

كان في وسع صيَّاده أن يفكر بالأمر  
ثانيةً، ويقول: سأتركه ريثما يتهجى  
فلسطينه دون ما خطأ...

وأقتله في غد، عندما يتمرد!

- قال نزار قباني:

تَقَيَّحْتُ أَفْخَاذُنَا

تَقَيَّحْتُ فِي رَأْسِنَا الْأَفْكَارُ

وَصَارَ لَحْمُ ظَهْرِنَا

جُزْءًا مِنَ الْجِدَارِ

- وقال نزار قباني:

هَلْ جَاءَ زَمَانٌ

فِيهِ نَسْتَقْبِلُ إِسْرَائِيلَ بِالْوُرُودِ وَالْآفِ الْحَمَائِمِ

وَالنَّشِيدِ الْوَطَنِيِّ؟

- قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة واصفا حال الأمة العربية:

وَلَا تُصَبِّي إِنْءَاءَ الزَّيْتِ فِي الْحَطَبِ  
أَصَابِعُ الإِثْمِ وَالْأَشْلَاءِ لِلرُّكْبِ؟  
يُقَلِّبُ الْكُفَّ طُولَ الْيَوْمِ فِي عَجَبِ  
تَصُومَ رَمَضَانَ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبِ  
وَكَمْ تَمَنَّيْتُ لَوْ قَدْ كَانَ مِنْ خَشَبِ  
إِنْ عِشْتُ شَهْرَيْنِ فِي أَرْضِي وَلَمْ أَشِبِ؟

دَعِيَ الْجِرَاحُ.. دَعِيهَا فِي أَكْتَثِهَا  
أَلَا أَشِيبُ وَزَهْرُ الشَّامِ تَقْطِطُهُ  
وَفِي الْعِرَاقِ نَخِيلٌ لَمْ يَنْمُ سَنَةً  
وَفِي طَرَابُلُسَ فَوْضَى مِنْ تَدَاخُلِهَا  
قَلْبِي مِنَ اللَّحْمِ حَسَّاسٌ وَيُوجِعُنِي  
وَهَلْ أَكُونُ طَبِيعِيًّا وَمُنْسَجِمًا

- وقال في شأن من يتغزل بها:

وَتَعَقُّدُ حَاجِبِيهَا كَالصَّغَارِ  
عَلَى التَّرْجِيْبِ، لَوْ لَبِنَ الْكَنْارِ  
مُخَبَّأَةً كُلُّوْ لَوْؤَةَ الْمَحَارِ

مُدَّالَّةً، وَتَشْهُوُّ حِينَ تَبْكِي  
وَتَطْلُبُ مَا تَشَاءُ يَجِيءُ فَوْرًا  
نَمَتُ فِي الْقُطْنِ لَيْلَةً، وَعَاشَتْ

- قال مفدي زكريا:

تَجِدُ الْجَبَابِرَ سَاجِدِينَ وَرُكَّعًا

وَقُلِّ: الْجَزَائِرُ وَاصْغِ إِنَّ ذِكْرَ اسْمِهَا

- وقال مفدي زكريا:

و(سَجْدَةُ السَّهْوِ) لَا تُحْيِي ضَحَايَانَا  
أَمْ عَنِ كَوَارِثِنَا لَا زِلْتِ نَعْسَانَا؟

ذُرُوا الْعَوَاطِيفَ فَالرَّشَّاشُ يَجْهَلُهَا  
يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ هَلْ رَاعَتْكَ مِحْنَتُنَا

- قال علي الجارم يصف جيشا:

مَا مَسَّ مَوْطِيَّ نَعْلِهِمْ أَمْطَارُ

لَوْ صُبَّتِ الْأَمْطَارُ صَبًّا فَوْقَهُمْ

- وقال الجارم مادحا:

بَعْدَ أَنْ طَالَ عَلَيَّ مِصْرٌ كَرَاهَا

مَسَحَتْ مِصْرُ بِهِ عَيْنَ الْكَرَى

- وله أيضا في المدح:

صِدْقُ الْوَفَاءِ أَشَدُّ عَقْدِ

عَقْدُوا خَنَاصِرَهُمْ عَلَيَّ

- وقال الجارم:

قَدْ رَأَيْتِ الْأُمُورَ جَزْرًا وَمَدًّا

يَا ابْنَةَ الْيَمِّ لَا تُرَاعِي فِإِيَّ

- قال خليل مطران:

وَالنَّصْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالْمُنْقَادِ

الْمَجْدُ رَهْنُ إِشَارَةِ بِيَمِينِهِ

وطلاليع العقبان في ترداد

والفخر في رايته مئتمل

يُتْقِي السَّنَابِلَ مِنْجَلُ الحَصَّادِ

يُتْقِي الرَّجَالَ عَلَى الثَّرَى كَمَا

- وقال خليل مطران:

فِي لَجَجِ الْأَحْلَامِ تَسْتَبْجِرُ

وَأَبْثَّتْ كُلَّ نَوْمِ الضُّحَى

- وقال خليل مطران في وصف دار ممدوحه:

جَمَعَ الْمَجْدُ كُلَّهُ فِي فَنَاءِ

وَمَثَبِيذٍ مِنَ الصُّرُوحِ رَحِيْبُ

- قال محمود غنيم:

لِمَ لَا، وَقَدْ تَكُونُ مِنْهُ هَيْكَلِي

قَالُوا لَنَا: عَدَسٌ، فَأَفْرَعِي اسْمُهُ

فَلَعَقْتُ مِنْ بَعْدِ الْمَلَاعِقِ أَنْمَلِي

حَتَّى ظَفَرْتُ لَدَى الْوَزِيرِ بِأَكْلِهِ

- قال حافظ إبراهيم مهننا الإمام محمد عبده في أثناء سياحته إلى الجزائر:

يَرْفُؤُونَ الْإِمَامَ فَوْقَ السَّحَابِ

أَدْرَكُوا قَدْرَ ضَيْفِهِمْ فَأَقَامُوا

- ولحافظ إبراهيم في الهجاء:

وَأَطَالَ مِحْنَتَنَا بِطُولِ لِسَانِهِ

كَمْ صَاكَ مَسْمَعَنَا بِجَنْدَلِ لَفْظِهِ

- وقال حافظ مادحا:

الْحَرْبُ فِي الْبَابِ وَالسُّلْطَانُ فِي اللَّعِبِ

ذَكَرْتَنَا يَوْمَ ضَاعَتْ أَرْضُ أَنْدَلُسِ

- وقال حافظ في وصف قطار:

يَمُرُّ كَأَنَّهُ شَرَحُ الشَّبَابِ

رَأَيْتُ ابْنَ الْبُخَارِ عَلَى رُبَاهَا

- قال إيليا أبو ماضي:

وَتَعُودُ فَوْقَ قُلُوبِنَا أَيُّدِينَا

وَنَمُدُّ أَيُّدِينَا فَنَرَجِعُ لَمْ نُصِيبْ

- قال معروف الرصافي:

وَكَرَّ عَلَيْنَا لِابْسَا جِلْدَةَ النَّمْرِ

لَنَا قَلْبَ الدَّهْرِ الْخَوُونُ مَجْنَهُ

- قال محمد العيد آل خليفة:

وَأَنْ يُسَالَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ كَالْعَلَمِ

مَا أَجْدَرَ الْحَقَّ أَنْ تُحْنَى الرُّؤُوسُ لَهُ

- وقال رحمه الله:

بِالْوَعْظِ وَالذِّكْرِ ذَوَاتِ الْبُرْقُعِ

أَدْوِي الْعَمَائِمَ عَلَّمُوا وَتَعَهَّدُوا

- قال رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) مخاطباً نفسه، وهو يقرع السنَّ أسفاً على حياته في الغربة:

بِهَاتِ طَأَلْتِ لِيَا لِيَا لِيَا الْقِصَارُ

دَفَنْتِ رَبِيعَ عُمْرِكَ فِي بِلَادِ

وَحَظَّ صَرَاصِرَ، بِئْسَ النَّمَارُ

ثِمَارُكَ مِنْ طَوَافِكَ سَعِي نَمَلِ

"رَشِيدُ" أَفِيقَ صَفْرَ الْقَطَارُ

وَفِي أذْنَيْكَ صَوْتُ مِسْتَمِرُّ

# علم البديع

## المحسنات اللفظية

## الجناس

**تعريف الجناس:** الجناسُ في اللُّغة هو المُشَاكَلَةُ، أو الاتِّحَادُ في الجِنْسِ، يُقَالُ: جَانَسَهُ أَي شَاكَلَهُ، وَاشْتَرَكَ مَعَهُ فِي جِنْسِهِ، وَجِنْسُ الشَّيْءِ أَصْلُهُ. أَمَا فِي الاصْطِلَاحِ فَقَدْ عَرَّفَهُ السَّكَاكِي بِقَوْلِهِ: "هُوَ تَشَابُهُ الكَلِمَتَيْنِ فِي اللَّفْظِ"، وَعَرَّفَهُ المُحَدِّثُونَ تَعْرِيفًا أَكْثَرَ دِقَّةً، فَقَالُوا: "هُوَ أَنْ يَتَشَابَهَ اللَّفْظَانِ فِي النُّطْقِ، وَيَخْتَلِفَا فِي المَعْنَى".<sup>1</sup>

**أنواعه:**

**1 الجناس التام:** وهو ما اتَّفَقَ فِيهِ اللَّفْظَانِ المُتَجَانِسَانِ فِي أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ، هِيَ: نَوْعُ الحُرُوفِ، وَعَدَدُهَا، وَشَكْلُهَا، وَتَرْتِيبُهَا، مَعَ اخْتِلَافِ المَعْنَى، كَقَوْلِ خَلِيلِ مَطْرَانَ فِي تَحِيَّةِ سَعْدِ زَغُولٍ يَوْمَ عَوْدَتِهِ مِنْ مَنفَاهِ:

خَفَقَتْ لِطَلْعَةِ وَجْهِكَ الأَعْلَامُ      وَمَشَتْ تُحِيطُ بِرَكْبِكَ الأَعْلَامُ

لعلك لاحظت أن لفظتي (الأعلام) متفقتان في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، لكنهما مختلفتان في المعنى، فالأولى بمعنى الرِّايَاتِ، والثانية بمعنى كِبْرَاءِ الأُمَّةِ.

وكقول مطران حين رأى عند باب حسناء ورقة خضراء نابتة بين حجرين:

كُلُّ لَدَيْكَ رَقِيصٌ      إِذَا قَسَا القَلْبُ أَوْ رَقِيَ  
وَأَلَيْسَ فِي ذَاكَ بِدَعْ      فَالصَّخْرُ عِنْدَكَ أَوْ رَقِيَ

ومنه قول الشاعر محمود غنيم:

عَدَتْ تَصْهَرُ النَّاسِ مِثْلَ الجَلِيدِ      وَلَكِنَّ فِي مِصْرَ شَعْبًا جَلِيدًا

فكلمة (الجليد) في الشطر الأول مقصود بها الندى المتجمد، وفي الشطر الثاني (جليدا): أي صبورا على الشدائد.

ومنه قول محمود سامي البارودي مفتخرا بنفسه:

أَنَا ابْنُ قَوْلِي وَحَسْبِي فِي الفَخَارِ بِهِ      وَإِنْ عَدَوْتُ كَرِيمَ العَمِّ وَالخَالِ  
وَلِي مِنَ الشُّعْرِ آيَاتٌ مُفَصَّلَةٌ      تَلُوحُ فِي وَجْهَةِ الأَيَّامِ كَالخَالِ

فكلمة (الخال) في البيت الأول مقصود بها أخ الأم، وفي البيت الثاني الشامة السوداء التي تنبت على بشرة بدن الإنسان، والتي يغلب وجودها على الخد.

ومنه قول أحمد شوقي في قصيدة "على سفح الأهرام":

قِفْ نَاجِ الأَهْرَامِ الجَلَالِ وَنَادِ      هَلْ مِنْ بُنَاتِكَ مَجْلِسٌ أَوْ نَادِ؟

وأنت تلاحظ اتفاق لفظتي (ناد) في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، مع اختلاف معنى كل منهما، فالأولى من المناداة، والثانية من الاجتماع.

وكقول أمير الشعراء أيضا:

<sup>1</sup> لباب البديع الدكتور محمد حسن شرشر ص 148.

عَظِيمُ النَّاسِ مَنْ يَكِي الْعِظَامَا وَيُنْدُبُهُمْ وَلَوْ كَانُوا عِظَامَا

الشاهد في الجنس التام: (العِظَامَا - عِظَامَا): الأولى جمع عظيم، والثانية جمع عظم.

ومنه قول مصطفى صادق الرافعي مخاطبا عصفورة:

خُذِي فِي جَنَاحَيْكَ الْهَوَى مِنْ جَوَانِحِي وَرُوحِي بِرُوحِي لِتِّي أَخَذْتَ لُبِّي

لعلك لاحظت اتفاق لفظتي (رُوحِي) في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، مع وجود اختلاف في

معنى كل منهما، فالأولى بمعنى (أذهبي)، والثانية بمعنى (نفسي، أو قلبي).

ومثل قول الشاعر القروي:

لَمَيَاءُ هَذَا جَبِينِ الْفَجْرِ قَدْ سَفَرَا وَمَوْسِمُ الْخُبِّ عَنَّا مُزْمِعُ سَفَرَا

لاحظ أنّ لفظتي (سَفَرَا) متفقتان في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وترتيبها، لكنهما مختلفتان في

المعنى، فالأولى بمعنى الإشراق والظهور، والثانية بمعنى الرحيل.

ومنه قول علي الجارم في الرثاء:

مُحِي الْقَضَاءِ رَمَاهُ فِي رِيْعَانِهِ سَهْمُ الْقَضَاءِ فَمَالَهُ مِنْ قَادِي

القضاء (الأولى): عَمَلُ الْقَاضِي، والثانية): الْقَدْر.

**2 الجنس غير التام:** وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحدٍ من الأمور الأربعة السابقة، كأن يختلفا في:

**1. نَوْعِ الْحُرُوفِ:** ومثاله قول مفدي زكريا:

وَفِي قُدْسِ جَنَاتِنَا النَّاضِرَةَ وَجُوءُهُ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةَ

أو قوله أيضا:

أَكْبَادُ مَنْ؟ هَذَا الَّذِي تَنْقَطِرُ وَدِمَاءُ مَنْ؟ هَذَا الَّذِي تَنْقَطِرُ

ومثاله قول علي الجارم:

دَعُونِي أَوْقِي بِالْقَرِيضِ دُيُونَهُ فَقَدْ عَادَ غُرْمًا مَا تَوَهَّمْتُهُ غُنْمًا

ومنه قول محمد العيد آل خليفة مخاطبا الشباب الجزائري:

سَارَ جِيرَانُكُمْ مَعَ الْعَصْرِ شَوْطًا وَوَقَفْتُمْ مَا بَيْنَ وَهْمٍ وَوَهْنٍ

ومنه قول البشير الإبراهيمي في إحدى خطايره عن الشباب: "أَتَمَّتْهُ بَانِيًا لِلْوَطَنِيَّةِ عَلَى حَمْسٍ، كَمَا بُنِيَ

الدِّينَ قَبْلَهَا عَلَى حَمْسٍ: "السَّبَابُ أَفَةُ الشَّبَابِ، وَالْيَأْسُ مُفْسِدٌ لِلْبَأْسِ، وَالْأَمَالُ لَا تُدْرِكُ بَعْضَ الْأَعْمَالِ، وَالْخَيَالُ

أَوْلُهُ لَدَّةٌ وَآخِرُهُ خَبَالٌ، وَالْأَوْطَانُ لَا تُحْدَمُ بِاتِّبَاعِ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ".

**2. عَدَدِ الْحُرُوفِ:** ومنه قول خليل مطران:

فَارَقْنَاهَا أَبْغِي سَاعَدَاتَهَا وَالْحُبُّ فِي الْقُرْبَانِ لَا الْقُرْبُ

ومنه قول الشاعر محمود غنيم:

عَشِيرِيَّةٌ أَخْلَوُا إِلَيَّ وَلَدِيًّا

الْفَجْرُ - فَجْرُ السُّلْمِ - لَاحِ

وَمَا قَضَيْنَا مِنْهُ أُوْطَارًا

قُوتٍ حَتَّى نَوَى الْفَقِيرُ الصَّيَامَا

أَمَا كَفَى السَّيْفُ حَتَّى جَرَّدَ الْقَلَمَا؟

فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْحَجِيجِ وَمَرْحَبَا

سِرَاجِ الدِّيَاجِي هَادِمِ الشُّبُهَاتِ

يَا مَنْ هُمُ الرُّوحُ لِي وَالرُّوحُ وَالرَّاحُ

عَضُّ كَفِّ عَالِيهِ أَوْ قَرَعِ سِنِّ

قَدَمًا لِلْوَرَى عَلَيَّهَا اسْتِنَادُ

فَمَا هُوَ مَنْ يَرْضَى بَعِيثِ الْبَهَائِمِ

هَذَا لَهُ الْحُكْمُ أَوْ هَذَا لَهُ الْجِجَمُ

وَهَلْ فِي الْوَرَى مَنْ يَعْدِلُ الْبَحْرَ بِالنَّهْرِ؟

مِنْحٌ يَفُوزُ بِكَسْبِهَا مَنْ يَصْمُدُ

وَأَطْيَبُ سَاعِ الْحَيَاةِ لَدِيًّا

وقول عُثَيْمٍ كذلك بمناسبة انتصار الثورة الجزائرية:

فَمَنْ نَادَى: حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ

ومنه قول مصطفى صادق الرافعي:

يَا طَيْرُ مَا لِلنُّومِ قَدْ طَارَا

ومنه قول حافظ إبراهيم في غلاء الأسعار:

وَعَدَا الْقُوتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَالْيَا

ومنه قول أحمد شوقي:

سَلُّوا غَزَالًا غَزَا قَلْبِي بِحَاجِيهِ

ومنه قول محمد العيد بمناسبة الترحيب بالحجاج:

حَبَاكُمُ بِحَجِّ الْبَيْتِ أَكْرَمُ مَنْ حَبَا

الشاهد في قوله: (حَبَا - مَرْحَبَا).

### 3. تَشْكِيلُ الْحُرُوفِ: كقول حافظ إبراهيم:

بَكَى عَالَمُ الْإِسْلَامِ عَالِمَ عَصْرِهِ

ومثله قول الأمير عبد القادر الجزائري:

أَوْقَاتٌ وَصَلِكُمْ عَيْدٌ وَأَفْرَاحُ

ومثله قول محمد العيد آل خليفة:

يَا لَمْجِدٍ مُضَاعٍ غَيْرُ مُجِدٍ

أو قوله:

إِنَّ لِلْعُرْبِ فِي الْحَضَارَةِ قَدَمًا

ومنه قول الشاعر القروي:

يَجِيقُ لَكُمْ أَنْ تَسْتَخَفُّوا بِهِائِمِ

ومثاله أيضا قول معروف الرصافي في قصيدة (العلم والعلم):

كِلَاهُمَا ضَامِنٌ لِلنَّاسِ حُرْمَتُهُمْ

ومنه قول مصطفى صادق الرافعي مادحا:

جَرَى النَّيْلُ فِيهَا حَاكِيًّا نَيْلَ كَفِّهِ

### 4. تَرْتِيبُ الْحُرُوفِ: ومثاله قول محمد العيد:

مَرَّتْ بِنَا مَحَنٌ لَنَا فِي طَيْهَا

ومثاله قول ميخائيل نعيمة: "الشَّبَابُ ثَرْوَةٌ وَتَوَرَةٌ".

ومثاله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا".

ودُعَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَوْدَعًا رَمَضَانَ: "اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ صِيَامِنَا إِيَّاهُ، فَإِنْ جَعَلْتَهُ فَأَجْعَلْنِي مَرْحُومًا، وَلَا تَجْعَلْنِي مَحْرُومًا".

وقد اجتمع النوعان التَّامُّ وغير التَّامِّ في قول صفِيِّ الدين الحلي في الربيع:

وَرَدَ الرَّبِيعُ فَمَرَّ حَبَّابًا بِوُرُودِهِ      وَبُنُورٍ بِهِجَتِهِ وَنُورٍ وَرُودِهِ

(وُرُودِهِ): قُدُومِهِ، (نُورٍ): ضِيَاءٌ، (نُورٍ): الزَّهْرُ الأَبْيَضُ، (وُرُودِهِ): ورود البساتين المعروفة.

كما اجتمعا في قول الشاعر:

قَد نَهَانَا عَنِ الْعَرَامِ نُهَانًا      إِذْ هَوَانًا أَلَّا نَذُوقَ هَوَانًا

(نَهَانًا): مَنَعْنَا، (نُهَانًا): عَقَلْنَا، (هَوَانًا الأَوَّلِي): حُبْنَا، (هَوَانًا الثَّانِيَّة): الذُّلُّ، وَالمَهَانَةُ.

### قيمة الجناس و بلاغته:

اختلف البديعيون في قيمة الجناس ومنزلته، فقد قال فيه يحيى بن حمزة العلوي: "هو من أَلْفٍ مَجَارِي الكَلَامِ، وَمِنْ مَحَاسِنِ مَدَاحِهِ، وَهُوَ عَظِيمُ المَوْقِعِ فِي البَلَاغَةِ، جَلِيلُ القَدْرِ فِي الفَصَاحَةِ، وَهُوَ مِنَ الكَلَامِ كَالغُرَّةِ فِي الفَرَسِ"<sup>1</sup>، وقال فيه الأندلسي: "الجِنَاسُ أَشْرَفُ الأنواعِ اللُّغَويَّةِ"، وقال ابن السبكي: "وَكَفَى بالتَّجْنِيسِ فخرًا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "غَفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَأَلَهَا اللهُ، وَعُصَيْبَةُ عَصَتِ اللهُ وَرَسُولُهُ"<sup>2</sup>، وأكثر البلاغيين مدحًا للجناس صلاح الدين الصفدي، وقد أَلْفَ فيه كتابا أسماه "جِنَانُ الجِنَاسِ" لا بأس أن أذكر بعض ما جاء في مقدمته: "الجِنَاسُ إِنْ دَخَلَ فِي خُطْبَةٍ تَوَجَّهًا، أَوْ قَصِيدَةٍ دَبَّجَهَا، فَهُوَ فِي البَدِيعِ خَالٌ خَدَّهُ، وَطِرَازٌ بُرِيدُهُ، وَفَصٌّ خَاتَمُهُ، وَجُودٌ خَاتَمُهُ، وَسَجُّعٌ حَمَامِهِ، وَسَحٌّ غَمَامِهِ، وَزَهْرٌ كِمَامِهِ، وَقَمَرٌ تَمَامِهِ، يَكْسِبُ اللُّفْظَ رَوْنَقًا وَطَلَاوَةً، وَبِهِ لَا تَزَالُ حُورُ المَعَانِي فِي حُلِيِّ وَحُلَّةٍ وَحَلَاوَةٍ"<sup>3</sup>.

غير أن في هذا الكلام ما يدلُّ على مبالغة الصفدي، وغلوه، وإيثاره لهذا اللون البديعي، ومبلغ تعصبه له، وذلك ما دعا الخفاجي إلى القول: "المَحْمُودُ مِنَ الجِنَاسِ مَا قَلَّ، وَوَقَعَ تَابِعًا للمَعْنَى، غَيْرَ مُتَكَافِئٍ، وَلَا مَقْصُودٍ فِي نَفْسِهِ"، وقال شهاب الدين محمود: "إِنَّمَا يَحْسُنُ الجِنَاسُ إِذَا قَلَّ وَآتَى فِي الكَلَامِ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا اسْتِكْرَاهٍ". قال ابن الوردي في هذا المعنى:

إِذَا أَحْبَبْتَ نَظْمَ الشُّعْرِ فَاخْتَرْ      لِنَظْمِكَ كُلَّ سَهْلٍ ذِي امْتِنَاعِ

وَلَا تَقْصِدْ مُجَانِسَهُ وَمَكْغُنْ      قَوَافِيَهُ وَكُلَّهُ إِلَى الطَّبَّاعِ

ويرى الجرجاني أن الجناس يُسْتَحْسَنُ إِذَا كَانَ سَهْلًا، لَا أَثَرَ لِلْكَفَّةِ عَلَيْهِ، يَقُولُ الجرجاني: "وَمِنْ هَهُنَا كَانَ

أَحْلَى تَجْنِيسٍ تَسْمَعُهُ وَأَعْلَاهُ، وَأَحْقُهُ بِالْحُسْنِ وَأَوْلَاهُ مَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ إِلَى اجْتِلَابِهِ، وَتَأْهَبُ لِطَلْبِهِ".

<sup>1</sup> دراسات في علم البديع الدكتور مصطفى السيد جبر ص 118.

<sup>2</sup> فن الجناس علي الجندي ص 18.

<sup>3</sup> جنان الجناس صلاح الدين الصفدي ص 07.

ويرى الدكتور علي الجندي: "أَنَّ تَنَاسُبَ الألفاظ في الصُّورة كُلِّها، أو بعضها، مِثْلُ التَّوَأْفُقِ والانسجام، في الزبي والهندام، تميل إليه النفوس بالفطرة، وتأنس به، ويطمئن إليه الذوق، ويسكن، لأنه نظام، وانسجام، وتناسق، وتلك أشياء مغروس حبها في الغرائز، لخلعها على النفوس السكينة والهدوء، صف إلى ذلك التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلا كاملا، أو ناقصا، وهو ما يطرب الأذن، ويؤنس النفس، ويهز أوتار القلوب"<sup>1</sup>، وعلى خلاف السجع، فكلما كان التماثل أوسع، وأشمل، كان ذلك أشبه شيء بقطعة موسيقية مختلفة الآلات، متناسقة الأصوات، وهناك مزية أخيرة للجناس، فبينما هو يُريك أنه سيعرض عليك معنى مكرراً، ولفظاً مرّداً، لا تجني منه غير الانقباض والسامة، إذا هو يفاجئك، فيجلو عليك معنى مستحدثاً، يغير ما سبقه كل المغايرة، وإن هو حكاة في الصورة والمعرض، فتأخذك الدهشة لهذه المفاجأة السارة اللذيذة، وفي هذا ورد قوله تعالى في أهل الجنة: "كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مِثْلًا" ، وقد أتى الجرجاني بهذا المعنى في قوله: "وقد أعاد عليك اللفظة كأنه يخذلك عن الفائدة، وقد أعطاه، ويوهمك كأنه لم يزدك شيئاً، وقد أحسن الزيادة ووفاه". وعموماً يمكن القول إن الجناس لا يكون مقبولاً إلا إذا ورد عفو خاطر، وفيض البديهة، وكان في كلام مطبوع، لا تكلف فيه، ولم يكن من الكثرة التي تنقل كاهل المعنى، وتجعله يضيع في سرديب الصنعة.

#### التدريب الأول: حدّد الجناس، ونوعه في الأبيات الآتية:

وَتَأبَى الصَّفَائِحُ نَشْرَ الصَّحَا	وَتَأبَى الصَّفَائِحُ نَشْرَ الصَّحَا
وَيَأبَى الْحَدِيدُ اسْتِمَاعَ الْحَدِ	وَيَأبَى الْحَدِيدُ اسْتِمَاعَ الْحَدِ
قُلْ لِلْجَزَائِرِ وَهِيَ أُمُّ مُرْضِعِ	قُلْ لِلْجَزَائِرِ وَهِيَ أُمُّ مُرْضِعِ
أَبْنَاؤُكَ الْأَشْبَالِ فِيكَ تَزَاوَرُوا	أَبْنَاؤُكَ الْأَشْبَالِ فِيكَ تَزَاوَرُوا
أَطْعَمْتَ مُكْثِرَةً فَأَطْمَعْتَ الْعِدَى	أَطْعَمْتَ مُكْثِرَةً فَأَطْمَعْتَ الْعِدَى
فِي فَمِي، يَا عِرَاقُ مَاءٌ كَثِيرٌ	فِي فَمِي، يَا عِرَاقُ مَاءٌ كَثِيرٌ
يَا فُوَادِي رَحِمَ اللَّهُ الْهَوَى	يَا فُوَادِي رَحِمَ اللَّهُ الْهَوَى
وَطَارَحَكَ (النَّايُّ) شَجْوَ النُّوَحِ	وَطَارَحَكَ (النَّايُّ) شَجْوَ النُّوَحِ
وَمَالَ فَتَاحَ عَلِيَّكَ (الْكَمَانُ)	وَمَالَ فَتَاحَ عَلِيَّكَ (الْكَمَانُ)
كُفِّي الْقِتَالَ وَفُكِّي قَيْدَ أَسْرَاكِ	كُفِّي الْقِتَالَ وَفُكِّي قَيْدَ أَسْرَاكِ
كَمَلْتَ أَوْصَافَ حُسْنٍ غَيْرِ نَاقِصَةٍ	كَمَلْتَ أَوْصَافَ حُسْنٍ غَيْرِ نَاقِصَةٍ
إِنَّ هَذَا الرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ	إِنَّ هَذَا الرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ
دَهَبٌ حَيْثُمَا دَهَبْنَا وَدُرٌّ	دَهَبٌ حَيْثُمَا دَهَبْنَا وَدُرٌّ

<sup>1</sup> فن الجناس علي الجندي ص 29.

لا تُطِيقُ عَلَى نَارِ الْجَحِيمِ وَلَا تَقْوَى  
وَأَنْتَ بِلَا عِلْمٍ لَدَيْكَ وَلَا تَقْوَى  
خَطَبٌ وَفِي يَوْمِ الْجِدَالِ خَطِيبٌ  
فَعَدَا لَكَ التَّأْبِينُ لَا التَّأْنِيبُ  
مُهْلًا فَمَا الْمَكْرُ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ  
فَهَلْ لِمَنْ هَاجِيَ مِنْ هَاجٍ؟  
وَأَمَأَيْتُ الْجَفَانَ مِنَ الْجُفُونِ  
لَمَلَأْتُ الْعُيُونَ مِنَ الْعُيُونَ  
وَشَاهَدُوكَ بِسُخْطِي رَاضِيًا فَرَضُوا  
إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ  
وَكَيْفَ؟ وَفِيهَا لِلدُّمُوعِ تَرَاحُمٌ؟

- رويدك من كسب الذنوب فأنت  
أترضى بأن تلقى المهيمين في غد  
- إذ أنت في يوم الجلال على العدى  
حزت المحامد بالمكارم مئيتا  
- يا مأكرا بي وبإخوانه  
- منهاجي العدل وقمع الهوى  
- بكيت على فراقك كل يوم  
ولو كان البكاء بقدر شوقي  
- أطعت ما سن أعدائي وما فرضوا  
- لأشكرنك معروفا همت به  
- ترى هل لعيني حيلة أن تراكم

**التدريب الثاني:** حدد نوع الجنس في الأمثلة الآتية:

- قال محمد المويلحي: "التفت رفيقي إلى الفتق فرأى فيه شمس الكهرباء مشرقة، وينابيع الضياء متدفقة، وأعمدة المصابيح كأنها أغصان الأشجار، أزهرت بالأنوار مكان الأنوار<sup>1</sup>، فصارت كل عمود منها عمود فجر، يفجر نوره الدجنة أي فجر، وكان منثور الشموع في ظلمة الحالك، منثور النجوم في قبة الفلك، ورأى تحتها صُفُوفًا من الرجال، بين صفوف من ذوات الجبال، على سرر متقابلين، وأرائك متكئين".
- وقال المويلحي: "ثم درنا قليلا في منجم الذهب بعد أن انتهينا إليه من منجم الفضة، فلم نجد العمال فيه أسعد حالا، ولا متاعبه أهون احتمالا، لا نصيب لهم من الأصفر الرتان، مما يجلو عنهم صدا الأحران، سوى أنهم صُفُرُ الأيدي من الفضة والذهب، صُفُرُ الوجوه من النصب والتعب".
- قال أحمد شوقي: "انصرف الناس من الجنازة، وقد هان عليهم اليوم الرجل، فلا العبرة أرقوا، ولا على العبرة أفاقوا، فسبحان الذي الهى بالأمل، وشغل بالعمل، واستنهض الإنسان لأعباء اليوم فحمل".
- وقال شوقي: "من أترى أو ساد، فلا يعدن الحساد".
- وله أيضا رحمه الله: "السقي بعد العرس، والتربية قبل الدرس".
- قال طه حسين: "الأديب يخيّل إلى نفسه أن الأدب نفاتط طبيعية تصدر عن أصحابها من الصدور، لأنها لا بد لها من الصدور".
- قال أحمد أمين: "ليست تُعد الأمة راقية تستحق البقاء إلا إذا أرسلت الأم أبناءها إلى ميادين القتال، وهي تبتسم".

<sup>1</sup> الأنوار: جمع نور، وهو الزهر الأبيض.

- قال البشير الإبراهيمي في مقالة بعنوان "عيد الأضحى وفلسطين": "النُّفُوسُ حَزِينَةٌ، وَالْيَوْمُ يَوْمُ الزَّيْنَةِ، إِخْوَانُنَا مُشَرَّدُونَ، فَهَلْ نَحْنُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ مُجَرَّدُونَ؟ أَيُّهَا الْعَرَبُ لَا عِيدَ حَتَّى تُنْفَذُوا فِي صُهُيُونَ الْوَعِيدِ، وَتُنَجِّزُوا لِفِلَسْطِينِ الْمَوَاعِيدِ، وَلَا نَحْرَ حَتَّى تُنْفَذُوا بِصُهُيُونَ فِي الْبَحْرِ".
- وقال رحمه الله: "وَبِحَكْمِ أَفْكَلَمَا رَثَّ حَبْلُ الْإِسْتِعْمَارِ، وَتَصَدَّعَ جِدَارُهُ، وَأَشْرَفَ عَلَى الْفَنَاءِ، جَاءَتْ أَمْرِيكَ حَاصِنَةُ الدِّيمَقْرَاطِيَّةِ تُكْفِفُ دُمُوعَهُ، وَتُنظِّمُ جُمُوعَهُ، وَتُرَمِّمُ جِدَارَهُ، وَتُعَمِّرُ بِالْذُّوْلَارِ دَارَهُ؟".
- وله أيضا: "يَبْقَى الْأَدَبُ الْعَرَبِيُّ رِبَاطًا يَجْمَعُ الْعَرَبَ مَهْمَا اخْتَلَفُوا، أَوْ تَفَرَّقُوا بِطَارِيٍّ مِنْ طَوَارِيِّ الْهَمِّ، أَوْ لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِ الْاِخْتِلَافِ فِي الْهَمِّ".
- وللبشير الإبراهيمي في الدعاء: "اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا زَلَّةَ الرَّأْيِ، وَزَلْزَلَةَ الْعَقِيدَةِ".
- قال مؤلود قاسم نايت بلقاسم في وصيته للدعاة: "كُونُوا الرُّعَاةَ الْوُعَاةَ، وَالذُّعَاةَ الشُّعَاةَ".
- قال جبران خليل جبران: "قُلْتُ لِأَحْلَامِي: تَعَالِي، فَتَعَالَتْ".
- تساءل توفيق الحكيم قائلا: "هَلْ قَرَضُ الشَّعْرِ سَيَنْقَرُضُ فِي مُسْتَقْبَلٍ غَيْرِ بَعِيدٍ؟".
- قال أحدُ العَطَّارِينَ: "إِنْ فَاتَنِي رِبْحُهُ - يَفْصِدُ الْعِطْرَ - فَمَا فَاتَنِي رِيحُهُ".
- نَظَرَ حَكِيمٌ إِلَى رَجُلٍ يَبْنِي دَارًا، فَقَالَ لَهُ: "تَأْتِقُ فِيهَا، فَهِيَ عِشُّكَ، وَفِيهَا عَيْشُكَ".

## السَّجْع

**تعريف السَّجْع لغة:** "مَأخُوذٌ مِنْ سَجْعِ الْحَمَامِ"<sup>1</sup>، يقال: سَجَعَتِ الْحَمَامَةُ سَجْعًا، إِذَا كَرَّرَتْ صَوْتَهَا عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ. قال بشارة الخوري مخاطبًا الطَّيْرَ:

تَسْجَعُ السَّجْعَةَ الْبَدِيعَةَ فِي الْفَجْرِ — رِ وَتَأْتِي بِمِثْلِهِا تَكَرَّرًا

**السَّجْع اصطلاحًا:** هو تَوَافُقُ الْفَاصِلَتَيْنِ مِنَ النَّثْرِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، "وَهُوَ فِي مُقَابَلَةِ التَّصْرِيحِ فِي الْكَلَامِ الْمَنْظُومِ"<sup>2</sup>.

اقرأ قولَ أحمد شوقي في كتابه (أسواق الذهب): "الوطنُ مَوْضِعُ الْمِيلَادِ، وَمَجْمَعُ أوتارِ الْفُوَادِ، وَأَوَّلُ تَرَابِ مَسِّ الرَّاحَتَيْنِ، مَجْرَى الصَّبَا وَمَلْعَبُهُ، وَعَرُوسُ الشَّبَابِ وَمَوْكِبُهُ، مُسْتَوْدَعُ الْمَفَاخِرِ، وَصَوَانُ الْمَآئِرِ، صَحِيفَةُ الْأَخْبَارِ، وَكِتَابُ الْأَبْرَارِ، وَمَا الْوَطْنُ إِلَّا الْأُسْرَةُ الْكُبْرَى، وَالسَّقْفُ الْوَاحِدُ، وَالْمَنْزِلُ الْحَاشِدُ، وَمَا الْقَوْمُ فِي ظِلَالِهِ إِلَّا إِخْوَانٌ مُتَصَافُونَ، وَجِيرَانٌ مُتَأَلِّفُونَ، وَالْوَطْنُ لَا يَتِمُّ تَمَامُهُ، إِلَّا حِينَ يَحْمِلُ الْعِلْمُ فِيهِ يَدَ الْعِمَارَةِ، فَاطْلُبُوهُ فِي مَدَارِسِ الزَّمَانِ وَحَلَقَاتِهِ، وَخُذُوهُ مِنْ عُلَمَائِهِ وَثَقَاتِهِ".

فلو تأملت قول شوقي لوجدته مؤلفًا من مجموعة من الجمل، أو الفقرات، كلُّ فقرتين متحدثان، أو متماثلتان في الحرف الأخير، (الميلاد، الفؤاد)، (ملعبه، موكبه)، (المفاخر، المآثر)، (الأخبار، الأبرار)، (الواحد، الحاشد)، (متصافون، متألفون)، (حلقاته، ثقاته). وتسمى الكلمة الأخيرة من كلِّ فقرة فاصلة، ولو أمنت النظر في المثال من جديد لوجدت كلَّ الفواصل ساكنة، إذ يجب أن تُسَكَّنَ الْفَاصِلَةُ دَائِمًا فِي النَّثْرِ لِلْوَقْفِ، فالعرب كما قيل لا تبدأ بساكن، ولا تقف عند متحرك، قال عائض القرني في (المقامة النحوية): "العربُ لَا تَبْدَأُ بِسَاكِنٍ، لِأَنَّهَا تُحِبُّ التَّنْقِلَ فِي الْمَسَاكِنِ، أَمَا تَرَاهَا فَتَحَتْ بِالسُّيُوفِ الْجَوَارِمِ الْأَفْطَارِ، وَحَرَّرَتْ مِنْ سُوءِ الْحَالِ الْأَمْصَارِ؟ وَهِيَ لَا تَقِفُ عَلَى مُتَحَرِّكٍ، لِأَنَّهَا تُحِبُّ السَّاكِنَ الْمُتَنَسِّكَ، وَتَبْغِضُ الْمُتَعَيِّرَ الْمُتَهَنِّكَ".

ومن روائع السَّجْع قولُ إمامه في العصر الحديث محمد المويلحي في كتابه (حديث عيسى بن هشام): "وَلَمَّا وَقَفْتَ بِنَا الرِّكَابِ فِي سَاحَةِ الْأَهْرَامِ، وَقَفْنَا هُنَاكَ مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ، قُبَالَةَ ذَلِكَ الْعَلَمِ الَّذِي يُطَاوِلُ الرَّوَابِي وَالْأَعْلَامِ، وَالْهَضْبَةَ الَّتِي تَعْلُو الْهَضَابَ وَالْأَكَامِ، مَا بَرِحَتْ تَابِتَةً تُنَاطِحُ مَوَاقِعَ النُّجُومِ، وَتَسْخَرُ بِتَوَاقِبِ الشُّهُبِ وَالرُّجُومِ، وَتُحَدِّثُ حَدِيثَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْعِيَانِ، عَنْ قُدْرَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ، فِي بَدَائِعِ الصَّنْعِ وَالْإِنْقَانِ، وَتُنْبِئُ عَنْ قُوَّةِ هَذَا الضَّعِيفِ الضَّئِيلِ، فِي إِقَامَةِ هَذَا الْأَثَرِ الْجَلِيلِ، وَكَيْفَ جَازَ لِهَذَا الْفَانِي الْبَائِدِ، أَنْ يَصُدْرَ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا الْبَاقِي الْخَالِدِ، وَجَلَّ صُنْعُ الْقَدِيرِ الْخَالِقِ، فِي تَصْوِيرِ هَذَا الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ، حَيْثُ جَعَلَهُ مَصْدَرًا لِلْأَعْمَالِ الْمُتَنَاقِضَةِ، وَالْأَفْعَالِ الْمُتَعَايِرَةِ وَالْمُنْعَارِضَةِ، فَبَيْنَمَا تَرَاهُ يَصْعَدُ إِلَى أَجْرَامِ السَّمَاءِ وَعَوَالِمِهَا، وَيَبْحَثُ بِفِكْرِهِ فِي رُسُومِهَا وَمَعَالِمِهَا، وَيَسِيرُ بِعِلْمِهِ فِي أَنْحَائِهَا وَمَنَاكِبِهَا، وَيَهْتَدِي لِحِسَابِ أَعْمَارِهَا وَكَوَاكِبِهَا، إِذْ تَرَاهُ يَغْتَرُّ عَثْرَةَ

<sup>1</sup> العقد البديع في فن البديع للخوري عواد ص 294.  
<sup>2</sup> معجم البلاغة العربية الدكتور بدوي طبانة ص 273.

بِرِجْلِهِ، فَيَكُونُ فِيهَا مُنْتَهَى أَجَلِهِ، وَيَهْوِي بِإِذْنِ اللَّهِ إِلَى مَكَامِنِ الْخُلْدِ<sup>1</sup>، وَهُوَ طَامِعٌ فِي شَجَرَةِ الْخُلْدِ، فَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي صَعَرَ وَكَبَّرَ، وَعَظَمَ وَحَقَّرَ، وَعَزَّ وَذَلَّ، وَكَثَرَ وَقَلَّ، وَصَعَدَ وَهَبَطَ، وَعَلَا وَسَقَطَ، وَصَلَحَ وَفَسَدَ، وَعَرَفَ وَجَدَّ، وَسَعَدَ وَشَقِيَ، وَفَنِيَ وَبَقِيَ، وَسُبْحَانَ الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ."

ومن بدائع السجع قول الداعية الدكتور عائض القرني في (مقامة الكتاب): "عَلَيْكَ بِالْكِتَابِ، فَهُوَ خَيْرُ الْأَصْحَابِ، يُقَوِّي جَنَانَكَ، وَيَبْسُطُ لِسَانَكَ، وَالْكِتَابُ إِذَا خَانَ الصَّدِيقُ وَفَى، وَإِذَا تَكَدَّرَ الزَّمَانُ صَفَا، خَلِيلٌ مَا أَمْلَحَهُ! وَصَاحِبٌ مَا أَصْلَحَهُ! وَصَامِتٌ مَا أَفْصَحَهُ! بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ، وَنَدِيمٌ وَسَمِيرٌ، إِذَا وَعَظَ أَبْكَاكَ، وَإِنْ حَدَّثَ أَشْجَاكَ، جَزَى اللَّهُ الْكِتَابَ، أَفْضَلَ ثَوَابٍ، فَقَدْ أَغْنَاكَ عَنِ الْبُخْلَاءِ، وَكَفَاكَ الثَّقَلَاءِ، يُوفِي لَكَ الْكَيْلَ، وَيُقْصِرُ عَلَيْكَ اللَّيْلَ، هُوَ تَأْجُكَ فِي كُلِّ نَادٍ، وَأَنْبِئُكَ فِي كُلِّ وَادٍ، أَصْرِفْ لَهُ أَثَمَّ الْأَوْقَاتِ، وَأَنْفِقْ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْهَبَاتِ، فَهُوَ الَّذِي حَبَّبَ إِلَيْكَ الزَّمَانَ، وَأَجْلَسَكَ فِي صَدْرِ الْمَكَانِ، فَلَيْسَ الْمَجْدُ حُلِيًّا وَأَنْيَّةً، وَلَا دُفَاً وَغَانِيَّةً، وَلَا قُطُوفًا دَانِيَّةً، وَلَيْسَ السُّوْدُودُ بُنُودًا وَجُنُودًا، أَوْ حُشُودًا وَوُفُودًا، لَكِنَّ الْمَجْدَ وَالسَّعَادَةَ، وَالشَّرَفَ وَالسِّيَادَةَ، عِلْمٌ أَصِيلٌ، وَبُرْهَانٌ وَدَلِيلٌ، وَكِتَابٌ جَلِيلٌ، يُغْنِيكَ عَنِ كُلِّ خَلِيلٍ."

### بلاغة السجع:

"يذهب بعض العلماء إلى كراهة السجع، وبعضهم يذهب إلى استحسانه، وحُجَّةُ الفريق الأول أنه إذا وقع بتكلف وتصنع أذهب طلاوة الكلام، وأزال ماءه، ويضربون مثالا عن ذلك، وهو سجع الكهان، مستشهدين بقوله صلى الله عليه وسلم: "أَسْجَعًا كَسَجَعِ الْكُهَّانِ؟". وهذا السجع هو بعيد عن البلاغة، وقائله يلجأ إليه من أجل تعمية المعنى، وصرف انتباه السامع، وتشبيت فكره بهذا الزخرف اللفظي، من أجل إحقاق باطل، أو إبطال حق.

وحُجَّةُ من يستحسن السجع أنه يُحَسِّنُ الألفاظ، ويُظهر آثار الصنعة فيها، ولولا ذلك لم يرد في كلام الله عز وجل، وقد استشهد هؤلاء بما جاء في أوائل سورة طه، قال تعالى: (طَه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى \* إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى \* تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى \* الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى \* لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى \* وَإِنْ تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى \* اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.)<sup>2</sup>

والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً مُتَّيَسَّرًا، بلا كلفة ولا مشقة، و"السجع يُخَامِرُ الْعُقُولَ مَخَامِرَةَ الْخَمْرِ، وَيُخَدِّرُ الْأَعْصَابَ إِخْدَارَ الْغِنَاءِ، وَيؤَثِّرُ فِي النُّفُوسِ تَأْثِيرَ السَّحْرِ، وَيَلْعَبُ بِالْأَفْهَامِ لَعِبَ الرِّيحِ بِالْهَشِيمِ، لِمَا يُحَدِّثُهُ مِنَ النَّعْمَةِ الْمُؤَثَّرَةِ، وَالْمُوسِيقَى الْقَوِيَّةِ الَّتِي تَطْرَبُ لَهَا الْأُذُنُ، وَتَهْتَشُّ لَهَا النَّفْسُ، فَنُقْبَلُ عَلَى السَّمَاعِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَهَا مَلَلٌ، أَوْ يُخَالِطَهَا فُتُورٌ، فَيَتِمَكَّنُ الْمَعْنَى فِي الْأَذْهَانِ، وَيَقْرُ فِي الْأَفْكَارِ، وَيَعِزُّ لَدَى

<sup>1</sup> الخلد: الفأر.

<sup>2</sup> دراسات في علم الديدع مرجع سابق ص 136. 137.

**تدريب:** دلّ على السجع في النماذج الآتية، وبين بلاغته:

- قال محمد المويلحي: "رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ كَأَنِّي فِي صَحْرَاءِ الْإِمَامِ، أَمْشِي بَيْنَ الْقُبُورِ وَالرَّجَامِ، فِي لَيْلَةٍ زَهْرَاءَ قَمْرَاءَ، أَحَدْتُ نَفْسِي بَيْنَ تِلْكَ الْقُبُورِ، وَفَوْقَ هَاتِيكَ الصُّخُورِ، بَغُرُورِ الْإِنْسَانِ وَكِبْرِهِ، وَشُمُوخِهِ بِمَجْدِهِ وَقُخْرِهِ، وَإِعْرَاقِهِ فِي دَعْوَاهِ، وَإِسْرَافِهِ فِي هَوَاهِ، وَاسْتِعْظَامِهِ لِنَفْسِهِ، وَنِسْيَانِهِ لِرَأْسِهِ، فَقَدْ شَمَخَ الْمَعْرُورُ بِأَنْفِهِ حَتَّى رَامَ أَنْ يُثَقَّبَ بِهِ الْفَلَكُ، اسْتِكْبَارًا لِمَا جَمَعَ وَاسْتِعْلَاءً بِمَا مَلَكَ، وَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ، وَتِلْكَ الْخَوَاطِرِ وَالْفِكْرِ، أَتَأَمَّلُ فِي عَجَائِبِ الْحَدَثَانِ، وَأَعْجَبُ مِنْ تَقَلُّبِ الْأَزْمَانِ، مُسْتَعْرِقًا فِي بَدَائِعِ الْمَقْدُورِ، مُسْتَهْدِيًا لِلْبَحْثِ فِي أَسْرَارِ الْبُعْثِ وَالنُّشُورِ، إِذَا بَرَجَّةٌ عَنيفَةٌ مِنْ خَلْفِي، كَادَتْ تَقْضِي بِحَنْتِي، فَالْتَقْتُ التَّقَاتِ الْخَائِفِ الْمَذْعُورِ، فَرَأَيْتُ قَبْرًا انْشَقَّ مِنْ بَيْنِ الْقُبُورِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْهُ رَجُلٌ طَوِيلُ الْقَامَةِ، عَظِيمُ الْهَامَةِ، فَصُعِقْتُ مِنْ هَوْلِ الْوَجَلِ، صَعَقَةَ مُوسَى يَوْمَ ذَلِكَ الْجَبَلِ، فَلَمَّا أَفَقْتُ مِنْ عَشِيَّتِي، وَأَنْبَهْتُ مِنْ دَهْشَتِي، أَخَذْتُ أُسْرِعُ فِي مِشْيَتِي، فَسَمِعْتُهُ يُنَادِينِي، وَأَبْصَرْتُهُ يُدَانِينِي، فَوَقَفْتُ امْتِنَالًا لِأَمْرِهِ، وَاتَّقَاءً لِشَرِّهِ، ثُمَّ دَارَ الْحَدِيثُ بَيْنَنَا."

- وقال في وصف متحف: "كَمْ هُنَاكَ مِنْ صُورٍ بَرَاهَا الْإِتْقَانُ وَالْإِحْكَامُ، تُمَثِّلُ لِلْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ، مَا لَا يُمَثِّلُهُ تَأْلِيفُ الْكَلَامِ، وَتُشَخِّصُ لَكَ حَوَادِثَ التَّارِيخِ وَمَنَاطِرَهُ، كَأَنَّكَ كُنْتَ حَاضِرَهُ وَنَاطِرَهُ، وَيُوضِّحُ لَكَ قَلَمُ الرَّسْمِ وَالتَّصْوِيرِ، مَا يَعْجَزُ عَنْهُ قَلَمُ الْخَطِّ وَالتَّحْرِيرِ، مِنْ مَكْنُونِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَشْجَانِ، بِلَفْظٍ مُبِينٍ مِنَ النُّقُوشِ وَالْأَلْوَانِ، فَمَا شِئْتَ فِيهَا مِنْ أَثَرٍ يَجْلُو صَدَأَ الْحِسِّ، وَيُرْفِقُ حَوَاشِي النَّفْسِ، فَتَتَوَلَّكَ هَزَّةُ الطَّرْبِ لِرُؤْيَيْتِهَا، وَتَعْتَرِيكَ نَفْحَةُ السَّحْرِ مِنْ هَيْئَتِهَا، فَتَكَادُ تَنِينُ لِلْفَارِسِ الْمَقْتُولِ، وَتَعْطِفُ عَلَى الْوَالِيَةِ الْمُنْبُولِ، فَتَنْتَرِحُ عَلَى قَتِيلِ الرُّمَحِ وَالْحَسَامِ، كَمَا تَسْتَعْفِرُ لِشَهِيدِ الْهَوَى وَالْعَرَامِ، وَتَسْتَبِيحُ الْفَتَاةَ الْحَسَنَاءَ، وَالْكَاعِبُ الْعَذْرَاءَ، فَتَصْبُو إِلَى مَحَبَّتِهَا، وَتَطْمَعُ فِي مَوَدَّتِهَا، لَوْلَا عِيُونُ الرُّقَبَاءِ مِنْ أَهْلِهَا، وَهُمْ ضَارِبُونَ حَوْلَهَا."

- قال عائض القرني في (مقامة القلم): "إِنَّ عَضِبَ الْقَلَمُ فَجَرَ الدَّمَاءِ، وَأَبَادَ الْأَحْيَاءِ، وَأَشْعَلَ حَرْبًا شَعْوَاءَ، وَإِنْ رَضِيَ مَنَحَ الْمَوَاهِبِ، وَأَعْطَى الرَّغَائِبِ، وَأَهْدَى الْمَنَاصِبِ، إِنْ شَاءَ فَمِدَادُهُ سُمُّ الْحَيَاتِ، وَأُمُّ النُّكَبَاتِ، وَإِنْ أَرَادَ جَعَلَ سَطُورَهُ نُورًا، وَمَلَأَهَا حُبُورًا، وَنَمَقَهَا حُسْنًا مَنُشُورًا، إِذَا سَالَ لُعَابُهُ، كَثُرَ صَوَابُهُ، وَحَضَرَ جَوَابُهُ، وَتَرَاحَمَ عِبَابُهُ، لَا تَسْمَعُ لَهُ كَلَامًا، وَلَكِنَّهُ صَارَ لِلْحِكْمَةِ إِمَامًا، لَفْظُهُ أَعْلَى مِنَ الْيَاقُوتِ، بِهِ خُطُّ الْوَحْيِ فِي الْمَلَكُوتِ، مُصِيبَةُ الْقَلَمِ أَنَّهُ يُذِيعُ الْأَسْرَارَ، وَلَا يَكْتُمُ الْأَخْبَارَ، إِذَا تَسَجَّعَ مَلَأَ الصَّفَحَاتِ، وَعَبَأَ الْمُجَلَّدَاتِ، وَإِنْ جَبِنَ أَلْعَزَّ وَأَوْجَزَ، وَطَلَسَمَ وَأَعْجَزَ، يَشْرَبُ وَلَا يَأْكُلُ، وَيُجِيبُ وَلَا يَسْأَلُ، إِنْ عَبَّأَتْهُ مِدَادًا، أَحَالَ بِيَاضَكَ سَوَادًا، عَقْلُهُ مَرْهُونٌ، وَخَصْمُهُ مَعْبُونٌ، وَعَذَابُهُ غَيْرُ مَأْمُونٌ، لَهُ رَأْسٌ بِلَا عَيْنَيْنِ، وَلِسَانٌ بِلَا شَفَتَيْنِ، وَصَدْرٌ بِلَا يَدَيْنِ، لَا يَتَكَلَّمُ حَتَّى يَتَسَبَّعَ، وَلَا يَخْطُبُ حَتَّى يَرْضَعَ، وَلَا يَسْكُتُ حَتَّى يُوضَعَ، يَرْفُصُ عَلَى نَبْضَاتِ قَلْبِكَ، فَإِنْ أَوْقَفْتَ الْإِمْلَاءَ نَادَى: اذْكَرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ، فَذِكْرُكَ غِذَاؤُهُ، وَكُفُّكَ حِدَاؤُهُ، وَمِدَادُكَ مَآؤُهُ، وَجَيْبُكَ وَعَاؤُهُ."

<sup>1</sup> الصبغ البيدي في اللغة العربية الدكتور أحمد إبراهيم موسى ص 496. 497.

- قال أحمد شوقي في مقدمة كتابه (أسواق الذهب): "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، وَاللَّهُمَّ نَوَابِغَ الْكَلِمِ، وَجَعَلَ الْأَمْثَالَ وَالْحِكْمَ، أَحْسَنَ أَدَبِ الْأُمَّمِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ دِيمَةِ الْبَيَانِ الْمُنْسَجِمَةِ، وَعَلَى مُوسَى الْكَلِيمِ وَعِيسَى الْكَلِمَةِ، وَبَعْدَ، فَهَذِهِ فُصُولٌ مِنَ النَّثْرِ، وَمَا زَعَمْتُ أَنَّهَا غَرَرُ زِيَادٍ<sup>1</sup>، أَوْ سَجْعُ الْمُطَوَّقَةِ عَلَى فَرَعِ غُصْنِهَا الْمِيَادِ، وَلَا تَوَهَّمْتُ حِينَ أَنْشَأْتُهَا أَنِّي صَنَعْتُ أَطْوَاقَ الذَّهَبِ لِلزَّمْخَسِرِيِّ، أَوْ طَبَعْتُ أَطْبَاقَ الذَّهَبِ لِلأَصْفَهَانِيِّ، وَإِنْ سَمَّيْتُ هَذَا الْكِتَابَ بِمَا يُشْبِهُ اسْمَيْهِمَا، وَوَسَمْتُهُ بِمَا يَفْرُبُ فِي الْحُسْنِ مِنْ وَسْمَيْهِمَا، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَاتٌ اسْتَمَلَّتْ عَلَى مَعَانٍ شَتَّى الصُّورِ، وَأَعْرَاضٍ مُخْتَلِفَةِ الْخَبَرِ، جَلِيلَةَ الْخَطَرِ، مِنْهَا مَا طَالَ عَلَيْهِ الْقِدَمُ، وَشَابَ عَلَى تَنَاوُلِهِ الْقَلَمُ، وَمِنْهَا مَا كَثُرَ عَلَى الْأَسِنَّةِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، وَأَصْبَحَ يَعْرِضُ فِي طُرُقِ الْأَقْلَامِ، وَتَجْرِي بِهِ الْأَلْفَافُ فِي أَعْنَةِ الْكَلَامِ، حَكْمٌ عَنِ الْأَيَّامِ تَلْفَيْتُهَا، وَمِنْ التَّجَارِيِبِ اسْتَمَلَّيْتُهَا، وَفِي قَوَالِبِ الْعَرَبِيَّةِ وَعَيْتُهَا، وَعَلَى أَسَالِيِبِهَا حَبَّرْتُهَا وَوَشَيْتُهَا، وَبَعْضُ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ قَدْ نَبَعَ مِنَ الْقَلْبِ وَهُوَ عِنْدَ اسْتِجْمَامِ عَفْوِهِ، وَطَلَعَ فِي الذَّهْنِ وَهُوَ عِنْدَ تَمَامِ صَحْوِهِ وَصَفْوِهِ، وَغَيْرُهُ - وَلَعَلَّهُ الْأَكْثَرُ - قَدْ قِيلَ وَالْأَكْثَرُ سَارِيَّةً، وَالْأَقْدَارُ بِالْمَكَارِهِ جَارِيَّةً، وَالذَّارُ نَائِيَّةً، وَحُكُومَةُ السَّيْفِ عَابِثَةٌ عَاتِيَّةً، فَأَنَا اسْتَقِيلُ الْقَارِيَّ فِيهِ السَّقَطَاتِ، وَأَسْتَوْهِبُهُ التَّجَاوُزَ عَنِ الْفَرَطَاتِ، اللَّهُمَّ غَيْرَ وَجْهِكَ مَا ابْتَغَيْتِ، وَسِوَى النِّفَعِ لِخَلْقِكَ مَا نَوَيْتِ، وَعَلَيْكَ رَجَائِي أَلْقَيْتِ، وَإِلَيْكَ بِذُلِّي وَضَعْفِي انْتَهَيْتِ."

- قال محمود سامي البارودي في مقدمة ديوانه: "لِلشَّعْرِ رُبْنَةٌ لَا يَجْهَلُهَا إِلَّا مَنْ جَفَا طَبْعُهُ، وَنَبَا عَنْ قَبُولِ الْحِكْمَةِ سَمْعُهُ، فَهُوَ حَلِيَّةٌ يَزْدَانُ بِجَمَالِهَا الْعَاطِلِ، وَعُودَةٌ لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا الْبَاطِلُ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِي رَيْعَانِ الْفُتُوَّةِ، وَانْدِفَاعِ الْفَرِيحَةِ بِنِّيَارِ الثُّوَّةِ، أَلْهَجُ بِهِ لَهَجَ الْحَمَامِ بِهَدِيلِهِ، وَأَنْسُ بِهِ أَنْسَ الْعَدِيلِ بِعَدِيلِهِ، لَا تَنْدُرَعَا إِلَيَّ وَجْهٍ أَنْتَوِيهِ، وَلَا تَطَّلَعَا إِلَيَّ غُفْمٍ أَحْتَوِيهِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَعْرَاضٌ حَرَكَتْنِي، وَإِبَاءٌ جَمَحَ بِي، وَغَرَامٌ سَالَ عَلَى قَلْبِي، فَلَمْ أَتَمَّاكَ أَنْ أَهْبْتُ، فَحَرَكَتُ بِهِ جَرَسِي، أَوْ هَنَفْتُ فَسَرَّيْتُ بِهِ عَنْ نَفْسِي. وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُلْهَمَنِي الصَّوَابَ، وَلَا يَحْرِمَنِي الثَّوَابَ، إِنَّهُ أَكْرَمُ مَسْئُولٍ، وَأَفْضَلُ مَأْمُولٍ."

- قال البشير الإبراهيمي: "وَأَفْكَرُ فِي قَوْمِي الْمُسْلِمِينَ فَأَجِدُهُمْ قَدْ وَرِثُوا مِنَ الدِّينِ فُشُورًا بِلَا لُبَابِ، وَأَلْفَافًا بِلَا مَعَانِ، ثُمَّ عَمِدُوا إِلَى رُوحِهِ فَأَزْهَقُواهَا بِالتَّعْطِيلِ، وَإِلَى زَوَاجِرِهِ فَأَزْهَقُواهَا بِالتَّأْوِيلِ، وَإِلَى هِدَايَتِهِ الْخَالِصَةِ، فَمَوَّهُواهَا بِالتَّضَلِيلِ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ طَوَّقَتْهُمْ أُرْبَابًا بِأَطْوَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَسَامَتْهُمْ الْعَذَابُ الشَّدِيدِ، وَأُخْرَجَتْهُمْ مِنْ زُمْرَةِ الْأَحْرَارِ إِلَى حَظِيرَةِ الْعَبِيدِ، وَوَرِثَتْ بِالْفُتُوَّةِ وَالْكَيْدِ وَالصَّوْلَةِ وَالْأَيْدِ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَخَيْرَاتِ أَوْطَانِهِمْ، وَأَصْبَحُوا غُرَبَاءَ فِيهَا، حَظُّهُمْ مِنْهَا الْحَطُّ الْأَوْكَسُ، وَجَزَاؤُهُمْ فِيهَا الْجَزَاءُ الْأَبْحَسُ."

- قال المنفلوطي في مقالة (المَرْقُصُ): "حَكَى صَدِيقٌ لِي، قَالَ: إِنَّ الْعَيْنَ لَا تَكَادُ تَمْلِكُ مَدَامِعَهَا، كُلَّمَا أَبْصَرَتْ هَذَا الْجُنْدِيَّ الْجَلِيلِ، وَاقَفَا هَذَا الْمَوْقِفَ الدَّلِيلِ، يَسْمَعُ قِرَاعَ الدُّفُوفِ، لَا قِرَاعَ السُّيُوفِ، وَيَرَى حُمْرَةَ الصَّهْبَاءِ، لَا حُمْرَةَ الدَّمَاءِ، وَيَحْمِي الْفُسُقَ وَالْفُجُورَ، لَا الْفَلَاحَ وَالتُّغُورَ، رَأَيْتُ الدَّنَانِيرَ ذَائِبَةً فِي الْكُؤُوسِ، وَالْعُقُولَ جَامِدَةً فِي الرُّؤُوسِ، وَالْحَبَائِلَ مَنْصُوبَةً لِاسْتِبْلَابِ الْجُيُوبِ، وَالسَّهَامَ مُسَدَّدَةً لِاصْطِيَادِ الْقُلُوبِ."

<sup>1</sup> زياد بن أبيه من أشهر خطباء الدولة الأموية.

- وصف أحمد حسن الزيات أسلوب أحمد أمين فقال: "كَانَ هَمُّهُ مِنَ الْكِتَابَةِ أَنْ يُقَرَّرَ وَيُقْنَع، لَا أَنْ يُؤْتَرَ وَيُمْتَع، فَانْتَمَتْ مِنْهُ بِإِزَاءِ عَالِمٍ يَبْحَثُ لِيُنْتِجَ، أَوْ مُصَلِّحٍ يَصِفُ لِيُعَالِجَ، لَا بِإِزَاءِ مُصَوِّرٍ يُلَوِّنُ لِيُعْجِبَ، أَوْ مُوسِيقَارٍ يُلَحِّنُ لِيُطْرِبَ".

- قال أحمد أمين: "لَوْلَا الْجَمَالُ مَا كَانَتْ الْحَدَائِقُ وَالْبَسَاتِينُ، وَلَا كَانَ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ رَائِحَةِ الْبَنْزِينِ وَرَائِحَةِ الْيَاسْمِينِ، وَلَوْلَاهُ لَكَانَتْ أَصْوَاتُ الْبُومِ وَالْغُرَبَانِ، كَأَصْوَاتِ الْبُئْبُلِ وَالْكَرَوَانِ".

- ووصف أحمد أمين أسلوب بعض الكتاب فقال: "هُوَ فِي فَنِّهِ أَطْرَبُ مِنْ سَجْعِ الْحَمَامِ، وَأَحْسَنُ مِنَ الدُّرِّ فِي النِّظَامِ، أَلْفَازُهُ الْعَذْبُ الزُّلَالُ أَوْ أَرَقٌّ، وَمَعَانِيهِ السَّحْرُ الْحَلَالُ أَوْ أَدَقُّ".

- قال ميخائيل نعيمة: "إِنْ سُلِّتُمْ عَنْ أَبْدَعِ آيَاتِ الْفَنِّ، وَأَغْلَاهَا، قُولُوا: ضَمِيرٌ لَا يُسَخَّرُ، وَجَبِينٌ لَا يُعَفَّرُ، وَلِسَانٌ حَلِيمٌ شَكُورٌ، وَقَلْبٌ عَفِيفٌ عَفُورٌ، وَعَيْنٌ لَا تُبْصِرُ الْقَدَى، وَيَدٌ لَا تُنْزِلُ الْأَدَى".

## رَدُّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ

**تعريفه:** ويُسمَّى كذلك **التَّصْدِيرُ**: وَيَكُونُ فِي النَّثْرِ، كَمَا يَكُونُ كَذَلِكَ فِي النَّظْمِ.

**1/ في النَّثْرِ:** وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ الْمُكَرَّرَيْنِ، أَوْ الْمُتَجَانِسَيْنِ، فِي أَوَّلِ الْفَقْرَةِ، وَالْآخِرُ فِي آخِرِهَا، وَالْمُرَادُ بِالْمُكَرَّرَيْنِ: الْمُتَّفَقَيْنِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى<sup>1</sup>. ومثاله قوله تعالى: (وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)<sup>2</sup>. وسئل أحدهم عن القنبلية الذرية، فقال: "اخْتِرَاعٌ لِتَدْمِيرِ كُلِّ اخْتِرَاعٍ".

**2/ في النَّظْمِ:** وهو أن يجعل الشاعر أحد اللفظين المتجانسين في آخر البيت، ويجعل اللفظ الآخر إمّا: في أول البيت، أو في آخر الشطر الأول، أو في وسط الشطر الأول، أو في أول الشطر الثاني. وإليك تفصيل ذلك:

### 1. في أول البيت:

كقول حافظ إبراهيم في الرثاء:

وَأَنسِي رُوحَهُ يَا رَحْمَةً اللَّهِ

يَا رَحْمَةً اللَّهِ هَذَا قَبْرُهُ فَفَقِي

أو كقول نسيب عريضة:

فَكَانَتْ لِي كَأَحْسَنِ مَا اتَّخَذْتُ

اتَّخَذْتُ أَمْرِيكَمَا وَطَنًا عَزِيْزًا

أو كقول البارودي متشوقا إلى وطنه:

يَا وَيْحَ نَفْسِي مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقٍ

حُزْنٌ بَرَانِي وَأَشْوَاقٌ رَعَتْ كَبِدِي

أو كقول إيليا أبي ماضي في الوصف:

وَأَجْمَلُ الْأَرْضِ مَا رَقَّتْ حَوَاشِيهَا

رَقَّتْ حَوَاشِيهَا وَأَخْضَرَ جَانِبُهَا

أو كقول محمد الأخضر السائحي:

سَأَحَقُّهُ وَذَلِكَ شَأْنُ اللَّيَالِي

وَاللَّيَالِي مَنْ يَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا

### 2. في آخر الشطر الأول:

كقول معروف الرصافي في رثاء أحمد شوقي:

فَمَنْ الْمُسَامِرُ بَعْدَ فَقْدِ سَمِيرِهِ؟

الشُّعْرُ كُنْتَ أَمِيرَهُ وَسَمِيرَهُ

أو كقول مفدي زكرياء في الذكرى الثامنة والسبعين لوفاة الأمير عبد القادر:

فَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا الزَّعِيمُ الْمُخَلَّدُ

وَإِنْ تَذَكَّرِ الدُّنْيَا زَعِيمًا مُخَلَّدًا

أو كقول مفدي مخاطبا شهر نوفمبر:

فَقُمَّنَا نُضَاهِي صَحَابَةَ بَدْرٍ

وَذَكَرْتَنَا فِي الْجَزَائِرِ بَدْرًا

ومنه قول علي الجارم:

<sup>1</sup> فن البيوع دكتور عبد القادر حسين ص 123.  
<sup>2</sup> الأحزاب 37.

وَهَلْ تَسْمَعُ الصَّخْرَاءُ أَنْتِ شَيْقٍ؟

مَنْ كَانَ فِي النَّاسِ مِلءَ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ

وَرِثَ الْمَكَّارِمَ عَنْ أَبِي مَحْمُودٍ

أَحْسَنُ الْوَقْتِ لِلْهَوَى تَشْرِينُ

فَشِعْرِي وَخَيِّ لَا وَسُوَاسُ شَيْطَانِ

وَمُحَقَّرًا وَهُوَ الْأَدِيبُ الْأَلْمَعِي

فَيَزْدَادُ شَجْوِي كُلَّمَا قُلْتُ: لَوْ أَنِّي

هُمَا نِعْمَةُ الدُّنْيَا وَشَقْوَتُهَا هُمَا

مَا دَهَانَا مِنَ الْأَسَى مَا دَهَانَا

أَلَمْ يَأْتِكَ الْإِنْدَارُ مِنْ أَهْلِهِ أَلَمْ؟

وَحَسْبِي بِهَا إِنْ أَنْتِ لَمْ تَبْخَلِي حَسْبِي

أو كقول حافظ إبراهيم في الإمام محمد عبده بعد عودته من الجزائر:

وَقَفَا بِي بَعَيْنِ شَمْسٍ قَفَا بِي

وَأُبَعَثُ فِي الصَّخْرَاءِ أَنْتِ شَيْقٍ

ومنه قول ناصيف اليازجي:

أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ

### 3. في وسط الشطر الأول:

كقول معروف الرصافي:

إِنْ كَانَ مَحْمُودَ الْفِعَالِ فَإِنَّهُ

أو كقول نزار قباني:

جَاءَ تَشْرِينُ يَا حَبِيبَةَ عُمْرِي

ومنه قول مفدي زكرياء:

إِذَا كَانَ لِلشَّيْطَانِ فَضْلٌ عَلَيْهِمْ

ومنه قول محمد العيد آل خليفة:

وَتَرَى الْأَدِيبَ الْأَلْمَعِيَّ مُوَحَّرًا

ومنه قول إيليا أبي ماضي في رثاء أبيه:

أَقُولُ: لَوْ أَنِّي.. كَيْ أَبْرَدَ لَوْعَتِي

### 4. في أول الشطر الثاني:

كقول خليل مطران:

وَعَيْنَانِ كَالنَّجْمَيْنِ فِي حَلْكَ الدُّجَى

أو كقول الشاعر محمود غنيم في الوحدة العربية:

وَلَوْ أَنَّ لَدَى الرَّحْفِ صَافًا

أو كقول الشاعر القروي:

أَتَاكَ الْهَوَى فَاصْبِرْ عَلَى الْوَجْدِ وَالْأَلَمِ

أو كقول محمود سامي البارودي:

وَإِنِّي لَرَا ضٍ مِنْ هَوَاكِ بِنَظْرَةٍ

أو كقول حافظ إبراهيم في الإمام محمد عبده بعد عودته من الجزائر:

بَكَّرًا صَاحِبِي يَوْمَ الْإِيَابِ

### بلاغة رد العجز على الصدر:

إنَّ رَدَّ الْعِجْزِ عَلَى الصَّدْرِ يُؤَكِّدُ الْمَعْنَى، وَيَقْرِّره، وَذَلِكَ بِإِعَادَةِ الْفِعْلِ مَرَّةً ثَانِيَةً، كَمَا يَجْمَلُ الْفِعْلُ، وَيَحْسَنُهُ، ضَفَّ إِلَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَرْبِطُ بَيْنَ أَجْزَاءِ الْكَلَامِ، فَيَجْعَلُ الْقَوْلَ مُتَّسِقًا، وَمَنْسَجَمًا، وَهَذَا مِيزَةٌ أُخْرَى "وهي دلالة

أول الكلام على آخره، وارتباط آخره بأوله، وتلك هي البلاغة، فقد قال الخبيراء بفن القول: البلاغة أن يكون أول كلامك دالا على آخره، وآخره مرتبطا بأوله، وقد كان صنّاع الكلام يفخرون بدلالة أول كلامهم على آخره، وارتباط آخره بأوله، كما كان النقاد يفطنون للكلام الجيد المتناسك، ويدركون آخره عند سماعهم لأوله.<sup>1</sup> وقد أشاد به أبو هلال العسكري في الصناعتين بقوله: "إِنَّ لِرَدِّ الْأَعْجَازِ عَلَى الصُّدُورِ مَوْقِعًا جَلِيلًا فِي الْبَلَاغَةِ، وَلَهُ فِي الْمَنْظُومِ خَاصَّةٌ مَحَلًّا خَطِيرًا"<sup>2</sup> كما أثنى عليه ابن رشيق في كتاب العمدة بقوله: "إِنَّهُ يُكْسِبُ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ أَبْهَةٌ، وَيَكْسُوهُ رَوْنَقًا وَدِيْبَاجَةً، وَيَزِيدُهُ مَائِيَّةً وَطَلَاوَةً".

**تدريب:** دَلَّ عَلَى رَدِّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ، وَبَيَّنَّ نَوْعَهُ فِي الْأَمْثَلَةِ الْآتِيَةِ:

- قال أحمد شوقي:

وَاسْتَخْبِرُوهُ: إِلَى كَمْ نَارُ جَفَوْتِهِ؟

أَمَا كَفَى مَا جَاءَتْ نَارُ الْخُدُودِ أَمَا؟

- وقال أحمد شوقي في قصيدة "نكبة دمشق":

جَزَاكُمْ ذُو الْجَلَالِ بِنِي دِمَشْقٍ

وَعِزَّ الشَّرْقِ أَوْلَاهُ دِمَشْقُ

- وقال أيضا:

وَتَمَامُ فَضْلِكَ أَنْ يَعْبِيدَكَ حُسْدُ

يَجِدُونَ نَقْصًا عِنْدَ كُلِّ تَمَامِ

- قال خليل مطران:

حَسَبُ زَادَهُ سَأَى وَسَاءَ نَاءٌ

نَسَبُ جَامِعِ السَّئَى وَالسَّاءِ

- وقال مطران:

يِيَالِي فِي الصَّدَاقَةِ كُلِّ شَيْءٍ

وَقَدْ يَلْقَى الْخُطُوبَ فَمَا يِيَالِي

- قال محمود غنيم:

يَا أَيُّهَا السَّلْمُ الْمُطِلُّ عَلَى الْوَرَى

طُوبَى لِعَهْدِكَ إِنْ تَحَقَّقَ طُوبَى

- وقال محمود غنيم مخاطبا ربه:

مَا جَاءَنِي فِيكَ شَيْطَانِي يُشَكِّكُنِي

إِلَّا وَعَادَ بِثُوبِ الْخِزْيِ شَيْطَانِي

- وقال في نعمة الأبناء:

مَا عَرَفْتُ الْحَنَانَ وَالْحُبَّ إِلَّا

يَوْمَ جَاءُوا، أَنْعَمَ بِهِمْ يَوْمَ جَاءُوا

- قال الشاعر القروي:

فَلَمْ أَرِ غَيْرَ نَفْسِي مِنْ صَدِيقٍ

وَلَمْ أَرِ مِنْ غَدُوٍّ غَيْرَ نَفْسِي

- قال أبو القاسم الشابي:

<sup>1</sup> علم البديع الدكتور بسبوني عبد الفتاح فيود ص 315.

<sup>2</sup> الصناعتين ص 400.

تَجْمَعُ فِي أَعْمَاقِهَا مَا تَجْمَعُ

فِي نَاشِيءِ بَجْوَانِي مُتْرَعِرَعِ  
مَا اخْتَرْتُ إِلَّا فِي سَبِيلِكَ مَصْرَعِي

وَارْكُنْ إِلَى لَائِدِ بِالْحَقِّ مُعْتَصِمِ

لَأَنْتَ أَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَدْحِ يَا أَبِي  
تَعَرَّضْتَ تَحْمِينِي شُرُورَ النَّوَائِبِ

فَلَمْ يُلْغِ مَدَاكَ فَتَّى وَكُهْلُ

يَفْقَهُ أَحَبَّأَهُ يَضِيقُ ذُرْعَا

فَمِيئَةُ الْمَجْدِ بَيْنَ الْهَوِ وَالْعَبِ

بَدءُ الْكَآبَةِ أَنْ تُفَكَّرَ فِي غَدِ

أَلَا حَبَّذَا تَأْلُكَ الثَّمَانِي وَالْعَشْرُ

كَأَنْتَ تَبْلُ الْغَلِيلَ (وَكَبِيدِي)

فَأَنْتَ خَبِيرٌ بِالْأَحَادِيثِ يَا سَعْدُ

أَلَا كُلُّ مَنْ يَبْغِي الْوَفَاءَ وَجِيدُ

أَلَا إِنَّ أْحْلَامَ الْبِلَادِ دَفِينَةٌ

- قال محمد العيد مخاطبا حبيبته الجزائر:

مَا زَالَ حُبُّكَ نَاشِيئًا مُتْرَعِرَعًا

أَفْسَمْتُ لَوْ خَيْرْتَنِي فِي مَصْرَعِ

- وقال آل خليفة:

يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ لَذِّ بِالْحَقِّ مُعْتَصِمًا

- قال الشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي:

أَبِي - يَا وَقَاكَ اللهُ - شَرَّ النَّوَائِبِ

إِذَا اعْتَرَضْتَنِي فِي طَرِيقِي نَوَائِبُ

- قال حافظ إبراهيم مادحا:

تَوَلَّيْتُ الْأُمُورَ فَتَّى وَكُهْلًا

- وقال حافظ إبراهيم:

قَدْ ضِيقْتُ ذُرْعَا بِالْحَيَاةِ وَمَنْ

- قال مصطفى صادق الرافعي:

وَيْلٌ لِمَنْ عَاشَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبِ

- قال إيليا أبو ماضي:

طُوبَاكَ إِنَّكَ لَا تُفَكَّرُ فِي غَدِ

- ولإيليا أبي ماضي:

ثَمَانٍ وَعَشْرٍ وَهُوَ يَخْدِمُ قَوْمَهُ

- قال محمود سامي البارودي في رثاء ابنه:

وَكَبِيدِي يَا عَلِيُّ بَعْدَكَ لَوْ

- وقال سامي البارودي:

فَيَا سَعْدُ حَدَّثَنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى

- وقال وهو في منفاه:

وَجِيدٌ مِنَ الْخُلَانِ فِي أَرْضِ غُرْبَةٍ

## التَّرْصِيع

**تعريف التَّرْصِيع لغة:** التَّرْصِيعُ فِي اللُّغَةِ "هُوَ وَضْعُ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا فِي الدَّهَبِ"<sup>1</sup>.

**التَّرْصِيعُ اصطلاحاً:** "هُوَ أَنْ يَأْتِيَ النَّاطِمُ بِنَيْتٍ يُقَابِلُ جَمِيعَ أَلْفَافِ صَدْرِهِ، أَوْ أَكْثَرَهَا بِأَلْفَافِ عَجْزِهِ وَزُنَا وَتَقْفِيَةٍ"<sup>2</sup>. فهو مأخوذٌ من تَرْصِيعِ العَفْدِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ فِي أَحَدِ جَانِبَيْهِ مِنَ الْجَوْهَرِ مِثْلَ مَا فِي الْجَانِبِ الْآخَرَ. وعرفه رشيد الدين الوطواط بقوله: هُوَ أَنْ يُقَسِّمَ الْكَاتِبُ أَوْ الشَّاعِرُ عِبَارَاتِهِ إِلَى أَقْسَامٍ مُنْفَصِلَةٍ، ثُمَّ يَجْعَلُ كُلَّ لَفْظٍ مِنْهَا فِي مُقَابِلِ لَفْظٍ آخَرَ، يَتَّفِقُ مَعَهُ فِي الْوِزْنِ، وَحَرْفِ الرَّوِيِّ، وَإِذَا تَحَدَّثْنَا عَنِ النَّثْرِ، فَقُلْنَا (حُرُوفِ الرَّوِيِّ)، فَمَا ذَلِكَ إِلَّا مِنْ بَابِ التَّوَسُّعِ، لِأَنَّ حُرُوفَ الرَّوِيِّ لَا تَكُونُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا فِي الشَّعْرِ"<sup>3</sup>. وأستشهد في تعريف التَّرْصِيعِ بقول الشاعر في بديعته:

فَرَأَيْدُ رَصَّعَتْ تِيَجَانَ مَدَّجِهِمْ      فَوَائِدُ جَمَّعَتْ عَقِيَانَ نَعْتِهِمْ

بتأملك للبيت تجد أنّ هناك أربعة ألفاظ في صدر البيت، تقابلها أربعة ألفاظ في العجز، وهي كالاتي: (فَرَأَيْدُ) تقابل (فَوَائِدُ)، و(رَصَّعَتْ) تقابل (جَمَّعَتْ)، و(تِيَجَانَ) تقابل (عَقِيَانَ)، و(مَدَّجِهِمْ) تقابل (نَعْتِهِمْ). وهي ألفاظ كما لاحظت تتفق في الوزن، وفي الحرف الأخير.

كما يمكنك أن تلاحظ هذا المثال: "هَذَا كِتَابٌ غَزِيرَةٌ شَوَاهِدُهُ، يَسِيرَةٌ قَوَاعِدُهُ، طَرِيفَةٌ أَشْعَارُهُ، لَطِيفَةٌ أَخْبَارُهُ". لاحظ أن الألفاظ: (غَزِيرَةٌ، يَسِيرَةٌ) – (شَوَاهِدُهُ، قَوَاعِدُهُ) – (طَرِيفَةٌ، لَطِيفَةٌ) – (أَشْعَارُهُ، أَخْبَارُهُ). وهي ألفاظ متقابلة كما ترى، ومتفقة في أوزانها، وأعجازها.

ووصف الأديب محمد المويلحي مكان لهو في كتابه (حديث عيسى بن هشام) قال: "وَدَخَلْنَا – لَا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ طَوَارِقَ النَّقْمِ، وَلَا أَخْرَجَكَ مِنْ طَرَائِقِ النَّعْمِ – فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ فَرَأَيْنَاهُ حَوْمَةً وَعَعَى اخْتَدَمَ وَطَيْسُهُ، وَمِيدَانَ حَرْبٍ اصْطَدَمَ حَمِيْسُهُ، عَجَاجَتُهُ الدُّخَانُ، وَمَنَارِسُهُ الدَّنَانُ، وَنِبَالُهُ صَمَامَاتُ الْقَوَارِيرِ، وَطُبُولُهُ نَعَمَاتُ الْمَزَامِيرِ، وَأَبْطَالُهُ وَشُجْعَانُهُ عُمَالُهُ وَغِلْمَانُهُ، وَكَأَنَّ مِئْصَةَ الرَّقْصِ هِيَ حِصْنُهُ الْحَصِينِ، وَصَاحِبُ الْحَانِ هُوَ قَائِدُ الْكَمِينِ، وَكَأَنَّ الْمُعْنَيْنِ هُمُ الْكَمَاءُ وَالْأُقْرَانُ، وَالرَّاقِصَاتُ الْحَمَاءُ وَالْفُرْسَانُ".

الألفاظ التي شكّلت التَّرْصِيعَ هي كالاتي: (طَوَارِقُ، طَرَائِقُ) – (النَّعْمُ، النَّقْمُ) – (اخْتَدَمَ، اصْطَدَمَ) – (وَطَيْسُهُ، حَمِيْسُهُ) – (صَمَامَاتُ، نَعَمَاتُ) – (القَوَارِيرِ، الْمَزَامِيرِ) – (أَبْطَالُ، عُمَالُ) – (شُجْعَانُهُ، غِلْمَانُهُ) – (الْكَمَاءُ، الْحَمَاءُ) – (الأُقْرَانُ، الْفُرْسَانُ).

ومن فنّ التَّرْصِيعِ قول محمود سامي البارودي:

فَمَا كُئِلُ مَنْ رَاضَ الْبَدِيْهَةَ عَاقِلٌ      وَلَا كُئِلُ مَنْ خَاضَ الْكَرِيْهَةَ بَاسِلٌ

الشاهد في التَّرْصِيعِ: (رَاضَ، خَاضَ)، (الْبَدِيْهَةَ، الْكَرِيْهَةَ)، (عَاقِلٌ، بَاسِلٌ).

<sup>1</sup> معجم البلاغة العربية الدكتور بدوي طبانة ص 257.

<sup>2</sup> العقد البديع في فن البديع للخورى عواد ص 293.

<sup>3</sup> معجم البلاغة العربية ص 257.

ومنه قول مفدي زكريا:

نَطَقَ الرَّصَّاصُ فَمَا يُبَاحُ كَلَامٌ      وَجَرَى الْقِصَاصُ فَمَا يُبَاحُ مَلَامٌ

الشاهد في الترصيع: (الرّصاص، القصاص)، (يُبَاح، يُتَاح)، (كلام، ملام).

وقوله أيضا:

جَزَائِرُ، يَا بَدْعَةَ الْفَاطِرِ      وَيَا رَوْعَةَ الصَّانِعِ الْقَادِرِ

الشاهد في الترصيع: (بِدْعَةَ، رَوْعَةَ)، (الْفَاطِرِ، الْقَادِرِ).

ومن روائعه أيضا قول مفدي زكريا:

يَا أَرْضُ مِيدِي، وَاصْعَقِي يَا سَمَا      يَا نَارُ زِيدِي، وَادْفَقِي يَا دِمَا

الشاهد البلاغي: (ميدي، زيدي)، (اصعقي، ادفقي)، (سما، دما).

ومنه قول خليل مطران:

الْبَحْرُ سَاجٍ وَالسَّكِينَةُ سَائِدَةٌ      وَاللَّيْلُ دَاجٍ وَالْمَدِينَةُ رَاقِدَةٌ

الشاهد في الترصيع: (ساج، داج)، (السكينة، المدينة)، (سائده، راقده).

وقول مطران في مساوئ المدينة:

حَيْثُ الرَّذَائِلُ فِي مَرَافِلِ عِرَّةٍ      حَيْثُ الْفَضَائِلُ فِي غَلَائِلِ هُونِ

الشاهد في الترصيع: (الرذائل، الفضائل)، (مرافل، غلائل).

ومنه قول إيليا أبي ماضي:

قُلْ لِلْحَمَائِمِ فِي ضِيفَاتِ الْوَادِي      يَا لَيْتَ كُنَّ عَلَى شِعَابِ الْوَادِي

الشاهد في الترصيع: (ضيفات، شعاب)، (الوادي، فوادي).

ومن التصريع قول الدكتور زكي مبارك:

وَجَنَّ عَلَى اللَّيْلِ حَتَّى حَسِبْتُهُ      جَفَاءً كَرِيمٍ أَوْ رَجَاءً لَيْمٍ

الشاهد البلاغي في الترصيع قوله: (جفاء، رجاء)، (كريم، لئيم).

ومن الترصيع قول محمد البشير الإبراهيمي مخاطبا العيد: "أصْبَحْنَا فِيكَ كَالضَّمِيرِ الْمُعَذَّبِ فِي النَّفْسِ النَّافِرَةِ،

وَأَصْبَحْتَ فِينَا كَالنَّبِيِّ الْمُكَذَّبِ فِي الْأُمَّةِ الْكَافِرَةِ."

الشاهد في الترصيع: (المُعَذَّب، المُكَذَّب)، (النَّافِرَةِ، الْكَافِرَةِ).

وقوله أيضا: "الْحَضَارَةُ حَقَّقَهَا مَنْ سَادَ بِالْعَدْلِ، وَقَادَ بِالْعَقْلِ".

ومن أبلغ شواهد الترصيع قول أحد الأدباء: "إِنَّ أَوَّلَ الْعَدْلِ أَنْ يَبْدَأَ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ، فَيُلْزِمَهَا كُلَّ خَلَّةٍ زَكِيَّةٍ،

وَحَصْلَةَ رَضِيَّةٍ، وَمَذْهَبِ سَدِيدٍ، وَمَكْسَبِ حَمِيدٍ، لِيَسْلَمَ عَاجِلًا، وَتَسْعَدَ آجِلًا، وَأَوَّلَ الْجَوْرِ أَنْ يَعْمَدَ إِلَيْهَا،

فِيُكْسِبَهَا الْإِثَامَ، وَيُعَقِّبَهَا الْمَذَامَ، فَيُعْظَمَ وَزْرُهَا، وَيَفْجَحَ ذِكْرُهَا. لَا سَمِيرَ كَالْعِلْمِ، وَلَا ظَهِيرَ كَالْحِلْمِ، تَعْلَمُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ

يُقَوْمُكَ وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا، وَيُقَدِّمُكَ وَيَسُوذُكَ كَبِيرًا، تَعَلَّمُهُ، فَإِنَّهُ عَزُ لَا يَبْلَى جَدِيدُهُ، وَكَنْزٌ لَا يَفْنَى مَدِيدُهُ، وَالْجَهْلُ مَطِيئَةٌ، مَنْ رَكِبَهَا ذَلٌّ، وَمَنْ صَحِبَهَا ضَلٌّ، خَيْرُ الْمَوَاهِبِ الْعَقْلُ، وَشَرُّ الْمَصَائِبِ الْجَهْلُ، وَمَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ وَقَرَّ، وَمَنْ صَاحَبَ السُّفَهَاءَ حُقِرَ، وَمَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ فِي صِغَرِهِ، لَمْ يَتَقَدَّمْ فِي كِبَرِهِ، لَا سَائِسَ مِثْلَ الْعَقْلِ، وَلَا حَارِسَ مِثْلَ الْعَدْلِ، الْعَاقِلُ يَعْتَمِدُ عَلَى عَمَلِهِ، وَالْجَاهِلُ يَعْتَمِدُ عَلَى أَمَلِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْتَبِرْ بِالْأَيَّامِ، لَمْ يَنْزَجِرْ بِالْمَلَامِ، رُبَّ مُسْتَعْجِلٍ لِأَدْبِيَّةٍ، وَمُسْتَقْبِلٍ لِمَنْبِيَّةٍ، مَنْ جَمَحَ بِهِ الْعُدْوَانُ، جَنَحَ عَنْهُ الْإِخْوَانُ، كَثْرَةُ الْحِجَاجِ تُؤَلِّدُ السَّامَةَ، وَكَثْرَةُ اللَّجَاجِ تُؤَلِّدُ النَّدَامَةَ، مَنْ كَانَ أَكْبَرَ هَمِّهِ الطَّعَامُ، كَانَ أَكْثَرَ كَسْبِهِ الْحَرَامُ، وَمَنْ رُفِعَ بِلا كِفَايَةِ، وَضِعَ بِلا جِنَايَةِ، وَأَفْضَلَ الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ، مَا تُنَالُ بِالْمَنَاقِبِ وَالْفَضَائِلِ، وَمَنْ تَتَبَعَ خَفِيَّاتِ الذُّنُوبِ، حُرِمَ مَوَدَّاتِ الْقُلُوبِ، خَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا قَضَى فَرَضَكَ، وَخَيْرُ الْمَالِ مَا وَقَى عَرَضَكَ، لَا تَقْطَعُ قَرِيبًا وَإِنْ كَفَرَ، وَلَا تَأْمَنْ غَرِيبًا وَإِنْ شَكَرَ، عَثْرَةُ الرَّجُلِ تَزِلُّ الْقَدَمَ، وَعَثْرَةُ اللِّسَانِ تَزِيلُ النِّعَمَ، مَنْ كَثَرَ ابْتِهَاجُهُ بِالْمَوَاهِبِ، اشْتَدَّ أَنْزِعَاجُهُ لِلْمَصَائِبِ، مَنْ شَرَّاطِ الْمُرُوءَةِ أَنْ تَتَعَفَّفَ عَنِ الْحَرَامِ، وَتَتَلَطَّفَ عَنِ الْإِثَامِ، وَتُنْصِفَ فِي الْحُكْمِ، وَتُكْفَ عَنِ الظُّلْمِ، وَمَنْ غَرَسَ شَجَرَةَ الْحِلْمِ، اجْتَنَى ثَمَرَةَ السَّلْمِ، وَمَنْ أَكْثَرَ الْعُدْوَانَ، لَمْ يَأْمَنْ حُلُولَ النِّقَمِ، وَمَنْ أَثَرَ الْإِحْسَانَ، لَمْ يَعْذِمَ مَوَارِدَ النِّعَمِ".

### بلاغة الترصيع:

فإن الترصيع رفيع الشأن في ذاته، ولكنه إذا اقترن بالجناس فإنه يزداد علوًا، ورفعة شأن، ومثاله قول أحدهم: قَدْ وَطِنْتَ الدَّهْمَاءَ أَعْقَابَهُمْ، وَخَشِيْتِ الأَعْدَاءَ أَعْقَابَهُمْ. وقول الآخر: الكُؤُوسُ فِي الرَّاحَاتِ، وَالنُّفُوسُ فِي الرَّاحَاتِ. "وأكثر الشعراء من القدماء، والمحدثين قد غزوا هذا المعزى، ورموا هذا المرمى، وإنما يحسن إذا كان له في البيت موضع يليق به، فإنه ليس في كل موضع يحسن، ولا على كل حال يصلح"<sup>1</sup>.

### تدريب: حدّد الترصيع في الأمثلة الآتية:

- قال عائض القرني في صفة طالب العلم: "إِنْ أَعْجَبَكَ عِلْمُكَ فَتَكَبَّرْتَ، وَأَطْرَبَكَ فَتَجَبَّرْتَ، وَأَعْضَبَكَ فَتَهَوَّرْتَ، فَأَعْلَمُ أَنَّهُ عِلْمٌ ضَارٌّ، وَبِنَاءٌ مُنْهَارٌ".

- قال محمد المويلحي في وصف إحدى رحلاته: "فَسِرْنَا إِلَى حَيْثُ الْهَمُومُ تُفْرِسُنَا، وَالْعُمُومُ تُخْرِسُنَا، وَالْأَكْدَارُ لَا تُفَارِقُنَا، وَالْأَقْدَارُ لَا تُوَافِقُنَا".

- قال محمد البشير الإبراهيمي: "إِنَّكُمْ يَا أَبْنَائِي رِجَالٌ حَرَكَةٌ، فَلَا تَشْبِيهُهَا بِالسُّكُونِ، وَأَبْطَالٌ مَعْرَكَةٌ، فَلَا يَكُنْ مِنْكُمْ إِلَى الْهُوَيْنَا رُكُونٌ".

- وقال الإبراهيمي عن الشباب: "أَتَمَّنُّهُ مُصَاوِلًا لِخُصُومِهِ بِالْحِجَاجِ وَالْإِقْنَاعِ، لَا بِاللِّجَاجِ وَالْإِقْدَاعِ".

- قال أحمد شوقي في كتاب أسواق الذهب: "الْفَضَائِلُ حَلَائِلٌ، وَالرَّدَائِلُ حَلَائِلٌ".

- وقال شوقي كذلك: "لَا أَعْلَمُ لَكَ مُنْصِفًا إِلَّا عَمَّاكَ، إِذَا أَحْسَنْتَهُ جَمَّاكَ، وَإِذَا أَنْفَقْتَهُ كَمَّاكَ".

<sup>1</sup> معجم البلاغة العربية ص 257.

- قال مصطفى لطفى المنفلوطي: "لَوْلَا السُّرُورُ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ، مَا كَانَ الْبُكَاءُ فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ، وَلَوْلَا فَرَحَةُ التَّلَاقِ، مَا كَانَتْ تَرَحُّهُ الْفِرَاقُ".

- قال مفدي زكريا:

رُفِعَتْ لِمَنْ فِي نَاطِرِيهِ رُكَّامٌ      وَلَوَافِحُ النَّيِّرَانِ خَيْرٌ لَوَائِحِ  
سُجِرَتْ لِمَنْ فِي مَنَحِرِيهِ زُكَّامٌ      وَرَوَائِحُ الْبَارُودِ مِسْكَ نَوَافِحِ

- وقال مفدي زكريا مفتخرًا:

وَعُصِنَتْ كَالسَّحْرِ فِي أَعْمَاقِ مَاضِينَا      حَلَقْتُ كَالنَّسْرِ فِي آفَاقِ حَاضِرِنَا

- قال خليل مطران في الشكوى:

صَرِيحٌ وَجَدِ كَوَقْدِ النَّارِ مُشْتَعِلِ      ضَجِيعٌ مَهْدٍ لَطَى الْحَمَى يُسَاوِرُنِي

- وقال خليل مطران:

فِي مُجْتَلَى الْحَلِيمِ أَوْ فِي مُجْتَنَى الْحَكَمِ      زُهْرٌ مَاتِرُهُمْ زَهْرٌ مَفَاخِرُهُمْ

- وقال مطران:

وَأَنَارَ أَهْلِ الْعَزْمِ كُلِّ خَيْالِ      فَأَنَارَ أَهْلَ الْحَزْمِ كُلِّ حَقِيقَةِ

- قال حافظ إبراهيم:

كَثِيرُ الْأَعَادِي غَائِبُ الْحَقْدِ مُسْعِفُ      كَثِيرُ الْأَيَادِي حَاضِرُ الصَّفْحِ مُنْصِفُ

- وقال حافظ إبراهيم:

وَالْخَلْقُ فِي مَنَحٍ وَالذَّهْرُ فِي رَهَبِ      فَالْعَرْشُ فِي فَرَحٍ وَالْمُلْكُ فِي مَرَحِ

- قال الشاعر القروي في وصف الحرب:

وَالْبَحْرُ مِنْ قَصْفِهَا أَعْوَارُهُ قِمَمُ      فَالْبِرُّ مِنْ عَصْفِهَا أَطْوَادُهُ قَصَبُ

- وقال القروي:

حُجَابِيهِ وَالزَّهْرُ مِنْ حُجَابِيهِ      الْفَجْرُ مِنْ أَبْوَابِيهِ وَالذَّهْرُ مِنْ

- قال عباس محمود العقاد:

عَذْبُ الْمُدَامِ وَلَا الْأَنْدَاءُ تَرْوِينِي      ظَمْآنُ ظَمْآنٍ لَا صَوْبُ الْعَمَامِ وَلَا

- وقال العقاد في وصف الدنيا:

شَرُّهَا يَا بُنَيَّ شَرُّ تَقْيِيلِ      خَيْرُهَا يَا بُنَيَّ خَيْرُ قَلِيلِ

- قال ميخائيل نعيمة في وصف النهر المتجمد:

وَنُكْرُ مَوْجَتِكَ النَّقِيَّةُ حُرَّةٌ نَحْوَ الْبَحَارِ      حُبْلَى بِأَسْرَارِ الدُّجَى، تَمْلَى بِأَنْوَارِ النَّهَارِ

- قال علي الجندي:

وَمَنْ يُبَارِيكَ فِي الْهَيْجَاءِ مُقْتَحِمًا؟

وَالْعَيْثُ فِي هَلَلٍ وَالسَّيْلُ فِي هَمَلٍ

وَالْعَقْلُ مُخْتَبِلٌ وَالْقَلْبُ مُشْتَغِلٌ

وَنُنْصِفَ شَعْبًا بَعَى وَاعْتَدَى

أَوْتَادُ مَمْلَكَةٍ أَسَادُ مُخْتَارِبِ

عَزَمَاتِهِ، وَالْمَوْتُ فِي وَثْبَاتِهِ

وَالْعِلْمُ فِي مَرَحٍ وَالْجَهْلُ فِي كَدْرِ

أَحْفَادِهِ وَالنَّصْرُ مِنْ أَجْنَادِهِ

مَنْ ذَا يُبَاهِيكَ بِالْعَيْيَاءِ مُفْتَخِرًا؟

- قال محمود سامي البارودي:

كَالْبَرْقِ فِي عَجَلٍ وَالرَّعْدِ فِي زَجَلٍ

- وقال أيضا:

فَالصَّبْرُ مُنْخَزِلٌ وَالِدَمْعُ مُنْهَمِلٌ

- قال أحمد سحنون في نصرة الشعب الفلسطيني:

وَنُنْصِفَ شَعْبًا هَدَى وَاهْتَدَى

- قال أحمد شوقي:

قُودُ مَعْرَكَةٍ وَرَادُ مَهْلَكَةٍ

- قال علي الجارم:

السَّيْلُ فِي دَفْعَاتِهِ، وَالسَّيْفُ فِي

- قال سليمان الصولة:

فَالْعَدْلُ فِي فَرَحٍ وَالظُّلْمُ فِي تَرَحٍ

- قال ناصيف اليازجي في المديح:

الْبَدْرُ مِنْ حُسَادِهِ وَالذَّهْرُ مِنْ

## المحسنات المعنوية

## الطَّبَاق

**تعريف الطَّبَاق لغة:** الطَّبَاقُ في اللُّغَةِ وَضَعُ طَبَقٍ عَلَى طَبَقٍ، كَوَضَعَ غِطَاءَ الْقَدْرِ عَلَى الْقَدْرِ، حَتَّى تَحْصُلَ التَّغْطِيَةُ بِإِحْكَامٍ، وَنَقُولُ: طَابَقَ الشَّيْءُ عَلَى الشَّيْءِ مُطَابَقَةً، وَطَبَاقًا، أَيْ أَطْبَقَهُ عَلَيْهِ.

**الطَّبَاق اصطلاحًا:** "يَعْرِفُ الطَّبَاقُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْبَلَاغِيِّينَ بِأَنَّهُ الْجَمْعُ بَيْنَ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْجُمْلَةِ فِي كَلَامٍ وَاحِدٍ"<sup>1</sup>، ومثاله قوله تعالى: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ، وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ، وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ) فاطر 19-22.

### صُورُ الطَّبَاقِ:

1/ أن يُجْمَعَ بَيْنَ اسْمَيْنِ: مثل قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى) البقرة 16 فالجمع بين الضلالة، والهدى في العبارة الواحدة طباق، لأنّ الضلالة ضد الهدى.

2/ أن يُجْمَعَ بَيْنَ فِعْلَيْنِ: مثل قوله تعالى: (يُحْيِي وَيُمِيتُ) النجم 43.

فالجمع بين (يحيي)، و(يميت) في عبارة واحدة طباق، لأنّ الحياة ضدّ الموت.

3/ أن يُجْمَعَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ: مثل قوله تعالى: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) البقرة 286

فالجمع بين (اللام في لها)، و(على) طباق، لأنّ في (اللام) معنى المنفعة، وفي (على) معنى المضرة.

4/ أن يُجْمَعَ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ: مثل قوله تعالى: (وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) آل عمران 49.

فالجمع بين (أحيي)، و(الموتى) طباق، لأنّ الإحياء ضدّ الإماتة.

### أقسام الطَّبَاقِ:

**طباق الإيجاب:** وهو أن يُجْمَعَ بَيْنَ لَفْظَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا مُثَبَّتٌ، كَالْمَثَلَةَ السَّابِقَةَ.

**طباق السلب:** وهو أن يُجْمَعَ بَيْنَ فِعْلَيْنِ مِنْ مَصْدَرٍ وَاحِدٍ، أَحَدُهُمَا مُثَبَّتٌ، وَالْآخَرُ مَنْفِيٌّ<sup>2</sup>، وَعَرَفَهُ الْعَسْكَرِيُّ بقوله: "هُوَ بِنَاءُ الْكَلَامِ عَلَى نَفْيِ الشَّيْءِ مِنْ جِهَةٍ، وَإِثْبَاتِهِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى."<sup>3</sup> مثل قول محمود غنيم في وصف "الروبوت" أو الإنسان الآلي:

وَيُشْبِهُ النَّاسَ تَرْكِيبًا وَأَعْضَاءَ

لَا يُشْبِهُ النَّاسَ إِحْسَاسًا وَعَاطِفَةً

ومنه قول إيليا أبي ماضي:

حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ ضَمُّهُ

بَنِيَتْ فِرْدَوْسِي وَزَخْرَفَتْهُ

فَدَاقَهُ النَّاسُ وَمَا دُقُّهُ

أَجْرِيَتْ فِي أَنْهَارِهِ كَوُنْرًا

وَقَدْ يَكُونُ طَبَاقُ السَّلْبِ جَمْعًا بَيْنَ اسْمَيْنِ، أَحَدُهُمَا مُثَبَّتٌ، وَالْآخَرُ مَنْفِيٌّ، كَمَا فِي قَوْلِ أَحْمَدَ شَوْقِي:

يُضِيءُ مُلْتَثِمًا أَوْ غَيْرَ مُلْتَثِمِ

كَأَنَّ وَجْهَكَ تَحْتَ النَّقْعِ بَدْرٌ دُجِّي

<sup>1</sup> بلاغة الطَّبَاق والمقابلة الدكتور محمد علي أبو زيد ص 17.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 40.

<sup>3</sup> الصناعتين ص 421.

وقد اجتمع طباق الإيجاب، وطباق السلب في قول إيليا أبي ماضي:

لَا تَقْلَقِي يَوْمَ النَّوَى أَوْ فَاقْلَقِي يَا نَفْسُ كُلَّ تَجْمَعٍ لَتَفَرُقِ

كما اجتماعي قول ميخائيل نعيمة: "أَنْقُولُ إِنَّ الْإِنْسَانَ مَقْضِي عَلَيْهِ بِحَيَاةٍ نَصْفُهَا تَفَاهُمْ وَنِصْفُهَا سُوءُ تَفَاهُمْ، ثُمَّ نَسْتَسْلِمُ لِذَلِكَ الْقَضَاءِ صَاعِرِينَ، وَنَمْضِي نَنْحَرُ أَيَّامَنَا السَّمَانَ لِأَيَّامِنَا الْعِجَافِ؟".

### بلاغة الطباق:

الطباق من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع، والتي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام، فهو يثبت المعنى في النفس، إذ الضد أقرب خُطُورًا بالبال إذا ذُكر ضده، وقد قيل: "والضدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضدِّ".<sup>1</sup> وذلك إشارة إلى قول الشاعر:

فَالْوَجْهُ مِثْلُ الْبَدْرِ مُبَيِّضٌ وَالشَّعْرُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسْوَدٌ  
ضِدَّانٍ لَمَّا اسْتُجْمِعَا حُسْنًا وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضِّدِّ

و"من هنا فإن تعاملنا مع التقابل والتطابق لا يكون فقط بوصفها محسنات بدعية معنوية، لا عمل لها سوى تقوية المعنى، وإنما أيضا من منطلق ما تحدثه من موسيقى خفية، وحركة نفسية في قارئ الشعر أو سامعه".<sup>2</sup> أما في الأدب الحديث، والمعاصر، فالطباق يتم في أغلب الحالات عن الصراع النفسي، والغليان الداخلي وصفة الأسي، والألم، والحزن، ورفض الأمر الواقع، فهذا هو حافظ إبراهيم لم يجد أفضل من لغة التضاد للتعبير عن أساه، يقول حافظ:

كَمْ مَرَّ بِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أذْكَرُهُ وَمَرَّ بِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْسَاهُ  
وَدَّعْتُ فِيكَ بَقَايَا مَا عَلَفْتُ بِهِ مِنْ الشُّبَابِ وَمَا وَدَّعْتُ ذِكْرَاهُ  
أَهْفُو إِلَيْهِ عَلَى مَا أَفْرَحْتُ كِبِدِي مِنْ النَّبَّارِيحِ، أَوْلَاهُ وَأَخْرَاهُ

وهذا أبو القاسم خمار يعبر عن صراعه، وحزنه على وطنه:

فَاسْتَوْعَلْتُ بَيْنَنَا الْأَضْدَادُ، وَانْقَلَبْتُ كُلُّ الْمَفَاهِيمِ بِالْقَاصِي وَالِدَانِي  
أَفْرَاحَنَا أَصْبَحَتْ بِالِدَّمْعِ مُمَطَّرَةً وَحُلْمَنَا صَارَ أَشْبَاحًا لِجِرْمَانِ

وهذا محمود دويش يشحن لغته الشعرية بجمالية بنية التضاد، حيث يقول:

لِلْخَوْفِ أَسْمَاءُ عَدِيْدَةٍ  
مِنْ بَيْنِهَا أَلَا نَخَافُ  
وَأَنْ نَرَى الصِّيَادَ  
فِي رِيْشِ الطَّرِيْدَةِ  
ويقول نزار قباني:

<sup>1</sup> دراسات في علم الديق ص 35.  
<sup>2</sup> موسيقى الشعر العربي الجزء الأول دكتور حسني عبد الجليل يوسف ص 16.15.

قَدْ صَعُرْنَا أَمَامَكُمْ أَلْفَ قَرْنٍ  
وَكَبُرْتُمْ خِلَالَ شَهْرٍ قُرُونًا.  
ويقول أيضا:

واعتَيَّادي عَلَى غِيَابِكِ صَعْبٌ  
أَتَمَّنِّي لَوْ كُنْتُ بُؤْبُؤَ عَيْنِي  
ويقول عبد القادر المازني:

فَأَنْتَ جَحِيمِي فِي الْحَيَاةِ وَجَنَّتِي  
وَأَنْتَ عَدُوِّي وَالْحَبِيبُ الْمُؤَاوِزُ

ولك أن تتخيل حجم المعاناة النفسية التي جسدها الشاعر في هذا البيت.  
وعموما يمكن القول إنَّ في فطرة الإنسان حُبًّا لرؤية الأشياء المتباعدة في الحياة متجاورة في رحاب اللغة.  
**تدريب:** دُلَّ على الطباق، وبيِّن نوعه، وبلاغته في الأمثلة الآتية:

- قال خليل مطران:

إِنَّ هَذِي الْحَيَاةَ سُخْرِيَّةٌ نَفْسُ  
أَقْوِيٍّ وَبَعْدَ أَنْ ضَاعَ عَيْفٌ؟  
ضَى بِجِدِّ، بِئْسَ الطَّبَاقُ الْأَلِيمُ  
أَصْحِيحٌ وَفِي ثَوَانٍ سَقِيمٌ؟

- وقال خليل مطران مخاطبًا النجم:

فَيَا لَكَ مِنْ صَامِتٍ نَاطِقٍ  
وَيَا لَكَ مِنْ مُعْجَمٍ مُعْرَبِ

- قال بشارة الخوري:

يَبْكِي وَيَضْحَكُ لَا حُزْنَآ وَلَا فَرْحًا  
كِعَاشِقٍ خَطَّ سَطْرًا فِي الْهَوَى وَمَحَا

- قال جبران خليل جبران:

سُكُوتِي إِنْشَادٌ وَجُوعِي تَحْمَمَةٌ  
وَفِي لَوْعَتِي عُرْسٌ وَفِي عُرْبَتِي لِقَا  
وَفِي عَطْشِي مَاءٌ وَفِي صَحْوَتِي سُكْرٌ  
وَفِي بَاطِنِي كَشْفٌ وَفِي مَطْهَرِي سِتْرٌ

- قال إسماعيل صبري:

إِنَّ الْحَيَاةَ سُرُورَهَا وَبُغَاءَهَا  
وَنَعِيمَهَا وَشَقَاءَهَا سِيَّانِ

- قال الشاعر القروي:

وَتَطْلُبُ نَفْسِي مِنْ زَمَانِي صَدَاقَةً  
أَذَلِكُ ذَنْبِي يَا زَمَانُ بِأَنْبِي  
وَلِي حَسَنَاتٌ يَا زَمَانُ كَثِيرَةٌ  
وَهِيَ هَيَّاتٌ أَنْ تُلْقَاهُ إِلَّا مُعَادِيَا  
فَضَيْتُ مَشِيبي فِي الْوَقَا وَشَبَابِيَا؟  
فَمَا لَكَ تَرْوِيهَا عَلَيَّ مَسَاوِيَا؟

- وقال في الحكمة:

عَدْلُ الطَّبِيعَةِ رَحْمَةٌ وَالظَّالِمُ إِنْ  
جَادَتْ عَلَى كَفِّ بَسِيتٌ أَصَابِعُ

- قال محمود غنيم:  
 أَنْ كُنْتُ يَا بَحْرُ عِمْلَاقًا فَأَنْتَ وَمَا  
 تَحْوِيهِ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ كَالْفَرْمِ  
 - قال أبو القاسم الشابي:  
 فَوَجَدْتُ أَعْرَاسَ الْوُجُودِ مَاتِمًا  
 وَوَجَدْتُ فِرْدَوْسَ الزَّمَانِ جَعِيمًا  
 - قال محمود غنيم:  
 قَالُوا الْحَضَارَةَ قُلْتُ أَسْفَرَ وَجْهَهَا  
 وَبَدَتْ مَحَاسِنُهَا فَكُنَّ عُيُوبًا  
 - قال علي الجارم:  
 مَلِكُ فَضْلُهُ تَرَاهُ قَرِيبًا  
 وَمَدَى رَأْيِهِ تَرَاهُ بَعِيدًا  
 - قال إيليا أبو ماضي عن الإنسان:  
 خِفُّهُ قَدِيرًا، وَخِفُّهُ لَا اقْتِدَارَ لَهُ  
 فَالظُّلْمُ وَالْعَدْرُ إِمَّا عَزَّ أَوْ هَانَا  
 سُرُورُهُ فِي بُكَاءِ الْأَكْثَرِينَ لَهُ  
 وَحُزْنُهُ أَنْ تَرَى عَيْنَاهُ جَذَلَانَا  
 - وقال أبو ماضي مخاطبا البلبل:  
 يَا أَيُّهَا الشَّادِي الْمُعَرِّدُ فِي الضُّحَى  
 أَهْوَاكَ إِنْ تُنْشِدُ وَإِنْ لَمْ تُنْشِدِ  
 - قال إلياس فرحات:  
 وَمَا أَنَا إِلَّا كَالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ  
 أَعَافُ وَأَسْتَحْلِي وَأَرْضَى وَأَعْضَبُ  
 - قال محمد الأخضر السائحي في رثاء البشير الإبراهيمي:  
 أَيُّهَا الرَّاجِلُ الْمُقِيمُ سَلَامًا  
 طَبَّتَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ مُقَامًا  
 - قال محمد العيد آل خليفة واصفا الدنيا:  
 بِيضٌ وَسُودٌ وَأَخْيَارٌ وَأَشْرَارُ  
 كَمْ تَحْتَوِينِ عَلَى الْأَضْدَادِ يَا دَارُ  
 - قال إلياس فياض في الشهيد:  
 لَا تَبْكِهِ فَيَوْمَ بَدَأَ حَيَاتِهِ  
 إِنْ الشَّهِيدَ يَعِيشُ يَوْمَ مَمَاتِهِ  
 - قال معروف الرصافي:  
 وَإِنِّي جَبَانٌ فِي فِرَاقِ أَحِبَّتِي  
 وَإِنْ كُنْتُ فِي غَيْرِ الْفِرَاقِ شَجَاعًا  
 - وقال الرصافي:  
 قَوْمٌ أَضَاعُوا مَجْدَهُمْ وَتَفَرَّقُوا  
 فَتَرَاهُمْ جَمْعًا وَهُمْ أَشْتَاتُ  
 - وللرصافي في حب لبنان:  
 فَيَا لِأَيِّمِي فِي حُبِّ لُبْنَانَ إِنِّي  
 أَيْسُ لَعَمْرِي مِنْهُ مَا لَا تُحْسُهُ  
 - وقال أيضا:

- فَأرْسُ جَنَاجِي كَيْ أَطِيرَ بِرِيشَةٍ  
- قال شوقي:  
المَالُ حَلَلٌ كُلُّ غَيْرِ مُحَلَّلِ  
مَازُوجَتُ تَلِكِ الفَتَاةِ وَإِنَّمَا  
- قال حافظ إبراهيم في وصف الشمس:  
هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةٌ لِلوَرَى  
- قال محمود سامي البارودي مفتخرا:  
وَمَا دَاكِ إِلَّا أَنَّنِي بِتِ سَاهِرًا  
- وقال البارودي في الوصف:  
فَالضَّوُّ مُخْتَبِسٌ وَالْمَاءُ مُنْطَلِقٌ  
- وقال في مدح مصطفى صادق الرافعي:  
مَهْدَبُ الطَّبَعِ مَأْمُونُ الضَّمِيرِ إِذَا  
- وللبارودي أيضا:  
لَهُ بَيْنَ مَجْرَى القَوْلِ آيَاتُ حِكْمَةٍ  
- وقال البارودي متغزلا:  
وَلَمْ تَدْرِ دَاتِ الخَالِ وَالْحُبِّ فَاصِحُ  
- قال نزار قباني: "المرّة الأولى أدخل الزّمنَ الشّعريّ الجَزائريّ، أكتشفه ويكتشفني، أخترته ويخترني. عرفت الأزمنة العربيّة كلّها، بصيقها وأتساعها، بدكائها وسخفها، بارْتفاعها وانحدارها، بعافيتها ومرصها، بحنائها وهمجيتها، بجاهليتها وإسلامها، بمآثرها وصغائرها، بنظامها وفوضاها، بجذواها وقلة جذواها، إنني أدخل الزّمنَ الشّعريّ الجَزائريّ، علّه يُعوضني عن الزّمنِ العربيّ الآخر، الذي تركته وراني في المشرق، وهو يترنح وينكسر".
- قال طه حسين: "الناس كلهم يعلمون أنّ حياتهم مزاجٌ من الخير والشر، ومن السُرور والحزن، ومن الرّجاء واليأس، ومن الابتهاج والابتئاس، وإنّ أدباءهم يخلّفون حين يريّدون أن يَصوّروا لهم هذه الحياة فيما يُنشئون من أدب، فبعضهم لا يَصوّر من الحياة إلا صفوها وعفوها، وما يشيع فيها من نقاءٍ وجمال، وبعضهم لا يَصوّر من الحياة إلا شرّها ونكرها، وما يجثم عليها من فسادٍ وضلال، وبعضهم يتوسّط بين ذلك، فيصوّرها سائقةً رائقةً حيناً، ويصوّرها قاتمةً بغیضةً حيناً آخر، وليس في شيءٍ من هذا كلّهِ جديد، فمن الكتاب من ينفاءل دائماً، ومنهم من ينشأ دائماً، ومنهم من يأخذ من التّفاؤل والتّشاؤمِ بطرف".

- قال ميخائيل نعيمة: "عَلَيْنَا أَنْ نَفْهَرَ الْعَضَبَ بِالنَّسَامُحِ، وَالطَّمَعَ بِالْقَنَاعَةِ، وَالكِبْرِيَاءَ بِالْوَدَاعَةِ، وَالشَّهْوَةَ بِالْعِفَّةِ، وَحُبَّ النَّارِ بِالصَّفْحِ، وَالخُسُونَةَ بِاللِّينِ، وَالظُّلْمَ بِالْعَدْلِ، وَالرِّيَاءَ بِالصِّدْقِ، وَسُوءَ الظَّنِّ بِحُسْنِ الظَّنِّ، وَالخَوْفَ بِالشَّجَاعَةِ، وَالشَّكَّ بِالِإِيمَانِ، وَالكَرْهَ بِالْمَحَبَّةِ...إلى آخر ما في القلبِ البشريِّ مِنْ سُودِ الشَّهَوَاتِ وَبِيضِهَا".

- قال الولد لأبيه: "صَاحِبُ القُمَامَةِ عِنْدَ البَابِ"، قال الأب: "يَا بُنَيَّ نَحْنُ أَصْحَابُ القُمَامَةِ، وَهُوَ صَاحِبُ النِّظَافَةِ".

- قال عمر المختار رحمه الله: "لئنُ كَسَرَ المِدْفَعُ سَيْفِي، فَلنُ يَكْسِرَ البَاطِلُ حَقِّي".  
- وقال أحدهم: "لو أمْطَرَتِ السَّمَاءُ حُرِّيَّةً لَرَأَيْتَ بَعْضَ العَبِيدِ يَحْمِلُونَ المِظَلَّاتِ".  
- قال أحد الحكماء: "لا تُعَاشِرْ نَفْسًا شَبِعَتْ بَعْدَ جُوعٍ، فَإِنَّ الخَيْرَ فِيهَا دَخِيلٌ، بَلْ عَاشِرُ نَفْسًا جَاعَتْ بَعْدَ شَبَعٍ، فَإِنَّ الخَيْرَ فِيهَا أَصِيلٌ".

- قال حكيم: "لئنُ تُدْخِلَ يَدَكَ فِي فَمِ التَّنِينِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَبْسِطَهَا إِلَى عَنِيٍّ نَشَأَ فِي الفَقْرِ".

## المُقَابَلَة

**تعريفُ المُقَابَلَة:** هي أن يأتِيَ الأديبُ بلفظينِ فأكثر، ثُمَّ يَأْتِي بِأضدادِهَا عَلَى التَّرْتِيبِ، "وَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ تَعْرِيفًا لَهَا: أَنْ يَأْتِيَ الْمُتَكَلِّمُ بِمَعْنِيَيْنِ، أَوْ مَعَانٍ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا يُقَابِلُ مَا ذَكَرَهُ أَوَّلًا عَلَى التَّرْتِيبِ"<sup>1</sup>.

### صُورُ المُقَابَلَة:

- **مقابلة اثنين باثنين:** مثل قول محمد البشير الإبراهيمي عن حال أمتنا العربية: "إِنَّا يَا أَبْنَائِي كُنَّا أَوَّلَ مَنْ نَامَ، وَآخَرَ مَنْ اسْتَيْقَظَ". فقد أتى باللفظين: (أَوَّل) و(نَام)، ثم أتى بما يقابلها (آخر) و(استيقظ) على الترتيب. ومثل ذلك في قول المنفلوطي: "كَانَتْ ابْتِسَامَتُهُ كِبَارِقَةَ السَّيْفِ، يَرْتَاغُ لَهَا الْأَعْدَاءُ، وَيَرْتَاخُ لَهَا الْأَوْلِيَاءُ." فقد قابل الكاتبُ (يَرْتَاخُ) بـ (يَرْتَاغُ)، وقابل (الأعداء) بـ (الأولياء) على الترتيب.
- **مقابلة ثلاثة بثلاثة:** مثل قول البشير الإبراهيمي عن الشباب: "أَتَمَثَّلُهُ مَقْدَامًا عَلَى الْعِظَائِمِ فِي غَيْرِ تَهَوُّرٍ، مِحْجَامًا عَنِ الصَّغَائِرِ فِي غَيْرِ جُبْنٍ".

فقد قابل الأديب الإقدام بالإحجام، وقابل العظائم بالصغائر، وقابل التهوُّر بالجبين. ومثل قول محمود سامي البارودي:

قَدْ سَرَّيْنِي حِينَ أَتَى مُقْبِلًا      وَسَاءَنِي حِينَ مَضَى مُعْرِضًا

فقد قابل البارودي السرور بالإساءة، وقابل الإتيان بالمضي، وقابل الإقبال بالإعراض. ومثل قوله أيضا:

فَمَا أَسِفْتُ لِبُؤْسِ بَعْدَ مَقْدَرَةٍ      وَلَا فَرِحْتُ بِوَفْرِ بَعْدَ إِقْلَالِ

ومنها قول خليل مطران في وصف أخلاق سعد زغول:

قَدْ نَاصَرَ الْعَدْلَ فِيهِ فَهُوَ مُنْتَصِرٌ      وَهَاجَمَ الْبَغْيَ فِيهِ فَهُوَ مُنْهَزِمٌ

- **مقابلة أربعة بأربعة:** مثل قول محمود سامي البارودي:

نَهَارٌ مَشِيبٌ سَاءَنِي وَهُوَ أَبْيَضٌ      وَلَيْلٌ شَبَابٌ سَرَّيْنِي وَهُوَ أَسْوَدٌ

وقد كانت المقابلة بين أربعة معانٍ (النهار، والمشيبي، والإساءة، والبياض)، وما يقابلها من معانٍ أربعة وهي (الليل، والشباب، والسرور، والسواد) على الترتيب.

ومثلها ما جاء في وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه: "هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ آخِرِ عَهْدِهِ بِالذُّنْيَا خَارِجًا مِنْهَا، وَأَوَّلِ عَهْدِهِ بِالْآخِرَةِ دَاخِلًا فِيهَا".

- **مقابلة خمسة بخمسة:** ومثلها قول الشاعر:

فَالصُّبْحُ يَشْتَمُ بِي فَيُقْبَلُ ضَاحِكًا      وَاللَّيْلُ يَرْتِي لِي فَيُدْبِرُ عَابِسًا

<sup>1</sup> بلاغة الطباقي والمقابلة ص 57.

فقد قابل الشاعرُ (الصُّبح) بـ (اللَّيل)، وقابل (يَشْمَت) أي يفرح بـ (يرثي)، وقابل (بي) بـ (لي)، وقابل (يُقْبِل) بـ (يُدْبِر)، وقابل (ضاحكًا) بـ (عابسًا).

- **مقابلة ستة بستة:** ومثالها قول الشاعر:

على رأسِ عبْدٍ تاجٌ عزٌّ يُزِينُهُ      وفي رجلٍ حُرٍّ قيْدٌ ذلٌّ يُشِينُهُ

فقد جيء أولاً بـ (على)، و(رأس)، و(عبد)، و(تاج)، و(عز)، و(يزينه)، ثم جيء بما يقابلها: (في)، و(رجل)، و(حر)، و(قيد)، و(ذل)، و(يشينه) على الترتيب.

**بلاغة المقابلة:**

المقابلة تضيف على المعنى حُسناً وبهاءً، لِمَا لها من أثر جليل في تثبيت المعنى، وتقويته، فهي ترفع من قدر الكلام، وتكسبه رونقاً، ورقياً، وتقوي الوشائج بين الألفاظ، والمعاني، وتجلو الأفكار، وتوضحها، شريطة أن تجري مجرى الطبع، أما إذا تكلفها الأديب، واستكره قريحته لأجلها، فإنها تكون سبباً في غموض المعنى، والتباسه، واضطراب الأسلوب، وتعقيده. "ومن صفات الأدب الجيد تلاحم أجزاءه، وائتلاف ألفاظه، حتى كأن الكلام بأسره من حسن الجوار، وشدة التلاحم كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد، وكما يتم هذا التلاحم عن طريق التشابه، يتم كذلك عن طريق التضاد، لأن المعاني يستدعي بعضها بعضاً، فمنها ما يستدعي شبيهه، ومنها ما يستدعي مُقابله، بل إنَّ الضدَّ أكثرُ خُطُوراً على البال من الشبيه، وأوضح في الدلالة على المعنى منه"<sup>1</sup>.

وعلى هذا، فكلما أتت المقابلة في الكلام بدعوة من المعنى، لا تطفلاً عليه، كانت أنجح في أداء وظيفتها في تحسين المعنى. "وتضاف إلى المقابلة جمالية أخرى، وهي تحقيق التوقع، فالمتلقي حين يدرك التقابل بين المعنيين الأولين في المقابلة، يُعدُّ نفسه لتلقي التقابلات الأخرى، فإذا تحقَّق له ذلك التنبؤ أحسَّ بشيء من المتعة، هي المتعة التي نحسُّها حين تتحقق تنبؤاتنا"<sup>2</sup>.

**التدريب الأول:** حدّد المقابلة، وبيّن بلاغتها في الأمثلة الآتية:

- قال حافظ إبراهيم:

العِلْمُ فِي البَأْسَاءِ مُزْنَةٌ رَحْمَةٌ      والجَهْلُ فِي النِّعْمَاءِ سَوُوطٌ عَذَابٌ

- قال إلياس فرحات:

فَالخَيْرُ فِي البَعْضِ بِالثَّهْذِيبِ مُكْتَسَبٌ      والشَّرُّ فِي الكُلِّ طَبْعٌ غَيْرٌ مُكْتَسَبٌ

- قال ناصيف اليازجي:

كَمْ مَاتَ مَنْ كَانَ يُرَجَى عَيْشُهُ فَقَضَى      وَعَاشَ مَنْ كَانَ يُخْشَى موْتُهُ فَبَقِيَ

- قال خليل مطران:

<sup>1</sup> علم البديع عبد العزيز عتيق ص 90.91.  
<sup>2</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 563.

وَمَا انْبَسَطَتْ إِلَّا لِخَيْرٍ أَنَامِلُهُ

حَيْثُ الرَّدَائِلُ فِي مَرَاثِلِ عِرَّةِ

مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ لَهُمْ وَاسْتَقْبَلُوا النَّقْمَا

أَبْغَضُ فَيُمْسِي الكَوْنُ سِجْنًا مُظْلِمًا

لِيَذْفَعَ غُرْمًا أَوْ لِيَجْلِبَ مَعْنَمًا

وَفِي طَاعَةِ اللِّذَاتِ شَيْءٌ مِنَ الأَلَمِ

وَيُغْضِبُ أَعْدَائِي وَيُرْضِي أَصَادِقِي  
كَفَرَحَةٍ بُعْدِي عَنْ عَدُوِّ مَمَازِقِي

وَبَاعِدُنِي الشَّرَّ الَّذِي أَنَا حَازِرُ  
وَلَيْسَ لِمَنْ تُدْنِيهِ فِي النَّاسِ ضَائِرُ

وَنَأْوِي إِلَى الأَدْعَالِ وَاللَّيْلِ جَانِحُ

فَرَجَا عَفْوَهُ وَخَافَ عِقَابَهُ

أَنَا عَائِدٌ لَأُمُوتَ فِي وَطَنِي  
بِالرُّوحِ ثُمَّ أَضِيئُ بِالبَدَنِ؟

وَقَدْ يُعَدُّ شَرِيفًا وَهُوَ مُنْهَزِمُ

يَسِيرُ وَأَمَّا هُدْمُهُ فَعَسِيرُ

وَمَا انْقَبَضَتْ إِلَّا عَنِ الشَّرِّ كَفَّهُ

- وقال خليل مطران في مساوئ المدينة:

حَيْثُ الرَّدَائِلُ فِي مَرَاثِلِ عِرَّةِ

- وقال مطران:

وَارْحَمْنَا لِقَوْمٍ فَارَقُوا النِّعَمَا

- قال إيليا أبو ماضي:

أَحِبُّ فَيَعْدُو الكَوْنُ كُوْحًا نَيْرًا

- قال شاعر المهجر نعمة الحاج في سلاح البكاء:

سِلَاحُ ضَعِيفِ العَزْمِ لَيْسَ بِنَافِعِ

- قال عباس محمود العقاد:

وَقَهْرُ الفَتَى أَلَمُهُ فِيهِ لَذَّةٌ

- قال محمود سامي البارودي:

وَلَكِنِّي بَاقٍ عَلَى مَا يَسُرُّنِي

فَحَسْرَةُ بُعْدِي عَنْ حَبِيبِ مُصَادِقِ

- وقال البارودي داعيًا ربّه:

فَقَرِّبْ لِي الخَيْرَ الَّذِي أَنَا رَاغِبُ

فَلَيْسَ لِمَنْ تُفْصِيهِ فِي النَّاسِ نَافِعُ

- وللبارودي في الفخر:

نُغِيرُ عَلَى الأَبْطَالِ والصُّبْحِ بِاسْمِ

- قال محمود غنيم:

عَرَفَ اللهُ فِطْرَةَ لَا اكْتِسَابَا

- قال الشاعر القروي:

بُنِيَتِ العُرُوبَةُ هَيْئِي كَفَنِي

أَجُودُ مِنْ خَلْفِ البَحَارِ لَهُ

- وللشاعر القروي:

قَدْ يُحْسَبُ المرءُ نَدْلًا وَهُوَ مُنْتَصِرُ

- وللشاعر القروي أيضا:

فَلَمْ أَرَ كَالعَادَاتِ شَيْئًا بِنَاؤُهُ

- وقال القروي:

وَوَجْهَهُ الصُّبْحُ مُسْوَدٌ عَجَاجَا

فَجُنْحُ اللَّيْلِ مُبْيَضٌ لَهِيًّا

- قال أحمد شوقي:

وَإِنْ غَضِبْتَ فَالشَّرُّ يَقْضَانُ مُغْضِبُ

إِذَا حَلَمْتَ فَالشَّرُّ وَسَنَانُ حَالِمٍ

- وقال شوقي واصفا:

وَعُرْوُبُهَا الْأَجَلُ الْبَغِيضُ لِمَنْ دَرَى

فَشُرُوقُهَا الْأَمَلُ الْحَبِيبُ لِمَنْ رَأَى

- قال ميخائيل نعيمة مخاطبا البحر:

وَفِي هِيَاجِكَ دَعْرُ

هَلْ فِي سُكُونِكَ أَمْنُ

وَفِي انْقِبَاضِكَ عُسْرُ

أَمْ فِي امْتِدَادِكَ يُسْرُ

وَفِي ارْتِفَاعِكَ فَخْرُ

وَفِي انْخِفَاضِكَ ذُلُّ

وَفِي هَدِيرِكَ بِشْرُ؟

وَفِي سُكُونِكَ حُزْنُ

- قال مصطفى صادق الرافعي:

وَوَاللهِ إِنَّ الْخُوبَّ شَرُّ عِيُوبِي

فَوَاللهِ إِنَّ الْخُوبَّ خَيْرُ مَحَاسِنِي

- وله أيضا:

وَهَاجِرِي فِي الْكَلَامِ

يَا وَاصِلًا بِالْمَعَانِي

مُصَالِحِي فِي مَنَْامِي

مُخَاصِرِي فِي نَهَارِي

- قال معروف الرصافي:

وَنَهَارٍ بِالْهَجْرِ كَانَ ظَلَامًا

رُبَّ لَيْلٍ بِالْوَصْلِ كَانَ ضِيَاءً

- قال أحمد رامي:

فَصَّرَ فِي الْأَعْمَارِ طَوْلُ السَّهْرِ

فَمَا أَطَالَ النَّوْمُ عُمْرًا وَلَا

- قال الشاعر الجزائري رَمَضَانَ حَمُود:

هَدَمَ النَّوْدُ مَا بَنَتْهُ الْكِرَامُ

كثُرَةُ النَّاسِ لَا تُفِيدُ إِذَا مَا

وَكثِيرٌ مَعَ الْخِلَافِ حُطَامُ

فَقَلِيلٌ مَعَ الْوَيْثَامِ كَثِيرُ

**التدريب الثاني:** دلّ على المقابلة الواردة في الأمثلة الآتية، وشرحها:

- قال أحمد أمين: "أَيْهَا اللَّيْلُ.. كَمْ لَفَقْتَ تَوْبَكَ عَلَى مُتَنَاقِضَاتٍ: حُزْنٍ عَلَى مَيْتٍ، وَسُرُورٍ لِمِيلَادٍ، وَمُحِبِّ

مَهْجُورٍ يَشْكُو طَوْلَكَ، وَمُحِبِّ وَاصِلٍ يَشْكُو قِصْرَكَ، وَعَابِدٍ مُتَهَجِّدٍ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَقَاسِقٍ فَاجِرٍ يَبْغِي حَظَّهُ،

وَدَمْعَةٍ حَرَى تَسْبُلُهَا أُمٌّ وَلَهَى بِجَانِبِ سَرِيرِ مَرِيضٍ، وَضِحْكَةٍ صَارِخَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ سِكِّيرِ عَرَبِيدٍ، وَمَجْلِسِ

أُنْسٍ تَتَجَاوَبُ فِيهِ الْأَفْدَاخُ وَالْأَوْتَارُ، وَيَلْبَسُ فِيهِ اللَّيْلُ تَوْبَ النَّهَارِ، بَيْنَ بُدُورٍ وَكَاسَاتٍ تَدُورُ، وَمَجْلِسِ بُوسِ

تَتَجَاوَبُ فِيهِ الزَّفَرَاتُ وَالْحَسْرَاتُ، وَتَتَسَاقَطُ فِيهِ النُّفُوسُ، قَدْ تَلَطَّى لَهُمْ فِي ضُلُوعِهِمْ، فَهُمْ بَيْنَ كَاسِفِ بَالٍ، وَمُنْقَبِضِ صَدْرٍ، وَلَهَيْفِ قَلْبٍ."

- وقال أحمد أمين مخاطبا "شجرة الورد": "خَرَجْتَ مِنْ ظِلَامِ الْأَرْضِ إِلَى نُورِ السَّمَاءِ، وَمِنْ مَقْبَرَةِ الْبَاطِنِ إِلَى مَسْرَحِ الظَّاهِرِ، وَمِنْ سُكُونِ الْجُدُورِ إِلَى لَعِبِ الْعُصُونِ، وَمِنْ عُبُوسِ الْمَنْبَتِ إِلَى ضَحِكِ الثَّمَرَةِ، وَهَكَذَا كَانَ أَخُوكَ الْإِنْسَانَ، خَضَعَ لِلْقَدْرِ كَمَا تَخَضَعِينَ، وَثَارَ كَمَا تَثُورِينَ، فَاجْتَمَعَ لَهُ جَبْرُ الطَّبِيعَةِ وَاخْتِيَارُ الْإِرَادَةِ، وَعَمَلَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْأَسْتِعْبَادِ إِلَى نُورِ الْحُرِّيَّةِ، وَبَلَغَ مِنْ تَطَوُّرِهِ أَنْ كَادَ يَكُونُ مَلَكًا كَرِيمًا، أَوْ شَيْطَانًا رَجِيمًا، وَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ."

- وقال أحمد أمين ناقدًا: "كَانَ الْبَارُودِي أَوْ شَوْقِي يَقُولُ الْقَصِيدَةَ، فَيَقُومُ نَاقِدٌ مُعْتَرِضٌ يَفْضَحُ مَعَايِبَهَا، وَمَادِحٌ مُسَانِدٌ يُبَيِّنُ مَحَاسِنَهَا، وَمِنْ هَذَا وَذَلِكَ يَسْتَفِيدُ الْأَدِيبُ، وَيَرْقَى الْأَدَبُ."

- قال البشير الإبراهيمي: "العِيدُ فِي نَظَرَةِ الْإِسْلَامِ مُلْتَقَى عَوَاطِفَ تَتَقَارَبُ، بَيْنَ طَوَائِفَ كَانَتْ فِي أَمْسِهِ تَتَحَارَبُ، فَفِيهِ يَنْتَزِلُ الْغَنِيُّ الْمُتْرَفُ، وَيَصْعَدُ الْفَقِيرُ الْمُعْدَمُ، فَيَلْتَقِيَانِ فِي عَالَمٍ مِنَ الْعَوَالِمِ الْمُثَلَّى، يَتَجَلَّى الْعِيدُ بِجَلَالِهِ عَلَى الْغَنِيِّ، فَيَنْسَى تَأَلُّهُهُ بِالْمَالِ، وَيَذْكُرُ أَنَّ كُلَّ مَنْ حَوْلَهُ إِخْوَانُهُ أَوْلَا، وَأَعْوَانُهُ ثَانِيَا، فَيَمْحُو إِسَاءَةَ عَامٍ بِإِحْسَانِ يَوْمٍ، وَيَتَجَلَّى عَلَى الْفَقِيرِ بِجَمَالِهِ، فَيَنْسَى مَتَاعِبَ الْعَامِ، وَمَكَارِهِ الْعَامِ، وَتَمْحُو بِشَاشَةِ الْعِيدِ مِنْ نَفْسِهِ آثَارَ النَّبْرَمِ وَالضُّيْقِ، وَتَنْهَزِمُ فِي نَفْسِهِ دَوَاعِي الْيَأْسِ عَلَى حِينٍ تَنْتَصِرُ بَوَاعِثُ الرَّجَاءِ."

- وقال ناصحًا الشُّبَابَ بِالْعَمَلِ: "خَبَّرُونِي أَيُّهَا الْفَنِّيَانُ، مَاذَا يَكُونُ مَصِيرُ الرَّجُلِ الْفَقِيرِ إِذَا قَعَدَ عَنِ الْعَمَلِ انْتِظَارًا لِمِيرَاثٍ يَهْبِطُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ، أَوْ كَنْزٍ يَقْفُزُ إِلَيْهِ مِنْ جَوْفِ الْأَرْضِ؟"

- قال مصطفى لطفي المنفلوطي: "لَوْلَا السُّرُورُ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ، مَا كَانَ الْبُكَاءُ فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ، وَلَوْلَا الْوُثُوقُ بِدَوَامِ الْغِنَى، مَا كَانَ الْجَزَعُ مِنَ الْفَقْرِ، وَلَوْلَا فَرَحَةُ التَّلَاقِ، مَا كَانَتْ تَرَحُّهُ الْفِرَاقِ."

- قال ميخائيل نعيمة: "النَّاسُ عَلَى سَفَرٍ، وَإِنْ تَسَأَلْنِي: مِنْ أَيَّنَ وَإِلَى أَيَّنَ؟ أُجِبُكَ: مِنْ عِيَاهِبِ الْجَهْلِ، إِلَى سَنَاءِ الْمَعْرِفَةِ، وَمِنْ عَقْلَةِ الْعَرِيزَةِ الْمُسْتَسْلِمَةِ، إِلَى وَعْيِ الْإِرَادَةِ الْخَالِقَةِ، وَمِنْ عُبُودِيَّةِ الْمَوْتِ، إِلَى حُرِّيَّةِ الْحَيَاةِ."

- وقال نعيمة: "عُدَّةُ السُّلْمِ الصِّدْقِ، وَعُدَّةُ الْحَرْبِ الْكَذِبِ، عُدَّةُ السُّلْمِ الْأَمَانَةِ، وَعُدَّةُ الْحَرْبِ الْخِيَانَةِ، عُدَّةُ السُّلْمِ التَّقَةِ، وَعُدَّةُ الْحَرْبِ الشُّكِّ، عُدَّةُ السُّلْمِ الْمَحَبَّةِ، وَعُدَّةُ الْحَرْبِ الْبُغْضِ، عُدَّةُ السُّلْمِ الْعَطَاءِ، وَعُدَّةُ الْحَرْبِ النَّهْبِ، عُدَّةُ السُّلْمِ التَّعْمِيرِ، وَعُدَّةُ الْحَرْبِ التَّخْرِيْبِ، عُدَّةُ السُّلْمِ الْإِيْمَانِ بِالْإِنْسَانِ، وَعُدَّةُ الْحَرْبِ الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَبِالْإِنْسَانِ مَعًا، عُدَّةُ السُّلْمِ الْحَيَاةِ، وَعُدَّةُ الْحَرْبِ الْمَوْتِ."

- قال طه حسين: "مِنْ أَحْصَى خَصَائِصِ الْأَدَبِ أَنَّهُ عَصِيٌّ مُتَمَنِّعٌ مُتَشَدِّدٌ فِي النَّمْنَعِ حِينَ يَدْعُوهُ الدَّاعِي، ثُمَّ هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ رَضِيٌّ طَيِّعٌ سَمَّحٌ حِينَ لَا يَدْعُوهُ دَاعٍ."

## التَّضْمِين

**تعريف التَّضْمِين لُغَةً:** مَنْ ضَمَّنَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ، أَيْ أَوْدَعَهُ إِيَّاهُ، وَمِنْهُ مَضْمُونُ الْكِتَابِ كَذَا، وَكَذَا.  
**التَّضْمِينُ اصطلاحًا:** التَّضْمِينُ فِي الْبَدِيعِ الْعَرَبِيِّ أَنْ يُضَمَّنَ الشَّاعِرُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ، مَعَ التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ أحيانًا، وَأحيانًا مِنْ دُونِ الْحَاجَةِ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ. قَالَ أَبُو هَلَالِ الْعَسْكَرِيِّ: "وَقَدْ تُسَمَّى اسْتِعَارَتُكَ الْأَنْصَافِ وَالْأَبْيَاتِ مِنْ شِعْرِ غَيْرِكَ، وَإِذْ خَالَكَ إِيَّاهُ فِي أَثْنَاءِ أَبْيَاتِ قَصِيدَتِكَ (تَضْمِينًا)، وَهَذَا حَسَنٌ"<sup>1</sup>.  
- ومثال التنبيه قول حافظ إبراهيم:

رَوَتْ قَوْلَ بَشَّارٍ فَتَّارَتْ وَأَفْسَمَتْ      وَقَامَتْ إِلَى عَبْدِ الْحَمِيدِ تُحَاسِبُهُ  
"إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَاعَرَ خَدَّهُ      مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهُ"

فقد نبه الشاعر على التضمين في قوله: (روت قول بشار)، أما التضمين فقد ورد في البيت الثاني.

- ومثل قول صفي الدين في رجل أقرضه دينًا، فأبطأ في رده:

فَلَا تَجْعَلَنَّ الْعِرْضَ لِلْمَالِ جُنَّةً      وَكُنْ كَالْفَتَى الْكِنْدِيِّ حِينَ يَقُولُ:  
"يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ نُفُوسُنَا      وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُنَا لَنَا وَعُقُولُ"

فقد نبه الشاعر على التضمين في عجز البيت الأول: (وكن كالفتى الكندي حين يقول:). أما التضمين فكان البيت الثاني:

"يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ نُفُوسُنَا      وَتَسْلَمَ أَعْرَاضُنَا لَنَا وَعُقُولُ"

وهو بيت لأبي الطيب المتنبي.

ومن التضمين ما يُعرف بالتشطير، وهو أن يعمد الشاعر إلى أبيات مشهورة لغيره، فيقسم أبياتها إلى شطرين، يضيف إلى كلٍّ منهما شطرًا من عنده، ومنه قول محمد العيد آل خليفة مضمنا شعر الشافعي:

"دَعِ الْمَقَادِيرَ تَجْرِي فِي أَعْتَبِهَا"      فَلَمَقَادِيرِ سِرٌّ غَامِضٌ عَالٍ  
فَوَضَّ إِلَى اللَّهِ مَا يَعْرُوكَ مِنْ نُوبٍ      "وَلَا تَبِيَّتَنَّ إِلَّا خَالِي الْبَالِ"  
"مَا بَيْنَ غَمْضَةِ عَيْنٍ وَانْتِبَاهَتِهَا"      يَسْأَلُو الْحَزِينَ كَمَا قَدْ يَحْزَنُ السَّالِي

- ومن التضمين قول أبي القاسم خمار:

"وظَلْمُ دَوِي الْفُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً      عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ" وَأُخْطِرُ  
"بِلَادِي وَإِنْ جَارَتْ عَلَيَّ عَزِيْزَةٌ      وَقَوْمِي وَإِنْ ضَانُوا عَلَيَّ" سَأَغْفِرُ

- ومن التضمين قول إيليا أبي ماضي:

وَلَا عَرَوْا إِنْ صُغْنَا لَهَا النَّثْرَ جَلِيَّةً      فَفِي عُنُقِ الْحَسَنَاءِ يُسْتَحْسَنُ الدَّرُّ

فالشاعر كما هو واضح قد ضمن شطر بيت من قصيدة شهيرة لأبي الطيب المتنبي.

<sup>1</sup> معجم البلاغة العربية الدكتور بدوي طبانة ص 355.

- وكتب علي الجارم حين أُرسِلَ في بعثة إلى إنجلترا، وهو يضع القبعة:

لِيسْتِ الْآنَ قُبَّعَةً بَعِيدًا      عَنِ الْأَوْطَانِ، مُعْتَادَ الشُّجُونِ  
فَإِنْ هِيَ عَيَّرَتْ شَكْلِي فَأِنِّي      "مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي"

فالشاعر قد ضمن شطر بيت من قصيدة سُحِيمِ الرِّيَاحِي التي يقول فيها:

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَّلَاغِ النَّيَا      مَتَى أَضَعِ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

- ومنه قول علي الجارم أيضا:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلِذْهُ فَضْلُ جِهَادِهِ      "فَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثَّرَابِ ثَرَابٌ"

فعجز البيت من قصيدة مشهورة للمتنبى، حيث يقول:

إِذَا نِلْتُ مِنْكَ الْوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ      وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ الثَّرَابِ ثَرَابٌ

- ومنه قول شكيب أرسلان:

"أَوْلَيْكَ أَبَائِي فَجِنِّنِي بِمِثْلِهِمْ"      وَإِلَّا فَهُمْ فِي الْأَرْضِ خَيْرُ الْقَبَائِلِ

الشطر الأول من قصيدة معروفة للفرزدق.

- ومن التضمين قول محمد صالح الجزائري:

وَيُرْخِصُ فِي الْعَلِيَاءِ نَفْسًا نَفِيسَةً      "وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ الْمَهْرُ"

فالشطر الثاني من بيت لأبي فراس الحمداني، يقول فيه:

تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نَفُوسُنَا      وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ الْمَهْرُ

- ومنه قول عبد الحميد الرافعي :

وَأَثْرُكَ مُنَاجَاةَ الدِّيَارِ وَلَا تَقُلْ      "يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي"

فالشطر الثاني من قصيدة شهيرة لعنتر بن شداد يقول فيها:

يَا دَارَ عِبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي      وَعِمِي صَبَاحًا دَارَ عِبْلَةَ وَسَلْمِي

- ومنه قول مصطفى الغلاييني:

قَدْ بَعَثْتُ نَفْسِي لِأَحْيِي صَبِيَّةً هَلَكُوا      "وَاحِرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَمِيمٌ"

الشطر الثاني من قصيدة للمتنبى.

- ومن بديعه قول سليمان الصولة مضمنا قصيدة المتنبى:

"تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً"      مُرُورَ كِبَاشِ طَارَدَتْهَا ضَرَاغِمُ

وَعِرْضُكَ مَوْفُورٌ وَجَأْشُكَ تَابِتٌ      "وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَتَعْرُكَ بِاسِمٌ"

- ومن التضمين قول الشاعر:

فَشَمَّرَ بَعَزْمٍ لِلْمَتَابِ فَإِنَّمَا      "عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ"

وإنَّ عَظَمْتَ مِنْكَ الْجَنَائِثَ إِنَّهَا  
"سَنَّعُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ"  
سَيِّئَاتِكَ مِنْ مَوْلَاكَ مَا هُوَ أَهْلُهُ  
"وَتَأْتِي عَلَيَّ قَدْرُ الْكِرَامِ الْكَرَامُ"

فالشاعر كما هو ملاحظ قد ضمّن قصيدته أشطرًا من قصيدة مشهورة للمتنبّي.

- ومن التضمين قول الشاعر:

قَالُوا: تُحِبُّ الْعَرَبَ قُلْتُ: أَحِبُّهُمْ  
يَفْضِي الْجَوَارُ عَلَيَّ وَالْأَرْحَامُ  
قَالُوا: لَقَدْ بَخُلُوا عَلَيَّكَ أَجِبْتُهُمْ:  
"أَهْلِي وَإِنْ ضَانُوا عَلَيَّ كِرَامُ"

- ومنه قول الشاعر:

لَنْنُ كَانَ قَدْ وَاقَى أَخِيرًا فَإِنَّهُ  
"لَاتِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ"

فالشطر الثاني من قصيدة لأبي العلاء المعري.

- ومنه قول الشاعر:

لَجَّ الْمُعَاتِبُ فِي لَوْمِي فَقُلْتُ لَهُ  
دَعَّ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ  
هَذَا وَلَا تَلْتَمِسْ بُرِّي بِمَعْتَبَةٍ  
"وَدَاوِنِي بِأَلْتِي كَأَنْتِ هِيَ الدَّاءُ"

فالشطران الأخيران من البيتين من قصيدة لأبي نواس.

- ومنه قول الشاعر:

كَانَ الزَّمَانُ بِلُفْيَاكُمْ يُمَنِّيَا  
وَحَادِثُ الدَّهْرِ بِالنَّقْرِيقِ يَنْدِيَا  
فَعِنْدَمَا صَدَقْتُ فِيمُكُمْ أَمَانِيَا  
"أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا عَنْ تَدَانِيَا"

فجز البيت الثاني من قصيدة شهيرة لابن زيدون، يقول فيها:

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا عَنْ تَدَانِيَا  
وَنَابَ عَنْ طَيْبِ لُقْيَانَا تَجَافِيَا

**أنواع التضمين:** التضمين قسمان:

**1- الاستعانة:** وذلك إذا بلغ مقدار التضمين بيتًا، فأكثر.

**2- الإيداع:** وذلك إذا بلغ مقدار التضمين شطرًا بيتًا، أو دونه.

**بلاغة التضمين:**

"أسلوب التضمين يكشف عن مهارة الأديب الفائقة في إحكام الصلة بين كلامه، وما أخذه من شعر غيره، كما أنه يزداد به حُسنًا، ويستعير من قوته قوة"<sup>1</sup>، والتضمين يكشف عن سعة خزينة الشاعر الأدبية، لكن بعض الشعراء أُغرموا به، وجروا فيه شوطًا بعيدًا، حتى استخدموا معاني الشعر المضمّن في غير معانيها التي قيلت فيها، وتسابقوا في ميدانه، حتى اعتبروه غاية الفخر، وقد جاء في "الصبغ البدعي": "التضمين

<sup>1</sup> لباب البديع ص 196.

عموما إذا جاء محكما مُتَقَنَّا ساغ، وعذب، وأنبا عن تفوق الشاعر، وإمامه بالشعر، وإلا كان ضربا من السرقة المعيبة، دالا على إفلاس الشاعر، وسوء صنيعه".

**تدريب:** دلّ على التضمين، وبين نوعه فيما يأتي:

- أَيَا فَاضِلًا حَاكَّتْ مَعَانِي صِفَاتِهِ  
قَصَائِدُكَ الْغَرَاءُ لَمَّا قَرَأْتَهَا  
- فَكُنَّا بِهِ كَالْقَلْبِ طُولَ حَيَاتِنَا  
وقد تَنطِقُ الأَفْعَالُ وَالْقَمُ صَامِتٌ  
- إلامَ أفرأحننا والموتُ أحرُننا  
- إنَّ العُيُونَ التي في طَرْفِهَا حَوْرٌ  
سُيُوفُ الأَحَاطِهَا في الجَفْنِ مُعَمَدَةٌ  
- فَتِقْ بِرَبِّكَ وَاصْبِرْ لِلْأُمُورِ فَقَدْ  
- أرى الشَّيْطَانَ يَرْمِينَا بِحَرْبٍ  
- وَكَمْ رَأَى أَحٌ لِي ثُمَّ أَنشَدَنِي  
- سَاءَ لَتُهُ مَا الَّذِي تَشْكُو فَأَنْشَدَنِي  
- فَكَذَلِكَ فَكُودَانَ الْكُوكِبِ بَدْرَهَا
- عُيُونَ المَهَا بَيْنَ الرُّصَافَةِ وَالجِسْرِ  
جَلَبْنَ الهَوَى مِنْ حَيْثُ أُدْرِي وَلَا أُدْرِي  
لَنَا الصَّدْرُ دُونَ العَالَمِينَ أَوْ القَبْرِ  
وَيَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ  
وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيئًا جَوْدَةَ الكَفْنِ؟  
وتلكَ أَعْيُنُ مَنْ نَهَوَى وَتَهَوَانَا  
فَتَلَنَّا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَا قَتْلَانَا  
تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ  
تُشِيْبُ الطُّفْلَ مِنْ قَبْلِ المَشِيْبِ  
وَدَّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ  
ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرُ مُحْتَشِمِ  
وفي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُنْقَدُ البَدْرُ

## الإرصاد

**تعريف الإرصاد لغةً:** هو التَّهَيُّةُ، والإعداد، يُقال: أَرَصَدَ الشَّيْءَ لِلشَّيْءِ إِذَا أَعَدَّهُ لَهُ، "ومنه الرَّصْدُ، وهم القَوْمُ الَّذِينَ يَرِصُدُونَ كَالْحَرَسِ"<sup>1</sup>. ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)<sup>2</sup>. والمِرْصَادُ: الطَّرِيقُ، أو المَكَانُ الَّذِي يُرِصَدُ فِيهِ العَدُوُّ. قال محمود سامي البارودي في رثاء أبيه:

تَرَاهُ ذَا أَهْبَةٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ      كَاللَّيْلِ مُرْتَقِبًا صَائِدًا بِمِرْصَادِ  
والتَّرِصْدُ هُوَ التَّرَقُّبُ، وَمِنْهُ قَوْلُ مَفْدِي زَكْرِيَا:

نَامُوا وَفِي الدَّارِ (إِسْرَائِيلُ) تَرِصِدُنَا      وَأَغْمَضُوا دُونَ (إِسْرَائِيلِ) أَجْفَانَنَا

**الإرصاد اصطلاحاً:** "هُوَ أَنْ يُجْعَلَ قَبْلَ العَجْزِ مِنَ الفَقْرَةِ، أو النَّبِيْتِ مَا يَدُلُّ عَلَى العَجْزِ إِذَا عُرِفَ الرَّوِي"<sup>3</sup>، وَقَدْ سُمِّيَ هَذَا الفُنُّ البَدِيعِيَّ إِرْصَادًا "لِأَنَّ السَّمَاعَ يَرِصُدُ ذَهْنَهُ لِلقَافِيَةِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا قَبْلَهَا"<sup>4</sup>.

قال محمود سامي البارودي في وصف قصائد حافظ إبراهيم:

أَلْفَظُهَا نَمَّتْ عَلَى مَا تَحْتَهَا      وَصُدُورُهَا دَلَّتْ عَلَى الأَعْبَازِ

وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ اسْمَ "التَّسْهِيمِ"، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ وَضْعِ صُورَةِ السَّهْمِ، لِلإِشَارَةِ بِهِ إِلَى المَكَانِ المَقْصُودِ، أو المَعْنَى المَقْصُودِ، "وَمَعْلُومٌ أَنَّ إِعْدَادَ مَا يَلْزَمُ فِي أَوَّلِ الكَلَامِ لِمَعْرِفَةِ مَا سَيَأْتِي فِي آخِرِهِ، هُوَ بِمِثَابَةِ وَضْعِ صُورَةِ السَّهْمِ الَّتِي يُشَارُ بِهَا إِلَى المَقْصُودِ"<sup>5</sup>.

ولقد أشار نزار قباني إلى معنى الإرصاد حين علق على القصيدة الكلاسيكية قائلاً: "لَقَدْ انْتَهَتْ فِي حَيَاتِنَا مَرْحَلَةُ القَصِيدَةِ العَصْمَاءِ، بِقَوَافِيهَا المَرْصُوصَةِ كَأَسْنَانِ المُشْطِ الَّتِي نَعْرِفُهَا قَبْلَ أَنْ نَعْرِفَهَا".

### شواهد الإرصاد:

- قال إيليا أبو ماضي:

أَنَا أَنْتُمْ، إِنَّ ضَجِّكُمْ لِأَمْرِ      ضَجِّكُمْ، وَأَدْمَعُكُمْ أَدْمَعِي  
وَمُطْرِبُ أَرْوَاجِكُمْ مُطْرِبِي      وَمُوجِعُ أَكْبَادِكُمْ مُوجِعِي  
أَنَا وَاجِدٌ مِنْكُمْ، يَا نُجُومَ      بِلَادِي، مَتَى تَسْطَعُوا أَسْطَعَ

لم يذكر الشاعرُ جملةً (أنا أنتم) إلا لتكون إعلاناً مسبقاً عن الكلام اللاحق، فهي جملة أسهمت في معرفة ما يختلج داخل صدر الشاعر، والتنبؤ به قبل سماعه، فلو وقف الشاعر عند كلمة (وأدمعكم) لقال السامع دون تردد (أدمعي)، والأمر ذاته حاصل في البيت الثاني، والثالث في كلمات: (مطربي)، و(موجعي)، و(أسطع).

- وقال إيليا أبو ماضي:

<sup>1</sup> علوم البلاغة مرجع سابق ص 102.

<sup>2</sup> الفجر 14.

<sup>3</sup> لباب اليبيع ص 111.

<sup>4</sup> عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي. ص 235.

<sup>5</sup> البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ص 385.

أَنَا خَيْرُ مَنْ قَالَ الْقَوَافِي مَادِحًا      أَنَا خَيْرُ مَنْ قَالَ الْقَوَافِي هَاجِي

فلو قرأ الشاعر صدر البيت، ثم قرأ أول كلمة في البيت الثاني، يأتي السامع به كاملا غير ناقص.

- قال خليل مطران في حفلة تكريم الأديب أنطون الجميل:

إِنْ زَاوَلَ الْإِنْشَاءَ: أَبْلَغُ مُنْشِي      أَوْ زَاوَلَ الْإِنْشَادَ: أَفْصَحُ مُنْشِدٍ

من قرأ البيت وعرف الروي، ووقف عند كلمة (الإنشاد)، كيف يصعب عليه أن يقول: (أفصح منشد)؟

- قال بشارة الخوري:

فَسَمْتُ فَوَادِي بَيْنَ بُوسِي وَالْهَوَى      فَهَذَا لَهُ شَطْرٌ وَهَذَا لَهُ شَطْرٌ

الشاهد في الإرصاء: (وهذا له شطر).

- قال أحمد شوقي:

وَالنَّاسُ صِنْفَانٍ: مَوْتَى فِي حَيَاتِهِمْ      وَآخِرُونَ بِبَطْنِ الْأَرْضِ أَحْيَاءُ

نقول إن الشاعر قد جعل صدر البيت مؤشرا ودليلا على عجزه، فلا يصعب على السامع التكهن بالعجز إذا

عرف حرف الروي، وكان الصدر كان وسيلة، والعجز غاية.

- قال معروف الرصافي في الغزل:

وَمَا الصَّبْرُ إِلَّا غَائِبٌ غَيْرُ حَاضِرٍ      وَمَا الشُّوقُ إِلَّا حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ

فالمتلقي الذي عرف الروي، وسمع صدر البيت، لن يجد صعوبة في تعرف عجز البيت كاملا.

- قال الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي عن أطفال الحجارة:

حَبَّالَهُمْ فِي الْأَيْدِي مُفَرَّقَةٌ      وَأُمْرُهُمْ فِي الْجِبَالِ مُجْتَمِعٌ

فالسامع حين يقف على قول الشاعر (الجبال)، يعرف بكل ثقة مراده.

- قال فوزي المعلوف:

مَهْمَا يَجُرُّ وَطَنِي عَلَيَّ وَأَهْلُهُ      فَالْأَهْلُ أَهْلِي وَالْبِلَادُ بِلَادِي

فكلمة (بلادي) يستطيع أن يأتي بها السامع الذي عرف الروي قبل أن ينطق بها الشاعر.

- قال ناصيف اليازجي في المدح:

وَإِذَا زَارَ فَالْخَرِيفُ رَبِيعٌ      وَإِذَا غَابَ فَالرَّبِيعُ خَرِيفٌ

فمن البديهي أن من وقف على الصدر يرب بوضوح معالم العجز.

- قال محمد العيد آل خليفة مخاطبا شعبه الجزائري:

كُونُوا عَلَى الْمُتَعَزِّزِينَ أَعَزَّةً      كُونُوا عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ كِبَارًا

فالقارئ لأول البيت لا يتعسر عليه معرفة آخره، لأن صدره يخبر عن عجزه، بشرط واحد، وهو معرفة

حرف الروي.

- وقال محمد العيد آل خليفة:

وقُولُوا لِآتِي الْعَدْلِ إِنَّكَ عَادِلٌ      وقُولُوا لِآتِي الظُّلْمِ إِنَّكَ ظَالِمٌ  
فلو سَكَتَ الشاعرُ عندَ كلمة (وقُولُوا) التي في عَجْزِ البيتِ لقرَّرَ السَّامِعُ: (لآتِي الظُّلْمِ إِنَّكَ ظَالِمٌ).

- وقال آل خليفة في اللسان العربي:

لا تُهْمَلُوا هَذَا اللِّسَانَ فَفَقُّدُكُمْ      فِيهِ فِقْدُهُ وَدَوَامُكُمْ بِدَوَامِهِ  
فجمله (ودوامكم بدوامه) يستطيع أن يعرفها القارئ قبل الوصول إليها، ففي أول الكلام ما يدل عليها.

### بلاغة الإحصاء:

تكمُنُ بلاغةُ الإحصاءِ في قُدْرَةِ القارئِ، أو السَّامِعِ على التَّنَبُّؤِ بما يختلج داخل الأديب، حتى إذا عرف القارئُ أَوَّلَ الكلامِ، استطاع أن يُكْمِلَهُ قبل أن ينطقَ المُتَكَلِّمُ به، ومما يدل على سمو هذه الصنعة قول الأديب والمفكر اللبناني شكيب أرسلان في شهادته عن شعر أديبنا الجزائري محمد العيد آل خليفة: "إن كان في العصر شاعر يصح أن يمثل البهاء زهيراً في سلاسة نظمه، ودقة شعوره، وجودة سبكه، واستحكام قوافيه التي يعرفها القارئ قبل أن يصل إليها، فيكون محمداً العيد الذي أقرأ له القصيدة المرتين والثلاث ولا أمل، وتمضي الأيام وعذوبتها في فمي".<sup>1</sup>

و"تنهضُ جمالية الإحصاء على إثبات مؤشر دلالي في صدر الكلام يومئ إلى آخره، ويُسهِم في تحديده، فإذا ما توقَّع المتلقِّي الكلامَ اللاحق، بناءً على إدراكه للسابق، ثم صحَّ له توقُّعه، وتحقَّقَ حدسه، أدركته لا محالةً حال من الرضا والبهجة، هي حال مَنْ توقَّع فأصاب، وتفَرَّسَ فصَحَّ تفرُّسه".<sup>2</sup>

وقد أشاد بالإحصاء أبو هلال العسكري إذ قال: "هو أن يكون مبدأ الكلام ينبئ عن مقطعه، وأوله يخبر بآخره، وصدْرُهُ يشهد بعجزه، حتى لو سمعت شعراً، وعرفت رويّه، ثم سمعت صدر بيت منه، وقفت على عجزه قبل بلوغ السَّماعِ إليه، وخيرُ الشعرِ ما تُسابقُ صدوره أعجازه، ومعانيه ألفاظه مسابقة، فتراه سلساً في النظام، جارياً على اللسان، لا يتنافى ولا يتنافر، كأنه سبيكة مفرغة، أو وشي منمنم، أو عقد منظم من جوهر متساكن، ألفاظه متطابقة، وقوافيه متوافقة، ومعانيه متعادلة، كل شيء منه موضوع في موضعه، وواقع في موقعه".<sup>3</sup>

وعُلماءُ البديع أجمعوا على أن الإحصاء مُحَسَّنٌ بديعيٌّ محمود، لأنَّ خيرَ الكلامِ ما دلَّ بَعْضُهُ على بَعْضِ، وأخذ بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضِ، "والإحصاء ذكره ابن المقفع، وإن لم يسمّه حينما قال: وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك، كما أن خيرَ أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته".<sup>4</sup>

وهذا ما عناه محمود سامي البارودي في مدح مصطفى صادق الرافعي:

<sup>1</sup> ديوان محمد العيد آل خليفة ص 8

<sup>2</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 567.

<sup>3</sup> الصناعتين للزمخشري ص 397.

<sup>4</sup> المعجم المفصل في علوم البلاغة الدكتورة إنعام نزال عكاوي ص 62.

صُدُورُهُ عَلِمَتْ مِنْهَا قَوَافِيهِ

عَمَّا تَلَا حَقَّ فَهُوَ بَأْدِي الْمَعْلَمِ

إِنَّمَا الصَّبْرُ عَلَى الْفَقْرِ تَرَاءُ

إِنَّمَا الصَّبْرُ عَلَى الدَّاءِ شِفَاءُ

لَا غَالِبَ لِرَجَمَتٍ وَلَا مَغْلُوبًا

وَالْيَوْمَ جَاءَتْ تُوَاسِيكُمْ تَعَازِينَا

فَقَوْلُهُمْ قَوْلٌ وَفِعْلُهُمْ فِعْلٌ

وَإِنْ أَقْبَلْتِ يَوْمًا فَيَا حَبَّذَا هِيَا

وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ غَوَانِيهَا مَعَانِيهَا؟

وَإِنَّمَا الدَّارُ تُشْجِي بَاهْلِيهَا

مَشَيْتُ وَإِنْ يَقْعُدُ أَوْلِيَاكَ أَفْعُدِ

وَإِذَا هَجَرْتِ فَكُلُّ شَيْءٍ بِأَكِ

وَحُشُودٌ لِلْهَوْلِ تَلْقَى حُشُودًا

تِ، فَلَيْتَ الرَّجَالَ كَانَتْ أَسْوَدًا

وَإِنْ يَبْسُ الْفَتَى فَالْجِدُّ هَزْلٌ

صَاغَ الْقَرِيضَ بِإِثْقَانٍ فَلَوْ تَلَيْتِ

- أو قوله مفتخرًا بشعره:

مُتَشَابِهَ الطَّرْفَيْنِ يُبَيِّئُ صَدْرُهُ

**تدريب:** دُلَّ عَلَى الْإِرْصَادِ، وَبَيَّنَّ نَوْعَهُ فِيمَا يَأْتِي:

- قال محمود غنيم:

مَا مَعَ الصَّبْرِ لَعْمَرِي فَاقَّةٌ

مَا مَعَ الصَّبْرِ لَعْمَرِي عِلَّةٌ

- وقال محمود غنيم:

طَحَّخَتْ فَرِيْقَيْهَا الْخُرُوبُ بِضِرْسِهَا

- قال مفدي زكريا:

بِالْأَمْسِ كَانَتْ تُوَافِيكُمْ مَدَانِحُنَا

- قال محمود سامي البارودي مفتخرًا بقومه:

رِجَالٌ أَوْلُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَنَجْدَةٌ

- وقال سامي البارودي:

فَلَا حَبَّذَا الدُّنْيَا إِذَا هِيَ أَدْبَرَتْ

- وقال أيضا:

مَا لِي وَلِلدَّارِ مِنْ لَيْلَى أَحْيِيهَا

هَيْهَاتَ مَا الدَّارُ تُشْجِي بِسَاحَتِهَا

- قال معروف الرصافي:

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ أَوْلِيَاكَ إِنْ مَشَا

- قال علي الجارم:

فَإِذَا وَصَلَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ بِأَسْمِ

- وقال واصفا الحرب العالمية الثانية:

وَفَرِيْقٌ لِلْفَتْكِ يَلْقَى فَرِيْقًا

قَدْ رَأَيْنَا الْأَسْوَدَ تَقْنَعُ بِالْقَوِ

- وقال علي الجارم:

إِذَا أَمَلِ الْفَتَى فَالْهَزْلُ جِدٌّ

- قال إيليا أبو ماضي مخاطبا رفقاءه شعراء المهجر:

والمَجْدُ حُلْمُكُمْ وَأَنْتُمْ نُومٌ

وَصَدْرْتُ عَنْ هَيْفِ الْخُدُودِ طَعِينًا

فَإِنَّ مَنْ بَدَأَ الْمَاسَاةَ.. يُنْهِئَهَا

وَإِنَّ مَنْ أَشْعَلَ النَّيِّرَانَ.. يُطْفِئُهَا

وَكُنْتُ لَنَا الْمُعِينِ فَلَا مُعِينُ

المَجْدُ مَطْلَأُكُمْ وَأَنْتُمْ سُهْدٌ

- قال أحمد شوقي:

فَلَكُمْ رَجَعْتُ مِنَ الْأَسِنَّةِ سَالِمًا

- قال نزار قباني:

أَنَا أَحِبُّكَ حَاوِلٌ أَنْ تُسَاعِدَنِي

وَإِنَّ مَنْ فَتَحَ الْأَبْوَابَ.. يُغْلِقُهَا

- قال إيليا أبو ماضي في الرثاء:

وَكُنْتُ لَنَا الرَّجَاءَ فَلَا رَجَاءَ

## المُشَاكَلَة

**المشاكلة لغة:** هي المُشَابَهَةُ والمُمَاتَلَة، "يُقَالُ: تَشَاكَلَ الشَّيْئَانِ، وَشَاكَلَ كُلُّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ: صَارَ شَبِيهًا لَهُ وَمَثِيلًا"<sup>1</sup>.

**المشاكلة اصطلاحاً:** هي ذِكْرُ الشَّيْءِ بِلَفْظٍ غَيْرِهِ، لَوْقُوعِهِ فِي صُحْبَتِهِ، أَيْ لِمَجِيئِهِ مَعَهُ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ.<sup>2</sup>

### شواهد المشاكلة:

- قال نزار قباني:

أَنَا مُتَعَبٌ، وَدَفَاتِرِي تَعَبَتْ مَعِي هَلْ لِلدَّفَاتِرِ يَا ثَرَى أَغْصَابُ؟

ليس للدفاتر أغصاب، وهي لا تتعب، ولكن الشاعر أتى بعبارة: (دَفَاتِرِي تَعَبَتْ) على شاكلة: (أنا مُتَعَب) لَوْقُوعِهَا فِي صُحْبَتِهَا، أَيْ فِي سِيَاقِهَا.

- وقال أيضاً:

تَسْتَطِيعُ بِنْرِ النَّفْطِ

أَنْ تَضَخَّ عَشْرَةَ مَلَايِينِ بِرْمِيلٍ يَوْمِيًّا

ولكنها، لا تستطيع أن تضخَّ

مُنْتَبِيًّا وَاحِدًا.

فالشاعر وضع عبارة (تضخَّ منتبياً)، من أجل المشاكلة، وذلك لوقوعها في صحبة (بئر النفط).

- وقال على شاكلة المثال التقليدي للمشاكلة (اطبخوا لي جبنة وقميصاً):

اشْتَرَوْا لِي

وَرَقًا أَخْضَرَ مَصْفُورًا كَأَغْشَابِ الرَّبِيعِ

وَمِدَادًا وَمَطَابَعٍ

وَحَلُّوْهَا أَمَامِي

وَاطْبُخُوا لِي شَاعِرًا

وَاجْعَلُوهُ بَيْنَ أَطْبَاقِ طَعَامِي.

فالشاعر قد عبّر بلفظ (اطبخوا)، ليشاكل به التركيب (أطباق طعامي)، لوقوعه معه في سياق الكلام.

- قال محمود غنيم في وصف فلاح أمي:

هُوَ لَا يِرْتَقِي الْمَنَابِرَ، لَكِنْ فَأَسُهُ فِي الثَّرَى تُجِيدُ الْخَطَابَةَ

الشاعر يريد القول إنَّ الفلاح ما هو بعالمٍ في المخابر، ولا هو بخطيبٍ في المنابر، إلا أنه عالمٌ بأسرار

وأبجديات مهنته، فوظف عبارة (فأسه تجيد الخطابة) لوقوعها في صحبة (هو لا يرتقي المنابر).

<sup>1</sup> الفنون البيديعية فوزي السيد عبد ربه عيد ص 138.

<sup>2</sup> دراسات في علم البيديع ص 48.

- قال محمد الأخضر السائحي:

إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ شَابَتْ طِبَاعُهُ      وَجَفَّ شَعُورٌ عِنْدَهُ مُتْلَهُبٌ

فشاعرنا كما ترى قد استعمل عبارة (شابت طباعه) لوقوعها في صحبة (شاب رأس المرء).

- قال الشاعر القروي في واحدة من روائع الشعر العربي:

فَبَعْضُ النَّاسِ يُدْفَنُ فِي تُرَابٍ      وَبَعْضُ النَّاسِ يُدْفَنُ فِي الْكُبُودِ

فالشاعر يريد القول إن بعض الناس حتى وإن ماتوا يبقوا أحياء، يذكرهم القلب، ولا تنساهم الجوارح، لكنه عبّر بجملته (يدفن في الكبود) لوقوعها في سياق (يدفن في تراب).

- وقال القروي في قصيدة "السمة الشاكرة":

لَا تَقْرَبِي بَرًّا فَكَمْ حُوتٍ بِهِ      تَعْنُو لَهُ حَيْثَانُ بَحْرِكِ فَاتَّقِي

الشاعر ينصح السمة، ويقول لها: لا تقربي البرّ، فكم في البرّ من أشرار، لكنه عبّر عن الأشرار بكلمة (حوت)، لوقوعها في سياق (حيثان بحرك).

- وقال الشاعر القروي يهجو الأغنياء الذين يكّدسون الأموال:

وَدَدْتُ مَلَايِيئَكُمْ لَوْ كُنْتُ سَيِّدَهَا      كَيْمًا تُحَرَّرَ مِنْ رِقِّ الصَّنَادِيقِ

فالشاعر يريد (كيما تنفق)، فوضع (تحرّر من رِقِّ الصناديق) لوقوعها في صحبة (سيدها).

- قال علي الجارم:

أَسَاءُوا إِلَى الْأَسْيَافِ حَتَّى تَحَطَّمَتْ      وَمَا مَرَّةً لِلْمُسْتَجِيرِ أَسَاءُوا

فعبّر بلفظ (أساءوا إلى الأسياف) ليشاكل (أساءوا للمستجير).

- وقال علي الجارم في قصيدة "الشريد":

مُشَرَّدٌ يَأْوِي إِلَى هَمِّهِ      إِذَا أَوَى الطَّيْرُ إِلَى وَكْرِهِ

فالشاعر عبّر بلفظ (يأوي)، وذلك لوقوعه في سياق (أوى الطير إلى وكره).

- قال معروف الرصافي في المدراس:

وَاسْقُوا الْمُتَلَمِّذَ فِيهَا خَمْرَ مَكْرَمَةٍ      عَنِ خَمْرَةِ الْكِرْمِ تُمْسِي عِنْدَهُ بَدَلًا

فالشاعر قد أتى بعبارة (خمر مكرمة) لثمائل وتشاكل عبارة (خمر الكرم) لوقوعها في صحبتها.

- وأجمل منه قول محمد العيد آل خليفة في الشاعر أبي القاسم خمار:

أَبَا قَاسِمٍ مِنْ خَمْرَةِ الشُّعْرِ فَاسْقِنِي      فَأَنْتِ بِهَا لَا خَمْرَةَ الْكِرْمِ خَمَّارٌ

- قال مصطفى صادق الرافعي في الشباب: "يقولون: إن في شباب العرب شيخوخة الهمم والعزائم، وإن

الشباب منهم يكون رجلاً، ورجولة جسمه تحنّج على طفولة أعماله". فالكاتب وضع كلمة (شيخوخة)، لتشاكل

كلمة (شباب)، ووضع كلمة (طفولة)، ليشاكل بها كلمة (رجولة).

- وقال في قصة "اليتيمين": "أَمَامَ عَتَبَةِ الْبَنكِ نَامَتِ الْأَخْتُ الْكُبْرَى، وَيَدُهَا مُرْسَلَةٌ عَلَى أُخِيهَا، كَيْدِ الْأُمِّ عَلَى طِفْلِهَا، يَا إِلَهِي! نَامَتِ وَيَدُهَا مُسْتَقِيظَةٌ!"، فالكاتب عبّر بكلمة (مستيقظة)، ليشاكل بها كلمة (نامت).

- قال توفيق الحكيم: "يَقُولُ الْمَثَلُ الصِّينِيُّ: "بَدَلْ أَنْ تُعْطِيَ أَحَدَهُمْ سَمَكَةً، عَلَّمَهُ كَيْفَ يَصْطَادُ"، كَذَلِكَ الْحَالُ إِذَا كَانَ التَّعْلِيمُ هُوَ إِعْطَاءُ تَفْكِيرِ الْغَيْرِ فَقَطْ، أَمَا إِذَا كَانَ الْمُتَعَلِّمُ يَصْطَادُ بِنَفْسِهِ الْفِكْرَ، وَيُنْتِجُ التَّفْكِيرَ، فَإِنَّهُ يُصْبِحُ مُنْتِجًا، وَيَدْخُلُ فِي نِطَاقِ الْحَضَارَةِ الْمُنتِجَةِ، وَلَيْسَ الْحَضَارَةُ الْمُسْتَهْلِكَةُ".

فالكاتب قد ذكر (اصطياد الفكر)، ليشاكل بها (اصطياد السمك)، لوقوعها معها في سياق الكلام.

- قال شوقي مُهَنِّئًا إِسْمَاعِيلَ صَبْرِي عَلَى نَجَاتِهِ مِنْ حَادِثَةِ قَطَارٍ:

فَقُلْ لِي عَنْ رُضُوضِكَ كَيْفَ أُمَسْتَ؟ فَقَائِبِي فِي رُضُوضِ مُؤَلِّمَاتِ

فالشاعر يقصد أنّ قلبه متألم من الحادثة، فعبر بلفظ (رُضُوض) ليشاكل بها لفظ (رضوضك).

- ولأحمد شوقي في الرثاء:

مَتَى صِرْتَ يَا بَحْرُ غَمَدِ السُّيُوفِ وَكُنَّا عَهْدُنَاكَ غِمْدَ السُّفُنِ؟

فالشاعر وضع عبارة (غمد السفن)، لتشاكل (غمد السيوف)، لوقوعها في صحبتها.

- قال ناصيف اليازجي مُخَاطِبًا لَيْلَةَ الْعِيدِ:

وَيْلٌ لَنَا مِنْكَ قَدْ هَيَّمْتَنَا طَرْبًا مِنْ رَنَّةِ النَّوْحِ لَا مِنْ رَنَّةِ الْعُودِ

فالشاعر وضع عبارة (رَنَّةِ النَّوْحِ)، ليشاكل بها (رَنَّةِ الْعُودِ)، وذلك لمجيئها معها في سياق واحد.

- قال ميخائيل نعيمة: "أَسْتُ أَخْجَلُ بِالشَّرْقِ فَارِعَ الْجَيْبِ، ضَامِرَ الْبَطْنِ، وَأَخْجَلُ بِهِ فَارِعَ الْقَلْبِ ضَامِرَ الْإِيمَانِ، أَسْتُ أَخْجَلُ بِالشَّرْقِ يَأْكُلُ خُبْزَهُ عَلَى صِيْنِيَّةٍ ضَوْرَتْهَا يَدُهُ مِنْ سَنَابِلِ أَنْبَتِهَا تُرْبَتُهُ، وَأَخْجَلُ بِهِ يَحْتَسِي الْهَوَانَ بِمَلَاعِقِ الْجُشَعَاءِ عَلَى مَوَائِدِ الْجُشَعَاءِ".

فالكاتب كما ترى وضع عبارة (فارغ القلب، ضامر الإيمان)، لوقوعها في صحبة (فارغ الجيب، ضامر

البطن)، ووضع لفظ (يحتسي)، ليشاكل به لفظ (يأكل).

- ومن روائع حكيم ميخائيل نعيمة: "عَجِبْتُ لِمَنْ يَغْسِلُ وَجْهَهُ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَلَا يَغْسِلُ قَلْبَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي السَّنَةِ". فالكاتب يريد: (طهارة القلب)، فوضع (يغسل قلبه)، لتشاكل عبارة (يغسل وجهه).

- قال أحد أدباء العصر الحديث: "قَدِيمًا كَانَ النَّوْمُ سَهْلًا: بِمَجَرَّدِ أَنْ يَنْطَفِئَ الضَّوْءُ، يَحْضُرُ النَّوْمُ، أَمَا الْآنَ فُكْلَمَا أَطْفَأْنَا الْأَنْوَارَ لَكِي نَنَامَ، أَوْ قَدَّ التَّفْكِيرُ شَمُوعَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ". فالكاتب يقصد أنّ الأرق قد استبدّ بالإنسان في العصر الحديث، فجاء بعبارة (أوقد التفكير شموعه)، لوقوعها في صحبة (أطفأنا الأنوار).

- قال الشاعر:

النَّاسُ تَلْهُو بِصَارُوخِ وَطَائِرَةِ وَنَحْنُ نَلْهُو بِأَوْتَارِ وَعِيدَانِ

والمقصود أنّ الغرب يهتم بصناعة الصواريخ والطائرات، لكنّ الشاعر عبّر بلفظ (تلهو)، لوقوعه في

صحبة: (تلهو بأوتار وعيدان).

- ومن طرائف المشاكلة أن أعرابياً دخلَ قَرْيَةً فَهَاجَمَتْهُ كِلَابُهَا، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ حَجْرًا مِنَ الْأَرْضِ، فَاسْتَعَصَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: "لَعَنَ اللَّهُ أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ، يُطْلِقُونَ الْكِلَابَ، وَيَرْبِطُونَ الْحِجَارَةَ!".

### بلاغة المشاكلة:

"للمشاكلة أثر في بلاغة الكلام، وسموه، ورفعته"<sup>1</sup>، فهي كما رأينا في أمثلتها تبرز سلطان الألفاظ في سياق الكلام، وهي تخلع على النظم والنثر ثوب الرونق، وتكسبه الروعة إذا اتّسمت - كغيرها من أنواع البديع- بسمتي الطبع القوي، والفطرة الجياشة، وذلك حين يحرص الأديب على المعنى، أما إذا كانت متكلفة، يقصدها الأديب في ذاتها، مضحياً بالمعنى في سبيلها، فإنها تذهب رونق الكلام، وتطمس محاسنه. وهناك صفة يجب إبرازها في بلاغة المشاكلة، وهي ترشيحها بألوان أخرى من البيان والبديع، كالاستعارة، والكناية، والجناس، والطباق، وغيرها، وسأستعرض معك بيان ذلك ممّا سبق من أمثلة المشاكلة:

فلو تأملت قول نزار قباني:

أَنَا مُتْعَبٌ، وَدَفَاتِرِي تَعِبَتْ مَعِي      هَلْ لِلدَّفَاتِرِ يَا ثَرَى أُعْصَابُ؟

تجد الشاعر قد رشح المشاكلة بالاستعارة المكنية، والأمر نفسه حدث في جميع شواهد نزار، وغالبية الشواهد التي استعرضناها في التحليل.

وأما في قول الرصافي:

وَاسْفُوا الْمُتْلَمَدَ فِيهَا حَمْرَ مَكْرَمَةٍ      عَنْ حَمْرَةِ الْكِرْمِ تُمْسِي عِنْدَهُ بَدَلًا

ترشيحٌ للمشاكلة بالجناس، وترشيحها بالطباق حاصل في قول شوقي:

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْقُلُوبِ كَثِيرَةٌ      وَوَجَدْتُ شُجْعَانَ الْعُقُولِ قَلِيلًا

وفي قول أحمد شوقي:

فَقُلْ لِي عَنْ رُضُوضِكَ كَيْفَ أُمَسْتُ؟      فَقَابِي فِي رُضُوضِ مُؤَلِمَاتِ

ترشيح للمشاكلة بالكناية.

ممّا سبق نستطيع القول إنَّ المشاكلة تُكسب الأسلوبَ جمالا، نفتقده إذا ما ذكر اللفظ الحقيقي وحده، بينما يزداد هذا الجمال إشراقا حين تُصاحب المشاكلة صورةً بيانية، أو لوناً بديعيا ما.

**تدريب:** ابحث عن المشاكلة، وبيّن قيمتها الجمالية فيما يأتي:

- قال توفيق الحكيم: "إنَّ الغَدَاءَ العَقْلِيَّ لِلجِنْسِ البَشَرِيِّ إِنَّمَا يُعَدُّ الآنَ إِعْدَادًا فِي مَطَابِخِ الصُّحُفِ، فَالصَّحِيفَةُ المِثَالِيَّةُ فِي نَظْرِي مَائِدَةٌ يَجِبُ أَنْ تُكُونَ حَافِلَةً بِكُلِّ أَنْوَاعِ الفَيْتَامِينَاتِ، يَتَنَاوَلُ القَارِئُ مِنْهَا مَا يُنَمِّي اطلّاعه، وَيُقَوِّي عَضَلَاتِهِ المُفَكِّرَةَ".

<sup>1</sup> الفنون البديعية ص 152.

- قال ميخائيل نعيمة: "أما رأيت عنكبوتًا تنسج من لعابها شبكة عجيبة الصنع والهندسة؟ إن كل خيط من خيوط تلك الشبكة هو درب للعنكبوت إلى الفريسة التي تستعين بها على الحياة، ولو تأملت العنكبب البشرية لوجدتها هي كذلك تنسج شباكًا من الدروب العجيبة الصنع والهندسة، لتصطاد بها لذة البقاء".

- قال المنفلوطي في رثاء ابنه، بعدما نفض يديه من تراب قبره: "إن قارورة المنيّة التي كان يحملها لك القدر في يده لم تكن أمرًا مذاقًا في فمك من قارورة الدواء التي كنت تحملها لك في يدي".

- وقال أيضا: "أخس الناس طبعا رجلا لا يحسن إلى نفسه، ولا إلى غيره، وهو البخيل الأحمق، الذي يجبع بطنه، ليثبع صدوقه".

- قال نزار قباني: "كنت أول من أعلن تأميم الشعر قبل أن يؤمم جمال عبد الناصر قناة السويس".

- قيل: "الصامثون يعانون من شيء واحد، هو ترثرة عقولهم".

- قال معروف الرصافي:

تَحْسُو النَّفُوسَ وَتَأْكُلُ الْأَمْوَالَ

مَا أَجْشَعَ الْحَرْبَ الضَّرُوسَ، فَإِنَّهَا

- وقال الرصافي:

رُبَاهَا وَصَارَتْ تُنْبِتُ الْعِزَّ لَا الْعُشْبَا

فَكُلُّ بِلَادٍ جَادَهَا الْعِلْمُ أَمْرَعَتْ

- قال شوقي يصف ريجا هبت على جيش العدو:

وَالْتَلَّجُ فِي فَمِّ الْأَجْبَالِ لَمْ يَدْبِ

هَبَّتْ عَلَيْهِمْ فَدَابُّوا عَنْ مَعَاقِلِهِمْ

طَارُوا بِأَجْنَحَةٍ شَتَّى مِنْ الرُّعْبِ

لَمَّا صَدَعَتْ جَنَاحِيهِمْ وَقَلْبُهُمْ

- وقال شوقي:

وَشَجَاعُ رَأْيِي فِي وَغَى الْأَفْكَارِ

وَالْبَاسِلَانِ: شَجَاعُ قَلْبِي فِي الْوَعَى

- ولشوقي في الرثاء:

يَجِدُ ظُلْمَ الْمَنِيَّةِ عِبْقَرِيًّا

وَمَنْ يُفْجَعُ بِحُرِّ عِبْقَرِيٍّ

- قال حافظ إبراهيم في الرثاء:

تَحِفُّ الرِّيَاضُ وَيَذْوِي الزَّهْرُ

أَوَّلَ يَوْمٍ لِعَهْدِ الرِّبِيِّعِ

وَيُفْقِرُ رَوْضُ الْقَوَافِي الْعُرْرُ؟

وَيَذْبُلُ زَهْرُ الْقَرِيضِ الثَّرِيِّ

وَيُغْلِي جَمَانُ بَنَاتِ الْفَكَرِ

يَقُولُ فَيُرْخِصُ دُرَّ النَّحُورِ

- وقال حافظ مادحا:

سُلِّ مِنْ غَمْدِ النَّهْيِ فَلَّ الْحَسَامَا

جَرِدِ الرَّأْيِ فَكَمْ رَأْيٍ إِذَا

- قال إيليا أبو ماضي:

سَأَمِنْ مَحَارِبِ نَفْسِهِ أَوْ أَشْجَعِ

لَيْسَ الْمَحَارِبُ فِي الْوَعَى بِأَشَدَّ بَأْ

- قال الشاعر القروي مخاطبا أمريكا:

بَلْ أَرْسَلُوا الْعِزَّ إِنَّ الْعِزَّ مُمْتَنِعٌ

لَا تُرْسَلُوا الْخُبْزَ لَيْسَ الْخُبْزُ مُمْتَنِعًا

- وقال في التَّنْكَ (الدَّبابَة) واصفا إحدى المعارك:

وَحَرَ النَّنُّكَ تَحْتَهُمْ وَصَرِيْعًا

فَحَرَ الْجُنْدُ فَوْقَ النَّنِّكَ صَرَعِي

- وقال بمناسبة عيد الفطر حين تعرض لبنان المستعبد للمجاعة:

وَصَمْتًا إِلَى أَنْ يَصْدَحَ الْحَقُّ يَا فَمِي

صِيَامًا إِلَى أَنْ يُفْطِرَ السَّيْفُ بِالْدَمِّ

- قال محمود سامي البارودي في مدح الخديوي توفيق:

سِنَّةَ الرُّقَادِ فَقَلْبُهُ لَمْ يَرْقُدِ

يَقْظُ الْبَصِيرَةَ لَوْ سَرَتْ فِي عَيْنِهِ

- قال إبراهيم اليازجي:

لَكِنْ كَمَالُ الْفَنَى بِالشَّيْبِ فِي الْخُلُقِ

فَمَا كَمَالُ الْفَنَى بِالشَّيْبِ فِي شَعْرِ

## تشابه الأَطْرَافِ

**تشابه الأَطْرَافِ:** ويُسمَّى كذلك **التَّعَانُقِ**، وهو أن يُؤْتَى بِأَخْرِ الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ مِنَ الْكَلَامِ، أَوْ بِأَخْرِ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ، أَوْ بِأَخْرِ الْبَيْتِ، فَيُجْعَلُ بَدْءاً لِلْكَلامِ اللاحقِ، "قال المدني: تشابه الأَطْرَافِ عِبَارَةٌ عَنْ أَنْ يُعِيدَ الشَّاعِرُ لُفْظَةَ الْقَافِيَةِ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهَا، فَتَكُونُ الْأَطْرَافُ مُتَشَابِهَةً."<sup>1</sup> ومن رَوَائِعِ هَذَا الْفَنِّ الْبَدِيعِيِّ قَوْلُ الشَّاعِرِ الْجَزَائِرِيِّ صَالِحِ خَرْفِي مُخَاطَبًا فَرَنْسَا:

قَدْ تَزُولُ الْجِبَالُ عَنْ مَوْجِ الْأَقْفِ      دَامَ مِنَّا، وَنَحْنُ فِي الْحَرْبِ نَحْنُ  
نَحْنُ شَعْبٌ لَا نَعْرِفُ الْيَأْسَ، إِيْمَا      نُنْ قَـسْوِيٌّ وَخَطَايِرُ مُطَمِّنٌ

فالشاعر قد أتى بأخر البيت، أي بكلمة (نحن)، وجعلها بدايةً للكلام اللاحق، أي بدايةً للبيت الذي يليه.

ومن بدائعه قول خليل مطران في رثاء إبراهيم اليازجي:

رَبِّ الْبَيِّنَانِ وَسَيِّدِ الْقَلَمِ      وَقِيَّتِ قِسْطِكَ لِلْعُلَا فَتَمِ  
نَمُ عَنْ مَتَاعِهَا الْجِسَامِ وَدُرِّ      آلَمَهَا غُنْمًا لِمُعْتَمِنِ

لعلك لاحظت أن الشاعر ختم بيته الأول بكلمة (نم)، وهي الكلمة نفسها التي كانت مطلع البيت اللاحق،

وبذلك تشابهت الأَطْرَافِ.

ومن روائعه أيضا قول الشاعر في مدح الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَحَابَتِهِ:

بِهِمْ تَشَابُهُ أَطْرَافٍ حَلَّتْ بِهِمْ      بِهِمْ أَهِيْمٌ وَلَوْ طَالَ الْمَدَى بِهِمْ

فالشاعر كما ترى قد أتى بأخر الشطر الأول، أي بكلمة (بِهِمْ)، وجعلها بدايةً للكلام اللاحق، أي جعلها بدايةً

للشطر الثاني.

**أقسامه:** ينقسم تشابه الأَطْرَافِ إلى قسمين:

**أ/** أَنْ يَنْظُرَ الشَّاعِرُ، أَوْ النَّائِرُ إِلَى لُفْظَةٍ وَقَعَتْ فِي آخِرِ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ، أَوْ آخِرِ الْجُمْلَةِ، فَيَبْدَأُ بِهَا الشُّطْرَ الثَّانِي،

أَوْ الْجُمْلَةَ التَّالِيَةَ.

ومنه قول إبيليا أبي ماضي:

لَا تَسْأَلُونِي الْيَوْمَ عَنْ قِيَّارَتِي      قِيَّارَتِي خَشَبٌ بِأَلَا أَنْعَامِ

ومنه قول محمود غنيم مخاطبًا نفسه بعد أن أهداه صديقُه قَدَاحَ (ولاعة) ثمينة:

قَدَّاحَةٌ جَاءَتْكَ مِنْ قَدَّاحِ      قَدَّاحِ زَنْدِ الْمَجْدِ وَالسَّمَّاحِ

ومنه قول البارودي:

يَلُومُونِي عَلَى كَأْفِي بِلْيَأِي      وَلْيَأِي فِي سَمَاءِ الْحُسْنِ بَدْرُ

ومن بديعه قول الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة في مدح الشفيح:

<sup>1</sup> المعجم المفصل في علوم البلاغة الدكتوراة إنعام نوال عكاوي ص 321. 322.

فَمَقَامُهُ فَوْقَ السُّهَى وَالْفَرْقِدِ

تَتَقَاصِرُ الْأُمَّتَالُ دُونَ مَقَامِهِ

ومنه أيضا قول الشاعر الجزائري أبي القاسم خمار:

نَشِيدُ جَمِيدٍ لِعَهْدٍ مَجِيدِ

لَقَدْ هَزَنِي مِنْ رُبُوعِي نَشِيدُ

ومنه قول الشاعر في بديعته مع تسمية النوع:

أَعْمُ بِبَحْرِ قَابِدِي جَوْهَرَ الْكَلِمِ

شَابَهْتُ أَطْرَافَ نَظْمِي حَيْثُمَا أَعْمُ

ومنه قول فوزي المعلوف في قصيدة "حنين المهاجر":

وَادِي الْهَوَى وَالْحُسْنِ وَالشَّعْرِ

وَاطُولِ أَشْوَاقِي إِلَى الْوَادِي

ومن بدائع هذا النوع قول الله تعالى في سورة النور:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ

يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ<sup>1</sup>.

**ب/** أن يُعيد الشاعر لفظة القافية من بيت ما، فيجعلها في أول البيت الذي يليه، ومنه قول الشاعر بشارة

الخوري (الأخطل الصغير):

عَشْتِ يَا لَيْلُ: أَلَا فَا نَسَدِلِ

أَعَشَقُ اللَّيْلَ وَمَا لِي وَالضُّحَى

يَا لَطْرَفِ بِالشَّقَا مُكْتَحِلِ

أَنْسَدِلِ تَحْجُبَ عَنِ الطَّرْفِ الشَّقَا

فالشاعر قد أعاد لفظة "أنسدل" من البيت الأول، وجعلها في أول البيت الذي يليه.

ومنه قول محمود سامي البارودي:

تَسَاقَطُ نَفْسِي إِثْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى

لِنَفْسِي كِرَامِ النَّاسِ مَا لَمْ تُقَاتِلِ

قَبَائِلَ أَفْتَنَهَا الْحُرُوبُ وَلَمْ تَكُنْ

لاحظ أن الشاعر أعاد لفظة (القبائل)، وجعلها في بداية البيت الموالي.

ومنه قول حافظ إبراهيم عن اليابان:

إِنَّهَا تَحْتَلُّ أَبْرَاجَ الْهَمِّمْ

فَأَسْأَلُوا عَنْهَا التَّرِيَّا لَا النَّرَى

أَنْبِلِ الْغَايَاتِ لَا تَذْرِي السَّامِمْ

هَمِّمْ يَمْتَشِي بِهَا الْعِلْمُ إِلَى

فالشاعر كما رأيت قد أعاد لفظة (الهمم) من البيت الأول، وجعلها في أول البيت الموالي.

ونقول مثل ذلك في قول حافظ:

يُزْعَجُ الدُّنْيَا إِذَا الْأَسْطُولُ عَامَا

كَمْ سَمِعْنَا عَلَى لِسَانِ الْبَرْقِ مَا

هُوَّةٌ فِيهَا الْمَلَايِينُ تَرَامَى

عَامَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى

ومنه قول معروف الرصافي في حوار الأم الأرملة مع ولدها اليتيم حين سأل عن أبيه:

<sup>1</sup> النور 35.

فَأَنْتَ الَّذِي أَخْرَجْتَ أُمَّكَ مَرْيَمًا  
عَنِ الْمَوْتِ أَنْ يُودِيَ بِأُمَّكَ مَرْيَمَ  
أَمْرِيْمٍ مَهْلًا بَعْضَ مَا تَذْكُرِيْنَهُ  
فَأَنْتَ تَرْمِيْنَ الْفُؤَادَ بِأَسْمِهِمْ  
- ومنه قول محمود غنيم:

وَقَفَّيْتُ أَبَارِكُ أَعْيَادَهَا  
وَأَتْلُو عَلَى الْكَوْنِ أَمْجَادَهَا  
فَأَمْجَادُ مِصْرٍ تَهْزُ الْوُجُودَ  
وَيَسْتَتَعِزُّبُ الدَّهْرُ إِنْشَادَهَا

ومنه أيضا قول صفي الدين الحلي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

قَالُوا أَلَمْ تَدْرِ أَنَّ الْحُبَّ غَايَتُهُ  
لَمْ أَدْرِ قَبْلَ هَوَاهُمْ وَالْهَوَى حَرَمٌ  
سَأَلْتُ الْخَوَاطِرَ وَالْأَلْبَابَ قُلْتُ لِمَ  
أَنَّ الطَّبَاءَ نُحِلُّ الصَّيْدَ فِي الْحَرَمِ

وقد اجتمع القسمان في (سينية) الشاعر الجزائري محمد جربوع:

بِالسِّينِ يَا (سِتِّ النَّسَا) بِالسِّينِ  
وَلْتَسْأَلِي سَلْمَى وَسَمْرًا هَلْ رَسَتْ  
بِالسِّينِ أَرْسُمُ لِمَسَاةِ النَّسْرِيْنَ  
فِي سَاحِلِ سُفْنِي سِوَى مَيْسُونِ؟  
فِي سَهْرَةٍ، وَبِبِسْمَةٍ تُنْسِيْنِي  
مَيْسُونُ أَحْسَنُ مَنْ تَوَسَّدَ سَاعِدًا

ومن تشابه الأطراف ما يُسمى اقتباس الركايز، وهو أن يُؤتى من الجملة السابقة ما يُتخذ ركيزة في بناء الجملة اللاحقة، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾<sup>1</sup> ففي هذا النص القرآني أخذت الركيزة من جملة "ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ"، وهي كلمة "نُطْفَةً"، وبيّنت عليها الجملة التي بعدها، وهي: "ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً"، وأخذت الركيزة من هذه الجملة، وهي كلمة "عَلَقَةً"، وبيّنت عليها الجملة التي بعدها، وهي: "فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً"، ثم أخذت الركيزة من هذه الجملة، وهي كلمة "مُضْغَةً"، وبيّنت عليها الجملة التي بعدها، وهي: "فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا"، ثم أخذت الركيزة من هذه الجملة، وهي كلمة "عِظَامًا"، وبيّنت عليها الجملة التي بعدها، وهي: "فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا"، وهكذا تعانق النص باقتباس الركايز، والبناء عليها.

ومنه قول فوزي المعلوف:

إِنَّ جِسْمِي عَبْدٌ لِعَقْلِي وَعَقْلِي  
وَشُعُورِي عَبْدٌ لِحِسِّي وَحِسِّي  
عَبْدُ قَلْبِي وَالْقَلْبُ عَبْدُ شُعُورِهِ  
هُوَ عَبْدُ الْجَمَالِ يَحْيَا بِنُورِهِ

ومن النماذج الممتازة لتشابه الأطراف قول الشاعر الفلسطيني تميم البرغوثي:

عَفْوًا فَيُرَوِّزُ وَنَزَارًا  
أَجْرَاسُ الْعَوْدَةِ لَنْ تُقْرَعُ

<sup>1</sup> المؤمنون 14.13.12.

مِنْ أَيْنَ الْعَوْدَةَ إِخْوَتْنَا  
وَالْعَوْدَةَ تَحْتَاجُ لِإِصْبَعٍ  
وَالْإِصْبَعُ يَحْتَاجُ لِكَفِّ  
وَالْكَفُّ يَحْتَاجُ لِأَذْرُعٍ  
وَالْأَذْرُعُ يَلْزِمُهَا جِسْمٌ  
وَالْجِسْمُ يَلْزِمُهُ مَوْقِعٌ  
وَالْمَوْقِعُ يَحْتَاجُ لِشَعْبٍ  
وَالشَّعْبُ يَحْتَاجُ لِمِدْفَعٍ.  
**بلاغة تشابه الأطراف:**

جاء في كتاب أنوار الربيع لابن معصوم: "في تشابه الأطراف دلالة على قوة عارضة الشاعر، وتصرفه في الكلام، وإطاعة الألفاظ له، ولا يخلو مع ذلك من حسن موقع في السمع والطبع، فإن معنى الشعر يرتبط ويتلاحم به، حتى كأن معنى البيتين، أو الثلاثة معنى واحد"<sup>1</sup>، ونقول إن جمالية هذا الفن البديعي ترجع إلى تماسك أجزائه، وتلاحم ألفاظه، فتكرار اللفظ الذي انتهت به العبارة في مطلع العبارة اللاحقة يشير إلى تعانق مفردات النص، وكأن هذا النص بناء متراس، يشدُّ بعضه بعضاً.

**تدريب:** دُلَّ على تشابه الأطراف، وسمِّ نوعه ممَّا يأتي:

- قال إلياس فرحات مهنئاً الشعب الجزائري بثورة التحرير:

جزائر الرِّيحان يا أعْجوبة الزَّمان

يا قُبَّة المَجْدِ ويا قَاعِدَةَ الإيْمَانِ

إيْمَانٍ مَنْ يَسْقِي

مَزْرَعَةَ الحَقِّ

بِسَائِلِ مِنَ الدَّمِ

- قال إبراهيم ناجي:

حَطَمْتُ تَاجِي، وَهَدَّتْ مَعْبَدِي

وَيَحَهَا لَمْ تَدْرِ مَاذَا حَطَمْتُ

- قال معروف الرصافي:

إِذَا سَاءَ مَحْيَاهُمْ لَقُلْتُ المَعْلَمُ

قَلْبُ قَيْلٍ مَنْ يَسْتَنْهَضُ النَّاسَ لِلْعَلَا

يُدَاوِي سِقَامَ الجَهْلِ والجَهْلُ مُسْقَمُ

مُعْلَمُ أَبْنَاءِ البِلَادِ طَيِّبِيهِمْ

- وقال الرصافي في وصف الجرائد:

<sup>1</sup> أنوار الربيع في أنواع البديع ابن معصوم المجلد الثالث ص 50

أَرَى الْوَيْلَ كُلَّ الْوَيْلِ بَيْنَ الْجَرَائِدِ  
لَهَيْبِ خِلَافٍ بَيْنَهَا غَيْرَ خَامِدِ

وَآيَةٌ هَذَا الزَّمَانِ الصُّحُفُ

عَشْرَتُهَا لِي طَوِيلَةٌ الْأَمَدِ

قَلْبُ النَّبِيِّ كَفَأَةِ الْفَجْرِ النَّدِيِّ

خَلَسَتْ وَتَنَعَّمُوا بِدَرَاهِمِ الْإِيْتَامِ

وَحَفِيفُهُنَّ كَأَنَّه زَفَرَاتِي

فَحَيَاتُهُ مَعْدُودَةُ السَّاعَاتِ

وَطَوِيلٌ - لِمَنْ نُجِبُ - الْخَنِينُ

وَالدُّجَى إِنْ جُنَّتْ بِالصُّبْحِ اذْدَرَى

كِرْيَاضِكُمْ وَرِيَاضِكُمْ كَعَمَّانِ

لَا الْجَيْشُ يُفْرِعُهَا وَلَا الْأَسْطُورُ

حُجَّجُ الْفِصَاحِ وَحَرْبُنَا التَّنْذِيلُ

يَا مَرْحَبًا بِالْمُوثِقِ الْمُعْتِقِ

مُوثِقِ جِسْمِي فِي الْمَدَى الضَّيِّقِ

فَخَرُّ بِحُسْنِ إِتْدَاحٍ عِنْدَ كُلِّ فَمٍ

فَطَالَعُ أَرَاجِيفَ الْجَرَائِدِ إِنِّي  
جَرَائِدُ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ أَضْرَمْتُ

لِكُلِّ زَمَانٍ مَضَى آيَةٌ

لَا غَرَوْا إِنْ أَقْضِيَ حَقَّ عَشْرَتِهَا

فَأَقْرَأَ عَلَيْهِ فَسَوْفَ يَرْضَى قَلْبُهُ

مَلَكُوا دَنَائِيرَ الْأَرَامِلِ خَلَسَتْ

فَكَأَنَّهِنَّ إِذَا خَفَقْنَ جَوَانِحِي

زَفَرَاتٌ مَصْدُورٌ تَقَارِبَ يَوْمُهُ

أَوْقِدِي النَّارَ فَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ

إِنْ تَغَبَّ فَالصُّبْحُ عِنْدِي كَالدُّجَى

بَيَّرُوْتُكُمْ كَدِمَشْقِكُمْ وَدِمَشْقُكُمْ

عُزْلٌ وَلَكِنْ فِي الْجِهَادِ ضَرَاغِمُ

أَسْطُونَا الْحَقُّ الصُّرَاحُ وَجَيْشُنَا

الآن يَا مَمُوتُ إِلَيَّ اقْتَرِبْ

مُعْتِقِ نَفْسِي مِنْ قِيُودِ الْأَسَى

تَشَابَهُ الْحُسْنُ فِي أَطْرَافِهَا فَالَهَا

- وقال أحمد شوقي:

- قال محمود غنيم بعد تضييعه لساعة عزيزة على قلبه:

- قال الشاعر محمد جربوعة في قصيدة "برقية إلى كعب بن زهير":

- قال جبران خليل جبران في الذين اختلسوا أموال الأرامل واليتامى:

- قال يوسف غصوب في آخر أيامه يصف أوراق الخريف:

- قال نزار قباني مخاطبا دمشق:

- قال إيليا أبو ماضي مخاطبا القمر:

- قال الشاعر القروي مخاطبا العرب:

- قال حافظ إبراهيم:

- قال فوزي المعلوف:

- قال الشاعر في وصف قصيدته:

- فَمِي حَوَاهَا وَرَبُّ الْعَرْشِ يَحْفَظُهَا  
مِنْ جَاهِلٍ حَاسِدٍ أَوْ عَالِمٍ خَصِمٍ  
- قال ابن معصوم:
- تَشَابَهَتْ فِيهِمْ أَطْرَافٌ وَصَفَاهُمْ  
ووصفهم لم يطفئه ناطق بقم  
- قال الشاعر:
- شَابَهَتْ أَطْرَافَ مَدْحِي فِي صِفَاتِهِمْ  
صِفَاتُهُمْ سَامِيَاتُ الْمَجْدِ وَالشَّيْمِ  
- قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّعَاءِ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".
- قال الله تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرِّحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأُظَنُّهُ كَاذِبًا).<sup>1</sup>
- قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا، قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.<sup>2</sup>
- قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.<sup>3</sup>
- قال توفيق الحكيم: "الفنُّ في مظهره لعب، ولكنَّه في جوهره اكتشاف، اكتشاف الإنسان لحياته عن طريق الوجدان".
- قال طه حسين: "فالآدبُ كُلُّه حُرِّيَّة، حُرِّيَّةٌ حِينَ يُنْشِئُهُ الْكَاتِبُ، وَحُرِّيَّةٌ حِينَ يُبَيِّنُ الْقَارِئُ إِنْشَاءَهُ، فَالكَاتِبُ مُتَأَثِّرٌ، وَتَأَثَّرُهُ هَذَا وَسَبِيلُهُ إِلَى تَأْثِيرِهِ، وَالْقَارِئُ مُتَأَثِّرٌ، وَتَأَثَّرُهُ هَذَا وَسَبِيلُهُ إِلَى تَأْثِيرِهِ أَيْضًا".

<sup>1</sup> غافر 13.

<sup>2</sup> الإنسان 16.15.

<sup>3</sup> العلق 02.01.

## التَّوْرِيَّة

**تعريف التَّوْرِيَّة لغة:** "التَّوْرِيَّةُ فِي اللَّغَةِ مَصْدَرٌ وَرَى، يُقَالُ وَرَى الْحَدِيثَ، إِذَا أَخْفَاهُ، وَأُظْهِرَ غَيْرَهُ، وَوَرَيْتُ الْخَبْرَ، جَعَلْتُهُ وَرَائِي، وَسَتَرْتُهُ، وَأُظْهِرْتُ غَيْرَهُ، وَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَجْعَلُهُ وَرَاءَهُ، بِحَيْثُ لَا يَظْهَرُ"<sup>1</sup>.

ومن هذا المعنى قول الله تعالى: (فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)<sup>2</sup>.

**التَّوْرِيَّة اصطلاحاً:** "أما في عَرَفِ الْبَلَاغِيِّينَ فَإِنَّ مَعْنَاهَا أَنْ يُذَكَّرَ لَفْظٌ لَهُ مَعْنَيَانِ، أَحَدُهُمَا قَرِيبٌ، يَتَّبَادَرُ مَعْنَاهُ إِلَى الذَّهْنِ، وَالْآخَرُ بَعِيدٌ، بِدَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَيْهِ خَفِيَّةٌ، وَالْمُرَادُ هُوَ الْبَعِيدُ مِنْهُمَا، وَقَدْ وَرَى عَنْهُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْمَعْنَى الْقَرِيبِ، فَيَتَوَهَّمُ السَّامِعُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ أَنْ الْمُتَكَلِّمَ يُرِيدُهُ، وَهُوَ لَيْسَ بِمُرَادٍ لَهُ"<sup>3</sup>.

ومن بدائع التورية قول علي الجارم مخاطباً جماعة الشعراء:

أرسل الصَّوْتُ رَنَةً تَمَلُّ الدُّنَى      يَا وَتَبَقَى عَلَى الزَّمَانِ خُلُودًا  
لَا تَبَالِ الْفَيْوَدُ مِنْ فَاعِلَاتِنُ      أَنْتَ أَحْرَى بِأَنْ تُنْزِلَ الْفَيْوَدَا  
سِرٌّ خَفِيًّا مَعَ النَّسَائِمِ وَابْعَثْ      نَفْسًا يَمَلُّ الْفَضَاءَ مَدِيدًا

الشاعر ذكر لفظه (خفيفاً)، ولهذه اللفظة معنيان: أحدهما قريب، وهو أحد بحور الشعر، والقصيدة من هذا البحر، وهو معنى غير مقصود، رغم أن الشاعر ذكر ما يلائم هذا المعنى، وهو لفظ (فاعلاتن)، أما المعنى البعيد المقصود فهو صفة الخفة. كما ذكر لفظ (مديداً)، وله معنيان أيضاً: الأول قريب غير مُراد (أحد بحور الشعر)، والثاني بعيد مُراد، وهو صفة للنفس، أي نفساً ممدوداً وطويلاً.

وقال علي الجارم عن نفسه في رثاء أحد أصدقائه:

نَظَمَ الدُّمُوعَ فُكُنَّ بَحْرًا كَامِلًا      وَأَقَامَ بِالزَّفَرَاتِ تَفْعِيَلَاتِهِ

الشاعر قد ذكر لفظ (كاملاً)، وله معنيان: الأول قريب يتبادر إلى الذهن، وهو بحر الكامل الخاص بعلم العروض، والقصيدة فعلاً من بحر الكامل، كما ذكر الشاعر لفظاً أراد الإيهام به وهو لفظ (تفعيلاته)، وهذا المعنى القريب ليس مراد الشاعر، بل المعنى البعيد المراد هو أن دموع الشاعر كانت بحراً كاملاً أي ممتلئاً.

ومن التورية اللطيفة قول علي الجارم في تهنئة الملك فؤاد:

وَاسْلَمْ لِمِصْرَ فَأَنْتَ أَنْتَ فُؤَادُهَا      وَحَيَاتُهَا وَأُبَابُهَا الْمُتَخَيَّرُ

لفظ (فؤاد) يحتمل معنيين، الأول: العقل، أو القلب، وهو غير مقصود، والثاني اسم الملك، وهو المعنى

المقصود.

<sup>1</sup> علم البديع الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ص 171.

<sup>2</sup> المائدة 31.

<sup>3</sup> الفنون البديعية ص 156.

وهاك مثالا طريفا آخر لا يخلو من فكاهاة ودعابة: دخل الشاعر محمد إمام العبد (وهو شاعر طبع على المرح)، على محمود سامي البارودي، فقال الحاضرون: هذا محمد إمام العبد قد أقبل، فقال البارودي مداعبا:

لا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ      إِنَّ الْعَبِيدَ لَأَنْجَاسٌ مَنَاقِبُهُ

فأجابه الشاعر محمد إمام العبد على البديهة:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ بِنِي أَبْقَى إِلَى زَمَنِ      يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودٌ

فالبارودي أنشد بيتا من قصيدة للمتنبى، ومحمد إمام العبد ردَّ بالبيت الذي يليه، نقول إن سامي قد ذكر لفظ (العبد)، وله معنيان: الأول قريبٌ غيرُ مقصود، وهو عكس الحرِّ، والثاني بعيدٌ مقصود، وهو لقبُ صديقه، والشاعر محمد إمام العبد ردَّ بلفظ (محمود)، وهو لفظ يحتمل معنيين أيضا: الأول قريب غير مُراد، وهو (مشكور)، والثاني بعيد مراد، وهو اسم الشاعر.

- قال محمود غنيم مداعبا صديقه (محمود الخفيف):

صَاحَ قَدْ جُعْتُ فَهَيْئِي      لِي كَبَابًا وَرَغِيفًا  
وَاسْـُقِنِي شَأْيًا ثَقِيلًا      قَبِّحْ اللَّهُ الْخَفِيفًا

ذكر الشاعر لفظ (الخفيف)، لكن أيَّ الخفيفين قصد؟ إنه لفظ يحتمل معنيين: الأول قريب لم يقصده الشاعر وهو عكس الثقل، رغم أنَّ الشاعر ذكر ما يلائم هذا المعنى، وهو لفظ (ثقيلا)، أما المعنى البعيد الذي أراده الشاعر فهو - من باب المداعبة - اسم صديقه.

- وقال محمود غنيم في شأن الشعر الحرِّ:

وَقَالُوا شِعْرُكُمْ عَبْدٌ      دَعَوْنَا نَأْتِ بِالْحُرِّ  
فَخَلَيْنَا الْمَجَالَ لَهُمْ      فَدَسُّوا الشَّعْرَ فِي الْقَبْرِ

الشاعر ذكر لفظ (الحرِّ)، وله معنيان: الأول قريب غير مقصود، وهو عكس العبد، والثاني بعيد مقصود وهو شعر التفعيلة.

- قال خليل مطران في وصف شعر الأديب رشيد نخلة:

إِذَا مَارَوْضَةُ الْأَدَابِ بَاهَتْ      بَعَالِي الدَّوْحِ بَاهِيْنَا بِنَخْلِهِ

يقول الشاعر إن روضة الشعر لو شاءت المباهاة بما تفخر به من جنَّات وأعنان باهيناها بالشجرة المباركة شجرة العرب، وسيدة الشجر: النخلة، والملاحظ أنَّ لفظة (نخلة) تحتمل معنيين: المعنى الأول قريب كما رأينا، وهو شجرة التمر، وهو المعنى غير المقصود، أما المعنى الثاني، فهو اسم الأديب (رشيد نخلة)، وهو مرادُّ الشاعر.

- قال إيليا أبو ماضي في هارون الرشيد:

النَّيْلُ خَادِمُهُ الْأَمِينُ، وَعَبْدُهُ      نَهْرُ الْفُرَاتِ، وَكُلُّ عَيْنٍ جَارِيَهُ

فالشاعر ذكر لفظ (جاريه)، وله معنيان: الأول قريب غير مقصود، وهو من الجريان، والثاني بعيد مقصود، وهو من العبودية، أي له كل عين أمة من الإماء.

- قال حافظ إبراهيم في تهنئة سعد زغول بالنجاة إثر الاعتداء عليه بإطلاق نار:

النَّسْرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بِأَرْضِنَا سُنْرِيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زُغْلُولُ

لفظة (زغول) تحتل معنيين: الأول فرخ الحمام الذي عادة ما يصيده الصقر، وهو معنى قريب غير مقصود أراد الشاعر الإيهام به حين ذكر لفظة (النسر)، أما المعنى البعيد المقصود فهو الزعيم المصري سعد زغول.

- وقال حافظ مداعبا شوقي:

يَقُولُونَ إِنَّ الشُّوقَ نَارٌ وَلَوْعَةٌ فَمَا بَالُ شَوْقِي أَصْبَحَ الْيَوْمَ بَارِدًا

فأجابه شوقي:

وَأُودِعْتُ إِنْسَانًا وَكَلْبًا وَدَيْعَةً فَضَاعَتِهَا الْإِنْسَانُ وَالْكَأْبُ حَافِظُ

لفظة (شوقي) تحتل معنيين: الأول من الشوق أي الحنين، وهو قريب غير مقصود، والثاني لقب الشاعر، وهو المعنى البعيد المقصود.

ولفظ (حافظ) لها معنيان كذلك: الأول اسم فاعل من الفعل (حفظ)، وهو قريب غير مقصود، والثاني اسم

الشاعر، وهو المعنى البعيد المقصود.

- قال مصطفى صادق الرافعي متغزلا:

فَيَارَبِّ صَيَّرَ بِقِيَّةَ قَلْبِي حَدِيدًا فَإِنَّ فُؤَادِي ذَهَبٌ

فكلمة (ذهب) في معناها القريب غير المقصود المعدن الثمين، لذكر كلمة (الحديد)، والمعنى البعيد المقصود هو ذهاب قلبه إلى غير رجعة.

- وللرافعي كذلك:

وَخَلِيلٍ ضَمَمْتُهُ فَتَأَبَّى وَأَنْتَنِي نَافِرًا كَظَبِّي الصَّارِيمِ

قَالَ نَارُ الْخَلِيلِ فِي الْقَلْبِ شَبَبْتُ قَلْبْتُ أَقْبِلُ فَتَأْتَاكَ نَارُ الْكَلِيمِ

لفظ (الخليل) له معنيان: قريب غير مقصود، وهو النبي إبراهيم عليه السلام، خليل الله، وبعيد مقصود وهو الخُلُّ والصَّاحِبُ، ولفظ (الكليم) كذلك له معنيان: قريب غير مقصود أراد الإيهام به، وهو النبي موسى عليه السلام، كليم الله، وبعيد مُراد، وهو الجريح.

- وللرافعي أيضا:

وَقَطَعَنِي الْأَسَى وَالِدَمْعُ بَخْرٌ فَعَادَ بَسِيْطٌ هَمِّي فِي الْمَدِيدِ

**أجمل ما قيل في التورية:** العصرُ الذهبيُّ للتورية كان عصرَ المماليك بدون منازع، وقد اخترت لك النماذج الآتية:

- قال صفّي الدين الحلّي:

وَيَنْبُتُ عِنْدِي نَخِيلُ الْوَدَادِ      لِأَنَّكَ عِنْدِي دَفَنْتَ النَّوَى  
فَلَا تَنْوِ غَيْرَ فَعَالِ الْجَمِيلِ      فَإِنَّ لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى

التورية في معنى (النوى) البعيد وهو الفراق، والنوى بالمعنى القريب جمع نواة، أي نواة التمر.

- دخل بعض الشعراء على الأديب جمال الدين بن نباته، فرأى في نواحي منزله نملاً كثيراً، فأنشد:

مَا لِي أَرَى مَنْزِلَ الْمَوْلَى الْأَدِيبِ بِهِ      نَمْلٌ تَجَمَّعَ فِي أَرْجَائِهِ زُمَرًا؟

فأجابه ابن نباتة:

لَا تَعْجَبَنَّ إِذَا مِنْ نَمْلٍ مَنْزِلَنَا      فَالْنَمْلُ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَتَّبِعَ الشَّعْرَا

- وقال ابن نباتة واصفاً بيته، وأولاده:

لَيْسَ غَيْرِي فِي الْبَيْتِ قِطْعَةٌ لَحْمٍ      فَتَفَضَّلْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْكُلُونِي

التورية في كلمة (تفضل)، ولها معنيان: القريب غير المراد: الدعوة إلى الدخول إلى البيت، والبعيد المراد: الدعوة إلى الإكرام والإحسان.

- قال الشاعر:

أَقُولُ لِفَقْرِي مَرْحَبًا لِنَيْقِنِي      بَأَنَّ عَلِيًّا بِالْمَكَّارِمِ قَاتِلُهُ

فالتورية في كلمة (علي)، ولها معنيان: قريب غير المقصود، وهو الخليفة الراشد علي رضي الله عنه، فقد

كان هو القائل: "لَوْ كَانَ الْفَقْرُ رَجُلًا لَقَتَلْتُهُ"، والمعنى البعيد المقصود: هو الممدوح.

- قال الشاعر:

أَلَا رَبُّ شَادٍ قَامَ يَضْرِبُ عُودَهُ      عَلَى حِينِ لَمْ يُوفِ الْحَبِيبُ بِمَوْعِدِ

فَأَضْرَمَ نَارَ الشُّوقِ بَيْنَ جَوَانِحِي      وَلَا عَجَبٌ أَنْ تُضْرَمَ النَّارُ بِالْعُودِ

التورية في لفظ (العود)، ولها معنيان: المعنى القريب غير المراد: الحطب، المعنى البعيد المقصود: آلة

الطرب.

- قال ابن حجر العسقلاني:

أَتَى مِنْ أَحِبَّائِي رَسُولٌ فَقَالَ لِي      تَرَفَّقَ وَهُنَّ وَاحْضَعُ نَفْزُ بِرِضَانَا

فَكَمْ عَاشِقٍ قَاسَى الْهَوَانَ بِحُبِّبَا      فَصَارَ عَزِيزًا حِينَ ذَاقَ هَوَانَا

فالتورية وردت في كلمة (هواناً)، وهي تحتمل معنيين: القريب غير المقصود: المدلّة، والبعيد المقصود:

حُبُّبَا.

- قال شاعر يطلب مسكنا يأويه:

لي ألفُ بيْتٍ في مَدَائِحِ بَيْتِكُمْ      فارُدُّ عَلَيَّ المَمْلُوكِ بَيْتًا وَاِحِدًا

التورية في كلمة (بَيْتًا)، والمعنى القريب غير المقصود هو بيت الشَّعر، والمعنى البعيد المقصود هو المنزل.

- قال الشاعر مهنا ممدوحه بعيد الأضحى:

تَقَلَّ دَنَا فِيهِ قَلَائِدَ أَنْعَمٍ      وَأَحْسَنُ مَا تَبْدُو القَلَائِدُ فِي النَّحْرِ

التورية في لفظ (النحر) ومعناها القريب غير المقصود: الجِد، ومعناها البعيد المقصود: عيد الأضحى.

### بلاغة التورية:

يقول العلوي: "التورية لا تخلو عن تقنن في الكلام واتساع فيه، وتدل على تصرف بالغ، وقوة على تصريف الألفاظ، واقتدار على المعاني."<sup>1</sup>، فالتورية إذن من أعلى فنون البديع، وأعلىها رتبة، وسحرها ينفث في القلوب، فهي تكسب الكلام روعة، وتكسوه بهجة، إذا جاءت عفوية من غير كد ظاهر، وتصنع بين، أما إذا صارت همَّ الأديب، وغايته من أدبه، وراح الأديب يحرص عليها، ويركب في سبيلها الأوعار والأهوال، فهي جليئة عاطلة، وفتنة باطلة، وتجارة كاسدة. "وتكمن بلاغة التورية في ثلاثة أمور: أولها: أن المعنى البعيد المراد المورى عنه يبدو من خلف المعنى القريب غير المراد في صورة حسنة لطيفة، كما يبدو وجه المرأة الحسناء من وراء البرقع.

ثانيها: أن المخاطب يدرك من لفظ التورية في بادئ الأمر معناها القريب، لسرعة إدراكه قبل البعيد، فإذا ما وقف على المعنى البعيد بعد ذلك، وأدركه بالتأمل، وإطالة النظر، كان له وقعة في النفوس، وأثره الحسن. ثالثها: أنها تمكّن المتكلم من أن يخفي المعاني التي يخشى التصريح بها، فيوري عنها بمعان تفهم من لفظ التورية، وبهذا يدفع المحذور مع الصدق."<sup>2</sup>

**تدريب:** دلّ على التورية، وبين بلاغتها في الأبيات الآتية:

- وَأَعُدُّ أَيَّامَ الجَفَاءِ مُعَدِّدًا      حَتَّى مَلَأْتُ الحُزْنَ وَالتَّعْدِيدًا  
- لَقَدْ قَطَعْتَ قَلْبِي يَا خَلِيلِي      بِهِجْرٍ طَالَ مِنْكَ عَلَى العَلِيلِ  
وَلَكِنْ مَا عَجِيبٌ مِنْكَ هَذَا      إِذِ التَّقْطِيعُ مِنْ شَأْنِ الخَلِيلِ  
- يَا كَامِلَ الحُسْنِ حُزْنِي وَافِرٌ وَأَرَى      وَجِدِي مَدِيدًا وَصَبْرِي عَنْكَ مُقْتَضِبًا  
- دَعَانِي صَدِيقٌ لِحَمَامِهِ      فَأَوْقَعَنِي فِي العَذَابِ الأَلِيمِ  
كَلامٌ يَزِيدُ وَمَاءٌ يَقُولُ      فَبِئْسَ الصَّدِيقُ وَبِئْسَ الحَمِيمِ

<sup>1</sup> فن البديع د عبد القادر حسين ص 68.

<sup>2</sup> علم البديع الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود ص 181.

فَلَسْتُ عَنْ مَدْحِهِ أَعْوَقُ  
لَا عَرَوْا أَنْ يَسْجَعُ الْمُطَوَّقُ  
مَدَّ يَدَ الْجُودِ لِلْعَبَادِ  
فِيكَ فَلَا تَقْطَعِ الْأَيْدِي  
وَأَصْلُ مَا بِي وَسَقَمِي  
مِنْهَا وَرُحْتُ بِسَهْمِي  
كَذَلِكَ بَدَتْ مِنْ حَوْلِهِ الْخَيْلُ وَالْجُنْدُ  
فَقَالَ الْوَرَى هَذَا هُوَ الْأَسَدُ الْوَرْدُ  
صِرْتُ يَا صَاحٍ مِنْهُ بِالذَّلِّ أَرْضَا  
ثَوْبَ السَّقَامِ وَلَمْ تَخَفْ مِنْ عَارِ  
فَعَلَامَ لَا تَرْعَى حُقُوقَ الْجَارِ؟  
تَسِيلُ دُمُوعُهُ فِي الْخَدِّ سَيْلًا  
فَهَا أَنَا فِي الْوَرَى مَجْنُونٌ لَيْلَى

- طَوَّقَ جُودُ الْوَزِيرِ جِيْدِي  
أَسْجَعُ بِالْمَدْحِ فِي عُلَاهِ  
- قُلْ لَوَزِيرِ الشَّامِ يَا مَنْ  
مَا سَرَقَ الْمَادِحُونَ وَصَفَا  
- سِيْهَامُ عَيْنَيْكَ دَائِي  
وَقَدْ أَخَذْتُ نَصِيْبِي  
- مَلِيكَ بَدَا فِي أَحْمَرَ مِنْ مَلَابِسِ  
بَدُوا كُلُّهُمْ فِي حُلَّةِ الْوَرْدِ مَلْبَسَا  
- فَهُوَ فِي الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ سَمَاءُ  
- يَا جَارَةَ لُصُودِهَا لِي أَلْبَسْتُ  
دَمْعِي لِطَوْلِ جَفَاكَ أَضْحَى جَارِيَا  
- أَيَا ضَوْءِ الصَّبَّاحِ أَرْفُقُ بِصَبِّ  
وَكُنْتُ بِلَيْلَى لَيْلَى طَالَتْ

## أُسْلُوبُ الْحَكِيمِ

**تعريف أسلوب الحكيم:** "هُوَ أَنْ تَتَلَقَّى الْمُخَاطَبَ بِغَيْرِ مَا يَتَرَقَّبُهُ، وَتَصْرِفَ حَدِيثَهُ إِلَى وَجْهَةٍ أُخْرَى لَمْ يَقْصِدْهَا، إِمَّا بِتَرْكِ سُؤَالِهِ، وَالْإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالٍ لَمْ يَسْأَلْهُ، وَلَمْ يُرِدْهُ، وَإِمَّا بِحَمْلِ كَلَامِهِ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ يَقْصِدُ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْأَلَ هَذَا السُّؤَالَ، أَوْ يَقْصِدَ هَذَا الْمَعْنَى"<sup>1</sup>. ومن نماذج الأسلوب الحكيم سؤال الطالب الأستاذ عن الدروس المتوقعة في الامتحان، فيردُّ الأستاذ: "إِذَا أَرَدْتَ النَّجَاحَ، فَعَلَيْكَ بِمُرَاجَعَةِ دَرَسِي الْمُنَابَرَةِ وَالْإِجْتِهَادِ". فالإجابة كما ترى ليست عن السؤال نفسه، وإنما كانت عن سؤال آخر، كان حريًا بالسائل أن يسأل عنه.

وقد تمرّ أنت وصديقك على مقهى للإنترنت، فتدخلانه لأجل تحميل كتاب ما، وبعد مدة يسألك الصديق: هل اكتمل التنزيل؟ فتردُّ: التنزيل اكتمل قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشهر معدودة، فصديقك أراد السؤال عن التحميل، وأنت أجبت عن التنزيل.

وهذا يشبه موقف بلال رضي الله عنه حين سئل عند رجوعه من حلبة سباق الخيل: "مَنْ سَبَقَ يَا بِلَالُ؟" قال: "رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، قيل: "إِنَّمَا سَأَلْنَاكَ عَنِ الْخَيْلِ"، قال: "وَأَنَا أَجَبْتُ عَنِ الْخَيْرِ". ويروي خليل مطران أنه نظر إلى ساعة سوداء في يد حسناء فقال:

سَاعَاتُكَ الْبَيْضَاءُ، لَا سَاعَةَ  
سَاعَاتُكَ الْبَيْضَاءُ، لَا سَاعَةَ

تأمل كيف حمل الشاعر عبارة (بياض الساعة، وسوادها) على معنى قُربِ الحبيب أو بُعده، فالساعة التي يكون فيها الوصال ساعة بيضاء، ولا ساعة سوداء سوى ساعة الهجر.

ومن أمثلة هذا الفن البديعي سؤال القاضي الصهيوني فلسطينيًا في أثناء محاكمته: "لِمَاذَا طَعَنْتَ الْجُنْدِيَّ الْإِسْرَائِيلِي بِالسُّكَّينِ؟" فكان ردُّ البطل: "لَأَنَّ ظُرُوفِي صَعْبَةٌ، وَلَا أَسْتَطِيعُ شِرَاءَ مُسَدَّسٍ". فالجواب كما ترى لم يكن مطابقًا للسؤال، فالقاضي قد أجيب بجواب لم ينتظره، لأن الفتى الفلسطيني قد نفذ في الجواب إلى معنى عميق، أبعد مما أراده السائل.

ومن نماذج الأسلوب الحكيم قول إيليا أبي ماضي في وصف قلمه:

تَبَخَّرَ فَوْقَ الطَّرْسِ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ  
فَقَالُوا: بِهِ كِبَرٌ، فَقُلْتُ: عَنِ الْكِبَرِ

بيت يمثل لوحة يعرضها الشاعر في معرض الفخر، فالناس حين رأوا قلمه يخالون ويتباهون، ويجرُّ أذيال العُجب على السجّاد الأحمر، لم يسكتوا، ووصفوه بالخيلاء والتكبر، فصرف الشاعر حديثهم إلى وجهة أخرى، وقلب المعنى بضده: فما رأوه كان كبرياءً، لا كِبَرًا، وإن كان كِبَرًا، فهو الكِبَرُ عن الكِبَرِ.

ومن نماذجه البليغة قول أبي القاسم خمار:

قَالَتْ فِرْنَسَا أَتَيْنَاكُمْ نُعَلِّمُكُمْ  
فَنَّ الْحَضَارَةَ إِذْ أَنْتُمْ لَهَا عَدَمٌ

<sup>1</sup> علم البديع عبد العزيز عتيق ص 182.

حَضَارَةُ الْعَابِ حَقًّا نَحْنُ نَجْهَلُهَا وَالْفَضْلُ يَرْجِعُ فِي تَشْرِيْعِهَا لَهُمْ

فالشاعر قد حمل مقالة الفرنسيين عن الحضارة على غير الوجه المقصود، فهم قصدوا بها التحضّر، والتمدّن، والتقدّم، في حين قصد الشاعرُ الوجهَ الحقيقي للاستعمار، المتخفي وراء قناع الحضارة، والمتمثل في الهمجية، والانحطاط، والتخلف.

ومن بدائع الأسلوب الحكيم قول محمود غنيم بعد فشل العدوان الثلاثي على مصر:

وَقَالَ الْقَوْمُ: يَوْمٌ أَوْ نَهَارٌ فَكَانَ الدَّهْرُ فِي هَذَا النَّهَارِ

وَقَالُوا: نُزْهَةٌ فِي الْبَحْرِ قُلْنَا: نَعَمْ، لَكِنْ تَقُودُ إِلَى الْقَرَارِ

اعتقد ثالوثُ العدوان أنّ الحربَ على الكنانة مهمةٌ يومٍ أو نهار، ولكنّ الشاعر حمل كلامهم على غير الوجهة التي قصدوها، فالنهارُ عندهم صبرٌ ساعة، والنهارُ عنده إلى قيام الساعة، ثم قالوا إنها محض نزهة في البحر الأبيض، فكانت نزهة، ولكن في قاع بحر أحمر مخضبٌ بدماء المحتلّين.

ومنه قول محمود غنيم أيضا إثر حادثة غرق إحدى السفن السياحية في نهر النيل:

ذَهَبَ الْقَوْمُ يَسْتَجْمُونَ حَيْثُ مَا فَاسْتَجْمُوا لَكِنْ مَدَى الْأَزْمَانِ

فالمضاحيا قصدوا بالاستجمام السياحة والاستراحة القصيرة بعد العمل، بينما حمل الشاعر كلمة (استجمام) على أنها راحة أبدية، نالها السياح على متن سفينة الآخرة.

ومن أمثله قول علي الجارم في حوارهِ مع النَّاعِي:

فَقَالَ: قَضَى، قُلْنَا: قَضَى حَاجَةَ الْعُلَا فَقَالَ: مَضَى، قُلْنَا: بَعِيرٌ نَظِيرٌ

فتأمل كيف حملَ الشاعِرُ- وهو المُتَلَقِّي- كلمة (قَضَى) على إِنْجَازِ وَقَضَاءِ الْحَوَائِجِ، في حين قَصَدَ بِهَا النَّاعِي المَوْتَ، وكذلك حملَ الشاعِرُ أي المُتَلَقِّي كلمة (مَضَى) على أَنَّهُ مَضَى وَذَهَبَ بِالْفَضْلِ، ولم يَدْعُ لغيره شيئاً منه، في حين كان قَصْدُ المُتَكَلِّمِ الفَنَاءَ.

واستمع إلى هذا الأب، وقد جاءه ولده يسأله عن بعض القضايا الفلسفية والوجودية، حيث سأله عن ماهية الروح، وماهية النفس، لكن الأب أدرك أنّ مثل هذه القضايا ليس من السهل على ابنه أن يدرك جوهرها، فقال:

جَاءَنِي ابْنِي يَوْمًا وَكُنْتُ أَرَاهُ لِي رِيحَانَةٌ وَمَصْدَرٌ أَنَسِ

قَالَ: مَا الرُّوحُ؟ قُلْتُ: إِنَّكَ رُوحِي قَالَ: مَا النَّفْسُ؟ قُلْتُ: إِنَّكَ نَفْسِي

ومن نماذج الأسلوب الحكيم قول جبران خليل جبران:

تِلْكَ حَالِي فَإِذَا قَالَتْ رَحِيلُ

مَا عَسَى حَلَّ بِهِ؟ قُولُوا: الْجُنُونُ

وَإِذَا قَالَتْ: أَيْشْفَى وَيَزُولُ

مَا بِهِ؟ قُولُوا: سَتَشْفِيهِ الْمَنُونُ

بقليل من التأمل تجد الشاعر قد صرفَ سؤال "رحيل" إلى غير الوجهة التي قصدتها: فهي قصدت السؤال عن إمكانية شفاء المجنون، فكان رده أن الشفاء سيكون، ولكن على يد المنون.

ومن بدائع أسلوب الحكيم قول ناصيف اليازجي:

قَالُوا أَصَابْنَا فَلَا تُوجِبْ مَلَامَتَنَا نَعَمْ أَصَابُوا فَوَادًا بِالسَّهَامِ رُمِي

فالشاعر لم يحمل كلمة (أصَبْنَا) على معنى الصواب، بل الإصابة.

ومن بديعه كذلك قول محمد المويلحي: "الْتَفَّتْ رَفِيقِي إِلَى الْفُنْدُقِ فَرَأَى فِيهِ شُمُوسَ الْكَهْرَبَاءِ مُشْرِقَةً، وَيَنَابِيعَ الضِّيَاءِ مُتَدَفِّقَةً، وَأَعْمِدَةَ الْمَصَابِيحِ كَأَنَّهَا أَغْصَانُ الْأَشْجَارِ، أَرْهَرَتْ بِالْأَنْوَارِ مَكَانَ الْأَنْوَارِ<sup>1</sup>، فَصَارَ كُلُّ عَمُودٍ مِنْهَا عَمُودَ فَجْرٍ، يُفَجِّرُ تَعْرَهُ الدُّجْنَةَ أَيَّ فَجْرٍ، وَكَأَنَّ مَنُثُورَ الشُّمُوعِ فِي ظِلْمَةِ الْحَلَكِ، مَنُثُورَ النُّجُومِ فِي قُبَّةِ الْفَلَكَ، وَرَأَى تَحْتَهَا صُفُوفًا مِنَ الرَّجَالِ، بَيْنَ صُفُوفٍ مِنْ نَوَاتِ الْجِبَالِ، عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، وَأَرَانِكَ مُتَكَبِّينَ، فَطَفِقَ يَسْأَلُنِي: أَتُرَاهُ مَحْفَلًا لِيَوْمِ أَنْسٍ، أَمْ زِفَافًا فِي يَوْمِ عُرْسٍ؟ أَمْ تُرَاهَا لَيْلَةَ مَهْرَجَانٍ، لَقَبِيلٍ مِنَ الْجَانِ، نَسُوا تَفَاوُتَ الْجِنْسِ، فَأَنَسُوا إِلَى الْإِنْسِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: نَعَمْ هُوَ لَاءِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ يَطُوُونَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ، وَيَقْطَعُونَ الْحَزْنَ وَالْوَعْرَ، وَيَطِيرُونَ فِي السَّمَاءِ، وَيَمُشُونَ عَلَى الْمَاءِ، وَيَخْرِقُونَ الْجِبَالَ، وَيَنْسِفُونَ الْقِلَالَ، وَيَقْلِبُونَ الْأَكَامَ وَهَادًا، وَيَبْسُطُونَ الرُّبَى مَهَادًا، وَيَجْعَلُونَ الْقِفَارَ بَحَارًا، وَيُحْيِلُونَ الْبَحَارَ بُخَارًا."

انظر كيف حملَ الكاتب كلمة (الجن) على غير المعنى الذي أراده الرفيق: فالرفيق يسأل متعجباً: إن كان ما يراه مهرجاناً لمعشر من الجن؟ فيجيبه الكاتب بأنه قد كان من الصادقين، فهم بالفعل (جن)، ولكن من جنس الإنسان، لا من جن سليمان، اخترعوا الكهرباء، وغزوا الفضاء، وطاروا في الهواء، ومشوا في الماء... فهم الذين استطاعوا أن ينفذوا في أقطار السموات والأرض بسطان العلم والمدنيّة والحضارة.

### بلاغة الأسلوب الحكيم:

الأسلوب الحكيم بالإضافة إلى حسن بيانه، ونصاعة لغته، وإيجاز عباراته، وثراء معانيه، فهو يكشف عن حكمة بالغة، وذكاء عال، ومهارة معجزة، وبديهة حاضرة، وإلهام متقد، وقدرة فائقة في التصرف السريع، لأنه وليد لحظته، وقيمته البلاغية في إبداعه الفوري، وإنشائه التلقائي، ولذلك قيل: "البلاغة هي الصواب في سرعة الجواب"، والأسلوب الحكيم يساعد على تربية العقل، وترقية الفكر، وتقوية ملكة الاستحضار في النفس، ويبعث في لسان الإنسان قوة في التعبير إذا سئل، وقدرة على سبك الكلام إذا ارتجل. لذلك عُدَّ الأسلوب الحكيم من أصعب الكلام مركبا، وأعزّه مطلباً، فالمخاطب الذي يجد نفسه على نحو مفاجئ أمام أمر يُجرجه، أو يضايقه، يجد في الأسلوب الحكيم منصرفاً ومنفذاً، "ولا يسبق في هذه الحلبة إلا الأذكاء اللماحون الذين يعرفون مخارج القول ومواجهه"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> الأنوار: جمع نور، وهو الزهر الأبيض.  
<sup>2</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 615.

**تدريب:** دُلَّ على الأسلوب الحكيم فيما يأتي:

- ركب شخصٌ سيارةَ أجرة، فوجد السائقَ يستمع إلى القرآن الكريم في الراديو، فقال الزبون: "هَلْ مَاتَ أَحَدٌ؟" قال السائق: "نَعَمْ، قُلُوبُنَا".

- سُئِلَ رَجُلٌ إِمَامًا: "هَلْ رَفَعُ الْيَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ أَفْضَلُ أَمْ إِرْسَالُهُمَا؟"، قال: "رَفَعُ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْهُمَا جَمِيعًا".

- سأل أستاذٌ تلميذه: "أَيُّنَ تَقَعُ عَزَّةٌ؟" فَرَدَّ الطَّالِبُ: "عَزَّةٌ لَا تَقَعُ".

- قيل لأحدِ البَحَّارِينِ: "مَا أَعْجَبُ مَا رَأَيْتَ مِنَ الْبَحْرِ؟" قال: "سَلَامَتِي مِنْهُ".

- قيل لرجل: "مَا وَرِثْتَ أَخْتَكِ مِنْ زَوْجِهَا؟" قال: "أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا".

- قال رجل: "رَأَيْتُ رَاعِيًا يِرْعَى غَنَمًا قَدْ مَلَأَتْ الْوَادِي، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذِهِ؟" قال: "لِلَّهِ فِي يَدِي".

- قال رجلٌ لِقَاضِيهِ: "مَتَى كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؟" قال: "مَتَى لَمْ يَكُنْ؟".

- قال الشاعر الحكيم:

وَهَلْ يَذْرِي الطَّبِيبُ بِمَا جَرَى لِي؟  
فَقُلْتُ الْحَالُ أَبْلَغُ مِنْ مَقَالِي  
بَلِ الْحُمَى الَّتِي تَشْكُو أَحْتِمَالِي  
وَرَشْحٌ، مَا أَجِبْتَ عَنْ سُؤَالِي  
أَسْهَمُ حَرَارَةَ الْإِيمَانِ عَالِي؟  
وَأَيْسَ مِنَ الزُّكَّامِ وَلَا الشُّعَالِ  
وَدَاءِ الْقَلْبِ أَوْلَى بِالسُّؤَالِ

ذَهَبْتُ إِلَى الطَّبِيبِ أُرِيهِ حَالِي  
جَأَسْتُ فَقَالَ مَا شَكُوكَ؟ صِفْهَا  
أَنَا لَا أَشْتَكِي الْحُمَى احْتِجَاجًا  
تَقُولُ بِأَنَّ مَا فِي الثَّهَابِ  
وَضَعْتَ عَلَى فَمِي الْمُقْيَاسَ قُلْ لِي:  
سِقَامِي مِنْ مُقَارَفَةِ الْخَطَايَا  
نَسَائِلُ مَا الدَّوَاءُ إِذَا مَرَضْنَا

- قال صفي الدين الحلبي:

فَقُلْتُ: عَنْ مَسْكَنِي وَعَنْ سَكْنِي  
قُلْتُ: بِفَرْطِ الْبُكَاءِ وَالْحَزَنِ  
قَالَتْ: تِنَاءُ يُتَ قُلْتُ: عَنْ وَطْنِي  
قَالَتْ: تَغَيَّرْتُ قُلْتُ: فِي بَدْنِي

قَالَتْ: تَسَأَلِيْتِ بَعْدَ فُرْقَتِنَا  
قَالَتْ: تَشَاغَلْتِ عَنْ مَحَبَّتِنَا  
قَالَتْ: تَنَاسَيْتِ قُلْتُ: عَافِيَتِي  
قَالَتْ: تَخَايَيْتِ قُلْتُ: عَنْ جَأْدِي

- وقال في هجاءٍ مريض:

فَقُلْتُ نَعَمْ وَلَكِنْ فِي الْيَقِينِ

وَقَالُوا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ ضُغْفُ

- قال الشاعر:

صَافًا قُلْنَا صَادَقْتَ مِنَ الصَّفَاءِ

قَسَوْتَ جَوَانِحًا وَتَقُولُ قَلْبِي

- قال الشاعر في محبوبه:

فَأَصْبَحَ عَاشِقًا لِكِنَّ لِهَجْرِي

عَفِيفًا مُنْذُ عَامٍ مَا شَرِبْتُ  
فَقُلْتُ عَلَى يَدِ الْإِفْلَاسِ تُبْتُ

جَاءَنِي زَائِرًا مَعَ الْعَوَادِ  
بَكَ مَنِّي فَدَاوَنِي بِالْبِعَادِ

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُبَلِّغَنِي بِعِشْقِي

- قال الشاعر في الإفلاس بسبب الخمر:

يَقُولُ أَبُو سَعِيدٍ إِذْ رَأَيْتَنِي  
عَلَى يَدِ أَيِّ شَيْخٍ تُبْتُ قُلْ لِي

- وقال شاعرٌ في ثقيل:

وَتَقِيلُ مِنَ الْأَنْهَامِ غَلِيظِ  
قَالَ: مَا تَشْتَكِي؟ فَقُلْتُ لَهُ: قُرْ

## حُسْنُ التَّعْلِيلِ

**تعريفه:** حُسْنُ التَّعْلِيلِ هُوَ أَنْ يَسْتَبْعِدَ الْأَدِيبُ صِرَاحَةً، أَوْ ضِمْنًا عِلَّةَ الشَّيْءِ الْحَقِيقِيَّةَ وَالْمَعْرُوفَةَ، وَيَأْتِي بِعِلَّةٍ أَدْبِيَّةٍ طَرِيفَةً تُنَاسِبُ الْغَرَضَ الَّذِي يَقْصِدُ إِلَيْهِ. أَوْ "هُوَ أَنْ يَدَّعِي نَائِرًا أَوْ شَاعِرًا لَوْصَفٍ مِنَ الْأَوْصَافِ عِلَّةً مُنَاسِبَةً غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ، عَلَى جِهَةِ التَّخْيِيلِ وَالتَّنْظُرِ".<sup>1</sup>

- قال مصطفى صادق الرافعي:

لَا تَحْسَبِي أَنْجَمَ هَذَا الدُّجَى      أَشْرَكَهَا فِي حُبِّ مَا مُشْرِكُ  
اللَّيْلُ مَسْرُورٌ بِمَا بَيْنَنَا      وَهَذِهِ أَسْمَانُهُ تَضْحَكُ

الشاعر كما ترى يُنكر العلة الحقيقية لرؤية النجوم في الليل، تلك العلة التي يؤكد علم النفس المعاصر من خلال قانون نفسي، يتعلق بالإدراك، حيث يؤكد هذا القانون على أن النجوم البيضاء تبدو كشكل بارز، ومتميز عن خلفية السماء السوداء، لكن الشاعر قد تغاضى عن تلك العلة العلمية، وادّعى عن طريق التشبيه أن النجوم أسنان الليل مسرورًا بهواه، جذلا بلقائه بمحبوبه، وهي علة قائمة على التخيل، تناسب الغرض الذي يقصد إليه الشاعر.

وفي معنى قريب من هذا يقول محمود غنيم يصف ليل زفاف الملك الفاروق:

لَمْ تَبْدُ أَنْجُمُهُ لِثُرَيْسِلَ ضَوْءَهَا      لَكِنْ لِنَتْشُهُ هَذِهِ مِنَ الشُّهَادِ  
- والله در الرافعي حين أنشد:

فَتَاءُ أَتَتْ مِنْ جَنَّةِ الْخُلْدِ لِلْوَرَى      وَفِي ثَوْبِهَا رِيحُ الْمَلَائِكِ طِيبُ  
أَلَيْسَ بِخَدْيِهَا مِنَ الْحُورِ قُبْلَةٌ أَلْ -      وَوَدَاعٌ وَدَمْعٌ لِلْوَدَاعِ رَطِيبُ؟

أراد الشاعر تأكيد أمرٍ وتقويته، وهو نَيْلُ المحبوبة كفايتها من الجمال، فشبها بالهور العين، لكنه استبعد العلة الحقيقية لتورّد الخدين، واخترع علة من تأليف خياله، فقد علل حمرة خدي محبوبته بأنها أثر لقلبة فراق طويل من بنات جنسها في جنة الخلد، وعلل المسحة التي تكون على الوجنات بدموعها الرطبية، حين فارقت الأهل والوطن!

- ومن المعاني الغربية، والتعليقات العجيبة قول صادق الرافعي في مليحة رآها في محطة القطار:

كَيْفَ هَامَ الْقِطَارُ جِئِينَ رَأَهَا      أَتُرَى حُسْنُهَا اسْمُهَا الْقِطَارُ؟  
لَيْسَ فِي قَلْبِهِ سِوَى الشُّوقِ لَكِنْ      كَتَمَ الدَّمْعَ فَاسْتَحَالَ بُخَارًا  
وَإِذَا صَاحَ صَاحَةُ الْبَيْنِ فِينَا      تَرَكَ الْعَاشِقِينَ طَرًّا حَيَارَى  
سَارَ يَطْوِي جَوَانِبَ الْأَرْضِ طِيًّا      وَلَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَطِيرَ أَطَارَا

<sup>1</sup> الفنون البديعية ص 98.

انظر إلى الشاعر كيف يتجاهل العلل الحقيقية، ويعلل البخار الذي يتطاير من القطار البخاريّ بدموع تحت نار الشوق تغلي، حتى تبلغ درجة الغليان والتبخّر، ثم انظر إليه كيف يعلل صيحة القطار المعهودة بصيحة المحبّين المكتوبين بنار الفراق.

- قال مفدي زكريا في رثاء ملك المغرب محمد الخامس:

أَفِي السَّمَاوَاتِ عَرْشٌ أَنْتَ تُنْشِدُهُ؟      فَرُحْتَ تَسْأَلُ فِي الْفِرْدَوْسِ جَبْرِيلًا

تعليلاً عجيباً، لم يسبق إليه شاعرٌ في رثاء ملك: الفقيدُ قد أتمّ ملكه في الأرض، فسما إلى الملكوت الأعلى يطلب ملكه هناك، فلذلك راح يسأل عنه جبريلَ في جنة الفردوس!

- قال محمود غنيم يصف النسيم:

فَكَمْ رِسَالَةٍ حُبًّا جَاءَ يَحْمِلُهَا      كَالْبَرْقِ وَهُوَ حَثِيثُ الْخَطْوِ عَجَلَانُ  
قَالُوا: عَلِيلٌ، فَقُلْنَا: هَلْ إِلَيْهِ سَرَى      مِنْ الْمُحِبِّينَ أَنْتَ وَأَشْجَانُ؟

اعتلّ النسيم حسب رواية الشاعر لأنه كان رسول المحبّين، ألمّ به ما ألمّ بهم من ألمٍ وحنين!

- وقال محمود غنيم:

قُلْتُ يَوْمًا لِلدَّيْكِ سَاعَةً صَاحَا:      هَلْ تُغَيِّي أَنَا نَشِيدَ الصَّبَاحِ؟  
قَالَ: لَا، بَلْ نَعَيْتُ يَوْمًا رَاحَا      وَمَحَاهُ مِنْ صَفْحَةِ الْعُمَرِ مَاح

فالشاعر استبعد العلة الحقيقية لصيحة الديك، وعللها بكونها بكاءً على قسمٍ من العمر قضى، ويومٍ من الحياة مضى.

- قال معروف الرصافي في قصيدة "اليتيم يوم العيد" يصف بداية شروق الشمس في ذلك اليوم:

وَلَمَّا بَدَتْ حَمْرَاءُ أُيْقِنْتُ أَنَّهَا      بِهَا خَجَلٌ مِمَّا تَرَاهُ وَتَسْمَعُ

معروفٌ أن الشمس في بداية إشراقها تتخذ من الأحمر لونا طبيعيا لها، لكن الرصافي يعلل تلك الحمرة بخجل الشمس من الأيتام يوم العيد، فهي مترددة في الإشراق، لا تريد أن تُطلِعَ العيدَ حياءً من بؤس الأيتام، ووجع الأرامل. تعليلاً يعبر عن وجدان صادق، لم يتقيد بالمنطق أو الحقيقة الموضوعية، وإنما صدق التعبير عن نفسية الشاعر هو العامل الأكبر في جمال هذا التعليق.

- وقال الرصافي في قصيدة (غريق دجلة):

يَا مَنْ قَضَى بَيْنَ الْمِيَاهِ غَرِيقَا      أَدْكَى فِرَاقِكَ فِي الْقُلُوبِ حَرِيقَا  
قَدْ كُنْتَ فِينَا دُرَّةً فَلْأَجْلِ دَا      تَخِذْ الْحِمَامُ لَكَ الْمِيَاهَ طَرِيقَا

فالشاعر لم يعلل الغرق تعليلاً حقيقياً، بل اخترع علة بديعة نسجتها أناملُ خياله: الغريق قصد مكانه الطبيعي لأنه درّةٌ ثمينة، والبحرُ أولى بالذّرر من الثرى.

- قال حافظ إبراهيم في مليحة رأى خالا على غرّتها:

سَأَلْتُهُ: مَا لِهَذَا الْخَالِ مُنْفَرِدًا      وَاخْتَارَ غُرَّتَكَ الْعَرَا لُهُ سَاكِنًا  
أَجَابَنِي خَافَ مِنْ سَهْمِ الْجُفُونِ وَمِنْ      نَارِ الْخُدُودِ لِهَذَا هَاجَرَ الْوَطَنَا

فموقع الخال في غُرّة المحبوبة حسب رواية خيال الشاعر ليس إلا جُبنا، وخوفاً، وهروباً من وقع السهام وحرارة النيران التي تطلقها جيوش الجمال التي تحتشد في معسكر وجه الحسناء، وتلك العلة التخيلية التي ابتكرها حافظ إبراهيم، يريد من خلالها تأكيد صفة الجمال الذي يطغى على وجه المحبوب.

- وقال حافظ إبراهيم مادحاً:

عُنَيْتَ بِحَالَةِ الْفَلَّاحِ حَتَّى      تَهَيَّبَ أَنْ يَزُورَ الْأَرْضَ مَحَلُّ  
وَكَيفَ يَزُورُ أَرْضًا سِرَّتْ فِيهَا      وَأَنْتَ الْعَيْثُ لَمْ يُمَسِّكْهُ بُخَلُّ

لعلك لاحظت أن الشاعر قد أنكر ولو ضمناً الأسباب الطبيعية لقلة المطر بأرض مصر، والتمس سبباً آخر، وهو أن الغيث يخجل أن ينزل بأرض وقع فيها جودٌ الممدوح وبذله، فالمطر لا يستطيع أن يجاري الممدوح في السخاء والكرم!

- قال إيليا أبو ماضي في وصف الغواصات، والبوارج الحربية السوداء:

وَأَطْنَهَا فَفَقَدَتْ حَبِيبًا أَوْ أَخًا      وَلِذَلِكَ ارْتَدَّتِ السَّوَادَ شِعَارًا  
تَغْشَى الْمِيَاهَ لَعْلًا مَا فِي قَلْبِهَا      يُطْفِئُ، فَتَزْدَادُ الضُّلُوعُ أَوَارًا

فالشاعر قد علل اللون الأسود للغواصات، لا على أنه لون طبيعي، بل لأنها مفجوعة في حداد، ترتدي لباس السواد، أسفا على فقد الأخ، أو الحبيب، ثم علل مكانها الطبيعي في البحر تعليلاً لطيفاً: فهي تقصد البحار، لتخدم ما بقلبها من نار.

- وقال في رثاء مصطفى كامل:

وَكَأَنَّ جَوَادًا لَا يَضِيحُ بِحَاجَةٍ      لِذَلِكَ أُعْطِيَ رُوحَهُ لِلْمَنِيِّ

تجاهل الشاعر العلة الحقيقية للموت، وعلل ذلك بأن مصطفى كامل كامل الأوصاف والفضائل، فهو كامل في صفة الجود، كامل في فضيلة الحياء، فما هي إلا أن زارته المنية تطلب حاجتها، حتى استحى أن يردّها خائبة محرومة، فوهبها روحه!

- قال الأخطل الصغير (بشارة الخوري):

قَتَلَ الْوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَدًا مِنْكَ      وَأَلْقَى دِمَاهُ فِي وَجَنَّتَيْكَ

فالشاعر قد جحد العلة الحقيقية والمعروفة لتورّد الخد، والتمس لذلك سبباً آخر، وهو أن الورد غار من خد المحبوب، فاغتال نفسه، وطرح دماؤه على وجنتي محبوبه.

- ومن أمثلة حسن التعليل في النثر قول جبران: "أتى الخريف، واصفرت أوراق الأشجار، ونثرها الهواء كأنه يريد أن يكفن بها أزهاراً فضت لوعةً عندما ودّعها الصيف." لاحظ كيف تغاضى جبران عن العلة

الطبيعية لاصفرار أوراق الخريف وتساقطها، وعلل الظاهرة تعليلاً رومانسيا لطيفا، وذلك بتشبيه تلك الأوراق بالكفن الذي أعدته الطبيعة لجثامين الأزهار التي قضت نحبها صباةً وأسى على فراق حبيبها فصل الصيف!

### بلاغة حسن التعليل:

في حسن التعليل خيالٌ لافت، وذكاءٌ خارق، ومخالفةٌ للمألوف، ينجح له الفن، وينفرد به الفنان الأصيل، الذي يسعى للانفراد والتميز، فهو حلبة للابتكار والابتداع، وميدان للإنشاء والاختراع، "فهو نوع من التفنن في طرق التعبير - وبخاصة الشعري- يساق بطريقة فنية، فيها الحذق والمهارة في استخدام اللغة الشعرية حتى يُعطى شيئا من الحق، ورونقا من الصدق، ليكسبه نوعا من الاستطراف والملاحة، وليمثل لك ما ليس بواقع كأنه واقع، كما تكمن وظيفته في إيقاظ خيال القارئ، وإثارة وجدان السامع، وإذكاء عاطفته، وإدخال السرور عليه، وغير ذلك من الوظائف النفسية،"<sup>1</sup>.

ويؤكد الجرجاني على سحر هذا الفن البديعي، ويرى أن هذا السحر يتكثف حين يأتي حسن التعليل في قالب التشبيه، ذلك "أن الشعر - حسبه - لا يتقيد بمنطق العقل، أو قوانين المادة، فربما جاء التعليل الشعري موافقا للحقيقة، وربما جاء مخالفا لها، ولا غضاضة في ذلك، فالشعر يكفي فيه التخييل، والذهاب بالنفس إلى ما ترتاح إليه من التعليل."<sup>2</sup> لذلك فحسن التعليل عند الجرجاني "يشهد للشعر بما يُطيل لسانه من الفخر، ويُبين جملة ما للبيان من القدرة والقدر"<sup>3</sup>.

**تدريب:** حدّد حسن التعليل، واشرحه فيما يأتي:

- قال جبران خليل جبران: "عند الفجر، قبيل بزوغ الشمس من وراء الشفق، جلست في وسط الحقل أناجي الطبيعة، وبينما كنا على هذه الحالة، مرّ النسيم بين الأعصان، متهدّدا تنهدّ بيتيم يائس، فسألته مستفهما: لماذا تنهدّ أيها النسيم العليل؟ فأجاب: لأنني أذهب نحو المدينة مدحورا من حرارة الشمس، إلى حيث تتعلّق بأديالي النقيّة مكروبات الأمراض، من أجل ذلك تراني حزينا. ثمّ التفت نحو الأزهار، فرأيتها تدرف من عيونها قطرات الندى دمعًا، فسألت: لماذا البكاء أيّتها الأزهار الجميلة؟ فرفعت واحدة منهنّ رأسها اللطيف وقالت: نبكي لأنّ الإنسان يأتي، ويقطع أعناقنا، ويذهب بنا نحو المدينة، ويبيعنا كالعبيد، ونحن حرائر، وإذا ما جاء المساء ودبّنا، رمى بنا إلى الأقدار، كيف لا نبكي ويد الإنسان القاسية سوف تفصلنا عن وطننا الحقل. وبعد هنيهة سمعت الجدول يئوح كالتكلى، فسألته: لماذا تنوح أيّها الجدول العذب؟ فأجاب: لأنني سائرٌ كرهاً إلى المدينة، حيث يحقرونني الإنسان، ويستخدمني لحمل أدرانه، كيف لا أنوح وعن قريب نصبح نفاوتي وزرا، وطهارتي قدرا؟ ثمّ أصغيت، فسمعت الطيور تُعني نشيدا مُحرّنا، يُحاكي الندب فسألته: لماذا تندبين أيّتها الطيور الجميلة؟ فاقترَب مني عُصفور، ووقف على طرف العُصن وقال: سوف يأتي ابن آدم حاملا آله

<sup>1</sup> من جماليات المعنى: حسن التعليل الدكتور عبد محمد شبايك ص 114.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 121 122.

<sup>3</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 598.

جَهْمِيَّةً تَفْتِكُ بِنَا فَتَكَ الْمِنْجَلِ بِالزَّرْعِ، فَحُنُّ يُودِّعُ بَعْضُنَا بَعْضًا، لِأَنَّنا لَا نَدْرِي مَنْ مِنَّا يَتَمَلَّصُ مِنَ الْقَدْرِ  
المَحْتُومِ، كَيْفَ لَا نَبْكِي وَالْمَوْتُ يَتَّبِعُنَا أَيْنَمَا سِرْنَا؟ بَعْدَ قَلِيلٍ طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ وَرَاءِ الْجَبَلِ، وَتَوَجَّتْ رُؤُوسُ  
الأشجارِ بِأَكَالِيلِ ذَهَبِيَّةٍ، وَأَنَا أَسْأَلُ ذَاتِي: لِمَاذَا يَهْدِمُ الْإِنْسَانُ مَا تَبْنِيهِ الطَّبِيعَةُ؟".

- قال محمود غنيم معللاً مرضاً ألمَّ بساقه، وقصر خطواته:

وإنَّ تَقْصُرَ خُطَايَ فَرُبَّ خَطْوٍ      قَصِيرٍ نَمَّ عَن خُلُقٍ كَرِيمٍ  
أَمَا يَمْشِي عِبَادُ اللَّهِ هَوْنًا      كَمَا فِي آيَةِ الدُّكْرِ الحَكِيمِ؟  
أَمَا تَعْدُو الأَرَابُ، وَالهَوَيْنَا      تُمَثِّلُ مَشِيَةَ الأَسَدِ الشَّنِيمِ؟

- وقال راثياً:

قَالُوا: اسْتَحَالَ رَمَادًا، قُلْتُ: لَا عَجَبٌ      أَلَمْ يَكُنْ ذَهْنُهُ كَالجَمْرِ مُتَوَدًّا؟

- وقال محمود غنيم يصف يوماً مطراً:

وَسَأَلْتُ العَمَامَ: هَلْ بِكَ خَطْبٌ      مِثْلُ خَطْبِي حَتَّى بَكَيْتَ بُكَائِي؟  
قَالَ: لَا، بَلْ دَنَسْتُمُ الأَرْضَ بِالأَثْمِ      مِمَّ، فَطَهَّرْتُ وَجْهَهَا بِالمَاءِ

- ولمحمود غنيم في وصف جمال طرابلس الليلية:

مَا لَأَطَمَ البَحْرُ شَطَاً مِنْ شَوَاطِئِهَا      لَكِنَّهُ أَوْسَعَ الشَّطَّانَ بِالقَبَلِ  
نَهَارُهَا مِنْ وَجْوهِ الغَيْدِ مُنْتَزِعٌ      وَالأَلْيَلُ مَا بَعُيُونَ الغَيْدِ مِنْ كَحَلِ

- قال أمين نخلة في رثاء الشاعر شبلي الملاط:

إِنْ تَرَى الرِّجْفَ حِينًا فِي أَنَامِلِهِ      فَذَلِكَ مِنْ طَوْلِ مَسِّ الوَحْيِ لِلقَلَمِ

- قال نزار قباني:

إِنِّي الدَّمَشْقِيُّ الَّذِي احْتَرَفَ الهَوَى      فَأخْضَوْضَ صَرَّتْ بِغِنَائِهِ الأَعْشَابُ  
القُلُّ يَبْدَأُ مِنْ دِمَشْقٍ بِيَاضُهُ      وَبِعِطْرِهَا تَتَطَيَّبُ الأَطْيَابُ

- قال بشارة الخوري:

سَاكِنُنَا فَمَا عَرَدَ العُنْدِليبُ      وَتُبْنَا فَمَا صَفَّقَ الجَدُولُ

- قال خليل مطران في الشيب:

مَا ذَاكَ فِي الرَّأْسِ بِشَيْبٍ يُرَى      ذَاكَ ابْتِسَامٌ مِنْ مُضِيءِ الحَجَى  
كَمْ فِي جِهَاتِ القُطْبِ مِنْ مَوْضِعٍ      يُرَى بِهِ الفَجْرُ أَوَانَ الدُّجَى

- وقال خليل مطران في حسناء لسعنها نحلة:

أَفْتَدِي مَنْ لَسَعَتْهَا      نَحْلًا نَطَأَ بَ وَرَدَا  
ظَنَّتِ الوَجْنََةَ وَرَدًا      فَأَتَتْ تَرَشُّفُ شَهْدَا

- وقال مطران في امرأة تتقلد خاتماً فصُّهُ ياقوتةٌ حمراءُ:

حَذَارِ لِقَلْبِكَ مِنْ لَحْظِهَا  
أَلَمْ تَرَ فِي يَدِهَا خَاتَمًا

- قال علي الجارم في الرثاء:

فَزِعَتْ لَكَ الْأَقْلَامُ فَوْقَ طُرُوسِهَا  
وَمِنَ الْمِدَادِ لَيْسَنَ نُوبَ جِدَادِ

- وقال الجارم في الغزل:

فَإِذَا وَصَلَتْ فَكُلُّ شَيْءٍ بِاسْمِ  
هَذَا دَمِي فِي وَجَنَّتَيْكَ عَرَفْتُهُ

- قال محمود سامي البارودي:

أَتُرَى الْحَمَامَ يَنُوحُ بِطَرَبٍ مَعِي  
مَا لِلنَّسِيمِ بِلَيْلَةٍ أَذْيَالُهُ؟  
أُتْرَاهُ مَرًّا عَلَى جِدَاوِلِ أَدْمُعِي؟  
أَسَمَتْ إِلَيْهِ شَرَارَةٌ مِنْ أَضْلُعِي؟

- وقال أيضا:

وَمَا زَادَ مَاءَ النَّيْلِ إِلَّا لِأَنَّي

- وقال سامي:

وَلَيْلَةٌ سَالَتْ فِي أَعْقَابِهَا شَفَقُ

- قال بشارة الخوري (الأخطل الصغير):

مَا تَعَنَّيَ الْهَزَارُ إِلَّا لِيَأْقَى

- قال معروف الرصافي في رثاء أستاذه محمود شكري الألويسي:

أَمَّا الْعِرَاقُ فَأُمْسَى الرَّافِدَانَ بِهِ

- وقال الرصافي في قصيدة "أمُّ اليتيم":

فَمَا خَفَقَ أَنْ النَّجْمِ إِلَّا لِأَجْلِهَا

- قال ناصيف اليازجي مادحًا:

كَأَدَّتْ مَنَازِلُنَا تَلْقَاهُ رَاقِصَةً

لَكِنَّهَا حَفِظَتْ قُدَّامَهُ الْأَدْبَا

<sup>1</sup> الرافدان: دجلة والفرات.

## تَجَاهُلُ الْعَارِفِ

**تَعْرِيفُهُ:** هُوَ سُؤَالُ الْبَلِيغِ عَمَّا يَعْلَمُهُ حَقِيقَةً، تَجَاهُلًا مِنْهُ، لِعَرَضِ بِلَاغِيٍّ، كَالْمُبَالِغَةِ فِي الرِّثَاءِ، أَوِ الْمُبَالِغَةِ فِي الْمَدْحِ، أَوِ الْمُبَالِغَةِ فِي الدَّمِّ، أَوِ الْمُبَالِغَةِ فِي الْفَخْرِ، أَوِ الْمُبَالِغَةِ فِي الْوَصْفِ، أَوِ الْمُبَالِغَةِ فِي التَّحْقِيرِ، أَوِ التَّنْدَلِ فِي الْحُبِّ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: "هُوَ أَنْ يَسْأَلَ الْمُنْكَلَّمُ عَنْ أَمْرٍ يَعْرِفُهُ حَقِيقَةً، مُتَّظَاهِرًا بِالْجَهْلِ، لِيُغَايَةِ فِي نَفْسِهِ. وَقَدْ سَمَّاهُ السُّكَاكِيُّ سَوْقَ الْمَعْلُومِ مَسَاقَ الْمَجْهُولِ."<sup>1</sup> وَلَعَلَّ هَذَا مَا حَدَّثَ بِهِ الشَّاعِرُ حِينَ قَالَ:

بَعَثْتُ بِشِعْرٍ أَمْ يَعْقِدُ مِنَ الدُّرِّ؟ فَهَذَا أَنَا لَا أُدْرِي وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أُدْرِي

- قال محمد العيد آل خليفة عن حقوق الشعب الجزائري التي هضمها الفرنسيون:

مَا لِلْحُقُوقِ إِلَيْنَا غَيْرُ وَاصِلَةٍ؟ وَقَدْ سَمِعْنَا بِهَا مُنْذُ أَرْمَانِ  
هَلْ عَاقَهَا الْبَحْرُ عَنَّا فَهِيَ عَاجِزَةٌ عَنْ قَطْعِ مَا فِيهِ مِنْ لُحِّ وَشُطَّانِ؟  
أَمْ رَاقَهَا الْبَحْرُ حُسْنًا فَهِيَ سَابِحَةٌ تَلْهُو بِمَا فِيهِ مِنْ دُرٍّ وَمُرْجَانِ؟  
أَمْ التَّحَقَّقَتْ بِبَنَاتِ الْبَحْرِ فَاحْتَجَبَتْ عَنْ كُلِّ قَاصٍ مِنَ الرَّاغِبِينَ أَوْ دَانَ؟

فالشاعر يتساءل: لماذا يرفض الفرنسيون الاعتراف بحقوق الشعب الجزائري التي اغتصبوها، ويطلقون الوعود الفضفاضة من وراء البحار؟ لم يجد الشاعر أي عذر يقبله العقل أو المنطق، فلجأ إلى الخيال، واستمد منه صورة ساخرة، ولاذعة، فقال متسائلا مستهزئا: ربما تلك الحقوق قد عاقها البحر، وأخرها عن مواعدها؟ أو ربما راقها حسنه، فأعجبت بجماله، وقررت الإقامة معه، وأصبحت واحدة من بناته؟ إن كل تلك الاستفهامات ليست حقيقية، بل إن وراء تلك التساؤلات يقينا بأن الفرنسيين يرفضون الاعتراف بتلك الحقوق، وهم فقط يماطلون، ويراوغون، وتلك أخلاقهم.

- وقال محمد العيد في الذكرى الأولى لوفاة الإمام محمد البشير الإبراهيمي:

هَلْ كُنْتُ عَيْسَى الَّذِي أَحْيَا الرُّقَاةَ بِمَا أَحْيَا وَبَدَّلَ آجَالًا بِآجَالِ؟ أَمْ الْبَشِيرَ الَّذِي أَلْقَى الْقَمِيصَ عَلَى يَعْقُوبَ طَبًّا بِنُورٍ لِلْأَسَى جَالِي؟  
أَمْ الْبَشِيرَ الَّذِي أَلْقَى الْعِظَاتِ عَلَى شَعْبِ الْجَزَائِرِ مَرْمُوقًا بِإِجْلَالِ؟

الشاعر يعلم أن المخاطب هو البشير الإبراهيمي، بيد أنه تجاهل ذلك، وادّعى أن الأمر قد التبس عليه، فلم يدر أهو عيسى بن مريم الذي أحى الموتى؟ أم البشير الذي بشر يعقوب عليه السلام بخبر ابنه يوسف، وألقى عليه قميصه، ليرتد بصيرا؟ أم هو البشير الإبراهيمي الذي أدّى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل تحرير الجزائر؟ كل تلك الأسئلة، وذلك التجاهل من أجل المبالغة في الرثاء، والمغالاة في تعظيم الرجل، وتقديس دوره في إخراج الأمة الجزائرية من ظلمات الجهل، إلى نور العلم.

- قال بشارة الخوري في رثاء سعد زغلول:

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 608.

قَالُوا ذَهَبَتْ مِصْرَ دَهْيَاءَ فَقُلْتُ لَهُمْ      هَلْ غِيَّضَ النَّيْلُ أَمْ هَلْ زُلْزِلَ الْهَرَمُ؟  
قَالُوا أَشَدُّ وَأَدْهَى، قُلْتُ: وَيَحْكُم      إِذَا لَقِدْ مَاتَ سَعْدٌ وَأَنْطَوَى الْعَلَمُ

فالشاعر يسأل القوم - وهو منهم أعلم - عن الداهية التي ألمت بمصر، لكنه ليس سؤال من ينتظر الإجابة، فاستفهام الشاعر ليس حقيقياً، إنه عارف منذ البداية أن النيل لو نضب، والهرم لو زلزل، ليس ذلك بأشدّ هولاً، ولا أعظم خطباً، من أن يدك طود شامخ يسمى سعد زغلول، فواضح إذن أن الشاعر كان عارفاً، لكنه تجاهل معرفته تلك، وخلق قصّة السؤال، ليصيب هدفه، وهو المبالغة في الرثاء.

- وقال بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة المتنبي:

يَا مُلَيْسَ الْحِكْمَةِ الْغَرَاءِ رَوْعَتَهَا      حَتَّى هَنَفْنَا: أَوْحِيَا قُلْتَ أَمْ أَدْبَا؟

على خطأ القصيدة الأولى يأتي الشاعر هذه المرة، ويسألنا: هل قال "نبي" القافية، و"رب" الحكمة الوحي، أم قال الأدب؟ فلو نظرنا إلى نبوته الشعرية لقلنا: وحيًا، ولو نظرنا إلى أدبه الحكيم لقلنا: أدبًا، ولكن المتنبي في الحقيقة ليس إلا لقباً أطلقه عليه حسّاده، يتهمونه فيه بادعاء النبوة، لكنهم صدقوا حين نهقوا، ومدحوا حين قدحوا، وهل النبوة إلا ثورة ضد التقليد، وإيمان بالتجديد؟ وهذا شاعرنا يسأل: هل كان ما يخرج من فم أبي الطيب وحيًا، أم كان مجرد أدب؟ ليس لدينا أدنى شك في أن الشاعر يعلم، لكنه لكي يصل إلى مراده، وهو المبالغة في التعظيم، تجاهل تلك المعرفة اليقينية، وساق المعلوم مساق المجهول، لغرض بلاغي.

- وتجاهل العارف يكون في النثر أيضاً، ومثاله قول ميخائيل نعيمة واصفاً حال الإنسانية اليوم:

"مَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ؟ أَهْوَى عَنَابِ الْأَصْحَابِ بَعْدَ طَوْلِ الْغِيَابِ؟ أَمْ هِيَ الْفَوْضَى تَغْلِي مَرَاجِلَهَا وَتَقُورُ؟ أَمْ أَنَّ رَبَّانَ سَفِينَةَ الْبَشَرِيَّةِ قَضَى وَكَفَّهُ عَلَى الدَّقَّةِ، فَتَاهَتِ السَّفِينَةُ بَيْنَ الرِّيحِ وَالْمَوْجِ، وَدَبَّ الذُّعْرُ بَيْنَ الرُّكَّابِ، فَكَانَتِ الْبَلْبَلَةُ، وَكَانَتِ الْجَلْبَةُ، وَكَانَتِ الضُّوْضَاءُ الَّتِي تَسْمَعُونَ؟"

- ومنه في النثر قول الأديب محمد المويلحي في وصف روضة: "وَلَمَّا رَأَى رَفِيقِي مَسَالِكَ الرُّوْضِ مُنْضَدَّةً، وَطُرُقَهُ مُرْصَعَةً مُرْزَدَّةً، حَسِبَهَا أَرْضًا مَفْرُوشَةً، بِبُسْطٍ مَنُقُوشَةً، وَأَشْكَلَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ، فَهَمَّ بِخَلْعِ نَعْلَيْهِ."

- قال أحمد شوقي في رثاء رياض باشا:

سَأَلْتُكَ: مَا الْمَنِيَّةُ؟ أَيُّ كَأْسٍ؟      وَكَيْفَ مَدَأْفَاهَا؟ وَمِنْ السُّقَاةُ؟

هل يمكن أن تتخيل فعلاً أن شوقي لا يعرف تلك الأسئلة إجابات؟ إنه يعرف أكثر من كل الناس إجابات الأسئلة الأربعة، لكنه تظاهر بالجهل، موحياً أنه تحت وقع الصدمة، لذلك هو لا يعلم شيئاً عنها، ولذلك ساق هذه الأسئلة، وأشد هذا البيت عازفاً على وتر المبالغة في الرثاء.

- ومن تجاهل العارف بغرض المبالغة في الوصف قول أحمد شوقي في وصف الطائرة:

أَعْقَابٌ فِي عَنَانَ الْجَوِّ لَاحٍ؟      أَمْ سَحَابٌ فَرَّ مِنْ هَوَاجِ الرِّيَّاحِ؟

يتظاهر شوقي بأنه قد التبس عليه الأمر، فلم يعرف حقيقة هذا الشيء، وكأنّ الطائرة قد سحرت عينيه، فبات حائرا: أهي عقاب، أم سحاب؟ وذلك لإفادة أن الطائرة في عصره قد بلغت من العظمة مبلغا يحصل معه هذا الالتباس.

- قال شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:

نُوفَمْبَرُ جَلِّ جَلَالِكَ فِينَا      أَلَسْتَ الَّذِي بَثَّ فِينَا الْيَقِينَا؟

إن مفدي زكريا يعلم أن نوفمبر هو الذي زرع الوعي في نفوس الشعب الجزائري، لكنه تظاهر أنه لا يعلم، فهو متيقن أن نوفمبر مصدر يقين الشعب بالتحرك، والاستقلال، لكن الشاعر تجاهل ذلك، وساق اليقين مساق الشك عن طريق الاستفهام، بغرض المبالغة في تعظيم هذا الشهر.

- وقال شاعر المهجر نصر سمعان في وصف جمال الطبيعة في بلاده لبنان:

وَلِلْغُصُونِ حَفِيفٌ حَارَ سَامِعُهُ      أَحْفَقُ أَوْ رَاقَهَا أَمْ هَمْسُ عُشَّاقٍ؟

فالشاعر يسأل عما يعلمه حقيقة، فهو يدري أن حفيف تلك الغصون من خفق أوراق الأشجار، لكنه تجاهل ذلك، وتظاهر بأنه لا يدري، من أجل المبالغة في الوصف.

ومن تجاهل العارف الذي غرضه الفخر قول حافظ إبراهيم:

مَطَالِعُ سَعْدٍ أَمْ مَطَالِعُ أَقْمَارٍ      تَجَلَّتْ بِهِذَا الْعِيدِ أَمْ تِلْكَ أَشْعَارِي؟

فالشاعر يتظاهر بالجهل، لذلك نحن أيضا سنسألك: هل تسألك يا حافظ هو عن حقيقة تجهلها، فتريد لها معرفة، أم عن حقيقة متجاهلة، تقصد من ورائها المبالغة في فخرك بما تطلعه من أقمار، وما تنشده من أشعار؟

ومن تجاهل العارف الذي غرضه التذلل في الحب قول الشاعر:

حَبَّذَا مِنْهُ مُقْلَةٌ لَسْتُ أُدْرِي      أَبْهَدُ تَصُـوْلُ أَمْ بِنَبَالٍ؟

فشاعرنا قد خبله الحب، وسحرت عيونه المُقْلُ، فأعمت بصره وبصيرته، وبات عاجزا عن تمييز الأهداب من النبال!

### بلاغة تجاهل العارف:

في تجاهل العارف يسوق الأديب المعلوم مساق غيره، ليصيب هدفه، وهو المبالغة في مدح، أو وصف، أو سوى ذلك، فالأديب بذلك يُظهر أنه تحرّى الدقة، واستقصى الحقيقة عن طريق الشك. لذلك عرف أبو هلال العسكري هذا الفن بقوله: "هُوَ إِخْرَاجُ مَا يُعْرَفُ صِحَّتُهُ مَخْرَجَ مَا يُشَكُّ فِيهِ، لِيَزِيدَ بِذَلِكَ تَأْكِيدًا".<sup>1</sup> ضف إلى ذلك أن تجاهل العارف حين يحقق المبالغة في المعاني، فهو يصورها بأفخم، وبمظهر أبهى.

**تدريب:** دُلَّ عَلَى تَجَاهُلِ الْعَارِفِ، وَاشْرَحْهُ:

<sup>1</sup> الصناعتين ص 412.

- قال ميخائيل نعيمة مخاطبا النهر المتجمد:

يَا نَهْرُ: هَلْ نَضَبْتَ مِيَاهُكَ فَانْقَطَعْتَ عَنِ الْخَرِيرِ؟  
أَمْ قَدْ هَرَمْتَ وَخَارَ عَزْمُكَ فَانْتَنَيْتَ عَنِ الْمَسِيرِ؟

- قال محمود غنيم في شأن صديقه محمد مصطفى الماحي، وكان يسكن في شارع يسمّى (شارع البحري):

الشَّاعِرُ الْمَاحِي الرَّقِيقُ الْعَبْقَرِي  
فَسَأَلْتُ: أَيُّ الشَّاعِرَيْنِ مُرَادُهُمْ  
فَرَسَا رِهَانٍ، لَيْسَ بَيْنَ كَلَيْهِمَا  
فِي شَارِعِ سَمَوُهُ بِاسْمِ الْبُحْرِي  
قَدْ حِرْتُ فِي هَذَا، وَزَادَ تَحْيُرِي  
مِنْ فَارِقٍ غَيْرِ اخْتِلَافِ الْأَعْصَرِ

- وقال في المجاهدة الجزائرية (جميلة بوحيرد):

أَنَا لَسْتُ أَدْرِي: مِنْ زَيْبٍ  
رِ كَانِ صَوْتُكَ أَمْ مِنْ صُدَاخِ؟

- وقال محمود غنيم:

فِي أَيِّ جَنَّةٍ خُلِدِ أَنْتِ نَاشِئَةٌ  
وَكَيْفَ أَقَلْتِ هَذَا الْوَجْهَ رِضْوَانُ؟!

- قال مفدي زكريا متغنيا بجمال مدينة (تلمسان) الجزائرية:

أَفِي رَفْرِفِ الْخُلْدِ قَدْ وَجَدُوا  
تِلْمَسَانَ، فَاخْتَطَفَوْهَا اخْتِطَافًا؟

- وقال مفدي زكريا في الاستعمار:

أَجْهَنْتُمْ هَذَا الَّذِي أَفْوَاهُهَا  
أَمْ أَرْضُ رَبِّكَ زُلْزَلَتْ زِلْزَالَهَا  
مِنْ كُلِّ فَجٍّ، نِقْمَةٌ تَنْفَجَّرُ؟  
لَمَّا طَعَى فِي أَرْضِهِ الْمُسْتَعْمِرُ؟

- قال الشاعر السوري زهير فرعون في وصف (مركبة الفضاء):

أَيُّ صَوْتٍ مُجَلْجَلِ الْأَصْدَاءِ؟  
أَثْرَاهُ النَّذِيرُ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ  
أَيُّ دُعْرِ يَمْوُجُ فِي الْأَنْحَاءِ؟  
بِصَوْتِ يَرِنُ فِي الْأَجْوَاءِ؟  
أَتُرَى مَارِدًا مِنَ الْجِنِّ يَسْعَى  
بَيْنَ رَحْبِ الْفَضَاءِ وَالْعَبْرَاءِ؟

- قال بشارة الخوري في الغزل:

طَالَعْتُ وَجْهَكَ وَالصَّبَاحَ فَلَمْ أَكُنْ  
أَتَبَيِّنُ الصُّبْحَ الْمُنُورَ مِنْهُمْ مَا

- قال محمد العيد آل خليفة بعد دعوته لحفلة تكريمية:

فِيَا أَسْفًا يُدْعَى الْحَمَامُ عَشِيَّةً  
تُرَى؟ خَافَ بَعْضَ الصَّائِدِينَ يُصِيبُهُ  
لَقَدْ صَدَدْنَا عَنْ قَالَةِ الشُّعْرِ أَنْتَا  
لَيْسَ جَعَّ لَكِنْ لَا يَمِيلُ لَيْسَ جَعًا  
فَيَسْقُطُ مَكْسُورَ الْجَنَاحِ مُضْعَضَعًا  
نَرَى جُلَّهُمْ قَدْ خَابَ فِي جُلِّ مَا ادَّعَى

- قال الشاعر القروي في قصيدة (حبة القمح):

لَكَ قَائِلٌ: نِصْفِي يَخْصُ أَخَاكَ

لِزُرُقِ الْعَصَا فِيرِ أَخْبَارِنَا؟

مَنْ أَفِيرُ هَا الْخُمْرُ شُبَّاكَنَا؟

وَتَغْمُرُ بِالقَشِّ أَبْوَابَنَا؟

وَلَا حَا سَوَاءٌ قِيلَ: أَيُّهُمَا الْبَدْرُ؟

- قال حافظ إبراهيم في رثاء الطيار العثماني فتحي بك الذي سقطت به الطائرة قرب دمشق:

دَ وَأَنْتَ مُخْتَرِقُ السُّثُورِ؟

ءِ وَتَلَاكَ قَاصِمَةُ الظُّهُورِ؟

غَابَ عَن صَدْرِهِ وَعَافَ الْخِطَابَا

أَنْ يُبَادِيَ فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا

قَدْ عَرَاهُ، لَقَدْ أَطَالَ الْغِيَابَا

أَجَدَّتِ الْإِيَامُ أَمْ تَمْزُحُ؟

أَمْ ذَاكَ لِلْإِهْيَابِ بِنَا مَسْرُحُ؟

أَمْ الْحَرْبُ أَدْنَى مِنْ وَرِيدِ وَأَقْرَبُ؟

أَرْنَا بَعَيْنِ أَمْ رَمَى بِسِهَامِ؟

أَمْ ذَا حَرِيرِي الْوَقْتِ قَدْ ظَهَرَ؟

وَالشَّمْسُ قَدْ أَشْرَقَتْ أَمْ ذَا مُحْيَاهَا؟

وَلَحْظُكَ أَمْ سَيْفٌ لِقَتْلِي تَجَرَّدَا؟

وَكَاثَمَا الشَّقُّ الَّذِي فِي وَسْطِهَا

- قال نزار قباني في الغزل:

أَأَنْتَ الَّذِي يَا حَبِيبِي تَقْلَتِ

فَجَاءَتْ جُمُوعًا جُمُوعًا تَدُقُّ

وَتُغْرِقُ مَضْجَعَنَا زَقَزَقَاتِ

- قال محمود سامي البارودي:

إِذَا سَفَرْتَ وَالْبَدْرُ لَيْلِيَّةٌ تَمَّهِ

- قال حافظ إبراهيم في رثاء الطيار العثماني فتحي بك الذي سقطت به الطائرة قرب دمشق:

وَيُلَاةَ هَلْ جُزْتَ الْخُدُودُ

فَرَمَاكَ حُرَّاسُ السَّمَا

- وقال في رثاء سعد زغلول:

أَيَّنَ سَاعِدٌ؟ فَذَاكَ أَوْلُ حَفْلِ

لَمْ يُعَوِّدْ جُنُودَهُ يَوْمَ حَطِّبِ

عَلَّ أَمْرًا قَدْ عَاقَبَهُ، عَلَّ سُقْمًا

- وقال حافظ إبراهيم:

أَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خُبْرَةٍ

أَمْوَقِيفٌ لِلْجِدِّ نَجَّتْ أَرَهُ

- قال أحمد شوقي:

فَقُلْتُ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ مَا أَرَى

- وقال شوقي مع تسمية النوع:

تَدْرِي وَتَسْأَلُنِي تَجَاهِلَ عَارِفِ

- قال عبد الباقي العمري في المدح:

هَذَا بَدِيعُ الزَّمَانِ قَدْ نَشَرَ

- قال محمد الغلامي في الغزل:

هَلَالَ أَفُقٍ بَدَا أَمْ تَلَاكَ عُرْتُهَا؟

- قال أمين الجندي، وفيه حسن تعليل:

جَبِينُكَ أَمْ نُورُ الصَّبَاحِ لَنَا بَدَا؟

دَمِي فَأَكْتَسَى مِنْ لَوْنِهِ وَتَوَرَّدَا؟  
فَدَيْتُكَ أَمْ ذَاكَ النَّجَاشِيُّ تَسْوَدَا؟

- قال إيليا أبو ماضي بمناسبة الحفلة التكريمية التي أقيمت على شرفه في لوس أنجلس:

وَأَنَا؟ أَصَاحٍ أَمْ شَرِيبَتْ مُخَدَّرَا؟  
وَتَعَجَّبُوا إِنْ لَمْ أَكُنْ مُنْحَيَّرَا

وَفِي الْخَدِّ وَرُدُّ مِنْكَ أَمْ سَالَ فَوْقَهُ  
وَخَالَ عَلَى كُرْسِيِّ وَجَنَّتِكَ اسْتَوَى

يَا قَوْمُ هَلْ هَذِي حَقَائِقُ أَمْ رُؤَى؟  
لَا تَعَجَّبُوا مِنْ دَهْشَتِي وَتَحْيُرِي

- وقال في وصف طفلة صغيرة:

أَمْ مَلَائِكُ طَاهِرٌ فَوْقَ النَّوَى؟

دُمَيْةٌ حَسَنَاءُ تُغْرِي النَّظْرَا

- قال رشيد أيوب شاكيا غربته في أرض المهجر:

وَنَارٌ بِقَلْبِي لَمْ تَحْمُدِ  
وَيَانَارٌ هَلْ أَنْتِ مِنْ مَوْقِدِ؟

دُمُوعٌ بِعَيْنِي لَمْ تَجْمُدِ  
فَيَا دَمْعُ هَلْ أَنْتِ مِنْ لَجَّةِ

- قال الشاعر:

مُبْتَسِمَاتٌ وَتُغُورُ الْمِالَاحُ  
فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ، كُلُّ أَقَاخُ

قَلْبَتْ لِحَايِي وَتُغُورُ الرُّبَا  
أَيُّهَا أَحْلَى تُرَى مَنْظَرَا

- قال الشاعر:

أَعَزَّتِ الصَّبَاحُ نُورَهُ أَمْ أَعَارَكَ؟

وَطَرَّةٌ صُبْحٍ أَمْ جَبِينُكَ سَافِرَا؟

## الْجَمْع

**تعريف الجمع:** هُوَ أَنْ يَجْمَعَ الْأَدِيبُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، أَوْ عِدَّةِ أَشْيَاءٍ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ.<sup>1</sup>

- قال نزار قباني:

أَيُّنَ اللَّوَاتِي حُبُّهُنَّ عِبَادَةٌ      وَغِيَابُهُنَّ وَفُرُجُهُنَّ عَذَابٌ؟

فالشاعر جمع بين شيئين (الغياب، والقرب) تحت حكم واحد وهو العذاب.

- وقال نزار قباني بعد حرب الخليج:

لَمْ نَنْتَصِرْ يَوْمًا عَلَى ذَبَابَةٍ

لَكِنَّهَا تِجَارَةٌ الْأَوْهَامِ

فَخَالِدٌ وَطَارِقٌ وَحَمْرَةٌ

وَعُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ

وَالزُّبَيْرُ وَالقَّعْقَاعُ وَالصَّمْصَامُ

مُكَدَّسُونَ كُلُّهُمْ.. فِي عُلْبِ الْأَفْلامِ

فالشاعر كما ترى قد جمع خالدًا، وطارقًا، وحمرةً، وعقبة بن نافع، والزبير، والقعقاع، والصمصام، وحكم

عليهم كلهم بأنهم مُكَدَّسُونَ فِي عُلْبِ الْأَفْلامِ.

ومن نماذجه في الشعر العمودي قول محمود غنيم:

هِيَ الْعُرُوبَةُ لَفْظًا إِنْ نَطَّقْتَ بِهِ      فَالشَّرْقُ وَالضَّادُ وَالْإِسْلَامُ مَعْنَاهُ

فالشاعر جمع الشرق، والضاد (اللغة العربية)، والإسلام تحت حكم واحد، وهو معنى لفظ العروبة.

- ومن نماذجه النثرية الرفيعة قول نزار قباني في أثناء زيارته للجزائر: "أَحَاوِلْ تَهْرِيْبَ بَعْضِ الْقَصَائِدِ

الْعَرَبِيَّةِ إِلَيْكُمْ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ الْمُتَنَبِّي، وَأَبُو تَمَّامٍ، وَالْمَعْرِي، وَابْنُ الرُّومِي، وَأَبُو فِرَاسٍ أَسَاتِذَةً فِي الْجَامِعَةِ

الْعَبْرِيَّة".

فالأديب قد جمع زمرةً من الشعراء: المتنبّي، وأبا تمام، والمعري، وابن الرّومي، وأبا فراس، تحت حكم

واحد، وهو كونهم قد يصبحون أساتذة في الجامعة العبرية.

ومنه أيضا قوله: "لَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبْرِيَّ نَفْسَهُ مِنْ عَارِ الْهَزِيمَةِ، كُلُّنَا بِمَا فِي ذَلِكَ الْجُدْرَانِ، وَالْأَبْوَابِ،

وَالْأَشْجَارِ، وَمَصَابِيحِ الطَّرِيقَاتِ، غَارِقُونَ فِي التُّهْمَةِ حَتَّى الرُّكْبِ".

- قال أحمد أمين: "يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ النَّاسُ أَنَّ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ قَانُونٌ طَبِيعِيٌّ، وَأَنَّ الْغِنَى وَالْفَقْرَ قَانُونٌ طَبِيعِيٌّ، وَأَنَّ

الصِّحَّةَ وَالْمَرَضَ قَانُونٌ طَبِيعِيٌّ، وَأَنَّ الصَّلَاحَ وَالْفَسَادَ قَانُونٌ طَبِيعِيٌّ، وَأَنَّ الْهَزِيمَةَ وَالنَّصْرَ قَانُونٌ طَبِيعِيٌّ،

<sup>1</sup> وشي الربيع بألوان البديع الدكتورة عائشة فريد حسين ص 85.

وَأَنَّ اللَّهَ رَبَّطَ الْأَسْبَابَ بِالْمُسَبَّبَاتِ رَبْطًا مُحْكَمًا، وَجَعَلَ بَيْنَ الْمُقَدَّمَاتِ وَالنَّتَائِجِ عُرْوَةً وَثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَأَنَّ السَّمَاءَ لَا تُمَطَّرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً، وَأَنَّ مَنْ زَرَعَ الْحَنْظَلَ جَنَى الْحَنْظَلِ."

ولاحظ كيف أبدع الكاتب في الجمع بين كلّ ثنائيتين متضادتين تحت حكم واحد.

- قال مصطفى لطفى المنفلوطي في المدينة الإسلامية: "فَالْعَابِدُ فِي مَسْجِدِهِ، وَالْفَقِيهُ فِي دَرْسِهِ، وَالْمُعْرَبُ فِي خِرَانَةِ كُتُبِهِ، وَالرِّيَاضِيُّ فِي مَدْرَسَتِهِ، وَالكِيمِيَائِيُّ فِي مَعْمَلِهِ، وَالْقَاضِي فِي مَحْكَمَتِهِ، وَالخَطِيبُ فِي مَحْفَلِهِ، وَالْفَلَكِيُّ أَمَامَ أُسْطُرْلَابِهِ، وَالكَاتِبُ بَيْنَ مَحَابِرِهِ وَأُورَاقِهِ، إِخْوَةٌ مُتَصَافُونَ، وَأَصْدِقَاءُ مُتَحَابُّونَ، لَا يَخْتَصِمُونَ، وَلَا يَقْتَتِلُونَ، وَلَا يُكْفَرُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا."

فالكاتب كما رأيت قد جمع بين عدة أشخاص في المدينة الإسلامية في حكم واحد، وتحت مظلة واحدة، وهي الأخوة والصداقة.

- وقال المنفلوطي في (خطبة الحرب): "إِنَّ الشَّيْخَيْنِ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَالْفَارِسَيْنِ خَالِدًا وَعَلِيًّا، وَالْأَسَدَيْنِ حَمزَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَالْفَاتِحِينَ سَعْدًا وَأَبَا عُبَيْدَةَ، وَالْبَطْلَيْنِ طَارِقًا وَعُقْبَةَ، وَجَمِيعَ حُمَاةِ الْإِسْلَامِ مُشْرِفُونَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ مِنْ عَلِيَاءِ السَّمَاءِ، لِيَنْظُرُوا مَاذَا تَصْنَعُونَ بِمِيرَاثِهِمُ الَّذِي تَرَكُوهُ فِي أَيْدِيكُمْ، فَقُولُوا لَهُمْ: إِنَّا بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَإِنَّا عَلَى آثَارِكُمْ لَمُهْتَدُونَ."

فالأديب كما تلاحظ قد جمع بين عدة أشخاص تحت حكم واحد، فقد جمع أبا بكر وعمر، وخالدًا وعليًا، وحمزة والزبير، وسعدًا وأبا عبيدة، وطارقًا وعقبة، وجميع حُمَاةِ الْإِسْلَامِ وفاتحيه تحت حكم واحد، هو كونهم مشرفين منتظرين ماذا سيصنع الشباب بميراثهم، وأمانتهم المتروكة بأيديهم.

- وللمنفلوطي في تفضيل الفقر على الغنى: "إِنَّ الْعُلُومَ وَالْمَعَارِفَ وَالْمُخْتَرَعَاتِ وَالْمُكْتَسَفَاتِ بِأَجْمَعِهَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ الْفَقْرِ، وَثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِهِ، وَمَا الْآرَاءُ السَّامِيَّةُ وَالْأَفْكَارُ النَّاصِجَةُ الَّتِي رَفَعَتْ شَأْنَ الْمَدِينَةِ الْحَدِيثَةِ إِلَّا أَبْخَرَهُ الْأَدْمَعَةَ بِنِيرَانِ الْهُمُومِ."

- وللمنفلوطي أيضا: "الصَّانِعُ، وَالزَّارِعُ، وَالتَّاجِرُ أَشْرَافُ، مَتَى كَانُوا أُمْنَاءَ مُسْتَقِيمِينَ."

- قال البشير الإبراهيمي: "الْأَخْلَاقُ وَالْآدَابُ وَالْأَفْكَارُ وَالْإِحْسَاسَاتُ وَالْإِتِّجَاهَاتُ الْعَامَّةُ، هِيَ الْأُمْتَعَةُ الَّتِي يَرِثُهَا جِيلٌ عَنْ جِيلٍ."

فالأخلاق والآداب والأفكار والإحساسات والاتجاهات العامة، كلُّ هذا مجموع في حكم واحد، وهو كونها الأمتعة التي تراثها الأجيال عن بعضها البعض.

- وقريب منه قول ميخائيل نعيمة: "أَفْكَارُ النَّاسِ وَأَحَاسِيْسُهُمْ وَأَحْلَامُهُمْ فِي اتِّصَالِ أَبَدِيٍّ، رَغَمَ الْمَسَافَاتِ وَالْعَقَبَاتِ."

- قال توفيق الحكيم: "الْكَتُبُ وَالْمَعَارِفُ وَالْفُنُونُ هِيَ الْفَوَارِبُ الَّتِي نَصْعَدُ بِهَا مُسْتَكْشِفِينَ، مُنْقَبِينَ فِي مَنَابِعِ نَهْرِ الْحَيَاةِ الْكَبِيرَةِ."

فالكاتب قد حشر ثلاثة أشياء: الكتب والمعارف والفنون، وجعلها في حكم واحد، وهو تشبيهها بالقوارب.

- قال طه حسين: "العلم والفن والمعرفة كنوز لا يُقصد منها انقطاع الناس بها، وتهافتهم عليها، وازدحامهم على الإمعان فيها، وإنما يزيدونها ذلك خصباً إلى خصب، وثرأء إلى ثراء".  
فالكاتب جمع العلم والفن والمعرفة تحت حكم واحد، وهذا الحكم هو تشبيهها بالكنوز.  
- قال أحمد شوقي:

وَمَا الْأَهْلُ وَالْأَحْبَابُ إِلَّا لِأَلِيٍّ      تُفَرِّقُهَا الْأَيَّامُ وَالسَّمَطُ يَجْمَعُ

فالشاعر قد جمع بين الأهل والأحباب تحت حكم واحد، وهو تشبيههما باللالئ.

- قال الشاعر الجزائري رمضان حمّود:

إِنَّمَا قَلْبِي وَرُوحِي وَفَمِي      أَلَّةٌ تَسْعَى لِرَفْعِ الضَّرَرِ

فالشاعر قد جمع ثلاثة أشياء (قلبه، وروحه، وفمه) تحت حكم واحد، وهو تشبيهها بالآلة.

- قال محمد العيد عن الجزائر:

فَكُلُّ لَيَالِيهَا وَأَيَّامِهَا لَنَا      وَلَايِمٌ لَمْ تَبْرَحْ، تَلِيهَا وَلَايِمٌ

فالشاعر قد جمع شينين (الليالي، والأيام) تحت حكم واحد، وهو تشبيههما بالولائم.

- يُرَوَى أَنَّ الْأَمِيرَ سَعِيدَ الشَّهَابِيِّ دَعَا الدُّكْتُورَ شَاكِرَ الْخُورِيِّ إِلَى الْغَدَاءِ، وَكَانَ الطَّعَامُ كُوسًا مَحْشِيًا، لَكِنَّ الضَّيْفَ لَمْ يَجِدْ فِي الْمَحْشِيِّ لَحْمًا، فَقَالَ مَدَاعِبًا صَدِيقَهُ:

قَدْ قِيلَ إِنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلَاثَةٌ      وَالْآنَ رَابِعَةٌ أَتَتْ بِمَزِيدِ

الْغُورِ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخِلُّ الْوَفِيُّ      وَاللَّحْمُ فِي مَحْشِيِّ الْأَمِيرِ سَعِيدِ

### بلاغة الجمع:

في الجمع إيجاز في الأسلوب، لكون الأشياء المتعددة تُجمع في خبر واحد، ولو جعل البليغ لكل شيء خبراً، لطال الكلام، وانحرف عن طريق جماله، وفنُّ الجمع يثير الفكر، وذلك حين يجمع البليغ بين أشياء كثيرة متتالية في حكم واحد، كما يثير فنُّ الجمع تشويق النفس إلى معرفة الحكم، حين تتوالى الأشياء المجموعة، فإذا ما جمعت كلها في حكم واحد، تمكّن هذا الحكم في النفس أيما تمكّن. "وتتضح بلاغة الجمع في ترتيب الأفكار، وتنظيمها، وإصابة الغرض من جمع أشياء تحت حكم واحد، مما يدل على دقة ملاحظة الأديب، فيتميز الأسلوب بالإيجاز، والبلاغة بالإيجاز".<sup>1</sup>

**تدريب:** حدّد الجمع فيما يأتي، وشرحه:

- قال الشاعر الجزائري محمد الهادي السنوسي الزاهري:

إِنَّ الْفَصَاحَةَ وَالْبَيَانَ كِلَاهُمَا      سَهْلٌ إِذَا كَانَ اللِّسَانُ قَتِيقًا

- قال شاعر المهجر إلياس عبد الله طعمة في "بياعة الزهور"

<sup>1</sup> وشي الربيع بألوان البديع ص 87.

زَهْرِي وَقَلْبِي لِلظَّرِيفِ الْكَاسِي

تَمَارَجَاتٌ فِيهِ أَنْوَارٌ بِأَنْوَارِ

وَحِيَاطَةُ الْمَوْلَى لَهُ أَنْوَارُ

وَبِلَاغَةُ الْأَعْرَابِ مِلءُ لَهَاتِهِ

أَيُّ تَاجٍ أَعَزُّ مِنْ تَاجِيكَ؟

وَصَبْرِي وَنَوْمِي فِي هَوَاكَ شَرِيدُ

لَمْ يَجْنِهَا غَيْرُ سُوءِ الظَّنِّ بِاللهِ

وَالصَّوْلُجَانُ جَمِيعُهُمَا أَنْثَامُ

يُوسَمُ بِأَزْيِنٍ مِنْهُمَا مَلَكُوتُهُ

فَالْكُلُّ جَمْرٌ قَدْ تَاجَجَ حَرُّهُ

كَالشُّهْبِ لَا تُخْطِئُ الشَّيْطَانَ فِي الظُّلَمِ

خَيْالِ سَرَى طَارِقًا فِي مَنَامِ

طَبَعُ جُبَابَتٍ عَلَيْهِ غَيْرُ تَطْبَعِ

وَقَفْتُ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالْمُسْتَوْدَعِ

فَتَبَسَّمتْ وَحَنَّتْ عَلَيَّ تَقُولُ لِي:

- قال علي الجارم:

عِيدٌ بِهِ الْأَرْضُ وَالْأَفَاقُ مُشْرِقَةٌ

- وقال يصف بيت ممدوحه:

الذِّينُ وَالْخُلُقُ الْمَتِينُ أَسَاسُهُ

- وقال علي الجارم:

الْحَقُّ وَالْإِيمَانُ مِلءُ فُؤَادِهِ

- قال الأخطل الصغير (بشارة الخوري):

الصَّبَابُ وَالْجَمَالُ مُلْكُ يَدَيْكَ

- قال محمود سامي البارودي في يوم عيد الفطر وهو في الحرب:

أَرَاكَ الْحَمَى شَوْقِي إِلَيْكَ شَدِيدُ

- وقال سامي البارودي:

فَالْبُخْلُ وَالْجُبْنُ فِي الْإِنْسَانِ مَنْقَصَةٌ

- قال أحمد شوقي واصفًا الدَّهْرَ :

سِـكِّينُهُ وَيَمِينُهُ وَحِزَامُهُ

- وقال في لبنان:

لُبَّانُ وَالْخُلْدُ اخْتِرَاعُ اللهِ لَمْ

- قال ناصيف اليازجي:

لِلَّهِ وَجَنَّتُهُ وَقَلْبِي وَالْهَوَى

- قال علي الدرويش:

خُيُولُهُمُ وَالْعَدَى وَالنَّقْعُ ثَالِثُهَا

- قال ظافر الحداد:

فَمَا الْمَالُ وَالْعَيْشُ إِلَّا كَطَيْفِ

- قال ابن معصوم:

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْفَضَائِلَ وَالنَّدَى

وَالْمَجْدُ وَالشَّرْفُ الْمُؤْتَلُّ وَالْعُلَا

## التَّفْرِيق

**تعريف التَّفْرِيق:** هُوَ أَنْ يَعْمَدَ الْأَدِيبُ إِلَى شَيْئَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، فَيُوجَدُ بَيْنَهُمَا تَفْرِيقًا، وَتَبَايُنًا فِي دَرَجَةِ كُلِّ مِنْهَا، زِيَادَةً أَوْ نُقْصَانًا. بِمَعْنَى أَوْضَحَ أَنْ يَعْقِدَ الْأَدِيبُ مُقَارَنَةً، أَوْ قِيَاسًا بَيْنَ شَيْئَيْنِ، لَا لِشَيْءٍ إِلَّا لِيَخْلُقَ تَفْرِيقًا، وَتَبَايُنًا بَيْنَهُمَا.

- قال نزار قباني:

الْحَرْفُ فِي قَلْبِي نَزِيفٌ دَائِمٌ وَالْحَرْفُ عِنْدَكَ مَا تَعَدَّى الْإِصْبَاعَ

إنَّ الشاعِرَ قَدْ عَمَدَ إِلَى شَيْئَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَهُمَا: الحَرْفُ فِي قَلْبِ الشَّاعِرِ، وَالحَرْفُ عِنْدَ مَحْبُوبَتِهِ، ثُمَّ أَوْجَدَ تَفْرِيقًا، وَتَبَايُنًا فِي الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ: فَالحَرْفُ فِي قَلْبِ الشَّاعِرِ جَرْحٌ دَائِمٌ، وَنَزِيفٌ دَائِمٌ، وَالحَرْفُ عِنْدَ مَحْبُوبَتِهِ لَا يَتَعَدَّى الْأَصَابِعَ الَّتِي تَكْتَبُهُ.

- ومنه قول أحمد شوقي:

أَيُّنَ نَوْرُ الرَّبِيعِ مِنْ زَهْرِ الشَّعْرِ — رِ؟ إِذَا مَا اسْتَوَى عَلَى أَفْنَانِهِ

عمد شوقي إلى شيئين من جنس واحد (زهر الربيع، وزهر الشعر)، ثم أوجد تفريقًا وتباينًا بينهما، حيث فضّل زهر الشعر عن زهر الربيع، لأنّ الأول خالد، والثاني فان.

- ومثله قول الشاعر مفدي زكريا:

وَكَلَّمَ مُوسَى اللَّهَ فِي الطُّورِ خُفِيَةً وَفِي الْأَطْلَسِ الْجَبَّارِ كَلَمًا جَهْرًا

لعلّك لاحظت أنّ الشاعِرَ قَدْ عَمَدَ إِلَى شَيْئَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَهُمَا: تَكْلِيمُ اللَّهِ لِمُوسَى فِي الطُّورِ، وَتَكْلِيمُهُ لَنَا - نحن الجزائريين - فِي جِبَالِ الْأَطْلَسِ، ثُمَّ أَوْجَدَ بَعْدَ ذَلِكَ تَبَايُنًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَهُمَا، فَاللهُ كَمَا يَقُولُ الشَّاعِرُ قَدْ كَلَّمَ نَبِيَّهُ مُوسَى خُفِيَةً، بَيْنَمَا كَلَّمَ الشَّعْبَ الْجَزَائِرِيَّ جَهْرًا.

- قال علي الجارم:

لَيْسَ الْقَوِيُّ بِنَابِيهِ وَيُظْفِرُهُ — مِثْلَ الْقَوِيِّ بِرَأْيِهِ وَتَبَاتِيهِ

فالشاعر عمد إلى شيئين من جنس واحد، وهما قوة الجسد، وقوة الرأي، ثم أوجد تفريقًا بينهما، فالإنسان إنسان بئبته لا بوئبته.

- قال حافظ إبراهيم:

مَا الْحَرْبُ تُذَكِّيهِا قَنًا وَصَوَارِمُ — كَالْحَرْبِ تُذَكِّيهِا نُهْيٌ وَعُقُولُ

فالشاعر قد عمد إلى شيئين من نوع واحد، وهما قتال السيوف، ونزال العقول، فكلاهما حرب، ثم أوجد فرقا بين هذين الحربين، فليست الحروب التي تُسْعَلُ نَارَهَا العقول، كالحروب التي تُقْرَعُ فِيهَا السيوف.

والأمر ذاته في قوله:

أَزَعِيْمُكُمْ شَاكِي السَّلَاحِ مُدَجِّجٌ — وَزَعِيْمُنَا فِي كَفِّهِ مِنْ دِيْلُ؟

- قال علي الجارم:

دَافَعْتُ بِالْغَزْلِ الْحُنُونِ لِحَاطِهَا      شَتَّانَ بَيْنَ سِلَاحِهَا وَسِلَاحِي

فالشاعر قد عمد إلى شيئين من جنس واحد، وهما سلاح الحبيب وسلاح النسيب، ليوجد تفريقاً وتبايناً بينهما فسلح الشاعر غزلٌ وهيام، وسلاح المحبوب نبلٌ وسهام.

- وقال الجارم:

مَا صُبِحَ يَوْمٌ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَةً      كَصَبَاحِ يَوْمٍ وَالنَّهَارُ نَهَارُ

حيث فرّق الشاعر بين أمرين من جنس واحد (الصُّبْحين)، فليس صبح يوم سماؤه مضطربة ومتلبدة بالغيوم كصباح يوم صافٍ ومشرق.

- ومن النماذج الراقية للتفريق قول ميخائيل نعيمة: "النَّارُ الَّتِي نَسْتَحْدِمُهَا لِلدَّفْعِ، أَوْ لَطْهِي الطَّعَامِ، هِيَ عَيْنُ النَّارِ نَسْتَحْدِمُهَا لِحَرْقِ النَّاسِ وَالْمَسَاكِينِ، فَهِيَ خَيْرٌ إِذَا اسْتَحْدَمْنَاهَا لِلْخَيْرِ، وَشَرٌّ إِذَا اسْتَحْدَمْنَاهَا لِلشَّرِّ، وَالسَّيَّارَةُ نَرْكَبُهَا لِزِيَارَةِ صَدِيقٍ، أَوْ لِعِيَادَةِ مَرِيضٍ، أَوْ لِنَفْرِيحِ كُرْبَةٍ مَكْرُوبٍ، هِيَ عَيْنُ السَّيَّارَةِ نَرْكَبُهَا لِلنَّهْبِ وَالسَّلْبِ، فَهِيَ خَيْرٌ إِذَا سَاقَهَا الْخَيْرُ، وَشَرٌّ إِذَا سَاقَهَا الشَّرُّ، حَتَّى السَّمِّ، يُصْبِحُ تَرْيَاقًا فِي يَدِ الْآسِي، وَالتَّرْيَاقُ يَنْقَلِبُ سُمًّا فِي يَدِ الْغَدَّارِ."

فالكاتب قد عمد إلى شيئين من جنس واحد، وهي نارُ التدفئة والطهي، ونارُ الحرائق، ثم أوجد تبايناً، وتفريقاً واضحاً بين النَّارين، فالأولى نار خير، والثانية نار شر، وفعل مثل ذلك في حديثه عن السيارة، وعن السم.

- ومن التفريق البليغ قول جبران خليل جبران: "لُبْنَانُكُمْ عُقْدَةٌ سِيَاسِيَّةٌ تُحَاوِلُ حَلَّهَا الْآيَّامَ، أَمَّا لُبْنَانِي فَتُلُوُّ تَتَعَالَى بِهَيْبَةٍ وَجَلَالٍ، نَحْوَ اذْرِقَاقِ السَّمَاءِ، لُبْنَانُكُمْ مُشْكَلَةٌ دَوْلِيَّةٌ تَتَقَادَفُهَا اللَّيَالِي، أَمَّا لُبْنَانِي فَأَوْدِيَّةٌ هَادِيَّةٌ سِحْرِيَّةٌ، تَتَمَوَّجُ فِي جَنَابَاتِهَا رَنَاتُ الْأَجْرَاسِ، وَأَغَانِي السَّوَاقِي، لُبْنَانُكُمْ صِرَاعٌ بَيْنَ رَجُلٍ جَاءَ مِنَ الْمَغْرِبِ، وَرَجُلٍ جَاءَ مِنَ الْجَنُوبِ، أَمَّا لُبْنَانِي فَصَلَاةٌ مُجَنَّحَةٌ، تُرْفَرِفُ صَبَاحًا عِنْدَمَا يَقُودُ الرُّعَاةُ قُطْعَانَهُمْ إِلَى الْمَرْوَجِ، وَتَتَصَاعَدُ مَسَاءً عِنْدَمَا يَعُودُ الْفَلَاحُونَ مِنَ الْحُقُولِ وَالْكُرُومِ، لُبْنَانُكُمْ حُكُومَةٌ ذَاتُ رُؤُوسٍ لَا عِدَادَ لَهَا، أَمَّا لُبْنَانِي فَجَبَلٌ رَهِيْبٌ وَدِيْعٌ، جَالِسٌ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالسُّهُولِ، جُلُوسٌ شَاعِرٍ بَيْنَ الْأَبْدِيَّةِ وَالْأَبْدِيَّةِ، لُبْنَانُكُمْ حِيَلَةٌ يَسْتَحْدِمُهَا الثَّغْلُبُ عِنْدَمَا يَلْتَقِي الضَّبْعُ، وَالضَّبْعُ حِينَمَا يَجْتَمِعُ بِالذُّبِّ، أَمَّا لُبْنَانِي فَتَذَكَرَاتٌ تُعِيدُ عَلَى مَسْمَعِي أَهَارِيحَ الْفَتَيَاتِ فِي اللَّيَالِي الْمُقْمَرَةِ، وَأَغَانِي الصَّبَايَا بَيْنَ الْبِيَادِرِ وَالْحُقُولِ."

- ومن التفريق البديع جواب الأعرابي الذي قيل له: "مَا بَلَغَ مِنْ حُبِّكَ لِفُلَانَةَ؟" فقال: "وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرَى الشَّمْسَ عَلَى حَائِطِهَا أَجْمَلَ مِنْهَا عَلَى حَيْطَانِ جِيرَانِهَا." قد والله صدق الأعرابي، وبرّت يمينه، فإنّ في كلماته الشعرية لأثراً من عينيه، فهو قد رأى الشمس على حائط المحبوبة كالشمس على البلور الصافي، في حين رأى الشمس نفسها على حائط جيرانها شمسا على كومة من حجر، وقطع من طين.

**بلاغة التفريق:**

سرّ الجمال في التفريق أنه يعرّف السامع وجه التباين، والاختلاف بين أمرين، يُظنُّ لأوّل وهلة أنهما متّفقان، كما يشفُّ على براعة في تلمّس عنصر التباين، مشفوعاً بالدليل، والبرهان، ويكمل جمالاً هذا الفن إذا رُشِحَ بمحسن بديعي آخر، إضافة إلى الطباق، كالجناس في قول الشاعر:

رَأَيْتُ عُبَيْدَ اللَّهِ يَضْحَكُ مُعْطِيًّا      وَيَبْكِي أَخُوهُ الْغَيْثَ عِنْدَ عَطَائِهِ  
وَكَمْ بَيْنَ ضَحَّاكٍ يُجُودُ بِمَالِهِ      وَأَخْرَبَ بَغَاءٍ يُجُودُ بِمَائِهِ

**تدريب:** ذلّ على التفريق، وشرحه فيما يأتي:

- كتب أحمد أمين قائلاً: "هل تعرف الفرق بين الحرير الطبيعي، والحرير الصناعي؟ وهل تعرف الفرق بين الأسد وصورة الأسد؟ وهل تعرف الفرق بين الدنيا في الخارج والدنيا على الخريطة؟ وهل تعرف الفرق بين عمك في اليقظة وعمك في المنام؟ وهل تعرف الفرق بين النار وهي تجري على لسانك، فلا تمسه بسوء؟ وهل تعرف الفرق بين النايحة الثكلى والنايحة المستأجرة؟ وبين التكلل في العينين والكحل؟ وهل تعرف الفرق بين الصوت والصدى؟ إن عرفت كل ذلك، فهو بعينه الفرق بين الدين الحق، والدين الصناعي. الدين الصناعي بين حركات وسكنات وألفاظ، ولا شيء وراء ذلك، والدين الحق بين روح وقلب وحرارة، و"لا إله إلا الله" في الدين الصناعي قول جميل لا مدلول له، أما في الدين الحق فهي كل شيء، هي ثورة على عبادة المال، وثورة على عبادة السلطان، وثورة على عبادة الجاه، وثورة على عبادة الشهوات. ف"لا إله إلا الله" في الدين الصناعي تذهب مع الرياح، وفي الدين الحق تُزلزل الجبال".

- قال خليل مطران:

وَمَا يَسْتَوِي فِي الْخُبِّ أَرْوَعُ فَاضِلٍ      وَأَحْمَقُ مَذْمُومٌ خَلَاتِقُهُ غِرُّ

- وقال مطران مهناً أحمد شوقي بعد عودته من منفاه:

إِنَّ الْأَدِيبَ وَقَدْ سَمَا بِبِلَائِهِ      غَيْرُ الْأَدِيبِ وَأَلَيْسَ رَبَّ بَلَاءِ

- وقال الشاعر في الأميرة (سميحة حسين)، وقد تبرّعت بجملة من حلّيها النفيس لجمعية الهلال الأحمر:

لَقَدْ شَبَّهُوكَ بِبَيْلِ الْبِلَادِ      وَأَيْنَ السَّحَابِ مِنَ الْأُبْحُرِ؟  
تَبَارَيْتُمَا، فَسَخَا بِالْمِيَاهِ      وَبِالْبُدْرِ جُذْتُ وَبِالْجَوْهَرِ

- قال إيليا أبو ماضي:

أَمَانِي كُلُّهَا مِنْ تُرَابِ      وَأَمَانِيكَ كُلُّهَا مِنْ عَسْجَدٍ؟  
وَأَمَانِي كُلُّهَا لِلتَّلَاشِي      وَأَمَانِيكَ لِلْخُأُودِ الْمُؤَكَّدِ؟  
أَدْمُوعِي خَلَّ وَدَمْعُكَ شَهْدُ      وَبُكَائِي ذُلٌّ وَنُوحُكَ سُؤْدُودُ؟  
وَإِنِّي سَأَمِي السَّرَابِ لَا رِيَّ فِيهِ      وَإِنِّي سَأَمْتُكَ اللَّالِي خُورُودُ؟

- وقال أيضا:

مَثَلِ الْوِدَادِ الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينِ

لَيْسَ الْوِدَادُ الَّذِي يَبْقَى إِلَى أَبَدٍ

- قال محمود غنيم يشكو حال الشعراء:

هَذَا لَهُ تَمَنُّنٌ بِخُسٍّ، وَذَا عَالِ

الدَّرُّ فِي الشَّعْرِ غَيْرُ الدَّرِّ فِي صَدْفٍ

- قال علي الجارم:

كَالسَّيْفِ فِي كَفِّ الْمُفْرَعِ قَلْبُهُ

مَا السَّيْفُ فِي كَفِّ الْمُفْرَعِ قَلْبُهُ

- وقال الجارم:

مَثَلِ الَّذِي يُنْفِقُ مِنْ عُسْرِهِ

لَيْسَ الَّذِي يُنْفِقُ مِنْ يُسْرِهِ

- قال الشاعر القروي:

وَآخِرَ يُغْرِي بِالْعُلَى وَالْعَطَائِمِ

وَشَتَانَ بَيْنَ الْحُبِّ يُغْرِيكَ بِالطَّلَا

- قال مصطفى صادق الرافعي في تشبيهه الحساء بالبدر:

بِالْبَدْرِ، لَيْسَ الْكُلُّ كَالْبَعْضِ

أَخْطَأَ مَنْ شَبَّهَهَا ضِلَّةً

نَفْسُ فِي مَنْزِلَةِ الْعَرْضِ

فَتِلْكَ إِنْ تُسْفِرْ تُصْنُ حُسْنَهَا

أَلْقَى بِذَلِكَ النَّوْرِ فِي الْأَرْضِ

وَالْبَدْرُ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَاشِقًا

- قال أحمد شوقي في وصف قلبه:

حَرْبٌ، وَلَيْلُ النَّائِمِينَ سَلَامٌ

حَيْرَانٌ، مَشْبُوبُ الْمَضَاجِعِ، لَيْلُهُ

هَلْ رِيشَةٌ لِحَنَاجِهِ فَيَقَامُ؟

يَا أَيُّهَا الطَّيْرُ الْكَثِيرُ سَمِيرُهُ

وَشَكْوَتٌ، وَالشُّكْوَى عَلَيَّ حَرَامٌ

عَانَقْتُ أَغْصَانًا وَعَانَقْتُ الْجَوَى

- قال الشاعر:

تُرْجِي سَحَابَ الْجُودِ وَهِيَ الْأَنْمُلُ

فَجَّرَتْ مِنْ كَفَيْكَ عَشْرَةَ أَبْحُرِ

جَهَلُ الْقِيَّاسِ وَمِثْلُهَا لَا يُجْهَلُ

مَنْ قَاسَ كَفَّكَ بِالْعَمَامِ فَإِنَّهُ

وَالْوَجْهُ مِنْهُ مَعَ النَّدَى يَنْهَأَلُ

تَسْخُو الْعَمَامُ وَوَجْهَهَا مُتَجَهَّمُ

أَلْفَيْتُهُ فِي حُكْمِهِ لَا يَعْدِلُ

مَنْ قَاسَ بِالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ وَجْهَهُ

بِبَيَانِهِ دُرُّ الْكَلَامِ يُفْصَلُ؟

مَنْ أَيْنَ لِلشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ مَنْطِقُ

فَالْبَدْرُ يَنْقُصُ وَالْخَلِيفَةُ يَكْمُلُ

مَنْ قَاسَ بِالْبَدْرِ الْمُنِيرِ كَمَالُهُ

تَسْرِي بِرِيَاهَا الصَّبَا وَالشَّمَالُ؟

مَنْ أَيْنَ لِلْبَدْرِ الْمُنِيرِ شَمَائِلُ

- قال حسن الطويراني:

وإِثْمًا الْفَرْقُ فِي الْأَعْطَافِ وَالْمَيْلِ  
وَمَا دَرَوْا الْفَرْقَ بَيْنَ الْإِنْسِيِّ وَالْجَبَلِيِّ  
وَالْوَرْدُ مِمَّا أَفْتَرَاهُ الْقَوْمُ فِي حَجَلِ

- قال الشاعر مُوزانًا بين حبّه وحزنه وبكائه، وبين ما ينسبُ إلى الحمامة من مثل ذلك:

وَكَايِبَةٌ وَأَسْوَى وَفَيْضَ مَآقٍ  
وَهِيَ الَّتِي تُمْلِي مِنَ الْأُورَاقِ

قَالُوا هُوَ الْبَدْرُ قُلْتُ الْبَدْرُ يُشْبِهُهُ  
وَقِيلَ ظَبْيُ النَّقَا يَحْكِيهِ مُلْتَفِّئًا  
وَقِيلَ خَدَاهُ غَضُّ الْوَرْدِ مِنْهُمْ مَا

أَنْتَى تُبَارِينِي جَوَى وَصَبَابَةً  
وَأَنَا الَّذِي أَمْلِي الْجَوَى مِنْ خَاطِرِي

- قال الشاعر:

عَنْ قَرِيبٍ وَمَا لِدَمْعِي فَنَاءُ  
وَدُمُوعِي دِمًّا وَدَمْعُكَ مَاءُ

يَا عَيْوَنَ السَّمَاءِ دَمْعُكَ يَفْنَى  
أَنَا أَبْكِي طَوْعًا وَتَبْكِينَ كَرْهًا

- قال النُّهَامِي:

شَتَّانَ بَيْنَ سِقَامِهِ وَسِقَامِي  
أَبَدًا وَسُقْمِي كُلَّ يَوْمٍ دَامِي

قَالُوا تَأْسٌ بِجَفْنِهَا فِي سُقْمِهِ  
سُقْمُ الْجُفُونِ وَإِنْ تَرَائِدَ صِحَّةً

- قال الشاعر:

أَيْقَاسُ طُوفَانِ الْمَكَارِمِ بِالْمَطَرِ؟

قَاسُوا نَدَاهُ بِالسَّحَابِ فَأَخْطَأُوا

## صِحَّةُ التَّقْسِيمِ

**تعريفه:** "هُوَ اسْتِيفَاءُ الْمُتَكَلِّمِ أَقْسَامِ الشَّيْءِ، بِحَيْثُ يَذْكَرُ جَمِيعَ أَنْوَاعِهِ، وَلَا يُغَادِرُ شَيْئًا مِنْهَا." <sup>1</sup> بمعنى أوضح: هُوَ أَنْ يُقَسِّمَ الْأَدِيبُ، أَوْ الْبَلِغُ كَلَامَهُ قِسْمَةً تَسْتَوْفِي جَمِيعَ أَقْسَامِ الْمَعْنَى، غَيْرَ تَارِكٍ قِسْمًا وَاحِدًا مِنْهَا، بِحَيْثُ تَسْتَوْفِي هَذِهِ الْقِسْمَةَ جَمِيعَ أَجْنَاسِ الْمَعْنَى الْمَطْرُوقِ، لَا يُخْرَجُ مِنْهَا جِنْسٌ مِنْ أَجْنَاسِهِ. وَقَدْ تَكُونُ أَجْنَاسُ الْمَعْنَى اثْنَيْنِ لَا تَالِثَ لَهُمَا، أَوْ ثَلَاثَةً لَا رَابِعَ لَهَا،... وهكذا.

وإليك هذا المثال للإيضاح: يقول ابن نباتة المصري واصفا فضل ممدوحه عليه:

فَوَاضِلٌ عَنِ يَمِينِي وَالشَّمَالِ وَمِنْ فَوْقِي وَتَحْتِي وَمِنْ خَلْفِي وَقُدَامِي

فالشاعر قد طرّق جميع أقسام المعنى، وهي الجهات، والأمكنة، التي يصل منها كرم وعطاء ممدوحه. فهي جهات ستة لا سابع لها، نقول إن الشاعر استوفى جميع أجناس المعنى الممكنة، لم يخرج منها جنسا واحدا من أجناسه.

وأجمل منه قول صفي الدين:

إِنَّ حَوَاسِي الْخَمْسِ مُذْ غَبِثْتُمْ  
تَجَلَّوْنَ فِي عَيْنِي وَسَمْعِي وَفِي  
كَذَا جِهَاتِي السَّتِّ مِنْ بَعْدِكُمْ  
خَلْفِي وَقُدَامِي وَيُمْنَايَ وَالْيُسْ—  
إِلَيْكُمْ فِي غَايَةِ الشُّوُقِ  
لَمْسِي وَفِي شَمِّي وَفِي دَوْقِي  
مَمْلُوءَةٌ مِنْ لَاعِجِ الشُّوُقِ  
رَى وَمِنْ تَحْتِي وَمِنْ فَوْقِي

فالشاعر قد استوفى جميع أقسام الحواس، ثم استوفى جميع أقسام الجهات.

ومن صحة التقسيم ذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل منها ما يليق بها، كقول جبران خليل جبران مخاطبا الأرض: "لَقَدْ سِرْتُ فِي سُهُولِكَ، وَصَعَدْتُ جِبَالَكَ، وَهَبَطْتُ فِي أَوْدِيَّتِكَ، وَتَسَلَّقْتُ صُخُورَكَ، وَدَخَلْتُ كُهُوفَكَ، فَعَرَفْتُ حَلْمَكَ فِي السَّهْلِ، وَأَنْفَقْتُ فِي الْجَبَلِ، وَهُدُوءَكَ فِي الْوَادِي، وَعَزْمَكَ فِي الصَّخْرِ، وَتَكَنُّمَكَ فِي الْكَهْفِ." لعلك لاحظت أن الكاتب قد ذكر تضاريس بلده لبنان، وهي السهول، والجبال، والأودية، والصخور، والكهوف، ثم أضاف إلى كل نوع من تلك التضاريس صفة تناسبها: فالحلم صفة للسهول، والأنفة صفة للجبال، والهدوء صفة للأودية، والعزم صفة للصخور، والتكنّم صفة للكهوف.

ومن بليغ هذا النوع وبديعه قول محمد البشير الإبراهيمي: "الأمم إنما تتفاضل وتتعالى بالبناء للخير، والمنفعة، والجمال، والقوة، وما عدا هذه الأربعة فهو فضول عابث، لا يدخل في قصد العقلاء، وقد بنى أسلافنا المسلمون لكل أولئك مجتمعةً ومُنْفَرِّقَةً: بنوا المساجد مظهرًا للخير، وشادوا المدارس مظهرًا للمنفعة، وأعلوا الحصون مظهرًا للقوة، وسمكوا القصور مظهرًا للجمال."

<sup>1</sup> وشي الربيع ص 90.

فالكاتب كما ترى قد وضع أقسام الكمال أو المجد ضمن أربعة أقسام: الخير، والمنفعة، والقوة، والجمال، وما عدا هذه الأربعة إنما هو عَبَثٌ وفُضُولٌ، ثم ورَّع المظاهر على الأقسام: فالمساجدُ مظهر للخير، والمدارس مظهر للمنفعة، والحصون مظهر للقوة، والقصور مظهر للجمال. بذلك ضمَّ أسلافنا أطراف الفخر، وجمعوا حواشي المجد، وحازوا آفاق الكمال، ونالوا أوسمة العظمة.

وهذا علي الجارم في وصف الحرب العالمية الأولى يقول:

فِي الْبَرِّ، فِي الْبَحْرِ، وَمِنْ فَوْقِهِمْ لَمْ يَثْرِكِ الْمَوْتُ لَهُمْ مَوْضِعًا

فالشاعر قد أتى على ذكر مسارح الحرب الثلاثة: البر والبحر والجو، نقول إنَّ الشاعر قد استوفى جميع أقسام المعنى المطروق، ولو كان هناك جبهة رابعة يأتي منها الموت ما غفل عنها الشاعر.

ومن بديع صحة التقسيم، واستيفاء جميع أجناس المعنى المطروق قول مصطفى صادق الرافعي:

أَمَّا أَنَا فَأَتَانِي الْبَدْرُ مُزْدَهِيًّا وَقَالَ: جِئْتُ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِيهَا  
فَقُلْتُ: مِنْ خَدِّهَا، أَمْ مِنْ لَوَاحِظِهَا أَمْ مِنْ تَأْيِبِهَا؟  
أَمْ مِنْ مَعَاطِفِهَا أَمْ مِنْ عَوَاطِفِهَا أَمْ مِنْ مَرَاشِفِهَا أَمْ مِنْ مَجَانِبِهَا؟  
أَمْ مِنْ تَقَرِّرِهَا أَمْ مِنْ تَكْشُرِهَا أَمْ مِنْ تَلَقُّفِهَا أَمْ مِنْ تَنْبِيْهِهَا؟  
فَقَالَ وَهُوَ حَزِينٌ: مَا اسْتَطَعْتُ سِوَى أَنِّي خَطَفْتُ ابْتِسَامًا لَاحَ مِنْ فِيهَا

ومن التقسيم قول صادق الرافعي مادحا:

فِي حِلْمِ عَثْمَانَ وَهَيْبَةِ حَيْدَرَ وَعَدْلِ أَبِي حَفْصٍ وَعَزْمِ أَبِي بَكْرٍ

فالشاعر قد استوفى جميع أقسام المعنى، وهو تشبيهه لممدوحه بالخلفاء الراشدين، وهم أربعة: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وأبو بكر الصديق، رضي الله عنهم جميعا، هذا بالإضافة إلى ذكر الصفة الملازمة لكل قسم من تلك الأقسام.

وما أجود قول الصافي النجفي في صحة التقسيم حين يقول مفتخرا:

فَكَمْ جُبْتُ سَهْلًا وَارْتَقَيْتُ رَوَاسِيًّا وَكَمْ جُزْتُ مِنْ قَفَرٍ وَكَمْ خُضْتُ مِنْ يَمٍّ

فالشاعر قد ذكر أنواع التضاريس، فأصاب صحة التقسيم، وذلك حين أتى على ذكر السهول، والجبال، والصحاري، والبحار.

ومن صحة التقسيم قول أحمد شوقي:

طَبِعْتُ مِنَ السُّمِّ الْحَيَاةَ، طَعَامُهَا وَشَرَابُهَا، وَهَوَاؤُهَا الْمُتَنَشِّقُ

ومن فرائد التقسيم قول معروف الرصافي في فضل المعلم:

فَإِنَّ لَهُ مِنْكَ الْجَبَا وَهُوَ جَوْهَرٌ وَلِلْوَالِدَيْنِ الْعِظْمُ وَاللَّحْمُ وَالِدَمُّ

ومن هذا البديع قولُ ناصيف اليازجي كذلك:

أَجْسَامُهُمُ لِلنَّارِ تُعْطَى وَأَنْفُسُهُمْ  
لِللَّهِ وَالْمَالُ لِلْأَعْقَابِ فِي الْقِسْمِ  
فقد قَسَمَ الشاعرُ مَعْنَاهُ قِسْمَةً عَادِلَةً، فَذَكَرَ أَنَّ أَجْسَادَ الْأَعْدَاءِ لِلنَّارِ، وَأَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، وَمَالَهُمْ لِلْوَرَثَةِ، يَفْتَسِمُونَهُ  
فيما بينهم.

ومن هذا الفن قول محمود درويش:

لا أجنُّ إلى أيِّ شيءٍ

فلا أمس يمضي، ولا الغد يأتي

ولا حاضري يتقدّم أو يتراجع.

فالشاعر لم يُعَادِرْ زَمَنًا إِلَّا أَحْصَاهُ: (الأمس، واليوم، والغد).

ومن نماذج التقسيم قول محمد العيد في وصف البادية:

وَفِي الْمَزَارِعِ قُطْعَانٌ مُنَوَّعَةٌ

ضَائِنٌ وَمَعَزٌ وَأَبْقَارٌ وَأَنْيَاقٌ

وَالْوَحْشُ سَلَوَانٌ فِي الْعَابَاتِ مُنْطَلِقٌ

وَالطَّيْرُ جَذْلَانٌ فِي الْأَوْكَارِ زَفْزَاقٌ

ومن بدائعه أيضا قول الشاعر أحمد الكاشف:

دَعُوا قِسْمَةَ الْأَسْلَابِ قَبْلَ وَقُوعِهَا

فَمَا صَحَّ فِيهَا الضَّرْبُ وَالْجَمْعُ وَالطَّرْحُ

الأكيدُ أنك كَشَفْتَ كيف ذَكَرَ الشاعرُ جميعَ عمليَّاتِ الحِسَابِ، وهي: القِسْمَةُ، والضَّرْبُ، والجَمْعُ، والطَّرْحُ.

وما أبدع قول الشاعر في صحة التقسيم حين أنشد:

فَخَرِبْتُ عَقْلِي مِنْ مَصِيفِ حُشَاشَتِي

وَرَبَّيْعِ قَلْبِي مِنْ شِتَاءِ مَدَامِعِي

فالشاعر كما ترى قد استوفى جميع فصول السنة، وهي أربعة فصول، لا خامس لها.

ومن فرائد صحة التقسيم نثرا قول مصطفى لطفى المنفلوطي: "إني أرى النَّاسَ أَرْبَعَةً: رَجُلٌ يُحْسِنُ إِلَى  
غَيْرِهِ، لِيَتَّخِذَ إِحْسَانَهُ إِلَيْهِ سَبِيلًا إِلَى الإِحْسَانِ إِلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ الْمُسْتَبْدُ الْجَبَّارُ، الَّذِي لَا يَفْهَمُ مِنَ الإِحْسَانِ إِلَّا أَنَّهُ  
يَسْتَعْبِدُ الْإِنْسَانَ، وَرَجُلٌ يُحْسِنُ إِلَى نَفْسِهِ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ الشَّرُّ الْمُتَكَالِبُ، الَّذِي لَوْ عَلِمَ أَنَّ الدَّمَ  
السَّائِلُ يَسْتَحِيلُ إِلَى ذَهَبٍ جَامِدٍ، لَذَبَحَ فِي سَبِيلِهِ النَّاسَ جَمِيعًا، وَرَجُلٌ لَا يُحْسِنُ إِلَى نَفْسِهِ، وَلَا إِلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ  
الْبَخِيلُ الْأَحْمَقُ، الَّذِي يُجِيعُ بَطْنَهُ لِيُشْبِعَ صُنْدُوقَهُ، وَأَمَّا الرَّابِعُ، وَهُوَ الَّذِي يُحْسِنُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُحْسِنُ إِلَى نَفْسِهِ،  
فَلَا أَعْلَمُ لَهُ مَكَانًا، وَلَا أَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَأَحْسَبُ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يُفْتَشُّ عَنْهُ الْفَيْلَسُوفُ الْحَكِيمُ حِينَمَا سُئِلَ: مَا  
يَصْنَعُ بِمَصْبَاحِهِ؟ وَكَانَ يَدُورُ بِهِ فِي بَيَاضِ النَّهَارِ، قَالَ: أُفْتَشُّ عَنْ إِنْسَانٍ".

### بلاغة صحة التقسيم:

في صحة التقسيم يجد المنلّقي راحة نفسية حين يرى أنّ الأديب قد أحاط بجميع أقسام المعنى المطروق،  
فتطرب نفسه بهجة، ويمتلئ قلبه إعجابا، "ومما لا شك فيه أن التقسيم ينبئ عن الدقة في الكلام، والإحاطة  
بالشيء من جميع جوانبه، حيث يفهم أسرارها فيظهرها، ولذلك فهو يقوي المعاني، ولا يعطي للسامع مجالا  
آخر للفهم والبيان، لأن المتكلم الذي يحيط بجميع أقسام الشيء لا بد وأن يكون عالما بتفاصيله، محيطا

بجزئياته، فيقع في نفس السامع موقعا حسنا، ويثبت في العقول والقلوب، وما البلاغة إلا إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.<sup>1</sup>

**تدريب:** حدّد التقسيم، وبيّن صحّته في الأمثلة الآتية:

- قال أحمد أمين: "إنّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْمَعْرِفَةِ تَفَاوُتًا بَيِّنًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَعَرَّفَ عَلَى حُجْرَةٍ وَمَا فِيهَا نَظَرَ مِنْ تَثْبِيبِ الْبَابِ، فَرَأَى بِسَاطًا هُنَا، وَكُرْسِيًّا هُنَاكَ، ثُمَّ زَعَمَ أَنَّهُ عَرَفَهَا، وَمِنْهُمْ مَنْ عَلَا دَرَجَةً عَنْ هَذَا، فَفَتَحَ الْبَابَ، وَوَقَّفَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْحُجْرَةِ فِي ضَوْءٍ قَلِيلٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ رَأَاهَا، وَهَذَانِ مَوْقِفُهُمَا مَوْقِفُ الْعَامَّةِ وَأَشْبَاهُهُمَا، وَمِنْهُمْ مَنْ تَعَمَّدَ أَنْ يَدْخُلَهَا فِي وَضَحِ النَّهَارِ، وَيَقِفَ فِي جَمِيعِ الزَّوَايَا، وَيَفْحَصَ، وَيَمْتَحِنَ كُلَّ مَا فِيهَا، وَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ، ثُمَّ لَا يَكْتَفِي بِهِ، بَلْ يُحَاوِلُ أَنْ يَعْرِفَ شَأْنَ الْعُرْفَةِ مِنَ الْمَنْزِلِ، وَمَوْضِعَ الْمَنْزِلِ مِنَ الشَّارِعِ، وَمَكَانَ الشَّارِعِ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَمَنْزِلَةَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقَطْرِ، وَمَكَانَ الْقَطْرِ مِنَ الْعَالَمِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَيْلَسُوفُ مِنْ جَانِبِ، وَالرُّوحِيُّ الْحَقُّ مِنْ جَانِبٍ".

- قال عائض القرني في إحدى مقاماته، واصفاً جُلَّ القنوات الفضائية العربية: "أَوْقَاتُ الشَّاشَةِ أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ عَلَى التَّمَامِ: قِسْمٌ لِلْسِّيَاسَةِ، وَمَا تَحْمِلُهُ مِنْ تَعَاسَةِ، وَقِسْمٌ لِلرِّيَاضَةِ، وَالتَّبَجُّحِ بِهَا بِلَا غَضَاضَةٍ، وَقِسْمٌ لِلْاِقْتِصَادِ، وَعَرَضٌ قِصَّةِ الْمَالِ عَلَى الْعِبَادِ، وَقِسْمٌ لِلْفَنِّ وَالْغِنَاءِ، وَدَعْدَعَةُ الْعَوَاطِفِ وَالْإِعْرَاءِ".

- قال أبو القاسم خمار واصفا الشعب الجزائري أيام الاستعمار:

يَمُوتُونَ عَرَقِي، وَشَنْقًا، وَجَمْرًا	يَمُوتُونَ رَمِيًّا، وَدَبْحًا، وَجَزْرًا
يَمُوتُونَ هَوْسًا، وَدَوْسًا، وَرَفْسًا	يَمُوتُونَ بُؤْسًا، وَسُقْمًا، وَفَقْرًا
يَمُوتُونَ حَزْنًا، وَغَيْضًا، وَيَأْسًا	يَمُوتُونَ جَفْدًا وَثَأْرًا وَغَدْرًا
يَمُوتُونَ نَأْيًا، وَأَسْرًا، وَصَبْرًا	يَمُوتُونَ ظَلْمًا، وَجَوْرًا، وَقَهْرًا

- قال إيليا أبو ماضي:

قَالَتْ وَصَفْتَنَا الرَّحِيقَ وَكُوبَهَا	وَصَرِيحَهَا وَمُديِرَهَا وَالْعَاصِرَا
---	---

- قال خليل مطران:

فَتَى لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ وَفِعَالِهِ	وَبَادِيهِ وَالْخَافِي سِوَى كُلِّ جَيِّدٍ
--	--

- قال الشاعر القروي:

رَأَيْتُكَ قَدْ وَقَفْتَ عَلَى الْحِيَادِ	أَأَنْتَ مِنَ الصَّحَابِ أَمْ الْأَعَادِي؟
---	--

- قال أحمد شوقي:

وَالنَّاسُ بِأَذِلُّ رُوحِهِ، أَوْ مَالِهِ	أَوْ عِلْمِهِ، وَالْآخِرُونَ فَضُولُ
--	--------------------------------------

- قال شاعر المهجر رشيد أيوب:

<sup>1</sup> وشي الربيع ص 91.

وَمُسْتَقْبَلِ الْأَيَّامِ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي

كَبِيرًا، وَهَارَ أَسِي بِهَِا سَيْشِيْبُ

وَحَلْفِي وَيُمْنَايَ الْهَوَىٰ وَشِمَالِيَا

وَرَضِيْعَا، وَيَافِعَا، وَفَطِيْمَا

نَفْسٌ وَرُوحٌ وَأَحْمٌ نَابِتٌ وَدَمٌ

مَا شَدَّ عَن سَلْفٍ مِنْهُمْ وَعَن حَلْفٍ

وَرُحْتُ كَأَنِّي بَيْنَ مَاضٍ وَحَاضِرٍ

- قال الشاعر:

تَعَلَّقْتُهَا طِفْلاً صَغِيرًا، وَنَاشِئًا

- قال صفى الدين الحلبي:

أَسِيرٌ وَمِنْ فَوْقِي وَتَحْتِي وَوُجْهَتِي

- وقال صفى الدين أيضا:

فَعَلَيْكَ السَّلَامُ حَيًّا، وَمَيِّتًا

- قال ابن نباتة المصري:

لَيْشْكُرَنَّكَ مِنِّْي الدَّهْرُ أَرْبَعَةً

- قال ابن معصوم:

فَقَازَ مَا حَازَهُ أَقْرَانُهُ وَحَوَىٰ

## الْجَمْعُ مَعَ التَّفْرِيقِ

**تعريفه:** يُعْرَفُهُ عُلَمَاءُ الْبَدِيعِ بِأَنَّهُ الْجَمْعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ.<sup>1</sup>

ولتوضيح ذلك نذكر النموذج الآتي:

- قال معروف الرصافي في الرثاء:

وَالدَّمْعُ وَالشُّعْرُ مِمَّنْ قَدْ بَكَى بِهِمَا      كِلَاهُمَا حَكِيًّا فِي يَوْمِهِ الدُّرْرَا  
فَالشُّعْرُ مِنْ هَذِهِ الْأَكْبَادِ بَلَّ صَدَى      وَالدَّمْعُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْطَانِ بَلَّ ثَرَى

يقول الرصافي إنَّ الشعراء، وعامة الناس الكلَّ بكى الفقيد بطريقته: فالعامة بكته بالدموع، والشعراء بكوه بأشعار الرثاء، ومن الملاحظ أن الرصافي قد جمع بين الدمع والشعر تحت حكم واحد، وهو تشبيههما بالدرر، ثم عاد وفرق بينهما من حيث الأثر: فالأشعار بَلَّتْ صَدَى أَيْ عَطَشَ الْأَكْبَادِ، والدموع بَلَّتْ ثَرَى الْأَوْطَانِ.

- وقال معروف الرصافي في قصيدة "أم اليتيم":

فَتُدْرِي دُمُوعًا كَالجُمَانِ تَنَاتَرَتْ      وَتَضْحَكُ عَنْ مِثْلِ الجُمَانِ الْمُنَظَّمِ

فالشاعر قد جمع بين دموع الأم وأسنانها في مشابهة كلِّ منهما للجمان، ثم فرق بينهما في أن جعل مشابهة الدموع للجمان في التناثر، ومشابهة الأسنان للجمان في الانتظام.

- قال الشاعر ميخائيل نعيمة مخاطبا النهر المتجمد:

يَا نَهْرُ ذَا قَلْبِي أَرَاهُ كَمَا أَرَاكَ مُكَبَّلًا  
وَالْفَرْقُ أَنَّكَ سَوْفَ تَنْشُطُ مِنْ عِقَالِكَ وَهوَ لَا

فالشاعر قد جمع بين قلبه والنهر في حكم واحد، وهو التكبيل، والتقييد، ثم فرق في هذا الحكم: فالنهر سوف يتحرر من قيده أيام الربيع، أما قلب الشاعر فهيهات أن يتحرر، وينعتق من قيود الهموم.

- قال الشاعر الجزائري محمد الصالح خبشاش مخاطبا الطير:

فَأَنَا وَأَنْتَ النَّائِحَانِ عَلَى الْجَمَى      وَأَنَا وَأَنْتَ الْمُتَخَذَّانِ جِرَاحَا  
لَوْ كُنْتُ مِثْلَكَ مُطْلَقًا حُرًّا لَمَّا      ضَايَعْتُ وَقْتِي حَسْرَةً وَنُوحَا

فالشاعر قد جمع بينه وبين الطير تحت حكم واحد وهو النوح، غير أنه عاد وفرق بينه وبين الطائر، فالطير حرٌّ ومطلق، وهو مكبَّلٌ ومقيّد.

- ومن أجمل وأبرع ما وقفت عليه من شواهد هذا الفن قولُ ميخائيل نعيمة: "مِنْ أَكْمَلِ كَمَا لَا تِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَسْمَاهَا، جَعَلُ الْكَلِمَتَيْنِ "البصر"، و"البصيرة" تَوَآمِينَ مِنْ بَطْنٍ وَاحِدٍ، وَلَكِنَّ هَذَا التَّوَامُ غَيْرُ ذَلِكَ، فَكَانَتْهُمَا وَاحِدًا، وَلَيْسَا بِوَاحِدٍ، فَالْعَيْنُ إِذْ تَمَرُّ بِهِمَا تُحْسُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ تَسَابُهٍ، وَلَكِنَّهَا تُحْسُ مَعَ هَذَا التَّسَابُهِ تَبَايُنًا، وَالْأَدْنُ إِذْ تَلْتَقِطُهُمَا تَسْتَأْنِسُ فِي الْإِنْتِنِ بَرْتَةً تَكَادُ تَكُونُ وَاحِدَةً، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ وَاحِدَةً، فَهُمَا أَبَدًا مُتَسَابِهَانِ، مُتَنَاقِضَانِ،

<sup>1</sup> علم البديع عبد العزيز عتيق ص 160.

أَمَّا التَّشَابُهُ فَفِي المَصْدَرِ، وَأَمَّا التَّنَاقُضُ فَفِي الطَّرِيقِ، فَالْبَصْرُ - وَمَرْكَزُهُ العَيْنُ - يَحْصُرُ كُلَّ هَمِّهِ فِي التَّقَاطُفِ أَشْكَالِ الأَشْيَاءِ وَأَلْوَانِهَا، وَمِنْ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا يُحَاوِلُ أَنْ يَنْفُذَ إِلَى كُنْهَها، فِي حِينِ أَنَّ البَصِيرَةَ - وَمَرْكَزُهَا القَلْبُ أَوْ الوِجْدَانُ - هَمُّهَا الوُصُولُ إِلَى بَوَاطِنِ الأَشْيَاءِ، دُونَ التَّلَهِّي بِظَوَاهِرِهَا، فَالْإِثْنَانِ يَدْأَبَانِ وَرَاءَ المَعْرِفَةِ، لِكِنَّ سَبِيلَ الوَاحِدِ غَيْرُ سَبِيلِ الأَخرِ."

- قال إيليا أبو ماضي في قصيدة "بائعة الورد":

كَأَنَّمَا وَهَبَتْهَا الشَّمْسُ صَفَحَتَهَا      وَجْهًا وَحَاكَّتْ لَهَا أُسْلَاكَهَا شَعْرًا

فالشاعر قد جمع بين وجه الحسنة وشعرها تحت حكم واحد، وهو التشبيه بالشمس، ثم فرق بينهما من جهة وجه الشبه، فجعل وجهها كالشمس في صفحتها، وشعرها كالشمس في أسلاكها (أشعتها).

- قال حافظ إبراهيم في تهنئة الخديوي عباس بعيد الأضحى:

عَبَّاسُ وَالْعِيدُ الكَبِيرُ كِلَاهُمَا      مُتَّالِقُ بَارِئِئِهِ مُتَّالِقُ  
هَذَا لَهُ تَجْرِي الدِّمَاءِ وَذَا لَهُ      تَجْرِي القَرَائِحُ بِالمَدِيحِ وَتُعْنِقُ

فالشاعر قد جمع بين ممدوحه وعيد الأضحى تحت حكم واحد، وهو التآلق، ثم فرق بينهما في وجه الشبه، فالأول تجري له القرائح بالثناء، والثاني تجري له المسالك بالدماء.

- قال مصطفى صادق الرافعي:

تَأَلَّه لَوْ جَدُّوا لِلْبَدْرِ تَسْمِيَةً      لِأَعْطِي اسْمَكَ يَا مَنْ تُعَشِّقُ المُقَلَّ  
كِلَاكُمَا الحُسْنُ فَتَأَنَّا بِصُورَتِهِ      وَزِدْتِ أَنْتِ أَنْتِ الحُبِّ وَالْعَزَلُ

حيث جمع الشاعر بين الحبيبة والبدر في حكم واحد، وهو الحسن الفتان، ثم فرق بينهما في العاطفة، فالمحسوبة تُعَشِّقُ، وأما البدر فلا.

- قال أحمد شوقي في الاغتراب مخاطبا الحمام:

أَرَاكَ يَمَانِيًّا، وَمِصْرُ خَمِيلَتِي      كِلَانَا غَرِيبٌ نَازِحُ الدَّارِ مُوجِعُ  
وَمِنْ عَجَبِ الأَشْيَاءِ أَبْكَى وَأَشْتَكِي      وَأَنْتِ تُعْنِي فِي العُصُونِ وَتَسْجَعُ

فالشاعر قد جمع بينه وبين الحمام في صفة الاغتراب، لكنه فرق بينهما في وجه الشبه: فالحمام يغني ويسجع، وهو في بكاء وشكوى.

- وقال شوقي مخاطبًا الطير:

بِي مِثْلُ مَا بِكَ مِنْ جَوِيٍّ وَنَوِيٍّ      أَنَا فِي الأَتَامِ وَأَنْتِ فِي القَمَرِ

فالشاعر قد جمع بين نفسه وبين الطير في حكم واحد، وهو الشوق والبعد، لكنه فرق بينهما بأن جعل نفسه في الأرض قرب البشر، وجعل الطير في السماء قرب القمر.

- قال إيليا أبو ماضي في قصيدة "أنا والنجم":

مِثْلِي هَذَا النَّجْمُ فِي سُهُودِهِ وَمِثْلُهُ الْمَخْبُوبُ فِي بُعْدِهِ

جمع الشاعر بين نفسه وبين محبوبه في حكم واحد، وهو تشبيههما بالنجم، ثم فرق في ذلك الحكم، فالنجم مثله في السهد، ومثل محبوبه في البعد.

**تدريب:** حدّد الجَمْعَ مع التَّفْرِيقِ في الأمثلة الآتية، وشرحه:

- قال توفيق الحكيم: "الفنان والعالم كلاهما يكشف عن الطبيعة، غير أن الفنان يكشف عنها من خلال نفسه، والعالم يكشف عنها من خلال المجهر، فالنفس مصدره الشخص، والعلم مصدره الموضوع".

- قال مصطفى لطفى المنفلوطي: "الكاتب كالمصور، كلاهما ناقل، إلا أن الأول ينقل مشاعر النفس إلى النفس، والثاني ينقل مشاهد الحس إلى الحس".

- وقال المنفلوطي: "الشعر والفلسفة كلاهما غذاء، غير أن الفلسفة غذاء العقل، برزانتها وهذوئها، وحججها وبراهينها، والشعر غذاء النفس، برناتيه ونعماتيه، وأهازيجيه ونبراتيه".

- قال مصطفى صادق الرافعي: "النوم والموت كالشيء الواحد، فالنوم غفلة، تُخرج الحي هنيهة من الحياة، وهو فيها، على حالة أخرى، والموت غفلة، تُخرجه من الحياة كلها إلى حالة أخرى".

- قال الشاعر الجزائري محمد جربوعة في الغزل:

مِثْلُ الْحَدِيقَةِ، لَا أَبَالُغُ، مِثْلَهَا

وَالْفَرْقُ أَنْ وَرُودَهَا ، لَا تَذُبُّ.

- قال إسماعيل صبري:

وَهَيْهَاتَ مَا لِلْوَرْدِ حُسْنُكَ فِي الْوُدِّ

وَبُقْيَا عَلَى عَهْدِ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ

وَوَرْدُكَ بَاقٍ لَا يَزُولُ عَنِ الْخَدِّ

وَتَشْرُكُ رِيحُ الْوَرْدِ وَالْمِسْكِ وَالنَّدِّ

لِشَخْصِكَ مِنْ زَهْرِ الرَّبِيِّ لَقَبُ الْوَرْدِ

تَفُوقَيْنَهُ لَوْنًا وَرِيحًا وَمَنْظَرًا

فَلِلْوَرْدِ شَهْرٌ وَاجِدٌ ثُمَّ يَنْقُضِي

وَاللْوَرْدِ رِيحٌ وَاجِدٌ لَا يَجُوزُهُ

- قال معروف الرصافي في مقارنته بين (سعدون) في العراق و(سعد) في مصر:

هَذَا بِمِصْرَ وَهَذَا هَهُنَا اشْتَهَرَا

وَإِنَّ سَعْدًا بِمِصْرٍ قَارَنَ الْقَمْرَا

فَإِنَّ سَعْدُونَنَا قَدْ أَرْخَصَ الْعُمْرَا

سَعْدٌ وَسَعْدُونٌ مَحْمُودٌ مَقَامُهُمَا

وَإِنَّ سَعْدُونَ دَانَى الشَّمْسِ مَنْزِلَةً

إِنْ كَانَ قَدْ أَرْخَصَ الْأَمْوَالَ سَعْدُكُمْ

- قال محمود سامي البارودي في عقد مقارنة بينه وبين الحمامة:

لَمْ تَحْكِنِي فِي لَوْعَتِي وَبُكَائِي

شَتَّانَ بَيْنَ نَعِيمِهَا وَشَقَائِي

قَدْ أَشْبَهْتَنِي فِي الْهَوَى لِكِنَّهَا

مَالَ النَّسِيمِ بِهَا وَمَالَ بِي الْأَسَى

- قال الشاعر في وصف بُكَائِهِ وَبُكَاءِ مَحْبُوبَتِهِ:

دُمُوعُهُ غَيْرُ دُمُوعِ الدَّلَالِ

كَلَاهُمَا بِالْجَحِيمِ يَأْتُهُمَا  
أَنَّهُمَا سَاكِنٌ وَمُضْطَرِبٌ

إِذَا تَأَمَّلْتَ فَرَقٌ عَنِ سِوَاكَ خَفِي  
وَرَبَّمَا صَفَّقَ الْمَخْزُونُ مِنْ أَسْفِ

فَمُقَيِّدٌ هَذَا وَهَذَا مُطْلَقٌ

فَالنَّارُ لِلْحَتْفِ أَمَّا الْمَاءُ لِلْكَرَمِ

أُبْكِي وَتُبْكِي غَيْرَ أَنَّ الْأَسَى

- قال عفيف الدين التلمساني:

بَيْنَ فُؤَادِي وَخَدَّهَا نَسَبٌ  
هُمَا سِوَاءٌ وَالْفَرَقُ بَيْنَهُمَا

- قال سراج الدين الوراق:

وَقَدْ تُشْبِهُ الْحَالَةَ الْأُخْرَى وَبَيْنَهُمَا  
فَرَبَّمَا صَفَّقَ الْمَسْرُورُ مِنْ طَرَبِ

- قال الشاعر:

قَلْبِي وَدَمْعِي فِي هَوَاهُ تَطَابَقَا

- قال الشاعر:

نَارٌ وَمَاءٌ بِكَفَيْهِ قَدِ اجْتَمَعَا

## الجمع مع التقسيم

**تعريفه:** "هُوَ جَمْعٌ مُتَعَدِّدٌ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ تَقْسِيمُهُ، أَوْ الْعَكْسُ، أَيْ تَقْسِيمٌ مُتَعَدِّدٌ، ثُمَّ جَمْعُهُ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ"<sup>1</sup> بعبارة أوضح: هُوَ أَنْ يَجْمَعَ الْمُتَكَلِّمُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، أَوْ أَكْثَرَ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يُفَسِّمُ مَا جَمَعَ، أَوْ يُفَسِّمُ أَوَّلًا، ثُمَّ يَجْمَعُ.

فالجمع الذي يتلوه التقسيم يمثله قول نزار قباني في بعض نثرياته: "طَبَائِعُ الْمُدُنِ، وَطَبَائِعُ النِّسَاءِ تَنْشَابُهُ: فَتَمَّةٌ مُدُنٌ مَكْشُوفَةٌ، تُعْطِيكَ نَفْسَهَا مِنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى، وَثَمَّةٌ مُدُنٌ غَامِضَةٌ لَا تَكْشِفُ أَسْرَارَهَا لِعُشَّاقِهَا إِلَّا بِالتَّقْسِيْمِ، وَثَمَّةٌ مُدُنٌ سِيَاحِيَّةٌ تَسْتَقْبِلُ مَلَائِيْنَ الْوُجُوْهِ، ثُمَّ تَشْطِطُهُمْ مِنْ ذَاكِرَتِهَا بَعْدَ دَقَائِقٍ مِنْ رَحِيلِهِمْ، وَثَمَّةٌ مُدُنٌ تُؤْمِنُ بِشَاعِرِيَّةِ اللَّيْلِ، وَتَعِيْشُهُ طُوْلًا وَعَرْضًا، وَثَمَّةٌ مُدُنٌ تَاجِرَةٌ، بَاعَتْ قَلْبَهَا لِلشَّرِكَاتِ السِّيَاحِيَّةِ، وَوَضَعَتْ مَكَانَهُ قَلْبًا مِنَ الْبِلَاسْتِيْكَ، وَثَمَّةٌ مُدُنٌ مُنْقَفَةٌ، كُلُّ هَمَّهَا أَنْ تَبْنِي مَسْرَحًا، أَوْ مَتْحَفًا، أَوْ دَارَ أَوْبَرَاءٍ، وَثَمَّةٌ مُدُنٌ تَسْتَقْبِلُكَ بِالْأَزْهَارِ وَالبَسْمَاتِ، وَتَأْخُذُكَ بِالْأَحْضَانِ، وَأَخِيْرًا ثَمَّةٌ مُدُنٌ تَكْشِفُ عَنْ حَقَائِكِ بِأَشِعَّةِ اللَّيْزْرِ، وَتَتْرُكُ وَاجِبَ التَّرْحِيْبِ لِلْكَلَابِ الْبُولِيْسِيَّةِ".

فالأديب قد جمع طبائع المدن تحت حكم واحد، وهو تشبيهها بطبائع النساء، ثم قسم طبائع النساء، ومنه أقسام المدن إلى ثمانية أقسام كاملة.

ومن جواهر الجمع مع التقسيم قول إيليا أبي ماضي واصفا الحرب العالمية، وحال بني البشر فيها:

وَالْمَوْتُ مِنْ قَدَامِهِمْ وَوَرَائِهِمْ	وَالهَوْلُ كَلِّ تَيْيَّةٍ وَمَكَانِ
فَالجَوُّ مِمَّا فَاضَ مِنْ أُرُوَاجِهِمْ	لَا تَسْتَسْتَبِيْنُ نُجُومَهُ عَيْنَانِ
وَالنَّهْرُ مِمَّا سَالَ مِنْ مُهَجَاتِهِمْ	يَجْرِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الْمُرْجَانِ
وَالأَرْضُ حَمْرَاءُ الأَيْدِيْمِ كَأَنَّهَا	خَدُّ الحَيِّيةِ أَوْ خَضِيْبُ بَنَانِ

فالشاعر كما رأيت في البيت الأول قد جمع عدة أشياء تحت حكم واحد، فقد جمع كل الأمكنة حينما شمّرت الأرض عن ساقها تحت حكم واحد، وهذا الحكم كان الموت أو الهلاك، ثم قسم مصادر هذا الموت إلى ثلاثة أقسام مختلفة: الموت القادم من الجو، والموت القادم من البحر، والموت القادم من البر، وتلك هي أقسام المكان بالتّمَامِ والكمال.

ومن روائع هذا الفن قول ميخائيل نعيمة في الفجر الروحي: " لَيْسَ مِنَ الْمَجَازِ فِي شَيْءٍ أَنْ تَنْعَتَ عَامَّةَ النَّاسِ بِالْفَقْرِ: كُلُّ مُنَافِقٍ أَوْ سَارِقٍ أَوْ فَاسِقٍ فَقِيرٍ، كُلُّ غَضُوبٍ أَوْ حَقُودٍ أَوْ نَاقِمٍ فَقِيرٍ، كُلُّ حَسُودٍ أَوْ نَمَامٍ أَوْ مُرَاءٍ فَقِيرٍ، كُلُّ مَزْهُوٍ بِمَالٍ أَوْ جَمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَقِيرٍ، كُلُّ مَعْرُورٍ بِأَصْلِهِ أَوْ بِفَضْلِهِ أَوْ بِعَمَلِهِ فَقِيرٍ، كُلُّ مُعْتَزِّزٍ بِلَقَبٍ أَوْ وَسَامٍ أَوْ مَنْصِبٍ فَقِيرٍ، كُلُّ مَنْ كَانَ ذَنْبًا فِي جِدِّ حَمَلٍ فَقِيرٍ، كُلُّ مَنْ أَكَلَ خُبْرَهُ بِعَرَقِ جَبِينِ غَيْرِهِ فَقِيرٍ، كُلُّ مَنْ أَدَلَّ جَارَهُ لِيَعْتَزَّ، وَأَجَاعَهُ لِيَسْبَعُ فَقِيرٍ، كُلُّ مَنْ رَكِبَ هَوَاهُ وَجَهَلَ مُبْنَدَاهُ وَمُنْتَهَاهُ فَقِيرٍ، وَلَوْ شِئْتَ أَنْ

<sup>1</sup> علم البديع عبد العزيز عتيق ص 158.

أَعَدَّ كُلَّ مَا فِي النَّاسِ مِنْ ضُرُوبِ الْفَقْرِ الرَّوْحِيِّ لَمَا أَنْتَهَيْتِ، إِلَّا أَنَّنِي أَكْتَفِي بِهَذَا الْحَدِّ، لِتَعْرِفَ أَنَّ عَامَّةَ النَّاسِ فُقَرَاءٌ.

فالكاتب قد جمع عامّة الناس تحت حكم واحد، وهو الفقر الروحيّ، ثم قسمهم ضروباً لا حصر لها، غير أنه عاد في النهاية، وحكم عليهم حكمه السابق.

- قال أحمد شوقي في تهنئة الدكتور علي باشا إبراهيم:

تُعَالِجُ كَفَاكَ بُؤْسَ الْحَيَاةِ فَكَفَّ ثُدَاوِي، وَكَفَّ تَهَابُ

فالشاعر قد جمع كفيّ ممدوحه تحت حكم واحد، وهو معالجة بؤس الحياة، وبؤس الحياة قسمان: مرض وفقر، وكفا ممدوح الشاعر كفيلاً بعلاج البؤسين.

- ومن الجمع والتقسيم قول الشاعر:

نَهَارِي وَأَيْلِي مُظْلِمَانِ كِلَاهُمَا نَهَارِي بِإِلَى شَمْسٍ وَأَيْلِي بِإِلَى قَمَرٍ

فالشاعر قد جمع الليل والنهار تحت حكم واحد وهو الظلمة، ثم قسم هذا الحكم: فنهاره بلا شمس، وأيله بلا قمر.

وإليك هذا المثال لزيادة التوضيح:

قال صفّي الدين الحلبي في مجلس أنس:

وَمَجْلِسِ لَذَّةِ أُمْسَى دُجَاهِ يُضِيءُ كَأَنَّهُ صُبْحُ مُنِيرٍ  
تَجَمَّعَ فِيهِ مَشْمُومٌ وَرَاحِ وَأَوْتَارٌ وَأَلْدَانٌ وَخُورُ  
تَلَدَّدَتِ الْحَوَاسُ الْخَمْسُ فِيهِ بِخَمْسِ يَسْتَتِمُّ بِهَا السُّرُورُ  
فَكَانَ الضَّمُّ قَسَمَ اللَّمْسِ فِيهِ وَقَسَمُ الدَّوْقِ كَاسَاتِ تَدُورُ  
وَالسَّمْعُ الْأَغْنَانِي، وَالْعَوَانِي لِأَعْيُنَانَا، وَاللَّشْمُ الْبُخُورُ

فقد جمع الشاعر الحواس الخمسة في مجلس أنسهم تحت حكم واحد، وهو اللذة، ثم قسم تلك الحواس، فلكل حاسة نصيب من اللذة: فللمس الضمّ، وللذوق الخمرة، وللسمع الأغاني، وللبصر الغواني، وللشمّ البخور.

- قال البشير الإبراهيمي في إحدى خواتمه عن الشباب: "أتمنّاهُ بانيّاً للوطنية على خمس، كما بُنيَ الدين قبلها على خمس: "السبابُ أفةُ الشَّبَابِ، واليأسُ مُفسِدٌ للنبأ، والأمالُ لا تُدرِكُ بغيرِ الأعمال، والخيالُ أوله لذة، وآخره خبال، والأوطانُ لا تُخدمُ باتِّباعِ خطواتِ الشيطان".

فالكاتب قد جمع الوطنية في خمسة أركان، وذلك بتشبيهاها بأركان الإسلام الخمس، ثم قسم تلك الأركان إلى: السباب، واليأس، والأمال، والخيال، واتِّباعِ خطواتِ الشيطان.

- قال توفيق الحكيم: "الإتقانُ والإمتناعُ والإنسانيةُ أهمُّ صفاتِ الأثرِ الأدبيِّ والفنيِّ، فمن أنتجَ في الأدبِ أو الفنِّ عملاً غيرَ مُتقنٍ في أسلوبه الفنيِّ، ولا مُحكَمٍ في تعبيره الأدبيِّ، فقد وقَعَ في العجزِ الشكليِّ، ومن صنعَ عملاً لا

مُتَعَةً فِيهِ، وَلَا رَوْعَةً، فَقَدْ صَنَعَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ الْأَدَبِ وَالْفَنِّ، وَمَنْ صَنَعَ عَمَلًا مُتَقَنًّا وَمُمْتِعًا وَرَائِعًا، وَلَكِنَّهُ فَاقِدٌ لِلْمَعْنَى الْإِنْسَانِيَّةِ، وَالْفِكْرَةَ الدَّافِعَةَ لِلْإِنْسَانِ وَالْمُجْتَمَعِ، فَقَدْ صَنَعَ أَدَبًا وَفَنًّا، وَلَكِنَّهُ أَدَبٌ وَقَفٌّ مِنْ طِرَازِ بَارِعِ الصَّنْعَةِ، زَهِيدِ الْقِيَمَةِ، كَالزُّجَاجِ الْبَخْسِ الْبَرَّاقِ، لَا الْجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ".

فالأديب قد جمع ثلاثة أشياء تحت حكم واحد، حيث جمع الإتقان، والإمتاع، والإنسانية، وحكم عليها بأنها سِمَةُ العمل الأدبي والفني، ثم قسم هذه الصفات: فلإتقان جمال الأسلوب، ولإمتاع الروعة، وللإنسانية القيمة.

- قال محمود سامي البارودي:

وَفَتْيَّةٌ كَأَسْوَدِ الْعَابِ لَيْسَ لَهُمْ      إِلَّا الرَّمَاخُ إِذَا أَحْمَرَ الْوَعَى أَجْمُ  
كَالْبَرْقِ إِنْ عَزَمُوا وَالرَّعْدِ إِنْ صَدَمُوا      وَالْعَيْثُ إِنْ رَحِمُوا وَالسَّيْلُ إِنْ هَجَمُوا  
فالشاعر قد جمع ممدوحيه تحت حكم واحد، وهو تشبيههم بأسود العاب، ثم قسم هذا الحكم أربعة أقسام (العزم، والصدام، والرحمة، الإغارة)، ثم أرجع كل قسم من هذه الأقسام الأربعة إلى ما يناسبه: ففي العزم هم كالبرق، وفي الصدام هم كالرعد، وفي الرحمة هم كالغيث، وفي الإغارة هم كالسيل.

- ومثله أيضا قول البارودي في صفة الجمال:

مِنْ كُلِّ مَائِسَةٍ كَالْغُصْنِ قَدْ جَمَعَتْ      بَدَائِعًا كُلَّهَا لِلْحُسْنِ أَوْضَاخُ  
فَالْعَيْنُ نَرْجَسَةٌ وَالشَّعْرُ سَوْسَنَةٌ      وَالنَّهْدُ رُمَانَةٌ وَالْخَدُّ ثَقْفَاخُ  
- أما النوع الثاني من الجمع مع التقسيم فهو أن يُقسَمَ الأديبُ مُتَعَدِّدًا، ثُمَّ يَجْمَعُهُ تَحْتَ حُكْمٍ وَاحِدٍ، وَمِنْهُ قَوْلُ مِصْطَفَى لَطْفِي الْمَنْفَلُوطِيِّ: "إِنَّ السَّمَاءَ تَبْكِي بِدُمُوعِ الْعَمَامِ، وَيَخْفِقُ قَلْبُهَا بِلَمَعَانِ الْبَرْقِ، وَتَصْرُخُ بِهَدِيرِ الرَّعْدِ، وَإِنَّ الْأَرْضَ تَتِنُّ بِحَفِيفِ الرِّيحِ، وَتَضْجُ بِأَمْوَاجِ الْبَحْرِ، وَمَا بُكَاءُ السَّمَاءِ، وَلَا أُنْيُنُ الْأَرْضِ إِلَّا رَحْمَةٌ بِالْإِنْسَانِ".

فقد قسم الأديبُ ظواهر الطبيعة أولاً: فذكرَ دموع الغمام، ولمعان البرق، وهدير الرعد، وحفيف الرياح، وأمواج البحر، ثم أرجع كل قسم إلى ما يناسبه: فدموع الغمام بكاء السماء، ولمعان البرق ضربات قلبها، وهدير الرعد صراخها، وحفيف الرياح أنين الأرض، وأمواج البحر ضجيجها، ثم عاد بعد هذا التقسيم، فجمع كل تلك التقسيمات تحت حكم واحد، وهو الرحمة.

وقد يجمع البليغ، ثم يقسم، ثم يفرق، وهذا لعمرى منتهى البيان، كما في قول الشاعر في وصف الشمعة:

وَنَدِيمَةٌ لِي فِي الظَّلَامِ وَحِيدَةٌ      مِثْلِي مُجَاهِدَةٌ كَمِثْلِي جِهَادِي  
فَاللُّونُ لَوْنِي وَالِدُمُوعُ مَدَامِعِي      وَالْقَلْبُ قَلْبِي وَالسُّهَادُ سُهَادِي  
لَا فَرْقَ فِيمَا بَيْنَنَا لَوْ لَمْ يَكُنْ      لَهَبِي خَفِيًّا وَهُوَ مِنْهَا بَادِي

فالشاعر قد جمع بينه وبين الشمعة تحت حكم واحد، وذلك في تشبيهه نفسه بالشمعة في صفة الجهاد، ثم قسم هذا الحكم، فذكر اللون، والدُموع، والقلب، والسُّهاد، ثم عاد بعد هذا التقسيم، وفرق بينه، وبين الشمعة في صفة اللهب، فاللَّهَبُ منه مكسوف، واللَّهَبُ مِنْهَا مكشوف.

**تدريب:** عيّن الجمع مع التقسيم في الأمثلة اللاحقة، ثم حدد نوعه، وشرحه:

- قال ميخائيل نعيمة: "الأَرْضُ وَالْبَحْرُ وَالْهَوَاءُ أَشْيَاءٌ تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ رَحَابَةَ الصَّدْرِ، فَالْأَرْضُ لَا تُضَيِّقُ بِالضَّبَاعِ دُونَ الْغِزْلَانِ، وَبِالْعَوْسَجَةِ دُونَ الْبَنْفَسَجَةِ، وَبِالْتَّرَابِ دُونَ التَّنْبَرِ، وَبِالْأَشْرَارِ دُونَ الْأَبْرَارِ، وَالْبَحْرُ لَا يَقْبَلُ الْحَوْتَ دُونَ الْأَخْطُوبِ، وَاللُّؤْلُؤَةَ دُونَ الْإِسْفَنْجَةِ، وَالْجَدُولَ الصَّافِي دُونَ السَّاقِيَةِ الْعَكِرَةِ، وَمَرَكَبَ الْحَجَّاجِ دُونَ مَرَكَبِ الْقُرْصَانَ، وَالْهَوَاءَ لَا يَرْقُصُ لِشَدْوِ الْبُلْبُلِ، وَيَمْتَعِضُ لِنَقِيقِ الضَّفَدَعِ، وَهُوَ لَا يَسْكُرُ بِشِدَا الرِّبْقَةِ، وَيَتَفَيَّأُ أَمْعَاءَهُ لِرَائِحَةِ حَيْفَةِ، وَهُوَ لَا يَعْتَزُّ بِالْبَارِي، وَيَخْجَلُ بِالْخَفَاشِ، وَهُوَ لَا يَسْتَأْنِسُ بِالنَّهَارِ، وَيَسْتَوْحِشُ بِاللَّيْلِ."

- قال أحمد أمين: "الْفَلَاحُ فِي زَرْعِهِ الْأَرْضِ، وَالتَّجَارُ فِي صِنَاعَتِهِ، وَالتَّاجِرُ بِبَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، وَالجُنْدِيُّ بِمَحَارِبَتِهِ، وَالكَنَاسُ فِي الشَّارِعِ بِكُنْسِهِ الْأَقْدَارِ، وَالأَطْبَاءُ بِمَحَارِبَتِهِمُ الْأَمْرَاضِ، وَرِجَالُ الْحَرِيقِ بِإِطْفَائِهِمُ النَّارِ، وَالعُلَمَاءُ الَّذِينَ يَنْشُرُونَ الْعِلْمَ، وَيَحَارِبُونَ الْجَهْلَ، وَالشُّعْرَاءُ وَالمُوسِيقِيُّونَ، وَجَمِيعُ رِجَالِ الْفَنِّ، الَّذِينَ يَمْدُونُ الْحَيَاةَ بِالسَّعَادَةِ، وَيُشْعِرُونَ النَّاسَ بِالْجَمَالِ، كُلُّ هَؤُلَاءِ خُدَّامٌ لَوْطَنِهِمْ بِعَمَلِهِمْ."

- قال الشاعر الجزائري محمد اللقاني:

بِنِي الْجَزَائِرِ هَذَا اللَّهُ أَوْقَعَنَا      فِي سُوءِ مَهْلَكَةٍ عَمَّتْ نَوَادِينَا  
فَقَرُّ وَجْهٌ لُؤْلُؤٌ وَآلَامٌ وَمَسْعَعِبَةٌ      يَارَبُّ رُحْمَاكَ هَذَا الْقَدْرُ يَكْفِينَا  
فَالْجَهْلُ قَاتِلُنَا وَالْفَقْرُ مَهْلِكُنَا      وَالبَّاسُ خَاذِلُنَا وَالبَّاسُ مُرْدِينَا

- قال شاعر المهجر أبو الفضل الوليد (إلياس طعمة):

يَا لَيْتَ أَبْنَاءَهُمْ كَالْإِخْوَةِ اجْتَمَعُوا      عَلَى وَفَاقٍ وَعَهْدٍ غَيْرِ مُنْقَصِمِ  
فَالْبَنِينَ سَلَامٌ فِي مَنْزِلِهِمْ      وَلِلْجُدُودِ سَلَامٌ فِي نُورِهِمْ

- قال أحمد بن علي بن مسرف:

فَكَمْ جَحْفَلٍ بِالْمُرْهَفَاتِ أَبَادَهُ      فَقَوْلَاهُمْ مَثَلُ الْهَشِيمِ هَشِيمِ  
فَلِأَرْضِ مِنْهُمْ مَا جَرَى مِنْ دِمَائِهِمْ      وَاللَّطِيفِ مِنْهُمْ وَالسَّبَاعِ لُحُومِ

- قال صفي الدين:

صَكَّتْ ظَبَاكَ رُؤُوسَهُمْ وَجُسُومَهُمْ      فَالْهَامُ تَنْتَنُرُ وَالضُّلُوعُ نَقَصَّصُ

- قال ابن رشيق القيرواني:

وَقَدْ كُنْتَ عِنْدَ النَّفْعِ وَالضَّرِّ حَازِمًا      فَلِخِلِّ نَفَاعٍ وَالضُّدِّ ضَرَّارًا

- قال الأخرس:

وَالطَّيْرُ مِنْهَا وَالْوَحْشُ وَالْإِنَّمُ  
وَاللَّوْحَشُ مِنْ تِلْكَ اللَّحُومِ مَطَاعِمُ

تَرَكْتِ بِهَا الْقَتْلَى تَمْجُ دِمَاؤُهَا  
فَلْأَرْضٍ مِنْ تِلْكَ الدِّمَاءِ مَشَارِبُ

- قال الشاعر:

وَأَغْدُو فِي الْقَلْبِ مَنِّي شَجْنُ  
وَالنَّارِ مِنْ مُهَجَّتِي مَا كَمَنْ

أرُوحُ وَفِي الحَلْقِ مَنِّي شَجِيٌّ  
فَلِلمَاءِ مِنْ مُقْلَتِي مَا بَدَا

- قال الشاعر:

حُلُوٌّ وَمُرٌّ وَمُعْجُجٌ وَمُعْتَدِلٌ

النَّاسُ فِي الأَرْضِ كالأشجارِ قَامَ بِهَا

- قال الشاعر:

فَالكَهْلُ لِلسَّيْفِ وَالأَطْفَالُ لِلْيَتِيمِ

فِي الحَرْبِ جَمْعُ أَعَادِيهِ يُفَسِّمُهُ

- وقال غيره:

فَالزَّوْجُ لِلأَيْمِ وَالْمَوْلُودُ لِلْيَتِيمِ

وَكَمْ غَزَا لِلْعَدَى جَمْعًا ففَسِّمُهُ

## تأكيد المدح بما يشبه الذم

**تعريفه:** "هُوَ أَنْ يَعْمِدَ الْمُتَكَلِّمُ إِلَى تَأْكِيدِ الْمَدْحِ بِاعْتِمَادِ أُسْلُوبِ يُوهَمُ بِأَنَّهُ أَرَادَ الذَّمَّ"<sup>1</sup>. وتأكيذ المدح بما يشبه الذم نوعان:

**1/** أَنْ يَسْتَنْتِي الأديبُ مِنْ صِفَةِ ذَمٍّ مَنْفِيَّةٍ صِفَةً مَدْحٍ، بِمَعْنَى "أَنْ يَبْدِي الْمُتَكَلِّمُ بِلَفْظِ يَنْفِي العَيْبَ عَن مَمْدُوحِهِ، مِنْ غَيْرِ إِتْمَامِ الكَلَامِ، ثُمَّ يَجِيءُ بَعْدَهُ بِحَرْفِ اسْتِنَاءٍ، لِيَتَوَهَّمَ السَّامِعُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَنْتِي شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ العَيْبِ، فَيَجِيءُ بِالمُسْتَنْتَى مِنْ أَحْسَنِ أوصَافِ المَمْدُوحِ"<sup>2</sup>.

ومثالها قول محمود سامي البارودي مفتخرًا بنفسه:

لا عَيْبَ فِي سِوَى حُرِّيَّةٍ مَأْكُوتٍ      أَعْتَبِي عَن قَبُولِ الذَّلِّ بِالمَالِ

فالشاعر نفى كل عيب عن نفسه، حين قال: (لا عيب في)، لكنه جاء بعد ذلك بحرف استثناء، ليوهم السامع أنه يريد أن يستنتي شيئًا من ذلك العيب، لكن المستنتي كان العزة والكرامة، وهو من أحسن أوصافه، يريد البارودي أن يقول إنه لا عيب فيه أصلاً، إلا كرامته إن عُدت عيباً، وكون الكرامة عيباً أمرٌ مُحال، فثبوت العيب له كذلك مُحال.

**2/** أَنْ يُثَبِّتِ الأديبُ لِشَيْءٍ صِفَةً مَدْحٍ، وَيَأْتِي بَعْدَهَا بِاسْتِنَاءٍ، يَلِيهِ صِفَةٌ مَدْحٍ أُخْرَى، كقول خليل مطران:

هُمُ السَّحَابُ إِلَّا أَنَّهُمْ أَسْوَدُ      هُمُ الكَتَائِبُ إِلَّا أَنَّهُمْ رَحْمٌ<sup>3</sup>

لاحظ أن الشاعر في صدر البيت قد أثبت لممدوحه صفة مدح، بأن شبه كرمهم بكرم السحاب، وأتى بعد ذلك بما يُوهم السامع أنه يريد أن يستنتي في كلامه شيئاً معيناً، غير أنه عكس التوقع، وأتى بصفة مدح أخرى، وهي تشبيههم بالأسود. وفي عجز البيت أثبت صفة القوة والشجاعة لمن مدحهم من خلال قوله (هم الكتائب)، ثم أوهم السامع أنه يريد استثناء أمر ما، لكنه أحبط التوقع، وأتى بصفة مدح أخرى، وهي تشبيههم بالطيور الجارحة.

وقد يرد هذا الفن نثرًا كقول خليل مطران: "كَانَ إِبْرَاهِيمُ الْيَازِجِيُّ بِعِلْمِهِ كَالشَّمْسِ إِنْارَةً وَإِشْرَاقًا، وَلَكِنَّهُ كَانَ كَالرَّوْضَةِ بِأَقَانِينِ آدَابِهِ وَمَعَارِفِهِ، سِوَى أَنَّهُ كَانَ كَالزُّهْرَةِ بِوَدَاعَتِهِ وَعُرْفِهِ وَنَفْعِ مَا يَعْصِرُ قَلْمَهُ".

### شواهد بلاغية متنوعة:

- قال الشاعر:

بَدْرٌ سِوَى أَنَّهُ بَحْرٌ لِطَالِبِهِ      لَيْتَ سِوَى أَنَّهُ غَيْثٌ لِمُعْتَمِنِ

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية مرجع سابق ص 600.

<sup>2</sup> شرح الكافية البيديعية في علوم البلاغة ومحاسن البيديع صفي الدين الحلبي ص 305.

<sup>3</sup> الرخم: جمع رخمه، وهي من الطيور الجارحة.

وصف الشاعر ممدوحه بأنه (بدر) و(ليث)، وتلك صفتا مدح، لكنه حين أتى بأداة الاستثناء أشعر السامع أنه يريد إثبات صفةٍ بعدها مُخَالِفَةٌ لما قبلها، فلمَّا أثبت أنه (بحر) و(غيث) كان ذلك تأكيداً لمدحه الأول، لكن بأسلوب لم يألف الناس سماعه في المدح، بل ألقوه فقط في الذم.

- قال الشاعر:

فَلَمْ تَرَ فِيهِ الْعَيْنُ شَيْئاً يَشِينُهُ      سِوَى أَنَّهُ فِي الْعِلْمِ قَدْ صَارَ مُرْشِداً

نفى الشاعر كل العيوب عن الممدوح حين قال: (لم تر فيه العين شيئاً يشينه)، لكنه حين ذكر أداة الاستثناء أوهمنا أنه تراجع عن تبرئة الممدوح من كل عيب، وأنه سيصارحنا بعيب وجب عليه ذكره، غير أنه راوغ السامع حين أورد بعد الاستثناء مدحاً آخر يؤكد المدح الأول، ويقرره، وهو أن ممدوحه قد صار مرشداً في العلم.

- قال الشاعر:

وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ سِنَانَهُ      إِذَا شَمَّ رِيحَ النَّفْعِ فِي الْحَرْبِ يَرْعُفُ

فالشاعر قد نفى العيب عن الممدوح، ثم ذكر أداة الاستثناء (غير)، فسبق إلى وهم السامع أن في ممدوحه عيباً، فنفس السامع مهتأة لتلقي صفة ذم، لكن الشاعر كسر هذا التوقع، حين قال إن صفة الذم الوحيدة في ممدوحه هي أن سنانها إذا شم ريح الحرب يرعف، وتلك كناية عن شجاعته، وبذلك تأكد المدح، وتمكّن في نفس السامع.

- قال العسقلاني:

وَلَا عَيْبَ فِي إِحْسَانِهِ غَيْرَ أَنَّهُ      يُسَلِّسُ أَعْنَاقَ الْوَرَى بِالْقَلَائِدِ

فالشاعر قد نفى مطلقاً كل عيب عن ممدوحه، وحين ذكر أداة الاستثناء أوحى للمتلقّي قبل النطق بالمستثنى أنّ الآتي مستثنى من المدح السابق، وهذا المستثنى هو صفة ذم، لكن الشاعر عكس التنبؤ، وأتى بصفة مدح ثانية، ازداد بها المدح الأول تأكيداً، (يُسَلِّسُ أَعْنَاقَ الْوَرَى بِالْقَلَائِدِ)، كأنني بالشاعر يقول لنا: (لقد بحثت، فلم أجد في ممدوحي صفة ذمّ حتى أستثنيها، لذلك اضطررت إلى استثناء صفة المدح).

- قال الشاعر:

مَا فِيهِمْ عَيْبٌ سِوَى عِرْفَانِهِمْ      وَدُخُولِهِمْ فِي زُمْرَةِ الْبُلْغَاءِ

نفى الشاعر العيوب عامة عن ممدوحيه حين قال: (ما فيهم عيب)، ثم ذكر أداة الاستثناء (سوى)، فأوحى لنا قبل النطق بالمستثنى أنّ هناك عيوباً في الممدوحين، وأن الشاعر سيكون صريحاً معنا في كشف تلك العيوب، لكننا لم نلبث أن وجدناه يقرر بعد أداة الاستثناء صفات مدح أخرى، وهي العرفان والبلاغة، فالشاعر قد تلاعب بالسامع، وخدعه، وأحبط توقعه، فلم يذكر أي عيب في ممدوحيه، بل عكس ذلك تماماً.

**بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم:**

تأكيد المدح بما يشبه الذم لون طريف من ألوان البديع، له سحره، وبهاؤه، وحسنه، وجماله، لأن فيه نوعاً من المباغطة، والمراوغة، والخداع، والمفاجأة، وهي صفات تكسب الكلام طرافة، وسحرَ بيان، هذا إلى جانب تأكيد المعنى وتقويته، و"هذه الطريقة لتأكيد الشيء بما يشبه نقيضه ذات سلطان كبير على نفس المتلقي، فذهنه بعد سماع أداة الاستثناء يستعدّ لتلقّي معنى مخالفٍ لما سبق، لكنه يباغت بتأكيدٍ للمعنى السابق، ولا يغيب عنّا أنّ في الاستثناء، والاستدراك ضرباً من الإيقاظ، والتنبيه، فإذا أضيف إليه "إحباط التوقع" أدركنا أيّ فعل يفعل هذا الأسلوب في ذهن المتلقّي".<sup>1</sup>

**تدريب:** حدّد تأكيد المدح بما يشبه الذم، وبيّن نوعه في الأمثلة الآتية:

- قال إيليا أبو ماضي:

كُلُّ مَا فِيهَا جَمِيلٌ يُشْتَهَى      مَا بِهَا عَيْبٌ سِوَى فَرْطِ الْجَمَالِ

- وقال أبو ماضي:

مِثْلُ الْحَمَامَةِ غَيْرَ أَنْ لَهَا      صَوْتُ الْهَزَارِ وَلَفْتَةُ الصَّفْرِ

- قال مصطفى لطفى المنفلوطي:

مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ      يَحْسِدُهُ النَّاسُ عَلَى مَجْدِهِ

- قال محمود سامي البارودي:

وَمَا لِي ذَنْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي      شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الْحَمَامَ الْأَغَانِيَا

- وقال البارودي:

وإِنَّا أَنَاسٌ لَيْسَ فِيْنَا مَعَابَةٌ      سِوَى أَنْ وَادِينَا بِحُكْمِ الْهَوَى نَجْدُ

- قال معروف الرصافي:

وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنْ أُولِي الْهَوَى      يُنَادُونَهَا فِي الْحُسْنِ بِنْتِ الْعَجَائِبِ

- قال أمين الجندي:

كَامِلٌ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى      أَنَّهُ فِي مِثْلِهِ الدَّهْرُ يَشِيحُ

- قال عمر الأنسي:

هُوَ اللَّيْثُ إِلَّا أَنَّهُ الْعَيْثُ نَائِلًا      عَلَى أَنَّهُ بَحْرٌ وَلَكِنَّهُ بَدْرُ

- قال محمد شهاب الدّين:

لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى أَنَّ النَّزِيلَ بِهِ      يَسْأَلُو بِجَدْوَاهُ عَنْ أُمَّ لَهُ وَأَبِ

- قال الشاعر:

لَا عَيْبَ فِيهِ سِوَى السَّخَاءِ فَلَيْتَهُ      يَبْقَى وَيَبْقَى بِالسَّخَاءِ يُعَابُ

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 602.

- قال الشاعر:

لَكِنَّ صَوْتَكَ يَبْدُو صَوْتِ دَاوُودَ

وَأَنْتَ يُوسُفُ حُسْنًا لَا تَظِيرَ لَهُ

- قال الشاعر:

سِوَى أَنَّهُ لِلْمَالِ فِي الْجُودِ مُنْفِقٌ

وَمَا نَقَمَ الْحَسَادُ مِنْهُ خَلِيقَةً

- قال ابن رشيق القيرواني في الغزل:

عَلَى أَنَّهُ الْكَافُورُ لَكِنَّهُ الدُّرُّ

هُوَ التَّغْرُ إِلَّا أَنَّهُ الصُّبْحُ طَالِعًا

- قال الشاعر:

حَدِيثُهَا السَّحْرُ إِلَّا أَنَّهُ نَعَمٌ

حَوْرَاءُ عَذْرَاءُ مَا زَلَّتْ بِهَا قَدَمٌ

- قال الشاعر:

هِيَ الْعُصْنُ إِلَّا أَنَّهُ كَأَنَّهُ وَرْدٌ

هِيَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ كَأَنَّهُ سَنَى

- قال الشاعر:

عَلَى أَنَّهُ أَخْلَى مِنَ الشَّهْدِ لِلنَّفْسِ

كَرِيمٌ يُحَاكِي الْبَحْرَ جُودَ بَنَانِهِ

- قال الصفاقسي:

بَيْنَ الْأَجْبَةِ أَبْلَغُ الْفَصْحَاءِ

هُوَ أَفْصَحُ الْبُلْغَاءِ إِلَّا أَنَّهُ

بَيْنَ الْوَرَى فِي الرُّثْبَةِ الْعَائِيَاءِ

مَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنْ مَقَامَهُ

- قال الشاعر:

سِوَى أَنَّهُ الضَّرْغَامُ لَكِنَّهُ الْوَبْلُ

هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ الْبَحْرُ زَاخِرًا

## الاقْتِباس

**تعريفُ الاقتباس:** هُوَ أَنْ يُضَمَّنَ الْأَدِيبُ كَلَامَهُ مِنْ مَنْظُومٍ، أَوْ مَنْثُورٍ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ بِلَفْظِهِ، أَوْ مَعْنَاهُ، دُونَ أَنْ يَعْزُوَ الْمُقْتَبِسُ الْقَوْلَ إِلَى قَائِلِهِ، "عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْإِشَارَةُ إِلَى مَصْدَرِ الْأَقْتِباسِ، بِإِبْرَازِهِ، وَذَلِكَ بِوَضْعِهِ بَيْنَ عَلامَاتِ التَّنْصِيسِ: (" )، أَوْ بِأَيَّةٍ وَسِيلَةٍ أُخْرَى".<sup>1</sup>

**"أنواع الاقتباس:**

**1. الاقتباسُ النَّصِّي:** وفيه يَلْتَزِمُ الْأَدِيبُ بِلَفْظِ النَّصِّ الشَّرْعِيِّ، وَتَرْكِيْبِهِ.

**2. الاقتباسُ الْإِشَارِي:** وَهُوَ أَنْ يَأْخُذَ الْأَدِيبُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ مَا يُشِيرُ بِهِ إِلَى آيَةٍ، أَوْ آيَاتٍ مِنْهُ، مِنْ غَيْرِ الْإِلتِزَامِ بِلَفْظِهَا، وَتَرْكِيْبِهَا".<sup>2</sup>

**شواهد الاقتباس:**

- قال نزار قباني:  
مَوْعِدُنَا حِينَ يَجِيءُ الْمَغِيبُ  
مَوْعِدُنَا الْقَادِمُ فِي تَلِّ أَبِيبِ  
"نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَقَتْحٌ قَرِيبٌ".

فالشاعر قد اقتبس جزءاً من الآية 13 من سورة من سورة الصف، التي جاء فيها: (نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَقَتْحٌ قَرِيبٌ<sup>3</sup> وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ).

- قال شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا:  
وَالزَّرْعُ أَخْرَجَ فِي الْجَزَائِرِ شَطَأَهُ  
فَمَضَى وَهَبَّ إِلَى الْحَصَادِ كِرَامُ

فالشاعر قد اقتبس جزءاً من الآية 29 سورة الفتح، التي جاء فيها: (وَمَتَّلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ).

- قال الشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة:

فِيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ  
إِلَى اللَّهِ كَدْحًا مَا خُلِقْتَ لِتَلْعَبَا

فالشاعر قد اقتبس - من دون الالتزام باللفظ - الآية السادسة من سورة الانشقاق، التي جاء فيها قوله تعالى:  
(يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَأْ بِهِ).

- قال حافظ إبراهيم مخاطباً البارودي، وهو في منفاه:  
تَذَكَّرْتَ عَذْبَ النَّيْلِ وَالنَّفْسُ صَبَّةً  
إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ كُوبِ مَاءٍ مُشْعَشَعٍ  
وَأرْسَلْتَ نَسْنَسَقِي بِنِي مِصْرَ شَرِبَةً  
فَقَطَّعْتَ أَحْشَائِي وَأَضْرَمْتَ أَضْلَعِي

<sup>1</sup> علوم البلاغة مرجع سابق ص 127.  
<sup>2</sup> الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي ص 13.

وإِنْ شِئْتِ عَنَّا "يَا سَمَاءُ فَأَقْلِعِي وَيَا مَاءَهَا فَكَفِّفِي وَيَا أَرْضُ فَاْبْلِعِي"

فالشاعر قد اقتبس جزءا من الآية 44 من سورة هود، التي جاء فيها: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ). ونلاحظ أن الشاعر غير شيئا من الآية، ليناسب الكلام الوزن، وهذا التعبير اليسير في الشعر خاصة مسموح به عند البلاغيين.  
- وقال حافظ إبراهيم:

"قَتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" طَاوَلَ الْخَالِقَ فِي الْكَوْنِ وَسَامَى

فالشاعر قد اقتبس الآية 17 من سورة عبس، التي قال فيها المولى عز وجل: "قَتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ".  
- ولحافظ إبراهيم أيضا:

كُلَّمَا نِلْتِ غَايَةً لَمْ تَنْلُهَا هَمَّةُ الدَّهْرِ قُلْتَ "هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟"

الشاعر قد اقتبس جزءا من الآية 30 من سورة "ق"، التي جاء فيها: (يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ).  
- قال أحمد شوقي:

وَنَارُوا فَجُزْنَ جُنُونَ الرِّيَّاحِ "وَزُلْزَلْتَ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا"

الشاعر قد اقتبس جزءا من الآية 01 من سورة الزلزلة التي جاء فيها قول الله عز وجل: (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا).  
- قال الشاعر:

سَأَلْتُ قَلْبِي عَنِ دَوِي الْعِشْقِ وَعَنْ مَا أَوْتِيَتْهُ مِنْ فُنُونِ الْحُسْنِ مَيِّ

فَقَالَ لِي "إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ"

فالشاعر اقتبس شيئا من الآية 23 من سورة النمل، التي قال فيها الله عز وجل: (إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ).  
- قال أحمد أمين في وصف الشمس: "... بِكَ يَجْرِي الدَّمُ فِي عُرُوقِنَا، فَدَمُنَا مِنْ غَدَائِنَا، وَغَدَاؤُنَا مِنْ حَرَارَتِكَ،

تَسْلُطِيهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَتُخْرِجِينَ مِنْهَا "حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا".

فالأديب كما ترى قد اقتبس الآيات 27. 28. 29. 30. 31 من سورة عبس، التي جاء فيها: (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (31) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ).

- وقال أحمد أمين مخاطبا الليل: "شِعَارُ النَّهَارِ الْبَيَاضُ، وَشِعَارُكَ السَّوَادُ، وَهُوَ مُبْصِرٌ وَأَنْتَ أَعْمَى، وَطَبِيعَتُهُ الْحَرَكَةُ، وَطَبِيعَتُكَ السُّكُونُ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَى النَّشَاطِ وَالْعَمَلِ، وَأَنْتَ تَدْعُو إِلَى الْخُمُولِ وَالْكَسَلِ، وَلَكِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ

يَمُنُّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَيَجْعَلُهُمْ أُيْمَةً وَيَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ، فَجَعَلَ مِنْ قُوَّةِ النَّهَارِ ضَعْفًا، وَمِنْ ضَعْفِكَ قُوَّةٌ".

فالأديب قد اقتبس الآية الخامسة من سورة القصص، التي جاء فيها: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ).

- قال المنفلوطي: "فاسْتَيْقَظْتُ فَلَمْ أَرِ حِسَابًا وَلَا عِقَابًا، وَلَا مَوْقِفًا وَلَا مَحْشَرًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهَا خَيَالَاتٌ، وَأَوْهَامٌ، أَوْ أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ، وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ".

فالكاتب قد اقتبس جزءا من الآية 44 من سورة يوسف، التي جاء فيها: (قَالُوا أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ).

- وقال المنفلوطي في الموت: "وَالنَّبَاتُ يَكُونُ أَخْضَرَ يَانِعًا، ثُمَّ أَصْفَرَ يَابِسًا، ثُمَّ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ"، وَالْإِنْسَانُ يَبْدَأُ طِفْلًا يَحْبُو، ثُمَّ شَابًا مُكْتَمِلًا، ثُمَّ شَيْخًا هَرِمًا، ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ، "وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ".

فالكاتب اقتبس جزءا من الآية 45 من سورة الكهف، التي جاء فيها: (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ)، كما اقتبس جزءا آخر من الآية 88 من سورة القصص، التي جاء فيها: (وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ - لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ).

- قال محمد البشير الإبراهيمي: "إِنَّ فَلَسْطِينَ وَدَيْعَةَ مُحَمَّدٍ عِنْدَنَا، وَأَمَانَةَ عُمَرَ فِي ذِمَّتِنَا، وَعَهْدُ الْإِسْلَامِ فِي أَعْنَاقِنَا، فَلَيْنَ أَخَذَهَا الْيَهُودُ مِنَّا "وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ".

فالكاتب قد اقتبس جزءا من الآية 14 من سورة يوسف، التي جاء فيها: (قَالُوا لَئِنِ أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ).

- وقال الإبراهيمي أيضا: "مَا أَجْهَلَ الْعَرَبَ إِذَا لَمْ يُعَالِجُوا هَذِهِ الْجُرْثُومَةَ الصُّهُيُونِيَّةَ الْخَبِيثَةَ بِالِاسْتِنْصَالِ، إِنَّهُمْ وَاللَّهِ "إِنْ لَا يَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ".

فالكاتب اقتبس جزءا من الآية 73 من سورة الأنفال، التي جاء فيها قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ - إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ).

- وللبشير الإبراهيمي أيضا: "وَهَذَا الشَّمَالُ قَدْ أَصْبَحَ أَهْلُهُ كَأَهْلِ الشَّمَالِ، "فِي سَمُومٍ مِنَ الْاسْتِعْمَارِ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ، لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٌ".

فالكاتب قد اقتبس الآيات 41. 42. 43. 44 من سورة الواقعة، التي قال فيها المولى عز وجل: (وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ (41) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (42) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (43) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (44)).

- ومن الاقتباس من الحديث قول الشاعر:

"إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مُجَنَّدَةٍ" بِأَمْرِ خَالِقِهَا تَجْرِي وَتَأْتَلِفُ  
"فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُنْفِقٌ وَمَا تَنَّاكَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلِفٌ"

الشاعر قد اقتبس من الحديث الذي جاء فيه: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا انْتَلَفَ وَمَا تَنَّاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ" صحيح البخاري.  
- ومنه قول محمد العيد آل خليفة في قصيدة "إلى التلميذ":

"خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ" فَجَمَالَ الْخُلُقِ عُنْوَانُ الرَّشَادِ

فالشاعر قد اقتبس جزءا من الحديث الذي رواه الإمام الترمذي، الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ).  
- ومنه أيضا: قِيلَ لِرَابِعَةَ الْعَدَوِيَّةِ: "كَيْفَ شَوْفُكَ إِلَى الْجَنَّةِ؟"، قَالَتْ: "الْجَارُ قَبْلَ الدَّارِ".  
- ومنه قول الشاعر:

فَلَا تَتَّوِ غَيْرَ فَعَالِ الْجَمِيلِ فَإِنَّ "لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى"

فالشاعر قد اقتبس جزءا من هذا الحديث: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يُلْبَسُهَا، فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". رواه البخاري ومسلم.

### بلاغة الاقتباس:

الأدباء يقتبسون من القرآن، أو من الحديث من أجل تقوية معانيهم، وتوكيد أفكارهم، وتزيين كلامهم وتخليته، وبالاقتباس هم يكشفون عن مهارتهم في إحكام الصلة بين كلامهم، والكلام الذي اقتبسوه. و"ما من ريب في أن الألفاظ المقتبسة من القرآن، أو الحديث تزيد الكلام قوة، وبلاغة، كما تضيف عليه حسنا وجمالا، إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع، والنور المشرق، والمتكلم عندما يقتبس بيني كلامه على الالتئام والتلاحم، وبهذا يبدو كلامه قويا بليغا."<sup>1</sup>

**تدريب:** حدد الاقتباس، ونوعه في الأمثلة الآتية:

- قال عائض القرني في (المقامة الكونية): "أَفْرَأُ آيَاتِ الْقُدْرَةِ فِي صَفْحَةِ الْكَوْنِ، وَطَالِعَ مُعْجَزَةَ الْخَلْقِ فِي الْحَرَكََةِ وَالسُّكُونِ، فِي اللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ، فِي النَّحْلِ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعُ نَضِيدٍ، فِي الْجِبَالِ تُنْبِتُ الْأَرْضَ وَقَدْ كَادَتْ تَمِيدُ، فِي اللَّبَنِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ، فِي كُلِّ مَخْلُوقٍ كَيْفَ وَجِدَ مِنَ الْعَدَمِ، فِي الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، فِي السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، فِي الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، فِي الْأَرْضِ كَيْفَ سَطَحَتْ، نُجُومٌ تَسْقُطُ، وَكَوَاكِبٌ تَهْبِطُ، وَنَيَّازِكٌ تَلْتَهَبُ، تَرْمِي بِشَرِّرٍ وَلَهَبٍ، مَجْرَاتٌ سَمِيَّةٌ، وَمَنَازِلُ قَمَرِيَّةٌ، حَدَائِقُ بِأَثْوَابِ الْحُسْنِ تَسْرُ النَّاطِرِينَ، وَمَشَاهِدٌ فِي الْكَوْنِ تَأْخُذُ أَلْبَابَ الْمُبْصِرِينَ، رِيَاضٌ أُنْبِقَةُ تَسْرُحُ فِيهَا الْغَزْلَانُ، بَاقَاتٌ مِنَ الْوُرُودِ

<sup>1</sup> علم البديع الدكتور بسيوني عبد الفتاح ص 268.

بَهيجَةً يُعَبُّ بِهَا الْوِلْدَانَ، كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُ، وَكُلُّ فِي عَالَمٍ يَمْرَحُ، شَمْسٌ تَجْرِي كَأَنَّهَا تَبْحَثُ عَن مَفْقُودٍ، قَبْلَ أَنْ تَطَّلَعَ تَسْجُدُ لِلْمَعْبُودِ، آيَةٌ بَاهِرَةٌ، وَحِكْمَةٌ ظَاهِرَةٌ.

- وقال عائض القرني: "إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ مِسْكٌ وَعَنْبَرٌ، وَلَوْلُو وَجَوْهَرٌ، يُسَافِرُ إِلَى سُؤْيَاءِ قَلْبِكَ وَيُبْحِرُ، وَيُنَادِي: إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ."

- وقال القرني في (مقامة المرأة): "رِفْقًا بِالْفَوَارِيرِ، فَإِنَّهِنَّ مِثْلُ الْعَصَافِيرِ، هُنَّ شَقَائِقُ الرَّجَالِ، وَأَمَهَاتُ الْأَجْيَالِ، مِنْهُنَّ أَمِنَةٌ بِنْتُ وَهَبٍ الَّتِي أَهَدَتْ لِلنِّسَائِيَّةِ، وَقَدَّمَتْ لِلْبَشْرِيَّةِ، ابْنًا تَضَاءَلَتْ فِي عَظَمَتِهِ الشَّمْسُ فِي ضَحَاهَا، وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا، وَيَكْفِي النِّسَاءَ، مَا أَطْلَّ صَبَاحٌ وَكَرَّ مَسَاءٌ، أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ امْرَأَةٍ وُلِدَ، وَمِنْ أَنْثَى وَجِدَ."

- وللقرني أيضا فيقول الشعر: "إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ فِي النَّوَادِي، صَاحَ الْمُنَادِي: هَذَا شَاعِرُ الْحَوَاضِرِ وَالْبَوَادِي، وَبُلْبُلُ النَّادِي، فَيَتَمَائِلُ طَرَبًا، وَيَتِيهُ عُجْبًا، وَيَقُولُ لِلْحُضُورِ: لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا، فَإِذَا أَلْقَى الْقَصِيدَةَ، فَكَأَنَّهُ يَأْكُلُ عَصِيدَةَ، يُلَوِّي رَأْسَهُ، وَيَكْظُمُ أَنْفَاسَهُ، كَأَنَّمَا يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ."

- قال محمد المويلحي: "أَقَمْنَا فِي ذَلِكَ الظِّلِّ الْوَرِيفِ، مُدَّةً مِنْ أَيَّامِ الْخَرِيفِ، وَمَكَّنْنَا نَقْطُفَ الْقُطُوفِ الدَّانِيَّةِ، بَيْنَ تِلْكَ الْأَعْيُنِ الْجَارِيَّةِ، فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِأَغْيَةٍ."

- قال البشير الإبراهيمي: "فَلَوْ أَنَّكُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ، وَعَمِلْتُمْ الصَّالِحَاتِ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ، وَمِنْهَا جَمْعُ الْكَلِمَةِ، وَإِعْدَادُ الْقُوَّةِ، وَمَحْوُ التَّنَازُعِ مِنْ بَيْنِكُمْ، لَأُنْجَزَ اللَّهُ لَكُمْ وَعَدَهُ، وَجَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ، وَلِكُنْكُمْ تَنَازَعْتُمْ، فَفَشِلْتُمْ، وَذَهَبَتْ رِيحُكُمْ، وَمَا ظَلَمَكُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ."

- قال أحمد أمين واصفا الحب: "هُوَ هُدَى بَعْدَ ضَلَالٍ، وَغِنَى بَعْدَ فَقْرٍ، وَنُورٌ بَعْدَ ظَلَامٍ، هُوَ مُعْجَزَةٌ الْمُعْجَزَاتِ، يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ."

- جاء "بَنَانُ" الطُّفَيْلِيُّ إِلَى وليمية - وكان نقش خاتمه: مَا لَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ - فَأَغْلِقَ الْبَابَ دُونَهُ، فَكَتَرَى سُلْمًا، وَوَضَعَهُ عَلَى حَائِطِ صَاحِبِ الْوَلِيمَةِ، فَأَشْرَفَ عَلَى عِيَالِهِ وَبَنَاتِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: "يَا هَذَا أَمَا تَخَافُ اللَّهَ؟ رَأَيْتَ أَهْلِي وَبَنَاتِي؟" فَقَالَ الطُّفَيْلِيُّ: "يَا شَيْخُ، لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ، وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ"، فَضَحَكَ الرَّجُلُ، وَقَالَ لَهُ: "انْزِلْ، فَكُلْ".

- فَرَّ بِهَلُولٍ مِنَ الصَّبِيَّانِ يَوْمًا، فَالتَجَأَ إِلَى دَارٍ وَجَدَ بَابَهَا مَفْتُوحًا، فَدَخَلَهَا، وَكَانَ صَاحِبُ الدَّارِ لَهُ ظَفِيرَتَانِ، فَقَالَ بِهِلُولٍ: "يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ"، فَضَحَكَ الرَّجُلُ، وَدَعَا لَهُ بِطَعَامٍ، فَجَعَلَ الصَّبِيَّانُ يَصِيحُونَ عَلَى الْبَابِ، وَهُوَ يَأْكُلُ، وَيَقُولُ: "فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ".

- قال ابن حبيب الحلبي في كتابه (نسيم الصبا) واصفًا سفينة: "هَزَّتْنِي رِيَاخُ الْأَمَلِ الْبَسِيطِ، إِلَى امْتِطَاءِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، فَاتَّيْتُ سَفِينَةً، يَطِيبُ لِلسَّفَرِ مَثْوَاهَا، وَرَكِبْتُ فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمَرَسَاهَا، يَا لَهَا سَفِينَةٌ عَلَى الْأَمْوَالِ أَمِينَةٌ، ذَاتُ دُسْرِ وَأَلْوَاخٍ، تَجْرِي مَعَ الرِّيَّاحِ، وَتَطِيرُ بِغَيْرِ جَنَاحٍ، وَتَعْتَاضُ عَنِ الْحَادِي بِالْمَلَّاحِ، تَحْوِضُ

وتَلْعَب، وتَرِدُ ولا تَشْرَب، لَهَا سَكِينَةٌ وَسُكَّان، وَمَكَانَةٌ وَإِمَّكَان، وَجِسْمٌ عَارٍ عَنِ الْفُؤَادِ، وَهُوَ فِي الْعَيْنِ بِمَنْزِلَةِ السَّوَادِ، بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ السَّحْرِ وَالنَّحْرِ، مِنْ أَحْسَنِ الْجَوَارِي الْمُنْشَاتِ فِي الْبَحْرِ، مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرِ، كَالْخَيْلِ لَا تَمَلُّ مِنْ سَيْرِ النَّهَارِ، وَلَا مِنْ سَرِيِّ اللَّيْلِ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْبَحْرِ، ثَارَتْ رِيحٌ عَاصِفٌ، يَتَّبِعُهَا رَعْدٌ قَاصِفٌ، فَمَالَتْ بِنَا الْفُلُوكَ وَاضْطَرَبَتْ، وَدَنَتْ شَفَقَتَهَا مِنْ رَشْفِ الْمَاءِ وَاقْتَرَبَتْ، وَاسْتَمَرَّتْ تَرْفَعُ وَتَخْفِضُ، وَتَقْرُبُ وَتَرْفُضُ، وَتَعْلُو عَلَى الْأَوْتَادِ، وَتَهِيمُ فِي كُلِّ وَادٍ.

- تَقَدَّمَ شَاكٍ إِلَى قَاضٍ، فَقَالَ الْقَاضِي: "سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ".

- وَسَأَلَ قَاضٍ رَجُلًا عَنْ عِيَالِهِ، فَكَذَبَ، فَقَالَ الْقَاضِي: "لَا جَوَابَ لِكُذَّابٍ"، ثُمَّ عَاوَدَ وَصَدَّقَ فِي عَدَدِهِمْ، فَقَالَ الْقَاضِي: "الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ".

- وَأَهْدَى رَجُلٌ لِقَاضٍ هَدَايَا كَثِيرَةً، فَرَدَّهَا، وَقَالَ: "فَمَا أَتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أَتَاكُمْ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ".

- وَالْتَمَسَ مَحْبُوسٌ مِنْ قَاضٍ إِطْلَاقَهُ، فَقَالَ الْقَاضِي: "لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ".

- قال حافظ إبراهيم:

وَيَدُ الْإِلَهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَاضْرِبُوا      بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَنْظَفَرُوا بِنَجَاحِ

- قال شاعر المهجر عبد الله طعمة (أبو الفضل الوليد):

هِيَ الْخَيْلُ مَعْقُودٌ بِهَا الْخَيْرُ فَاَنْفِرُوا      عَلَى كُلِّ مَحْبُوسٍ بَعِيدِ الْإِعَارَةِ

- قال خليل مطران في مدح عبد الله البستاني:

عِلْمٌ وَأَخْلَاقٌ وَحُسْنُ شَمَائِلٍ      مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ

- قال مفدي زكريا:

وَفِي قُدْسِ جَنَاتِنَا النَّاضِرَةَ      وَجُودُهُ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةَ

- قال الشاعر:

قَدْ قُلْتُ إِذْ سَارَ السَّافِينُ بِهِمْ      وَالشُّوقُ يَنْهَبُ مُهَجَّتِي نَهَبًا

لَوْ أَنَّ لِي عِزًّا أَصُولُ بِهِ      لِأَخَذْتُ كُلَّ سَافِينَةٍ غَضَبًا

- قال الشاعر:

قَدْ قَضَيْنَا الْعُمَرَ فِي مَطْلُكُمُ      وَظَنَّأْنَا وَعَدَّكُمْ كَمَا كَانَ مَنَامَا

أِذَا مِثْنَانَا نَرَى وَعَدَّكُمْ      أَمْ إِذَا كُنَّا ثُرَابًا وَعِظَامَا؟

- قال ابن الوردي في هجاء بخيل:

أَحَلَّ الضُّيُوفَ عَلَى سَطْحِهِ      وَقَطَّعَ بِالجُوعِ أَكْبَادَهُمْ

وَأَنْ يَسْتَنْغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَا      وَفَرَّجَهُمْ فِي نُجُومِ السَّمَاءِ

- قال لسان الدين بن الخطيب:

إِنْ تَنْتَبِهُ أَوْ بَدَا أَوْ خَطَرَ  
قُلْنَ جَلَّ اللهُ مَا هَذَا بَشَرًا

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ  
تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

لَمْ نَفْسُ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ  
لَمْ نَفْسُ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

فَكَيْفَ أَنْجُوْا وَلَاتَ جِئِنَ مَنَاصُ  
اقْتَصَّ بِاللَّحْظِ وَالْجُرُوحِ قِصَاصُ

غُصْنٌ بَانٍ وَهِيَ لَاحُورٍ  
لَوْ بَدَا لِحُورٍ يَوْمَ مَا وَجَّهَهُ

- قال الشاعر:

بَهَاؤُكَ إِنْ تَجَلَّى يَشْفِي قَلْبِي  
وَقَالُوا الْبَذْرُ شَارِكُهُ ابْتِهَاجًا

- قال صفي الدين في الحكمة:

لَيْسَ كُلُّ الْأَوْقَاتِ يَجْتَمِعُ الشَّمْسُ  
فَاغْتَنِمُ سَاعَةَ الْإِقْدَاءِ، فَمَا تَعُ

- وقال الشاعر:

جَرَحْتُ خَدَّ الَّذِي تَمَلَّكَ نِي  
فَمَذَّرَ أَنْ يَجْرَحْتُ وَجَنَّتَهُ

## اللف والنشر

**تعريف اللف والنشر:** يُسمى كذلك اللف والنشر. أما اللف فيشار به إلى متعدّد يذكُرُه البليغ، حيث يأتي به أولاً، وأما النشر فيشار به إلى المتعدّد اللاحق، الذي ينعلق كل واحد منه بواحد من السابق دون تعيين. بعبارة أخرى: "اللف والنشر هو ذكر متعدّد على جهة الإجمال، أو التفصيل، ثم ذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدّم، ويُفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به".<sup>1</sup>

ومثاله قولنا: "ظَهَرَتْ نَتَائِجُ الْبِكَالُورِيَا، وَبَدَتْ عَلَامَاتُ السُّرُورِ وَالْحُزْنِ عَلَى النَّاجِحِينَ وَالرَّاسِبِينَ". فنحن ذكرنا متعدّدًا، وهو: (السرور، والحزن)، وهذا المتعدد هو ما ندعوه لفاً، ثم ذكرنا: (الناجحين، والرّاسبين)، وهو متعدّد، نسميه نشرًا، وهذا المتعدد اللاحق، أي النشر، يتعلق كل واحد منه بواحد من المتعدد السابق، وكلمة الناجحين تتعلق بالسرور، وكلمة الراسبين تتعلق بالحزن.

ومثل ذلك حادث في قول المنفلوطي: "فَإِذَا رَأَى النَّاشِئُ أَنَّ الْمُجْتَمَعَ يَحْتَرِمُ الْمُوظَّفَ الصَّغِيرَ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَرِمُ الْعَالِمَ الْكَبِيرَ، كَانَ سُورُهُ، وَحُزْنُهُ عَلَى قَدْرِ قُرْبِ الْوظِيفَةِ مِنْهُ، أَوْ بُعْدِهَا عَنْهُ". قال معروف الرصافي في وصف روضة:

نَاحَ الْحَمَامِ وَغَرَدَ الشَّحْرُورُ هَذَا بِهِ شَجْنٌ وَذَا مَسْرُورٌ

فالشاعر ذكر المتعدد: (الحمام والشحور) وهذا ما نسميه لفاً، ثم ذكر المتعدد اللاحق على الترتيب: (الشجن والسرور) وهذا ما ندعوه نشرًا.

قال توفيق الحكيم: "مَاذَا يَكُونُ حَالُ الْجِسْمِ لَوْ تَمَرَدَ الْقَلْبُ، وَاللِّسَانُ وَالْأُذُنُ وَالْقَدَمُ، وَقَالَتْ كُلُّهَا: لَنْ نَشْعَرَ وَلَنْ نَنْطِقَ وَلَنْ نَسْمَعَ وَلَنْ نَسِيرَ؟".

فالكاتب قد أتى على ذكر أربعة أشياء متعددة جملة واحدة، وهي القلب واللسان والأذن والقدم، وهذا ما نسميه لفاً، ثم ذكر ما يتصل بكل منها على الترتيب: فالشعور يتصل بالقلب، والنطق باللسان، والسمع بالأذن، والسير بالقدم، وذلك هو نشر اللف.

ومن أبرع شواهد اللف والنشر على المطلق قول محمود سامي البارودي في شأن محبوبته:

يَمُوتُ قَلْبِي وَيَحْيَا حَيْرَةً وَهُدًى فِي عَالَمِ الْوَجْدِ إِنْ صَدَّتْ وَإِنْ جَنَحَتْ

فاللف في كلمتي (يموت، ويحيا)، والنشر في كلمتي (حيرة، وهدى)، فالقلب يموت حيرة، ويحيا هدى، وهو لف ونشر مرتب، بل إن البارودي أتى بكلمتي (صدت، وجنحت) لتكون نشرًا ثانيًا لللف السابق.

ولعلك تلاحظ أن النشر جاء على ترتيب اللف، وهذا ما ندعوه اللف والنشر المرتب، أما إذا أتى النشر على غير ترتيب اللف، فيسمى معكوس الترتيب. ومثال النشر على خلاف الترتيب الذي عليه النشر قول الشاعر:

فَمَا الْبَدْرُ وَالْأَغْصَانُ وَاللَّيْثُ وَالرَّشَا إِذَا مَا رَنَّا أَوْ صَالَ أَوْ مَاسَ أَوْ بَدَا؟

<sup>1</sup> وشي الربيع بألوان البديع ص 81.

حيث ذكر الشاعر المتعدد مفصلاً (البدر، والأغصان، والليث، والرّشأ)، ثم ذكر ما يتصل بكلّ منها على خلاف الترتيب: ف (رَنًا) راجع للرّشأ، و(صَال) راجع للّيث، و(مَاس) راجع للأغصان، و(بَدَا) راجع للبدر. وقد يقيم البليغ اللفّ والنّشر على أساس التّشبيه، وقد يقيمه دون ذلك. ومثال اللفّ والنّشر القائم على التّشبيه قول مصطفى صادق الرافعي متغزلاً:

هي غُصْنُ الرِّيَاضِ والزَّهْرُ والوَرُ      دُ، قَوَامًا ونَفَحَةً وُخْدُودًا  
وهي شَمْسُ السَّمَاءِ والطَّيْبَةُ العَيُّ      دَاءُ، وَجَهًّا ومُقْلَتَيْنِ وَجِيدًا

حيث ذكر الشاعر في البيت الأول المتعدد مفصلاً، وهو: (الغصن، والزهر، والورد)، ثم ذكر ما يتصل بكل منها على الترتيب: فالقوام للغصن، والنفحة للزهر، والخدود للورد، ثم ذكر في البيت الثاني المتعدد مفصلاً، وهو: (شمس السماء، والطيبية الغيدة)، ثم ذكر ما يتصل بكل منهما على الترتيب: فالوجه للشمس، والمقلتان والجيد للطيبية الغيدة.

ومن اللف والنشر المقام دون تشبيه قول محمد العيد آل خليفة في خطابه للشعب الجزائري:

دَعَمُوا البِرَّ دَعَمُوا البَحْرَ بالأعْ      لَامٍ مِنْ مُنْشَاتِ مُدْنٍ وَسُفْنٍ

فاللف في كلمتي (البر، والبحر)، والنشر في كلمتي (مدن، وسفن): فلفظ (مدن) راجع إلى البر، ولفظ (سفن) راجع إلى البحر.

ومنه قول محمود سامي البارودي في رثاء أبيه:

أبِي وَمَنْ كَأَبِي فِي الحَيِّ نَعْلَمُهُ      أَوْفَى وَأَكْرَمُ فِي وَعْدٍ وَإِبْعَادٍ

فاللف في كلمتي: (أوفى، وأكرم)، والنشر في لفظتي: (وعد، وإبعاد).

ومن بديع اللف والنشر قول الشاعر الجزائري أبي القاسم خمار مخاطباً الفرنسيين:

فَإِلا حَيَاةً وَلَا نُورًا وَلَا أَمَلًا      والجَهْلُ والفَقْرُ أُنْيَابٌ لَكُمْ وَقَمٌ

فاللف في كلمتي: (الجهل، والفقر)، والنشر في كلمتي: (أنياب، وفم).

ومن اللف والنشر قول إيليا أبي ماضي:

وَصِرْتُ عَفْدًا لَكَ أَوْ خَاتَمًا      فِي جِيدِكَ النَّاصِعِ أَوْ إصْبَعِكِ

فالشاعر ذكر في صدر البيت متعددًا مفصلاً، وهو (العقد، والخاتم)، وهو ما نسميه لفاً، ثم ذكر ما يتصل بهما على الترتيب: فالجيد مذكور للعقد، والإصبع مذكور للخاتم، وهو ما ندعوه نشرًا.

ومنه أيضاً قول أبي ماضي على لسان فتاة أرغما ذوها على الاقتران برجل طاعن في السن:

لِي قَدْ وَجَمًا لِي زَدْرِي      ذَاكَ بِالْغُصْنِ وَذَا بِالْكَوْكَبِ

فالمتعدد المفصل (اللف) الذي ذكره الشاعر هو (قدّ وجمال)، أما النشر، أي ما يتصل بهما، فهو (الغصن والكوكب).

وقد اجتمع ما أقيم على أساس التشبيه، وما أقيم دونه في قول الشاعر:

وَكَاَنَّ طَرَّتَهُ وَنُورَ جَبِينِهِ      لَيْلٌ تَأَلَّقَ فِيهِ بَارِقٌ صُبْحِهِ  
قَلْبِي وَطَرْفِي دَا يَسِيلُ دَمًا وَدَا      بَيْنَ الْوَرَى أَنْتَ الْعَلِيمُ بِقَرْجِهِ

### بلاغة اللف والنشر:

أسلوب اللف والنشر يهَيئ النفوس، ويشير الانتباه لتلقي الفائدة، فاللف يهَيئ النفوس ويعدها لتلقي ما يذكر بعد ذلك من النشر العائد إلى اللف، فإذا ما ذكر النشر بعدد وقع في النفوس موقعه، وتمت الفائدة أحسن تمام، وتحقق الغرض أبلغ تحقيق، لأن النشر جاء والنفوس إليه متطلعة، وله مترقبة.

وفي اللف والنشر يتقوى الارتباط بين أجزاء الكلام، وجمالية اللف والنشر تتحقق إذا ما ورد هذا المحسن البديعي فيض البديهة، عفو خاطر من دون تكلف، أما إذا تكلفه الأديب فإنه يكون عبثاً على المعنى. و"من جماليات هذا الفن البديعي أنه يضاعف فعالية الذهن، إذ ينثر أمامه مجموعة أشياء، يتصل بكل منها شيء، لكنه يُبهِمُ عليه أول الأمر نسبة الشيء إلى أصله، فيدعه يجري خلف هذه المعرفة، حتى إذا استطاع الذهن تحصيل العلاقة بين كل فردٍ من أفراد المتعدد، والشيء المتصل به، أدركته بهجة التعرف، ولذة التوصل".<sup>1</sup>

**تدريب:** عين اللف والنشر، وبيّن نوعه وبلاغته في النماذج الآتية:

- قال محمود سامي البارودي في الغزل:

دُ جَنِيًّا؟ مَا الْعُصْنُ إِذْ يَنْهَدَى؟      مَا هِلَالُ السَّمَاءِ؟ مَا الظُّبْيُ؟ مَا الْوَرُ  
ظًّا وَأَنْدَى خَدًّا وَالْأَيْنُ قَدًّا      هُوَ أَبْهَى وَجْهًا وَأَقْتَلُ أَلْحَا

- وقال سامي البارودي:

فَوَيْلٌ مَهَاةَ الرَّمْلِ وَالْعُصْنِ وَالْبَدْرِ      إِذَا نَطَرْتَ أَوْ أَقْبَأْتَ أَوْ تَهَلَّلْتَ

- وقال أيضا:

إِذَا مَا النَّقَيْنَا - لَذَّةَ الْعَيْنِ وَالسَّمْعِ      أَلَا بِأَبِي مَنْ حُسْنُهُ وَحَدِيثُهُ

- وقال البارودي:

وَبُؤْسٍ فَلَا يُرْجَى لِنَفْعٍ وَلَا ضَرٍّ      إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْرَحْ وَيَحْزَنْ لِنِعْمَةٍ

- قال بشارة الخوري:

كَعَاشِقٍ خَطَّ سَطْرًا فِي الْهَوَى وَمَحَا      يَبْكِي وَيَضْحَكُ لَا حُزْنَآ وَلَا فَرْحًا

- وقال بشارة الخوري:

فَالْحُبُّ وَالطَّهْرُ يُثْنَاهَا وَيُسْرَاهَا      أَمَا سُلَيْمَى فَمَا زَاغَتْ وَلَا عَنَرَتْ

- وقال الخوري:

<sup>1</sup> المفصل في علوم البلاغة العربية ص 579.

هَذَا إِذَا انْهَلَّ أَوْ هَذَا إِذَا سُفِحَا

سَقَيْتُ رِيحَانَهُ مِنْ مَدْمَعِي وَدَمِي

- قال الشاعر القروي في سوء المعاملة التي لاقاها الشاعر المهجري في الغرب:

وَالْمَنَائِيَا أَبَاعِـدُ وَأَقْرَابُ

أَيْنَمَا حَطَّ رَحْلُهُ فَالْأَمَانِي

- وللشاعر القروي:

لِي مَنْظَرٌ خُلُوٌّ وَلِي عَبَقُ

قَدْ كُنْتُ مِثْلَكَ أَيُّهَا الْحَبَقُ

وَتَهَيَّمُ بِي أَرْوَاحُ مَنْ نَشَقُوا

تَهْفُو إِلَيَّ عُيُونٌ مَنْ نَظَرُوا

- قال خليل مطران متغزلا:

بِالْأَلْفِظِ أَوْ بِالْأَلْحَظِ أَوْ بِالْحِيَدِ

سَلَابِيَةِ خَلَابِيَةِ غَلَابِيَةِ

- قال إيليا أبو ماضي مخاطبا فيلسوفه المجنح (البلبل):

فَلَقَدْ ظَفِرْتَ بِرَوْضَةٍ وَبِمَـوَرِدِ

فَإِذَا ظَفِرْتَ بِنَفْحَةٍ وَبِقَطْرَةٍ

- وقال إيليا أبو ماضي:

وَكَمَا أَنَّهُنَّ فَرِيَسَةٌ وَصُقُورُ

حَامَتْ عَلَى رُوجِي الشُّكُوكُ كَأَنَّهَا

- قال حافظ إبراهيم رائيا:

لَقَدْ قَازَ هَذَا وَهَذَا خَسِرَ

أَهْنَى الثَّرَى أَمْ أَعَزِّي الْوَرَى؟

- قال علي الجارم:

ذِكْرِي فِلِسْطِينِ حَفَاقُ وَهَتَّانُ

قَلْبِي وَفَيْضُ دُمُوعِي كُلَّمَا حَطَرْتَ

- قال حافظ إبراهيم:

كِلَاهُمَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَخْدُودِ

فَاعْزِرْ قَرِيضِي وَاعْزِرْ فَيْكَ قَائِلُهُ

- ولحافظ إبراهيم:

مَا بَيْنَ سَائِلٍ دَافِقٍ وَشَرَارِ

قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ

- وله أيضا:

فِيهِ مَنَابِرُ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ خُطْبِ

كَمْ انْبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وَكَمْ رُفِعَتْ

- قال مصطفى صادق الرافعي:

وَأُخْرَى بِأَخْلَامِ الْغَرَامِ لُغُوبُ

وَاللَّهْجَرِ فِي نَفْسِي يَدٌ مُطْمَئِنَّةٌ

وَذَا لِنَدَى فَجْرِ الْحَيَاةِ شَرُوبُ

هَوَى وَصُدُودُ: ذَلِكَ يَأْكُلُ مُهَجَّتِي

- قال أحمد شوقي:

وَالْعَوْدُ وَالْعِيدُ أَفْرَاحٌ وَأَعْرَاسُ

حَجُّ الْأَمِيرِ لَهُ الدُّنْيَا قَدْ ابْتَهَجَتْ

والحمد لله على ما هدى إليه، وأعان عليه، له الحمد في الآخرة والأولى، فهو نعم النصير، ونعم المولى.

## قائمة المراجع، والأعمال الأدبية:

### 1. المراجع:

1. المفصل في علوم البلاغة العربية. الدكتور عيسى علي العاكوب. منشورات جامعة. حلب. 2000.
2. البلاغة فنونها وأفانها علم البيان والبدیع. الدكتور فضل حسن عباس. دار الفرقان للنشر والتوزيع. الأردن. ط 10. 2005.
3. علوم البلاغة الدكتور محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب. المؤسسة الحديثة للكتاب. طرابلس لبنان. 2003.
4. البلاغة الواضحة. علي الجارم، مصطفى أمين. دار المعارف. مصر. 1999.
5. علم البيان. الدكتور عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. لبنان. 1985.
6. علم البدیع. الدكتور عبد العزيز عتيق. دار النهضة العربية. لبنان. 1985.
7. فن التشبيه علي الجندي. مطبعة نهضة مصر. جمهورية مصر العربية. ط 1. 1952.
8. دراسات في علم البدیع. الدكتور مصطفى السيد جبر. دريم للطباعة مصر. ط 4. 2007.
9. أبواب البدیع. الدكتور محمد حسن شرشر. ط 2. 2003.
10. الصبغ البدیعی في اللغة العربية. الدكتور أحمد إبراهيم موسى. دار الكتاب العربي. القاهرة. 1969.
11. التصوير المجازي والكناي. الدكتور صلاح الدين محمد أحمد. مكتبة سعيد رأفت. مصر. ط 1. 1988.
12. المعجم المفصل في علوم البلاغة. الدكتورة إنعام نوال عكاوي. دار الكتب العلمية. لبنان. ط 2. 1996.
13. معجم البلاغة العربية. الدكتور بدوي طبانة. دار المنارة، دار الرفاعي. المملكة العربية السعودية. ط 3. 1988.
14. البيان العربي. دكتور بدوي طبانه. مطبعة الرسالة. مصر. ط 2. 1958.
15. علوم البلاغة. أحمد مصطفى المراغي. دار الكتب العلمية. لبنان. ط 2. 1993.
16. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها. عبد الرحمان حسن الميداني. دار القلم. دمشق، الدار الشامية بيروت. ط 1. 1996.
17. علم البيان. الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود. دار المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. ط 2. 1998.
18. علم البدیع. الدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود. دار المختار للنشر والتوزيع. القاهرة. ط 2. 1998.
19. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. بهاء الدين السبكي. تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي. المكتبة العصرية بيروت. ط 1. 2003.
20. القول البدیع في علم البدیع. الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي. دار كنوز إشبيليا. الرياض. 1425 هجرية.

21. بلاغة الطبايق والمقابلة. الدكتور محمد علي أبو زيد. دار الأرقم. 1991.
  22. فن الجناس. علي الجندي. دار الفكر العربي. مصر. 1954.
  23. جنان الجناس. صلاح الدين الصفدي. مطبعة الجوائب. قسطنطينية. ط 1. 1299 هجرية.
  24. الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي. عبد الهادي الفكيكي. دار النمير. سوريا. ط 1. 1996.
  25. أنوار الربيع في أنواع البديع. ابن معصوم. مطبعة النعمان. العراق. ط 1. 1996.
  26. كشف اللثام عن التورية والاستخدام. ابن حجة الحموي. المطبعة الإنسية. بيروت. 1312 هجرية.
  27. الجمان في تشبيهات القرآن. عبد الله بن حسين بن نايقا. مكتبة الأوسكوريال. ط 1. 1987.
  28. دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمود محمد شاكر. مكتبة الخانجي. القاهرة. 2000.
  29. أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي. دار الكتب العلمية. بيروت. ط 1. 2001.
  30. جواهر الكنز. ابن الأثير الحلبي. تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام. دار المعارف. مصر. 2009.
  31. الصناعتين. أبو هلال العسكري. مطبعة الخانجي. 1320 هجرية.
  32. وشي الربيع بألوان البديع. الدكتورة عائشة حسين فريد. دار قباء. القاهرة. 2000.
  33. العقد البديع في فن البديع. للخوري بولس عواد. دار المواسم لبنان. 2000.
  34. البديع في شعر شوقي. الدكتور منير سلطان. مطبعة جامعة عين شمس. مصر. ط 2. 1992.
  35. فن البديع. الدكتور عبد القادر حسين. دار الشروق. القاهرة. ط 1. 1983.
  36. الفنون البديعية. فوزي السيد عبد ربه عيد. مطبعة الحسين الإسلامية. مصر. ط 1. 1988.
  37. من جماليات المعنى. حسن التعليل. الدكتور عيد محمد شبايك. دار حراء. القاهرة. ط 1.
  38. الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني. تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي. مؤسسة المختار. القاهرة. ط 3. 2007.
  39. مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء. الدكتور حامد صالح خلف الربيعي. مكتبة الملك فهد الوطنية. المملكة العربية السعودية. 1996.
  40. موسيقى الشعر العربي. دكتور حسني عبد الجليل يوسف. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1989.
- ## 2. الأعمال الأدبية:
1. ديوان محمود سامي البارودي. ضبط وتحقيق علي الجارم ومحمد شفيق المعلوف. دار العودة. ط 1. 1998.
  2. الأعمال الكاملة. مصطفى صادق الرافعي. تقديم الدكتور عبد الله القط. مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان. ط 1. 1994.

3. ديوان حافظ إبراهيم. مكتبة لبنان. بيروت. ط 1. 1991.
4. ديوان خليل مطران. دار الهلال. دار المعارف. مصر. ط 2. 1949.
5. الأعمال الكاملة. مصطفى لطفى المنفلوطي. مراجعة أحمد زهوة. دار الكتاب العربي. لبنان. ط 1. 2012.
6. الأعمال الشعرية الكاملة. أحمد شوقي. دار الكتاب العربي. بيروت. 1988.
7. الأعمال الكاملة. توفيق الحكيم. مكتبة لبنان ناشرون. لبنان. ط 1. 1994.
8. المجموعة الكاملة. ميخائيل نعيمة. دار العلم للملايين. بيروت. ط 1. 1975.
9. الأعمال الشعرية الكاملة. إيليا أبو ماضي. دار العودة. لبنان. ط 10. 2015.
10. الأعمال الكاملة. الشاعر القروي. دار العودة. بيروت. ط 7. 1998.
11. الأعمال السياسية الكاملة. نزار قباني. منشورات نزار قباني. بيروت. ط 2. 1999.
12. الأعمال النثرية الكاملة. نزار قباني. منشورات نزار قباني. بيروت. ط 1. 1993.
13. حديث عيسى بن هشام. محمد المويلحي. دار هنداوي. مصر. 2012.
14. الأخطل الصغير أمير الشعراء. بشارة الخوري. دار الكتاب العربي. لبنان. ط 1. 2006.
15. المجموعة الكاملة. جبران خليل جبران. دار الجيل. بيروت. ط 1. 1994.
16. ديوان معروف الرصافي. مراجعة مصطفى الغلاييني. مؤسسة هنداوي. القاهرة. 2014.
17. ديوان محمد العيد آل خليفة. دار الهدى. الجزائر. 2010.
18. اللهب المقدس. مفدي زكريا. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر. 2007.
19. إلياذة الجزائر. مفدي زكريا. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. ط 2. 1987.
20. ديوان الشيخ أحمد سحنون. منشورات الحبر. ط 2. 2007.
21. ديوان علي الجارم. مؤسسة هنداوي. القاهرة. 2013.
22. ديوان الرافعي. تحقيق الدكتور ياسين الأيوبي. المكتبة العصرية. بيروت. 2004.
23. ديوان سميح القاسم. دار العودة. بيروت. 1987.
24. الأعمال الشعرية الكاملة. توفيق زياد. دار العودة لبنان. ط 1. 2000.
25. فيض خاطر. أحمد أمين. مكتبة النهضة. مصر. ط 3. 1953.
26. آثار محمد البشير الإبراهيمي. دار الغرب الإسلامي. لبنان. ط 1. 1997.
27. ديوان أبي القاسم الشابي. تقديم مجيد طراد. دار الكتاب العربي. بيروت. ط 2. 1994.
28. ديوان محمد بلقاسم خمّار. دار أطفالنا للنشر والتوزيع. الجزائر. ط 1. 2010.
29. وحي الرسالة. أحمد حسن الزيات. مطبعة الرسالة. مصر. ط 7. 1962.
30. ديوان الأمير عبد القادر الجزائري. مطبعة ثالة الجزائر. ط 3. 2007.

31. مقامات عائض القرني. مكتبة الصحابة. الشارقة. الإمارات. ط1. 2000.
32. دراسات فنية في الأدب العربي. الدكتور عبد الكريم اليافي. مكتبة لبنان ناشرون. ط 1. 1996.
33. الأدب العربي المعاصر في مصر. شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. ط 10. 1961.
34. صفي الدين الحلبي. محمود رزق سليم. دار المعارف مصر. ط 3. 1980.
35. تاريخ الأدب العربي. الدكتور عمر فرّوخ. دار العلم للملايين. بيروت. ط 1. 1981.
36. جواهر الأدب العربي. السيد أحمد الهاشمي. المكتبة التجارية الكبرى. مصر. ط 27. 1969.
37. الجامع في تاريخ الأدب العربي. حنا الفاخوري. دار الجيل. بيروت. ط 1. 1986.

## الفهرس

03.....	مقدمة
04.....	تقديم
05.....	علم البيان
06.....	التشبيه
24.....	تقسيم التشبيه إلى ملفوف ومفروق وتسوية وجمع
32.....	التشبيه التمثيلي
41.....	التشبيه الضمني
49.....	التشبيه المقلوب وتشبيه التفضيل
58.....	التشبيه الدائري أو الاستطرادي
62.....	بلاغة التشبيه
63.....	الاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية
73.....	الاستعارة المرشحة والمجردة والمطلقة
81.....	الاستعارة الأصلية والتبعية
89.....	الاستعارة التمثيلية
90.....	بلاغة الاستعارة
94.....	المجاز المرسل
101.....	المجاز العقلي
105.....	الكناية
118.....	علم البديع
119.....	المحسنات اللفظية
120.....	الجناس
127.....	السجع
132.....	ردّ العجز على الصدر
136.....	الترصيع
141.....	المحسنات المعنوية
142.....	الطباق
148.....	المقابلة

153.....	التّضمين
157.....	الإرصاد
162.....	المشاكله
168.....	تشابه الأطراف
174.....	التّورية
180.....	أسلوب الحكيم
185.....	حسن التعليل
191.....	تجاهل العارف
197.....	الجمع
201.....	التّفريق
206.....	صحة التّقسيم
211.....	الجمع مع التّفريق
215.....	الجمع مع التّقسيم
220.....	تأكيد المدح بما يشبه الذّم
224.....	الاقتباس
231.....	اللفّ والنّشر
235.....	قائمة المراجع والأعمال الأدبية